العمل الحِرفى

ونوعية الحيــاة

إعداد

دينا مفيد على حسن

تقديم

أ.د.اعتماد محمد علام



مكتبة الأنجلو المصرية

العمل الحرفى ونوعيـــة الحيـــاة

دينا مفيد على حسن

مدرس مساعد بكلية البنات

جامعة عين شمس

تقديم

دكتورة / اعتماد محمد علام

أستاذ علم الاجتماع بكلية البنات

جامعة عين شمس



مكتبـــة الأنجلـــو المصريـــة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

حسن ، دينا مفيد على .

العمل الحرفى ونوعية الحياه - اعداد / دينا مفيد على حسن

تقديم / اعتماد محمد علام . ـ ط١. ـ

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٨ .

٣٢ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١- الحرفيون

أ- علام ، اعتماد محمد (مقدم) ب - العنوان

رقم الإيداع : ٢٧٩٠

ردمك :٩٧٧-٠٥-٢٣٧٤-٧ تصنيف ديوى : ٩٢٧,٤٥

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

النـاشـر: مكتبـة الانجلـو المصريـة

١٦٥ شارع محمد فريد

القـاهرة ـ جمهوريـة مصر العربيـة

ت : ٢٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٢٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

إهداء

إلى أسرتى التى ما بخلت بعطاء، ولا ضنّت بتضحية، ولا سئمت من عظيم اهتمام، إلى أستاذتي ومعلمتي أ.د. اعتماد محمد علام، و أ.د. سعاد عثمان أحمد، أهدى باكورة عملى مزيتا بفيض فكرهما.

فهرس المحتويات

الفصل الرابع
الحرفيون ونوعية الحياة فى المجتمع المصرى – رؤية بنائية تاريخية

الفصل الخامس
مجتمع الدراسة وأهم ملامحه

الفصل السادس
الخصائص الحرفية ونوعية الحياة – مؤشرات أمبريقية

الفصل السابع
نوعية حياة العمل للحرفى وأبعادها التحليلية

الفصل الثامن
نوعية حياة للحرفى خارج مجال العمل

الفصل التاسع
مناقشة النتائج فى ضوء النموذج المثالى للحرفية
ونتائج الدراسات السابقة

تقديم

يضم هذا المؤلف دراسة ميدانية متميزة فى منهجية تناولها وعرضها لنوعية حياة الحرفيين المشتغلين بالحرف والصناعات التقليدية العاملة فى إحدى الأحياء الأصيلة بمدينة القاهرة وهو حى الجمالية. وليكتمل بهذا المؤلف اختبار مقولات النموذج المثالي للحرفية The Ideal Model of Craftsmanship الذى صاغه سيسل رايت ميلز Cecil Wright Mills فى مؤلفه White Collar عام ١٩٥١م. ويتضمن هذا النموذج ست مقولات (خصائص) لو تكاملت جميعها أو معظمها عند الحرفى الممارس للعمل اليدوى فانها تحقق لديه الإشباع الذاتى و الرضا إزاء ما يقدمه من عمل.

وقد سبق الدراسة التى بين أيدينا دراسة أجريتها على المجتمع المحلى ذاته واهتمت بالمقولات الخمس الأولى ونشرت عام ١٩٩١م. ونظرًا للارتباط العضوى بين مقولات النموذج، فان الدراسة التى يضمها هذا المؤلف كان ضروريًا أن تعيد اختبار هذه المقولات الخمس مرة أخرى خلال اهتمامها الأساسى بدراسة المقولة السادسة والخاصة بنوعية الحياة لدى الحرفيين.

وانطلاقًا من هذا النموذج، تبنت الدراسة الرائدة ثنائية الثبات والتغير لخصائص الحرف والصناعات التقليدية، لأن هذا المدخل يبرز تجليات التغير ويتعمد فى الوقت ذاته الكشف عن مدلولات هذا التغير فى علاقته بالسياق الاجتماعى الذى تمارس فيه الحرف التقليدية. وحالة الحضور الاجتماعى الذى يعكس بدوره مستويات الوعى وتمتع الحرفى بالاستقلال الذاتى فى عمله كمقولة أساسية فى نموذج الحرفية عند ميلز. اذ أن الوعى الحرفى يعكس أسلوب ممارسة العمل الحرفى والاهتمام بتفاصيله ويتباين هذا الوعى تبعا للوسط التفاعلى بين الفاعلين وأقصد بهم بيئة العمل وتفاعلها مع المجتمع المحلى ثم تفاعل الأخير مع المجتمع الأكبر.

ويمكن تفهم هذا التفاعل وانعكاساته على الواقع المعاش للحرفى ونوعية حياته ضمن الإطار النظرى للخيال السوسيولوجى الذى تبناه ميلز. إذ تنهض فلسفة هذا المدلول الهام على أنه لا حياة للفرد ولا تاريخ لأى مجتمع يمكن فهمه دون الربط الواضح لكليهما معا. بمعنى أننا فى حاجة لتطوير أسلوب فهمنا للتفاعل بين كل من حياة الفرد وتاريخ المجتمع دون الفصل بينهما، وهذا ما أسماه ميلز بنوعية العقل Quality of Mind.

وعبر فضاء الخيال السوسيولوجى، تبرز مقولة نوعية الحياة لمجتمع محدد (خاص) مثل مجتمع الحرفيين الذين يمثلون شريحة اجتماعية فاعلة ذات بعد تاريخى طويل داخل المجتمع المصرى. وتبدو أهمية هذه المقولة كمدخل نحاول من خلاله الإجابة على تساؤلات تهتم بالتعرف على بنية المجتمع الحرفى وخصوصيته وما حدث له من تحولات فى خصائصه. ووفق تفسير ميلز للمجتمع الخاص، نقول أن شريحة الحرفيين تمر بسلسلة من العثرات، نظرا لأن مثل هؤلاء الحرفيين تنحصر رؤيتهم فى مجال عملهم والأسرة وعلاقات الجيرة، بمعنى أنهم لا يتفهمون نوعية الارتباط بين مشكلاتهم الحياتية الخاصة والمشكلات الاجتماعية على مستوى المجتمع الأكبر.

ولذا نجد س.رايت ميلز يهتم بضرورة دراسة نوعية وطبيعة القوى التاريخية حتى يمكن تحديد سقف للحوار والنقاش حول المجتمع النوعى (الخاص) ونوعية حياة المشتغلين فيه ووعيهم وقدرتهم على التكيف مع الخصائص الآنية للسياق الاجتماعى – الاقتصادى أو البيئة الخارجية التى تحتضن نشاطاتهم. لهذا وقع الاختيار على مجتمع محلى تتوفر فيه الشروط السابقة (حى الجمالية بالقاهرة) وروعى أن يكون هذا المجتمع ذاته مجتمع الدراسة للدراسة التى يضمها هذا المؤلف.

إن مجتمع الدراسة أقل ما يوصف به أنه يعكس التناغم بين عبير الماضى وتداعيات الحاضر، فمنذ القدم كان يضم هذا المجتمع تجمعات متنوعة من الحرف والصناعات التقليدية، وظل هذا حاله مع بعض التغيرات التى حدثت بفعل قوى تاريخية. كما تنعكس الأهمية الاقتصادية والثقافية لهذا المجتمع على خلق أسلوب حياة يمتزج فيه إبداعية الحرفى مع التساند الاجتماعى المتمثل فى روابط وعلاقات عمل مباشرة وغير رسمية تزيد من تأثير رأس المال الاجتماعى فى التكيف مع المشكلات المصاحبة للعولمة.

أيضا عندما تتقاطع هذه الخصائص المتفردة لمجتمع الدراسة مع خصوصية النشاط الحرفى المتمثلة فى صغر الحجم ومحدودية الاستثمار وضآلة رأس المال، يصبح الإبداع – فى نموذج ميلز – السمة الأساسية الغالبة على المنتج الحرفى، كما يمثل الدافع الأساسى للإنتاج الحرفى. ويظل الإبداع الحرفى فاعلاً فى بيئة العمل الحرفى. الأمر الذى يحتاج إلى مزيد من الدراسات المستقبلية التى لايجب أن تقف عند حد الرصد الظاهرى بل تتعداه لتصل إلى الأعماق سواء داخل بيئة العمل الحرفى أو خارجه، حتى يمكن أن نتعرف على انعكاسات الإبداع على تعامل الحرفى مع واقعة المعاش وفرص القيام بتغيير نوعية حياته إلى الأفضل.

كمـــا يعكس التنوع الكبير فى النشاط الحرفى – فى مجتمع الدراسة– إمكانية تعايش الحرف التقليدية مع الحرف الحديثة فى مجتمع محلى واحد. وأنه من نتيجة الــتجاور الأيكولوجى لفترات زمنية طويلة خلق مناخ ثقافى فرعى قوامه المعايير والقــيم الأصـــيلة والتكامل الاجتماعى والأمن والأمان مع تضاؤل فرص الصراع على أساس المصلحة.

وإذا أضـــفنا إلى الخصوصية المتفردة لمجتمع الدراسة، متغيرين هما: طبيعة ومصـــدر دخل الحرفى، والمستوى الثقافى التعليمى له، نقول أن محصلة الثلاثة تؤثر بشكل فاعل فى نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم.

وتكشــف لــنا نتائج الدراسة – التى بين أيدينا – سقوط الحائط الوهمى الفاصل بيــن بيئة العمل بالورشة والبيئة الخارجية لها، بحيث يصعب ملاحظة وجود فروق ثقافــية بيــن المشتغلين فى الورشة وجمهور المجتمع المحلى المحتضن لها. ومن ثم حــدوث قدر كبير من الاستقرار فى أداء العمل الحرفى وعلاقات عمل مباشرة وجهًا لوجـــه، حـــتى أن علاقـــات التسوق وعلاقات تبادل المصالح على مستوى المجتمع المحلـــى يغلب عليها نمط العلاقات المباشرة. وعلى مستوى بيئة العمل داخل الورشة يكـــون اكتساب خبرة العمل بالمشاهدة والممارسة اليدوية مع الاهتمام الزائد بتفاصيل عملية الإنتاج وأسلوب الأداء، لأن الحرفى يعطى أولوية للإبداع وليس لحجم المنتج.

إن تكامل هذه الخصائص السابقة كما يتضمنها نموذج الحرفية عند س. رايت مـــيلز يحقق لدى الحرفى الإشباع الذاتى والرضا عما يؤديه من إبداع وينعكس هذا بـــدوره علـــى نوعـــية حـــياته كلهـــا على مختلف المستويات: بيئة العمل، الوحدة المعيشية، والمجتمع المحلى. وهذا ما تركز عليه الدراسة – التى بين أيدينا – والتى تعـــد موضـــوعًا لرســـالة ماجستير شاركتنى فى الإشراف عليها الزميلة الأستاذة الدكتورة/ سعاد عثمان أحمد.

والله أســـأل أن يكـــون هذا العمل مقدمة لدراسات مستقبلية حتى تكتمل الرؤية السوسيولوجية حول التراث الحرفى فى المجتمع المصرى.

والله الموفق

أ.د. اعتماد محمد علام

القاهرة أكتوبر ٢٠٠٧

المقدمة

يعـد العمل الحرفى فى العديد من دول العالم المتقدم والنامى ظاهرة تاريخية، حيـث ارتـبط بالمهـارة الـيدوية للإنسان منذ أن بدأ يخطو خطواته الأولى على الأرض كـى يفى بمتطلباته واحتياجاته اليومية الأساسية من طعام وشراب وملبس ومـأوى (تيسـير جمعة، ١٩٩٤: ٢٤٩) كما يعد إبداعاً متوارثاً منذ أقدم العصور يجمـع بيـن الموروث المادى والمأثور الفنى فى وحدة تكاملية واحدة، فضلاً عما يمـتزج به من عادات وتقاليد وقيم متوارثة، فكان نمو الحرف فى مجتمع ما دليلاً على تطور ذلك المجتمع وشاهداً على جهود الإنسان.

وقـد عرفت تلك الدول فئة الحرفيين منذ قرون عديدة مضت ممثلة فى نظام الطوائـف الحرفية Craft Guild، وهو ذلك النظام القديم الذى كانت تنتظم وفقاً له شـتى المهـن والحـرف والصـناعات وكان يقوم على نظام تدرجى صارم أشد الصـرامة هدفه الأساسى تنظيم العمل والرقابة على مستويات الأداء من خلال نظم الـثواب والعقاب (محمد الجوهرى، ١٩٩١: ٢٩٣). ومن ثم فالعمل الحرفى يمثل أحـد القـوى المهمة المكونة للمجتمع المصرى، كما أنه جزء أساسى وملمح بارز للتكويـن الاجتماعى الاقتصادى برز وانتشر أحياناً وانكمش وتقلص أحياناً أخرى مـتأثراً بالظـروف السياسـية والاقتصادية والاجتماعية التى تفرضها خصوصية المجتمع المصرى (سعاد عثمان، ١٩٩٦: ٧٧) ومن ثم فإن دراسته تسهم فى إماطة اللـثام عـن أحـد الأساسيات المشكلة للمجتمع المصرى وهى فئة الحرفيين والتى أثرت بلا شك فى صياغة العديد من ملامح الشخصية المصرية.

والجديـر بالذكـر أنـه رغـم قدم العهد بتلك الفئة تاريخياً، إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الرسمى إلا فى الستينيات مع بداية الاهتمام العالمى بقضايا التنمية خاصة فـى دول العـالم الثالث، وخلال العقدين الماضيين أخذ هذا الاهتمام يتزايد عالمياً وبشكل ملحوظ فلم يعد مقتصراً على دول العالم النامى فحسب بل يتسع نطاقه أيضاً ليشمل دول العالم المتقدم صناعياً، ودليل ذلك ما يحظى به تراث العلوم الاجتماعية الغـربى من نماذج نظرية تعنى بالخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين، ومن تلـك المداخل النظرية نموذج خصائص الحرفية عند س. رايت ميلز C. Wright Mills الـذى يعـد بمثابة نموذج مثالى للحرفية (اعتماد علام، ١٩٩١: ١١، ١٨) ومن الملاحظ أنه رغم كثرة الدراسات الميدانية التى أجريت فى هذا المجال إلا أن

أغلبها كانت دراسات وصفية أو مسوحاً اجتماعية، بينما قل عدد الدراسات التى تهتم ببحث خصائص الحرف، فلم تحظ نوعية حياة الحرفيين بالدراسة من قبل خاصة على المستوى المحلى (فى حدود علم الباحثة)، كما اتخذت الغالبية العظمى من تلك الدراسات الورشة وحدة أساسية للدراسة والتحليل، بينما لم تحظ وحدة المعيشة كوحدة اقتصادية غير رسمية باهتمام الباحثين لدراستها.

ومن ثم جاءت هذه الدراسة كمحاولة لدراسة نوعية حياة الحرفيين كما تعكسها ممارسة العمل الحرفى سواء داخل مواقع العمل أم فى وحدات المعيشة، وذلك انطلاقاً من المقولة السادسة فى النمط المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز (١٩٥١م) والتى تشير إلى أن أسلوب الممارسة الحرفية اليومية يعكس طبيعة الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته.

وفى إطار ذلك اتجهت الباحثة لبناء مقياس يسهم فى الكشف عن ملامح نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته مع مراعاة الجمع بين كل من المؤشرات الموضوعية والذاتية وعدم الفصل بينهما مما يتيح للباحثة الوصول إلى رؤية أشمل للظاهرة موضوع الدراسة.

وفى محاولة تحقيق البحث هدفه الأساسى انقسمت الدراسة إلى تسعة فصول أساسية يتناول الفصل الأول: (الإطار المنهجى للدراسة) ويضم: مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهمية الدراسة، وتساؤلاتها، والمفاهيم الأساسية لها، كما يتناول الفصل أيضاً الاطار التصورى، ومجتمع الدراسة ومبررات اختياره، والعينة ومعايير اختيارها والخصائص السوسيوديموجرافية للعينة، إضافة إلى حالات الدراسة وخصائصها وكذلك المداخل المنهجية للدراسة وأدوات جمع البيانات، إضافة إلى خطة التحليل والتفسير لنتائج الدراسة الميدانية، والصعوبات التى واجهت الباحثة.

ويتناول الفصل الثانى (الإطار النظرى للدراسة) حيث يعرض لنوعية الحياة من المنظورات العلمية المتباينة، ونوعية الحياة من منظور علم الاجتماع، مع التركيز بصفة خاصة على المدخل النظرى للدراسة الذى يتمثل فى النمط المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز وأهم ملامحه وسماته، إضافة إلى بعض القضايا الخاصة بأنسنة العمل Humanization of Work إضافة إلى بعض الفرضيات النظرية الأخرى المستمدة من نتائج الدراسات السابقة.

بينما يتصدى الفصل الثالث لاستعراض الدراسات السابقة والتى تم تقسيمها إلى ثلاثة محاور أساسية هى: (دراسات نوعية الحياة ومؤشراتها، ودراسات

محددات الرضا عن الحياة، ودراسات العمل الحرفى ونوعية حياة الحرفيين)، وختم الفصل برؤية نقدية وقضايا مستخلصة من تلك الدراسات.

فـــى حين يحتوى الفصل الرابع على رؤية بنائية - تاريخية للحرفيين ونوعية حـــياتهم فـــى المجتمع المصرى، والذى يتناول: ملامح البنية الحرفية فى المجتمع المصـــرى القديـــم، ومـــنذ الفتح الإسلامى المصرى وحتى بداية حكم محمد على (١٨٠٥م) وخـــلال فـــترة حكم محمد على وخلفائه لمصر، ومروراً بفترة التدخل الأوروبى وحتى قيام ثورة يوليو (١٩٥٢م) وصولاً إلى عصر الانفتاح، مع محاولة تلمس أهم مؤشرات نوعية حياة الحرفيين فى كل مرحلة من تلك المراحل التاريخية المتعاقبة.

أمـــا الفصـــل الخامس فيتناول مجتمع الدراسة وأهم خصائصه حيث الملامح الأيكولوجـــية والجغرافـــية والاجتماعـــية، إضافة إلى أهم ملامح المنشآت الحرفية الموجودة به.

فـــى حيـــن يختص الفصل السادس بمناقشة الخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفييـــن مـــن خلال مؤشرات أمبريقية كما يعكسها النموذج المثالى للحرفية عند ميلز.

ويعـــرض الفصـــل السابع لنوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل، وأبعادها التحليلـــية، والتى تضم عدة مستويات: (المستوى الذاتى - المستوى التنظيمى لبيئة العمل - المستوى الثقافى).

بيـــنما يتـــناول الفصـــل الثامن نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل، على مستويين أساسيين هما: العلاقة التبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى الحاضن لها، وكذلك على مستوى الوحدة المعيشية للحرفى.

وأخـــيراً يناقش الفصل التاسع نتائج الدراسة فى ضوء النمط المثالى للحرفية عند ميلز ونتائج الدراسات السابقة، وصولاً إلى توصيات ومقترحات الدراسة.

١

الفصل الأول
الإطار المنهجى للدراسة

مقدمة
أولاً: مشكلة الدراسة وأهدافها.
ثانياً: مفهومات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية.
ثالثاً: مجتمع الدراسة ومبررات اختياره.
رابعاً: حجم العينة ومعايير اختيارها.
خامساً: الخصائص السوسيوديموجرافية للعينة البحثية.
سادساً: حالات الدراسة وخصائصها.
سابعاً: المداخل المنهجية للدراسة.
ثامناً: صدق وثبات المقياس.
تاسعاً: تقنين المقياس.
عاشراً: المجال الزمنى للدراسة.
حادى عشر: خطة التحليل والتفسير لنتائج الدراسة.
ثانى عشر: الصعوبات التى واجهت الدراسة.

الفصل الأول
الإطار المنهجى للدراسة

مقدمة :

يتـــناول هـــذا الفصل الإجراءات المنهجية للدراسة بدءاً من تحديد مشكلة الدراسة والهدف منها وأهم تساؤلاتها وكذلك المفهومات الأساسية للدراسة والتعريفات الإجرائية الخاصة بها، بالإضافة إلى مجتمع البحث والمبررات الأساسية لإختياره واختيار مناطق الدراســـة وكذلــك العيـــنة البحثية ومبررات اختيارها وحجمها وحالات الدراسة وأهم ملامحهـــا، وأخـــيراً المداخـــل المنهجية المستخدمة في الدراسة وطرق وأدوات جمع البـــيانات وخطـــة التحليل والتفسير لنتائج الدراسة ومستويات التحليل ووحداته التي تم الاستعانة بها في تفسير نتائج الدراسة وأخيراً الصعوبات التى واجهت الدراسة.

أولاً: مشكلة الدراسة وأهدافها:

انطلاقـــاً مـــن المقولة السادسة في النمط المثالي للحرفية عند س.رايت ميلز C. Wright Mills (١٩٥١م) والتي تشير إلى أن:

"أســـلوب الممارســـة الحرفية اليومية يشكل نوعية الحياة الاجتماعية للحرفي وأســـلوب معيشته" يدور موضوع الدراسة الراهنة حول محاولة الكشف عن نوعية حـــياة المشـــتغلين بالحـــرف والصناعات التقليدية وأسلوب معيشتهم، والكشف عن الـــدور الـــذي يلعـــبه العمل الحرفي الممارس في تشكيل طبيعة الحياة الاجتماعية للمشتغلين به. وفى ضوء ذلك لا يمكن فصل المقولة السادسة عن المقولات الخمس الأخـــرى فـــي نموذج الحرفية حيث يتحدد أسلوب الممارسة الحرفية من خلال ما تعكســـه المقولات الست معاً، وأنه بتكاملها معاً يصل الحرفي إلى درجة عالية من الرضـــا والإشباع الذاتي على مستوى العمل وكذلك عن الحياة ككل فيشعر بالرضا والاستقرار النفسي والاجتماعى.

وفى ضوء ذلك يمكن تحديد أهداف الدراسة فيما يلي:

١- تصـــنيف الحـــرف والصناعات السائدة فى مجتمع الدراسة، والكشف عن أهم خصائصها.
٢- الكشف عن أهم ملامح نوعية حياة الحرفيين كما تعكسها المعطيات التاريخية خـــلال المراحل التاريخية المختلفة التى مر بها المجتمع المصرى، وتفسيرها فى ضوء السياق الاجتماعى.

٣- الكشف عن مدى الثبات والتغير فى الخصائص الحرفية كما يعكسها النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز، فى الأنشطة الحرفية المتباينة.
٤- تحديد الدور الذي تلعبه الخصائص الحرفية للصناعات والحرف (مجال الدراسة) في تشكيل نوعية حياة المشتغلين بها.
٥- تحديد أهم العوامل المشكلة لنوعية حياة الحرفي في مجال العمل (على المستوى الذاتى والتنظيمى والثقافى) وخارج مجال العمل (على المستوى الأسرى والمجتمعى).
٦- الكشف عن درجة الرضا والإشباع الذاتي للحرفي في مجال عمله، ومدى تأثير ذلك على مستوى الرضا عن الحياة ككل من وجهة نظر الحرفى نفسه.

وعن تساؤلات الدراسة فقد طرحت الدراسة عدة تساؤلات تهدف من خلال الإجابة عنها إلى الوقوف على نوعية حياة الحرفيين والمحددات الأساسية لها، وتتمثل تلك التساؤلات فيما يلى:

١- ما أبرز ملامح نوعية حياة الحرفيين، كما تعكسها المعطيات التاريخية، خلال المراحل المختلفة التى مر بها المجتمع المصرى؟
٢- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الحرف والصناعات التقليدية (مجال الدراسة) فى الخصائص الست للحرفية؟ وإلى أى مدى تتسم تلك الخصائص بالثبات والتغير فى مجموعات الحرف الثلاث؟
٣- إلى أى مدى تلعب الخصائص الحرفية دوراً فى تشكل نوعية حياة العمل لدى الحرفى؟ وبمعنى آخر: إلى أى مدى تعد الخاصية السادسة فى نموذج الحرفية هى محصلة تفاعل الخصائص الحرفية الخمس الأولى، فى مجموعات الحرف الثلاث؟
٤- ما العوامل الأساسية التى تلعب دوراً فى تشكل نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل، وذلك على كل من المستوى الذاتي، والمستوى التنظيمى لبيئة العمل، وكذلك على المستوى الثقافى بين مجموعات الحرف المتباينة؟
٥- إلى أى مدى تؤثر العلاقة التبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى الحاضن لها على نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل؟ وما مؤشرات ذلك؟
٦- إلى أى مدى تعد الظروف المعيشية للحرفى على مستوى وحدته المعيشية إمتداداً لنوعية حياته داخل مجال العمل؟ وإلى أى مدى ينعكس الشعور بالرضا فى مجال العمل على الشعور بالرضا والإشباع الذاتى فى حياته ككل، وفى مجالات حياته الأخرى؟

أما عن أهمية الدراسة فتتمثل فيما يلي :

١- الأهمية النظرية:

تتمثل الأهمية النظرية للدراسة في كونها محاولة لإثراء الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية في مجال دراسات الحرف والصناعات التقليدية ونوعية الحياة، حيث تفتقد المكتبة العربية لدراسات ميدانية تهتم بنوعية حياة الحرفيين (اعتماد علام، ١٩٩١: ١٨) كما أنها تتعدى حدود الوصف والمسح الاجتماعي إلى مجال أكثر عمقاً وهو محاولة الاقتراب من عالم الحياة اليومية لهؤلاء الحرفيين، وفي ذلك استجابة لتلك الدعوة التي ظهرت نحو التحول من سوسيولوجيا النظم والمؤسسات إلى سوسيولوجيا الحياة اليومية (أحمد زايد، ١٩٩٢ : ٣٦) كما تمتد الأهمية النظرية للدراسة فيما تقدمه من إضافة منهجية حيث السعي لمحاولة بناء مقياس ينطلق من النمط المثالي للحرفية أساساً ويتم اختبار مصداقيته في أرض الواقع، مما قد يسهم في الكشف عن نوعية حياة الحرفي والذي قد يكون نقطة انطلاق للعديد من الدراسات المستقبلية. إضافة إلى المساهمة في سد الثغرات الموجودة ببعض الدراسات السابقة من خلال اختبارها للمقولة السادسة والأخيرة في النمط المثالي للحرفية عند س.رايت ميلز والتي لم تحظ بالدراسة من قبل وذلك في حدود خبرة الباحثة العلمية.

٢- الأهمية التطبيقية :

تكمن الأهمية التطبيقية للدراسة في أن نتائجها قد تفيد في دعم التنمية الإنسانية لفئة الحرفيين بالمجتمع المصري، وذلك من خلال تحسين نوعية حياة هؤلاء الأفراد (الحرفيين). كما أنها تفيد في توجيه أنظار المسئولين عن الصناعات الحرفية اليدوية إلى ما تحظى به من كيان قائم ومستمر داخل المجتمع المصري، وذلك من أجل العمل على دعم استمراريتها والحفاظ عليها من الزوال والاندثار باعتبارها جزءاً من المنظومة الاقتصادية للمجتمع المصري.

ثانياً: مفهومات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية :

تعددت المفهومات والتعريفات خلال هذه الدراسة، وفيما يلي نستعرض المفهومات الأساسية وتعريفاتها الإجرائية والتي تتمثل في: مفهوم الحرفة ، ومفهوم نوعية الحياة، ومفهوم العمل الحرفى بالإضافة إلى التعريف الإجرائي "لممارسة العمل الحرفى".

١- مفهوم الحرفة:

الحـــرفة Craft لغةً مأخوذة في الأصل من تنمية المال، حيث يقال: جاء فلان بالإحـــراف أي جـــاء بالمال الكثير، وفلان يحرف لعياله أي يكسب بعمله من هنا وهـــناك، من هذا نستخلص أن الاحتراف هو الاكتساب، والحرفة هي جهة الكسب ومصـــدره كما أن الصناعة هي حرفة الصانع وعمله بمعنى أن الحرفة والصناعة يعـــد كل منهما مصدراً للكسب (عبد العزيز العمري، ١٩٨٥: ٣٧،٣٨) بينما يمكن التمييز بينهما في ضوء الغايات الاقتصادية لكل منهما وعلى أساس المستوى التقني المستخدم وطرق تنظيم العمل.

وتعـــرف الحرفة لغة أيضاً بأنها: "هي وسيلة الكسب من الزراعة والصناعة والـــتجارة وغيرها، ويقال: حرفته أن يفعل كذا، بمعنى دأبه وديدنه، والحرفي هو: الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥: ١٧٤).

وتعـــرف أيضاً بأنها: هي "الصناعة والمحترف هو الصانع" (محمد الرازي، ١٩٣٩: ١٣١).

وهكذا نجد أن الحرفة لغةً تعرف بأنها: الصناعة، ولا يوجد تفرقة بينهما حيث يعـــد كل منهما مصدراً للكسب والعمل وهو نفس ما أشار إليه العلامة العربي ابن خلـــدون حيث يوجد تقارب واضح عنده بين الحرفة والصناعة بالرغم من أنه ميز بين أنواع الصناعات المختلفة وذهب إلى أن هناك الصناعات البسيطة والصناعات المركـــبة والضرورية وغير الضرورية، إلا أنه لم يتطرق إلى تمييز الحرفة وإنما عدهـــا نمطاً من أنماط الصناعة، ويتضح هذا من خـــلال ما يذكره حول الصنائع فـــيقول: "إن الصـــنائع مـــنها البســـيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضـــروريات، والمركـــب هو الذي يكون للكماليات، والمتقدم منها في التعليم هو البســـيط لبســـاطته أولا ولأنه يختص بالضروري وتنقسم الصنائع أيضاً إلى ما يخـــتص بأمـــر المعاش ضرورياً كان أو غير ضروري، وإلى ما يختص بالأفكار التـــي هـــي خاصـــية الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة، ومن الأول: الحياكة والنجارة والحدادة وأمثالها، ومن الثاني: الوراقة والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك" (مقدمة ابن خلدون، ١٩٦٠، ج٣: ٩٢٣).

وقد بدأ تمييز الحرفة عن غيرها من الصناعات عندما حدد أبو حامد الغزالي أهم ملامح الهيكل التنظيمي لها فيما يلي (هاني جابر، ١٩٨٨: ٦٠،٦١):

- الحاجة والحاجة وحدها إلى التصنيع والإنتاج، ولهذا تكون للحرف مكانة عند أرباب الحاجات.
- أهمية الخامات البيئية في تحديد الحرفة وعمالها.
- أهمية وجود مجتمع لتشكيل الحرف وقيامها.
- التعاون المتبادل بين الحرف المختلفة لخلق نوع من التكامل بينهما.
- المظهر النفعي للمنتج وأهميته عند أرباب الحاجات.
- البناء الاقتصادي والعملي وضرورتهما وحاجة الحرف إلى تمويل وإلي أسواق وحوانيت لتصريف السلع.

وفي ضوء ذلك كان من الممكن التمييز بين الحرف والصناعات الأخرى على أساس الملامح التنظيمية لكل منهما.

وقد أخذ المفهوم شكلاً أكثر تحديداً وتمييزاً في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (1968)حيث تعرف الحرفة بأنها: تلك الصناعة التي تستخدم المهارة اليدوية في إنتاج سلع حرفية ذات جودة عالية ولا تخضع لمقاييس مقننة أو أسس مدروسة (Crowley, 1968: 430).

و يمكن تعريف الحرفة فى الدراسة الراهنة بأنها: هي ذلك النشاط الذى يمارسه فرد أو جماعة صغيرة العدد داخل مكان ثابت (ورشة صغيرة) و تعتمد على استخدام المهارة اليدوية مع الاستعانة أحياناً ببعض الأدوات التكنولوجية البسيطة في إنتاج سلع حرفية تعبر عن مهارة الحرفي وذوقه وإبداعه في أداء العمل، بمعنى أن يكون لهذا العامل القدرة على التحكم في ذلك المنتج خلال جميع مراحل إنتاجه، وتتألف العمالة من الجماعة القرابية أو العمالة المأجورة.

٢- مفهوم العمل الحرفى :

يعد موضوع العمل Work محوراً أساسياً تجتمع عليه اهتمامات المتخصصين فى مجالات علمية متعددة شملت جميع فروع المعرفة لذا تعددت تعريفاته والمفهومات المرتبطة به، ورغم ذلك لا يوجد فى تراث العلوم الاجتماعية تعريفاً شاملاً للعمل، فعند علماء الاقتصاد يعرف بأنه: ذلك النشاط الذى تقوم به القوى العاملة داخل سوق العمل الرسمى مقابل أجر مدفوع. أما عند علماء الاجتماع فيعرف العمل غالباً بأنه: أى نشاط إنتاجى يتم إما داخل محيط الأسرة أو فى شكل مقايضة المجهود المبذول بما يناسبه من عائد مادى وقد يتضمن العمل أنشطة خدمية يتم أداؤها دون مقابل مادى.

بيـنما يعـرف فـى القاموس الحديث لعلم الاجتماع (١٩٦٩م) بأنه: ذلك النشاط المتواصـل الـذى يسـعى إلـى تحقيق هدف معين مع وجود قواعد أساسية تحكم هذا النشـاط. ومـع بداية القرن العشرين أصبح مفهوم العمل وقيمه مرتبطين بنوعية حياة عمال الصناعة وبالتحديد حياة أفراد الطبقة العاملة (اعتماد علام، ١٩٩٥: ١٣٤-١٤١).

ومـن هـنا يمكن تعريف العمل الحرفى فى الدراسة الراهنة بأنه: أى نشاط إنـتاجى يقـوم به فرد أو مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات وثيقة معاً من أجل تحقـيق هـدف معيـن، وتتباين أنماط العمل الحرفى حسب مكان ممارسة العمل، وحجـم العمالـة، وطبيعة النشاط الممارس، ومدة ممارسة العمل، ودرجة ارتباطه بالمجـتمع المحلـى الـذى يوجـد به، إضافة إلى أن هناك مجموعة من المعايير الأساسـية الـتى تحكـم ذلـك النشاط وتميزه عن غيره من الأنشطة، وتتمثل تلك المعايـير فـى مجموعـة الأعراف والتقاليد والقيم المتوارثة واللغة المستخدمة فى الحياة اليومية والأخلاقيات التى تحكم العلاقة بين العاملين وبعضهم البعض، وبينهم وبين صاحب العمل والتى يطلق عليها "الثقافة الحرفية" Cultural Craft والتى تعد متغيراً أساسياً فى تشكل نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم سواء داخل مواقع العمل أم فى وحداتهم المعيشية وكذلك فى حياتهم العامة.

٣- مفهوم نوعية الحياة :

تاريخـياً، كانـت هـناك محاولات عديدة لوضع وبلورة مفهوم نوعية الحياة Quality of Life، فقـد اتفـق معظـم المهتمين بالموضوع على أن كلمة "نوعية" Quality تعـنى الدرجة، تلك الدرجة التي تتراوح من أعلى إلى أسفل ومن الحسن إلـى السيئ أو العكس، بينما نجد أن كلمة "حياة Life" لم تحظ بمثل هذا القدر من الاتفـاق فهـو مصـطلح فضفاض بعض الشيء حيث يشير عند البعض إلي تلك العملـيات الحـيوية التي تهدف إلى بقاء الإنسان حياً (على قيد الحياة)، ويعنى عند آخريـن: بقـاء الإنسان في الحياة كمجرب، ويشير هذا المعنى الأخير إلى السلوك الجمعـي أو حجـم الرفاهـية في المجتمع. وهكذا يعد مفهوم نوعية الحياة مفهومًا معـياريًا فقد يراه البعض على أنه شيء جيد وقد ينظر إليه آخرون علي أنه شيء سـيئ كمـا قد يكون في بعض الحالات أفضل منه في حالات أخـري، فهو يقدم للباحثين معيارا للحكم علي أنماط السلوك الإنسانى (Wingo,1977: 13).

ويمكن التمييز بين اتجاهين أساسيين في تناول العلماء لهذا المفهوم علي النحو التالي :

الاتجاه الأول: ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى مفهوم " نوعية الحياة " علي أنه تقويم موضوعي للأحوال والأوضاع السائدة أو لجوانب أو مجالات معينة تعكس نوعية الحياة وذلك كما تعبر عنها المؤشرات الموضوعية Objective Indicators والتي تعرف بأنها مقاييس كمية إحصائية تعتمد علي البيانات الإحصائية والتقارير الوصفية التي توضع بواسطة أشخاص لا يعبرون عن أنفسهم وإنما يصفون الظروف البيئية المحيطة بهم (هبة جمال الدين، ١٩٩١: ٧١) وتتمثل تلك المؤشرات في حجم ومستوى المرافق والخدمات الصحية والعلاجية، ومستوي التعليم والأمية، والوقت ووقت الفراغ، والدخل، والطلب علي السلع والخدمات والبيئة الفيزيقية والاجتماعية ونوعية الحياة المتعلقة بالعمل (Wingo,1977: 289).

الاتجاه الثاني: يقوم ذلك الاتجاه في مقابل الاتجاه الأول على التسليم بأن نوعية الحياة تستند إلى إدراك الفرد وتقويمه الذاتي للظروف المادية ومن ثم مدى شعوره بالرضا أو بالسعادة، ومن ثم توصف مؤشرات نوعية الحياة بأنها مؤشرات ذاتية Subjective Indicators حيث تبنى على أحكام من الداخل أي أحكام من الشخص ذاته التي تتنوع وتتباين بتنوع الثقافات والقيم والطموحات وبتعدد الفئات والطبقات والشرائح الاجتماعية (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٦٩،٦٠)

كما نجد هناك اتجاها آخر ظهر حديثا ويعرف بالاتجاه التكاملي، حيث يقوم على أساس الأخذ بكل من المؤشرات الكمية (الموضوعية) والكيفية (الذاتية) في دراسة وقياس نوعية الحياة، حيث يقوم هذا الاتجاه على الاستعانة بالمؤشرات الموضوعية في قياس الظروف الواقعية المحيطة التي يعيش الأفراد في ظلها كمستوى الإسكان وحالة المرافق والخدمات الصحية ومعدلات الإنفاق والتلوث...، كما تتم الاستعانة بالمؤشرات الذاتية في الكشف عن معدلات الرضا والسعادة الذاتية كما يدركها الأفراد مما يعكس الرؤية الذاتية للأفراد وتصوراتهم حول هذا الواقع.

ومن نماذج هذه التعريفات نجد تعريف ناهد صالح لنوعية الحياة (١٩٩٠) بأنها: "كل متكامل يجمع بين الواقع البيئي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي وبين الاستجابة لهذا الواقع من جانب الأفراد والجماعات والفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة والمجتمعات، معبرا عنها بمدى الرضا أو السخط وبمدى السعادة أو التعاسة " (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧٥).

كما تعرفها هناء الجوهري إجرائيا بأنها :" تمثل ذلك البناء الكلى الشامل الذي يتكون من مجموعة من المتغيرات المتنوعة التي تهدف إلى إشباع الحاجات

الأساسية للأفراد الذين يعيشون في نطاق هذه الحياة، بحيث يمكن قياس هذا الإشباع بمؤشرات موضوعية تقيس القيم المتدفقة وأخرى ذاتية تقيس قدر ذلك الإشباع الذي تحقق" (هناء الجوهري، ١٩٩٤: ٤٥-٤٦).

وتأسيسًا على ما سبق يمكن تعريف " نوعية الحياة " في الدراسة الراهنة بأنها: رؤية الحرفي الممارس للعمل لذاته ومدي شعوره بالرضا والإشباع الذاتي Gratifications لعدد من المطالب أو الرغبات الأساسية التي تعد ذات أهمية كبري عند الحرفي الممارس للعمل كالسعي إلى التميز في أداء العمل وفي عيون الآخرين، والرغبة في إبراز السمعة والمكانة الحسنة سواء بين زملائه في العمل أم بين أفراد أسرته وجيرانه فى المجتمع المحلى، إضافة إلى الرغبة فى تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية وأن يكون ضمن فريق عمل، وأخيراً السعى إلى تحقيق الأمان له ولأفراد أسرته. ومن ثم فإنه عندما يصل الحرفى إلى الإشباع الكامل لتلك المطالب والرغبات يكون راضياً عن حياته ككل، حيث إن الدالة الأساسية لنوعية حياة الحرفى تتمثل فى نوعية حياة العمل لديه والتى تشكلها وتؤثر فيها الخصائص الحرفية التى يتضمنها النمط المثالى عند ميلز كإطار تصورى لها.

٤- التعريف الاجرائى لممارسة العمل الحرفى (الممارسة الحرفية):

فى الدراسة الراهنة يمكن تعريف ممارسة العمل الحرفى بأنها محصلة تفاعل الخصائص الحرفية الخمس المتضمنة فى النمط المثالى للحرفية عند ميلز، والتى تتمثل فى: القدرة على الإبداع، والاهتمام بتفاصيل العمل الحرفى، والاستقلال الذاتى، والخبرة وطول فترة الممارسة وكذلك التداخل بين أوقات العمل والراحة، والتى تهدف فى مجملها إلى تحقيق الرضا الكامل والاشباع الذاتى للحرفى فى مجال العمل، ومن ثم ينعكس ذلك على نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى بصفة عامة. وقد تم تصميم مقياس يهدف إلى الكشف عن مدى إشباع الخصائص الحرفية المتضمنة فى النمط المثالى للحرفية، وينقسم هذا المقياس إلى ستة مقاييس فرعية يقيس كل منها خاصية من الخصائص الأساسية فى نمط الحرفية، وفيما يلى عرض مفصل لكل من تلك الخصائص على حدة، وأبعاد كل منها وعبارات القياس، وذلك بنفس ترتيبها كما وردت فى المقياس (ملحق رقم ١).

- مقياس الإبداع :

يقيس هذا المقياس قدرة الحرفي علي الابتكار والإبداع فيما يقوم به من عمل، حيث يعتمد العمل الحرفي علي مهارة الحرفي وذوقه في إنتاج الشيء الذي

يصـــنعه. وتتوقف قدرة الحرفي على الإبداع في صنعته علي مدى حبه واعتزازه بتلك الصنعة ومدى تمسكه بها، كما يساعد على تحقيق تلك الخاصية ما يتمتـــع به الحرفي من استقلال ذاتي وحرية في أداء العمل الذي يقوم به ، وفي مقابل ذلك يعد العائد المادي نتاجاً للعمل الحرفي وليس دافعا له.

أبعاد القياس :

- حب العمل الحرفي والاعتزاز به شرط أساسي للإبداع والتجديد فيه.
- ارتباط القدرة علي الإبداع في الصنعة بما يتمتع به الحرفي من استقلال ذاتي.
- التجديد والإبداع من أهم مزايا العمل الحرفي ومن ثم تحقيق الذات.
- الكسب المادي كنتاج للعمل الحرفي وليس دافعا أساسيا له.

وقد أمكن قياس خاصية الإبداع في العمل الحرفي من خلال العبارات الآتية:

١- إذا ما كنتش أحب صنعتي يبقى أحسن أسيبها.

٧- أحـــب أكـــون حر نفسي عشان أقدر أجدد في صنعتي زي ما أحب ووقت ما أحب.

١٣-بأشتغل في صنعتي زي ما تعلمتها تماما، ما أحبش أجدد فيها (R).

١٩-أنا الأوسطي في صنعتي بأعمل دايما حاجات مفيش زيها.

٢٥-الفلوس اللي بكسبها هي السبب في اجتهادي في الصنعة دي (R).

٣١-الفلوس اللي تيجي من الصنعة مش كل حاجة عندي المهم أعمل الحاجة اللي ترضيني.

٣٧-بحب صنعتي ودايما بحب أعمل حاجات جديدة وتكون لي بصمتي.

- مقياس الاهتمام بدقة الصنعة وجودة المنتج:

يعـــتمد نجـــاح العمـــل الحرفي علي رؤية الحرفي للمنتج الذي يصنعه حيث تتشـــكل تلك الرؤية من خلال ما يتمتع به الحرفي من مهارة في مجال عمله ومدى معرفـــته بأســـرار صنعته وكذلك ذوقه وإبداعه في تلك الصنعة. ومن ثم فالاهتمام بجـــودة المنـــتج أهـــم من كمية الإنتاج عند الحرفي الناجح، حيث إن دقة الصنعة وجودتهـــا هـــي الدلـــيل على سمعة الحرفي ومكانته بين زملائه في الورشة وفي الورش المجاورة، وفى المجتمع المحلى بصفة عامة.

أبعاد القياس :

- حب الصنعة ومعرفة أسرارها من أهم دعائم نجاح العمل الحرفي.

- ارتباط القدرة على الإبداع والتجديد في العمل بمهارة الحرفي ومعرفة تفاصيل الصنعة.
- ارتباط سمعة الحرفي ومكانته في المجتمع بجودة المنتج وليس بكمية الإنتاج.
- الخبرة والمهارة في العمل عامل أساسى لتقدير الحرفي وارتفاع مكانته بين زملائه.

وقد أمكن قياس تلك الخاصية من خلال العبارات الآتية :

٢- حبي لصنعتي نابع من فهمي لكل تفاصيلها.
٨- كل ما أكون عارف تفاصيل وأسرار صنعتي أقدر أنتج فيها بسرعة وأجدد فيها.
١٤- الشطارة والفهلوة مطلوبة للحرفي اللي زي اكتر من فهم تفاصيل الصنعة وأسرارها. (R)
٢٠- سمعتي وسمعة ورشتي في الحته أهم حاجة عندي، عشان كده بأهتم بكل كبيرة وصغيرة في الشغل.
٢٦- معرفتي بأسرار صنعتي، يزيد من هيبتي في عيون زملائي.
٣٢- مش مهم عندي الكمية اللي أنتجها، المهم الصنعة تاخد حقها.
٣٨- أنا لازم اعمل الحاجة على أصولها عشان أحافظ على اسمي وسمعتي في السوق ومش مهم الفلوس اللي اكسبها.

- مقياس الاستقلال الذاتي في العمل الحرفي:

يهتم هذا المقياس بقياس حرية اتخاذ القرار عند الحرفي في كل مرحلة من مراحل التشغيل التي يمر بها المنتج، فهو يبدأ العمل وفقا لطريقته وأسلوبه وله الحرية في تحديد ساعات العمل وتحديد وقت الراحة الخاص به أثناء وقت العمل اليومي وحسب ظروفه ورغباته، كما أن له الحرية في التعديل أو التغيير من شكل المنتج وفى الأدوات المستخدمة في إنتاجه. وجدير بالذكر أن الاستقلال الذاتي للحرفي في مجال عمله يرتبط إلى حد كبير بخبرته وطول فترة ممارسته للعمل، فكلما زادت خبرته في العمل كان أكثر استقلالا وقدرة على التحكم في المنتج الذي يصنعه.

أبعاد القياس :

- حرية اتخاذ القرار من أهم مزايا العمل الحرفي.
- ارتباط الاستقلال الذاتي للحرفي بالخبرة وطول فترة الممارسة.

- الاستقلال الذاتي للحرفي والقدرة على التجديد والإبداع فيها.

أما عن عبارات القياس فتتمثل فيما يلي :

٣- أنا حر في صنعتي أقدر أزود ساعات العمل أو أقللها حسب ظروف السوق.
٩- أنا في شغلي مابأخدش أوامر من حد ومحدش يراجع ورايا حاجة في الشغل.
١٥-أحسن حاجة في صنعتي دى، إن مفهاش نظام المراقبة والمحاسبة بتاع الحكومة والواحد حر نفسه.
٢١-لو مكنتش فاهم صنعتي ومليش خبرة، مكنتش أبقى حر نفسي ومقدرش أنتج إنتاجا متميزا.
٢٧-أنا عشان حر في صنعتي، أقدر أجدد وأحسن فيها زي ما أنا عاوز.
٣٣-مش مهم عندي أكون حر نفسي المهم الفلوس اللي بكسبها من الشغل (R)
٣٩-الحرية الكاملة في الصنعة مش مطلوبة لازم الشغل يكون له نظام يمشى عليه.

- مقياس طول فترة الممارسة الحرفية:

يتناول هذا المقياس خبرة الحرفي وطول فترة ممارسته للعمل التي تعد شرطاً أساسياً لتنمية مهاراته وقدراته في مجال العمل، حيث الاستفادة من خبرات ومهارات وتجارب الآخرين العاملين معه، فالعمل الحرفي يتم في إطار جماعي يتعاون فيه كل حرفي مع آخرين داخل جماعة العمل، وقد يشترك معهم في إنتاج سلعة ما، ويساعد على تحقيق ذلك ما يسود بين العاملين من مودة ومحبة وتعاون مما يتيح تبادل المشاورات والمناقشات بينهم في مجال العمل بينما يعد الصراع والمنافسة وحب الذات والمصلحة الشخصية بمثابة معوقات تحول دون تحقيق ذلك.

أبعاد القياس :

- طول فترة الممارسة شرط أساسى لاكتساب الخبرة وفهم الصنعة.
- تضاؤل قيمة التعليم الرسمي عند الحرفي مقابل طول فترة ممارسته للعمل.
- التعاون والمحبة والمودة بين العاملين من أهم دعائم نجاح العمل وتنمية الحرفى.

وتمثلت عبارات القياس فيما يلى :

٤- مش مهم أكون متعلم في المدارس المهم خبرتي ومعرفتي بأسرار صنعتى.
١٠-كنت أتمنى لو تعلمت في المدارس، عشان أقدر أعمل حاجات جديدة ومبتكرة (R).
١٦-أنا بشتغل الصنعة دى من صغري عشان كده عارف كل تفاصيلها وأسرارها.
٢٢-دايما أشارك زمايلى في الشغل عشان أستفيد من خبراتهم وأتعلم منهم.

٢٨- الصنعة دى مش محتاجة تعليم مدارس بالضرورة، إنما محتاجة خبرة وممارسة فيها.
٣٤- لازم تكون علاقتي بزمايلى في الورشة كويسة عشان نقدر نعمل حاجات كويسة ويكون لنا اسمنا في السوق.
٤٠- مش مهم أبقى في الصنعة من صغري المهم شطارتي في فهم الصنعة وممارستها (R).

- مقياس المرونة في وقت العمل:

في نموذج الحرفية لا يوجد فصل بين وقت العمل وأوقات الراحة أثناء ساعات العمل اليومي، إذ يساعد وقت العمل المرن على حل مشكلات عديدة في مواقع العمل، وتحقيق التوازن بين الأدوار المختلفة داخل جماعة العمل سواء فيما يتعلق بالعمل أم فيما يتعلق بالأدوار الاجتماعية والأسرية المختلفة. ومن هذا المنطلق فإن طبيعة العمل الحرفي تسمح بأن تتخلل ساعات العمل اليومية فترات راحة متفرقة من عامل حرفي إلى آخر دون التقيد بوقت محدد للراحة، وقد يتخلل نشاط العمل الحرفي نشاطات موازية شخصية تلبى احتياجات الفرد الضرورية والترفيهية كتناول المأكولات والمشروبات أثناء العمل وإلقاء النكات والتحيات على الآخرين. كما يعطى العمل الحرفي الشكل الأقرب للمثالية في استغلال وقت الراحة في حل المشكلات الحياتية للحرفي مما ينعكس تأثيره النفسي والاجتماعي على الحرفي فيحقق له الاستقرار الاجتماعي والأمان وذلك كالذهاب إلى المدرسة لحل مشكلات الأبناء والذهاب إلى الطبيب مع أحد أفراد الأسرة والمشاركة في المناسبات الاجتماعية... وغير ذلك. ويساعد على تحقيق تلك الخاصية قيمة الاستقلال الذاتي التي يتمتع بها الحرفي في أداء صنعته والتعامل مع من هم تحت إشرافه، بحيث يصعب هنا الفصل بين حياة العمل والحياة الاجتماعية خارج محيط العمل.

أبعاد القياس :

- حرية الحرفي في تحديد وقت الراحة الخاص به.
- ارتباط مدة وقت الراحة بالحالة الصحية للحرفي.
- مرونة وقت العمل والقدرة على التوفيق بين الاهتمامات المختلفة.
- الورشة كمكان للعمل والحياة الاجتماعية معا.

وقد تم قياس تلك الخاصية من خلال العبارات الآتية :

٥- أنا صاحب قراري أحدد وقت راحتي أثناء الشغل زي ما أنا عاوز.

١١-وأنا في شغلي بقدر أشوف طلبات بيتي وأولادي ومصالحهم.
١٧-لما أتعب في الشغل، ممكن أرتاح وبعد كده أكمل شغل.
٢٣-كنت أتمنى أشتغل في وظيفة حكومية لها ساعات عمل محددة (R).
٢٩-بأستمتع في عملي زي وقت التسلية والراحة ن ممكن آكل وأشرب وأدردش مع زمايلى وأضحك معاهم.
٣٥-الورشة عندي مش مكان للشغل وبس، فالواحد يقدر يقابل أصحابه ويعرف أخبار الحتة والناس.
٤١-في صنعتنا دى مفيش مواعيد ثابتة، عشان كده أقدر أشتغل في شغله تانية تجيب فلوس أكتر (R).

أما فيما يتعلق بالخاصية السادسة والتى هى محور الدراسة الراهنة فهى تشير إلى أن: عمل الحرفي لا ينفصل عن حياته الاجتماعية، حيث إن نوعية حياة الحرفي المتعلقة بالعمل تنعكس علي طبيعة حياته الاجتماعية وأسلوب معيشته، فالرضا والإشباع الذاتي والاستقرار النفسي الذي يحصل عليه الحرفي الممارس للعمل يسهم بلا شك في الشعور بالإشباع والرضا التام عن حياته ككل. ويمكن تفسير ذلك في ضوء ثلاثة مستويات أساسية تتمثل فيما يلي :

- المستوي الفردي Individual Level، حيث يسهم العمل الحرفي الممارس في إشباع عدد من المطالب الذاتية كتحقيق الذات والاستقلال الذاتي وكذلك المرونة في أوقات العمل، إضافة إلى الرغبة في التميز في عيون الآخرين وإبراز السمعة والمكانة الحسنة سواء بين زملاء العمل أم في الورش المجاورة. وتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية وشلل والتي تسهم بدورها في التخفيف من المشكلات الشخصية للحرفي (كالمشاركة في الجمعيات الدوارة للتخفيف من حدة الأزمات المادية، أو في حالة المرض، وإلقاء النكات أثناء ممارسة العمل داخل الورشة مما يخفف من عناء الحياة الاجتماعية...) علاوة على تحقيق الأمان له ولأفراد أسرته.
- على مستوى تنظيم بيئة العمل (الورشة) Organizational Level، والتي تسهم في تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية للحرفي وأسلوب معيشته من خلال الخصائص البنائية والتنظيمية للورشة كنمط الملكية ومستوى التقنية المستخدم وتقسيم العمل وتوزيع الأدوار، إضافة إلى الظروف الفيزيقية بالورشة كمستوى الإضاءة والتهوية ومدى القرب أو البعد عن مكان السكن، والتجاور الأيكولوجى

بين الورشة وغيرها من الورش، ومن ثم مدى شعور الحرفي بالرضا والسعادة أو شعوره بعدم الرضا والتعاسة.

- على المستوى الثقافى Cultural Level، والذى يرتبط بأخلاقيات العمل الحرفى واللغة المستخدمة داخل الحياة اليومية، فى مجال العمل والتى تشكل علاقة الحرفى بالآخرين من زملاء العمل سواء على المستوى الداخلى للورشة، أم على المستوى الخارجى بين الورش الحرفية وبعضها البعض، وعلى مستوى المجتمع المحلى الحاضن لها والعلاقة بالوحدة المعيشية للحرفى.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته تتشكل من خلال نوعية حياة العمل لديه، والتى تتضمن ثلاثة مستويات أساسية وهى: نوعية حياة العمل على المستوى الفردى Quality of work Life on Individual Level، والتى نرمز لها بالرمز (QWLI)، ونوعية حياة العمل على المستوى التنظيمى Quality of Work Life on Organizational Level ونرمز لها بالرمز (QWLO)، وأخيراً نوعية حياة العمل على المستوى الثقافى Quality of Work Life on Cultural Level، ويرمز لها بالرمز (QWLC). ويمكن التعبير عن ذلك من خلال العلاقة الآتية :

QWL = f [QWLI + QWLO + QWLC)

وفيما يلى شرح تفصيلى لأبعاد وعبارات القياس الخاصة بالحياة الاجتماعية للحرفى والرضا عن العمل ...

أبعاد القياس :

- التميز في أداء العمل وفي عيون الآخرين.
- إبراز المكانة والسمعة الحسنة بين الزملاء في العمل وبين الجيران (أهل الحتة).
- تحقيق الأمان له ولأسرته.
- النجاح والرضا عن العمل شرط أساسى للنجاح والرضا في الحياة بصفة عامة.

وعن عبارات القياس فهى:

٦- سمعتي بين أهل حتتى أهم حاجة عندي، وإتقان صنعتي هو دليل سمعتي.

١٢- أنا أوسطي في شغلي، أعمل حاجات مميزة وأي حد يشوف شغلي يعرف انه بتاعي.

١٨- جيراني وأهل حتتى يحترموني ويعملولى ألف حساب، عشان بقدم لهم خدمات من الصنعة بتاعتي، وبشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

٢٤- الصنعة دى مبقتش جايبة همها، والواحد بيدي فيها اكتر ما بيأخذ منها (R)
٣٠- مـن غير الصنعة دى، مكنتش أقدر أوفي طلبات بيتي وعيالي عشان كده أنا دايما بجدد فيها وأحاول أجارى السوق وطلبات الناس.
٣٦- أنـا ناجح في عملي ولي أسمى في السوق، عشان كده أنا ناجح ومبسوط في حياتي كلها.
٤٢- كنـت أتمـنى لو اشتغلت في وظيفة يكون لها دخل ثابت وألاقى فيها الراحة وتخلى لي مكانتي بين جيراني وأهل حتتى (R).

ولما كان من الصعب حصر جميع تلك المؤشرات الخاصة بالحياة الاجتماعية للحـرفي وأسـلوب معيشـته علـى كل من المستوى الذاتى، والتنظيمى، والثقافى بصـورة كمية فى المقياس، فقد تم استكمال الرؤية من خلال بيانات كيفية تفصيلية وبالاعـتماد علـى المـنهج الأنثروبولوجى أساساً من خلال الاستعانة بالملاحظة والمعايشـة لأصـحاب الورش الحرفية فى أماكن عملهم وفى وحداتهم المعيشية، وذلـك مـن أجـل الوصول إلى رؤية أعمق وأشمل لنوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته سواء داخل أم خارج مجال العمل.

ثالثاً: مجتمع الدراسة ومبررات اختياره :

إن المـتفحص لواقـع النشـاط الحرفي في المجتمع المصري يجد أنه يتمتع بانتشار جغرافي واسع المدى فى مختلف أرجاء المجتمع المصرى بوجه عام، وفى مديـنة القاهـرة علـى وجه الخصوص حيث تضم بين ربوعها العديد من الأحياء والمـناطق الكاملـة التـي تعـد مركزاً حياً للعديد من الأنشطة والأعمال الحرفية المتـنوعة، وفـى سـبيل اختيار مجتمع ملائم للدراسة قمت بالعديد من الزيارات الميدانـية لعدد من تلك المناطق وهي: تحت الربع، والجمالية، والخيامية، والدرب الأحمـر، والغوريـة، والمغربلين، والعباسية، والخليفة، وذلك في الفترة من بداية يـناير ١٩٩٩م وحـتى نهايـة يولـيو من نفس العام. وقد وقع الاختيار على حى الجمالية ليكون مجتمعاً للدراسة، وذلك نظراً لعدة اعتبارات تتمثل فيما يلي:

- يعد حى الجمالية من المناطق الأصيلة بمدينة القاهرة حيث يتمتع بخلفية تاريخية تمـتد إلـى العصر الفاطمي، بل إنه كان قديماً هو نفسه مدينة القاهرة الأصلية وأصـبح الآن حـياً مـن أحـياء وسط القاهرة، ولازال يضم العديد من الآثار التاريخية القديمة والتي تدل على عراقة ذلك الحي وأصالته التاريخية، ومن تلك الآثـار نجـد: سـور القاهرة القديم، باب الفتوح، باب النصر، مسجد السلطان

قـــلاوون، المســـجد الأقمـــر، مسجد الحاكم بأمر الله. كما يضم الحي العديد من الشوارع التي تحمل أسماء بعض الحكام والأمراء الفاطميين مثل: شارع المعز لديـــن الله الفاطمي، شارع الجمالية نسبة إلى الأمير بدر الدين الجمالي، وشارع أمير الجيوش الجوانى، وكذلك شارع بهاء الدين، وجوهر القائد... وغيرها.

- يضـــم الحـــي العديد من الأنشطة والصناعات الحرفية المتنوعة خاصة التقليدية المتوارثة والتي تتعايش منذ زمن طويل مع ذلك المجتمع، ومن أهم مظاهر ذلك وجـــود العديـــد مـــن الشوارع التي تحمل اسم حرفة أو مهنة معينة داخل قسم الجمالية مثل: النحاسين، الخرنفش، التمبكشية، الصاغة، والقزازين، والسروجية، مما يدل على قدم تلك الحرف والتصاقها بذلك المجتمع وتعايشها معه.
- يعد حى الجمالية من أكثر المناطق كثافة حرفية، حيث يضم العديد من الورش والمنشـــآت الـــتجارية والوكالات والربوع التي تتنوع أنشطتها الحرفية فتوجد الصـــناعات النحاســـية والمشـــغولات الفضية والذهبية والصدفية، وصناعات الألومنيوم، وصناعة الشيش، والخراطة، والموازين البلدي، والجلود، والعاج، والطرابيش، ... إلخ.
- يجمع قسم الجمالية كمجتمع شعبي تقليدي بين السمات العامة للمجتمع الشعبي Folk Society الـــذي وصفه (رد فيلد) بأنه: "مجتمع يغلب عليه الأمية، وهو مجـــتمع متجانس يتميز بإحساس قوى بالتضامن الجماعي كما يتصف ببساطة التكنولوجـــيا والعـــادات الشـــعبية والتنظيم القائم على علاقات القرابة " (ايكه هولتكرانس، ١٩٧٢: ٣١٢، ٣١٣) وبين الملامح التقليدية التي تبدو من خـــلال الطبـــيعة الأيكولوجـــية الممـــيزة للحـــى متمثلة في شكل الشوارع والأزقة، والحـــارات والحوانيـــت والمباني القديمة المتلاصقة، إضافة إلى احتواء الحي علـــى عـــدد من الأضرحة لبعض الأولياء والعديد من المنشآت الدينية المهمة كالجـــامع الأزهـــر والحســـين، ومســـجد السلطان قلاوون والحاكم بأمر الله، وغـــيرها ممـــا قـــد يسهم بلا شك في تشكيل نوعية الحياة داخل قسم الجمالية بصفة عامة، ونوعية حياة العاملين بالعمل الحرفي بصفة خاصة.
- اســـتقراء العديـــد من المؤشرات الكمية المستمدة من بيانات التعداد (١٩٩٦م) عن خصائص السكان والمنشآت والتي دعمت من اختيار مجتمع الدراسة "حى الجمالية " وتمثلت تلك المؤشرات في: الحالة التعليمية للسكان، وتوزيع السكان حســـب أقســـام المهن المختلفة، فقد كان الغالبية العظمى من السكان يشتغلون بالحـــرف والصـــناعات التقليدية وذلك بنسبة تصل إلى ٩٨,٣% من إجمالى حجم السكان ممن هم فى سن العمالة بحى الجمالية. إضافة إلى حجم المنشآت

العاملة التي تنتمي إلى القطاع الخاص والتى وصلت إلى ٩٧,٨% من إجمالى حجم المنشآت العاملة بالحى، وغيرها من المؤشرات الأخرى التي سيتم عرضها لاحقاً في الفصل الخامس والخاص بمجتمع الدراسة وأهم ملامحه الأيكولوجية والاجتماعية.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة ضرورة تحرى الدقة والعمق، فكان من الصعوبة بمكان إجراء الدراسة الميدانية في كافة أرجاء حى الجمالية الذي اتسم بمساحته الواسعة المترامية الأطراف فهو يضم (١٧) شياخة ويقع بين حدود أربعة أقسام إدارية هي: قسم الظاهر،وقسم باب الشعرية، وقسم منشأة ناصر، وقسم الدرب الأحمر. كما يتسم بكثرة شوارعه الجانبية وكثرة تعرجاتها والتواءاتها مما يؤدى إلى صعوبة دراستها دراسة متعمقة على درجة عالية من الدقة والموضوعية. وعلى هذا الأساس كان لابد من اختيار مناطق محددة للدراسة الميدانية بحيث تكون ممثلة قدر الإمكان لمجتمع الدراسة بصفة عامة.

وفي هذا الصدد نجد ثلاثة مداخل منهجية للاختيار وهي: (اعتماد علام، آمال عبد الحميد، ٢٠٠١: ٤٦).

١- مدخل الشارع بكل تفريعاته (شوارع جانبية، حارات، أزقة).
٢- مدخل الشياخة كتقسيم إداري رسمي بكل ما تحتويه بداخلها.
٣- مدخل المنطقة السكنية، أي الكتلة السكنية سواء كانت تقع في شياخة أو أكثر.

وفى محاولة للأخذ بأي من هذه المداخل المنهجية كوحدة رئيسية في التحليل تم القيام بالعديد من الزيارات الميدانية للحى؛ بهدف التعرف على كل شوارعه وحاراته والمداخل المؤدية إليه، والكشف عن أماكن تركز الحرف والصناعات به ، وقد أسفرت الشواهد الميدانية عن ضرورة استبعاد مدخل الشياخة في تحديد مناطق الدراسة؛ نظراً لعدم التطابق بين الحدود الرسمية للشياخة مع ما هو كائن بالفعل، إضافة لعدم معرفة أبناء المجتمع نفسه لحدود الشياخات ومسمياتها، فقد وجدت أن الغالبية منهم يعتبرون أنفسهم أبناء (حتة) واحدة أو حي واحد ألا وهو حي الجمالية، ولا توجد فواصل محددة تميز كل شياخة عن الأخرى سوى باسم الشوارع الرئيسية أو باسم بعض الأنشطة الحرفية المنتشرة في منطقة ما، كمنطقة الحسين، ومنطقة خان الخليلى، وباب الفتوح، ومنطقة الصاغة، والعطارين،... وجدير بالذكر أن كل منطقة من تلك كانت تضم أكثر من شياخة واحدة. كما أنه تم استبعاد مدخل المنطقة السكنية، حيث إن هذا المدخل قد يؤدى إلى الاقتصار على حرف بذاتها ولا يشمل جميع الأنشطة الحرفية الموجودة في مجتمع الدراسة، فكل

منطقة سكنية تضم بداخلها نمطاً أو نمطين من أنماط الأنشطة الحرفية ولا توجد منطقة سكنية بها جميع أنماط الحرف والصناعات الموجودة بمجتمع الدراسة خاصة وأن المجتمع يتصف بخاصية التركز المهني، فنجد منطقة ما يتركز بها صناع الألومنيوم وأخرى نجد فيها صناع الصدف وثالثة يتركز بها منتجو الشيش ورابعة للسبح... وهكذا.

وتأسيساً على ذلك، اتخذت من مدخل الشارع بكل تفريعاته (شوارع جانبية، حارات، أزقة..) مدخلا منهجياً لاختيار مناطق الدراسة، وقد تم اختيار شارع المعز لدين الله الفاطمي، وشارع الجمالية، كمجال أساسي للدراسة نظرًا لاتساعهما مقارنة بشوارع الجمالية الأخرى، وامتداد كل منهما من شارع الأزهر ماراً بشارع جوهر القائد وحتى بوابة باب الفتوح، هذا بالنسبة لشارع المعز والذي يطلق عليه "الشارع الأعظم"، كما يمتد شارع الجمالية من المشهد الحسيني وحتى التقائه ببوابة باب النصر، مما جعل من كل منهما وحدة تجتمع فيها جميع الأنشطة والصناعات الحرفية الموجودة بالقسم.

رابعاً: حجم العينة البحثية ومعايير اختيارها :

وفي ضوء ما سبق ونظراً لكثافة الأنشطة الحرفية بمنطقة الدراسة، اتجهت إلى اختيار عينة عمدية للدراسة من تلك الأنشطة الحرفية، وقد تم استنباط معايير اختيار العينة من النمط المثالي للحرفية عند س.رايت ميلز كإطار تصوري للدراسة والذي يستند على مايلي :

- أن يكون النشاط الحرفي الممارس هو نشاط تقليدى.
- أن يكون النشاط الحرفي ثابتاً وغير مؤقت أو موسمى.
- أن يعتمد العمل الحرفى على المهارة اليدوية للحرفى أساساً.

وتأسيساً على ذلك تم استبعاد بعض الأنشطة الحرفية كصناعة المناخل والغرابيل، وكذلك صناعة الموازين، وفرش الزجاجات، والصناعات النسيجية وصناعة الأحذية والكرتون والورق، حيث إن تلك الصناعات تعتمد في صناعتها على مواصفات كمية محددة أكثر من اعتمادها على مهارة الحرفي وقدراته الإبداعية. وكذلك صناعات الاستانلس نظرا لحداثتها. وهكذا تم تحديد سبعة أنشطة حرفية لتكون محوراً للدراسة وهي: الذهب والفضة والنحاس والألومنيوم والسبح والصدف والشيش والتي تمثل في مجملها ٩١% من إجمالي حجم الأنشطة الحرفية الموجودة بمنطقة الدراسة.

وفــى ضـــوء ذلك، تم سحب عينة عمدية قوامها (١٤٦) منشأة، موزعة على سـبع صـناعات حرفية هى: الذهب، الفضة، الشيش، الألومنيوم، النحاس، السبح والصـدف. وقد تم تصنيف الحرف والصناعات التقليدية (مجال الدراسة) إلى ثلاث مجموعــات بهدف الكشف عن مدى التباين فى مستوى الممارسة الحرفية ولخدمة أغـراض التحلـيل الكمى والكيفى، وذلك بالاستناد على عدد من المحكات المستقاة من الواقع المعاش – فى ضوء المشاهدات الميدانية للباحثة، وأقوال قدامى الحرفيين (سواء فيما يتعلق برأيهم عن حرفهم أو غيرها من الحرف الأخرى) – وتتمثل تلك المحكات فيما يلى:

- ارتفاع القيمة المادية وتسويق المنتج.
- ارتفاع القيمة الفنية والجمالية للمنتج.
- الحاجة إلى التخصصية المعتمدة على الخبرة المكتسبة فى أداء العمل.
- ارتفاع سن الطفل للقدرة على تعلم الصنعة.

ومــن ثــم تــم تصـنيف الحرف والصناعات التقليدية إلى ثلاث مجموعات، فالمجموعــة الأولى هى التى يتوافر بها جميع محكات التصنيف، والتى تمثلت فى حــرفة الذهب، والفضة والتى تعد ذات مستوى ممارسة حرفية عليا، ويطلق عليها (حـرف الصــاغة). وفــى المجموعة الثانية تأتى الحرف ذات مستوى الممارسة الحرفــية المتوســطة، وهى التى يتوافر بها ثلاثة محكات فقط، والتى تضم: النقش علــى الــنحاس، وحرفة الصدف، وكذلك السبح والتى يطلق عليها (صناعات خان الخلــيلى). وتشمل المجموعة الثالثة الحرف ذات مستوى الممارسة الحرفية الدنيا، والــتى تكــاد تكــون فيها محكات التصنيف غير ملموسة تماماً، وتضم صناعات الشيش والألومنيوم ويطلق عليها (حرف متنوعة).

خامساً: الخصائص السوسيوديموجرافية للعينة البحثية:

وفــيما يلــى عــرض الخصــائص الديموجرافية لمفردات العينة البحثية حسب مجموعات الحرف الثلاث: حرف الصاغة صناعات خان الخليلى – حرف متنوعة، وذلك من حيث: النوع، السن، المستوى التعليمى، ومحل الميلاد والإقامة، والديانة..

١- النوع :

تكشــف نتائج الدراسة أن الغالبية العظمى من أصحاب المنشآت الحرفية من الذكــور حيث تصل نسبتها إلى ٣، ٩٩% من إجمالى حجم العينة البحثية في مقابل ٧، %من النساء صاحبات الورش الحرفية والتى تتركز بصفة خاصة في صناعات

الصـــاغة (الذهـــب والفضة). كما تبين أيضا من الدراسة الميدانية المتعمقة دخول المـــرأة في صناعات السبح والصدف ولكن بنسب ضئيلة لاتتعدى ٢-٣ (صاحبات ورش) بيـــنما يكـــثر عـــدد النســـاء اللآتى يشتغلن في بعض الورش وكثير منهن مـــتعلمات رغـــبة فـــي تعلم صنعة معينة؛ وذلك نظراً لعدم وجود وظائف وانتشار البطالة بدرجة كبيرة إضافة إلى غلاء المعيشة.

٢- السن :

جدول(١-٣)

توزيع مفردات العينة حسب السن ونوع الحرفة

الحرف / السن	الصاغة		صناعات خان الخليلي		حرف متنوعة		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
٢٠-	٧	١١,٥	١	٢،٢	٠	٠.	٨	٥،٥
٣٠-	٢٩	٤٧،٥	١٩	٤٢,٢	٢١	٥٢,٥	٦٩	٤٧,٣
٤٠-	٢٠	٣٢،٨	١٥	٣٣,٣	١٩	٤٧,٥	٥٤	٣٧,٠
٥٠-	٣	٤,٩	٦	١٣,٣	٠	٠.	٩	٦,٢
٦٠ سنة فأكثر	٢	٣،٣	٤	٨,٩	٠	٠.	٦	٤,١
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠
$كا^2$ = ١٩,٨			د.ح = ٨			مستوى الدلالة (٠,٠١)		

مـــن استقراء الجدول رقم (١-٣) يتبين تزايد نسبة أصحاب الورش في الفئة العمـــرية (٣٠-٥٠ ســـنة) ليصـــل حجمها في العينة البحثية ٣، ٨٤% تليها الفئة العمـــرية ٥٠ ســـنة فأكثر لتصل إلى ٣،١٠% بينما تقل نسبة أصحاب الورش في الفـــئة العمـــرية (٢٠-٣٠ ســـنة) لتصـــل إلى ٥،٥% ويرجع ذلك إلى أن شباب الحرفييـــن لا يمتلكون بعد الخبرة الكافية أو رأس المال اللازم لفتح ورشة والانفاق عليها، فتتركز غالبية تلك الفئة في الصناع. بينما الفئة العمرية (٣٠-٥٠ سنة) هى الفـــئة الناضـــجة التى لديها الخبرة ورأس المال كما أن قدامى الحرفيين (٥٠ سنة فأكـــثر) يكونون غير قادرين على ممارسة العمل الحرفي بأنفسهم نظرا لما يتطلبه مـــن مجهود ذهنى وبدنى وبالتالى فإن الغالبية منهم يتركون إدارة الورشة لأبنائهم ولذلـــك تقل نسبة أصحاب الورش في تلك الفئة إلى حد ما وتنعدم تمامًا في حرف وصـــناعات الشـــيش والألمونيوم حيث يكثر التوارث المهنى بها بدرجة ملحوظة. وتشـــير قـــيمة $كا^2$ = (١٩,٨) إلى وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين الأنشطة الحرفية فيما يتعلق بمتغير السن وذلك عند مستوى دلالة (٠,٠١).

٣- المستوى التعليمي:

من نتائج الجدول رقم (١-٤) يتبين ارتفاع نسبة الأمية ونسبة من يقرأ ويكتب فقط بين أصحاب الورش الحرفية لتصل في مجملها إلى ٤٤,٥% من إجمالي حجم العينة، وترتفع النسبة في ورش وصناعات الشيش والألومنيوم بدرجة كبيرة جداً لتصل إلى ٧٧,٥% وقد يرجع ذلك إلى أن صناعات الشيش والألومنيوم لا تتطلب القراءة والكتابة ولا تحتاج إلى مهارة أو إبداع وإنما يتم العمل فيها على وتيرة واحدة وحسب أسلوب روتيني محدد، ولذلك تكثر بها عمالة الأطفال بدرجة ملحوظة وقد لاحظت ذلك الباحثة بنفسها، وتقل تلك النسبة تدريجياً لتصل إلى ٣٥,٦% في ورش المجموعة الثانية "منتجات خان الخليلي" حيث تتطلب صناعات النقش على النحاس والسبح والصدف قراءة وكتابة الآيات القرآنية وكتابة النقوش والرسومات، وتصل أدنى نسبة للأمية في صناعات الصاغة لتبلغ ٢٩,٥%.

جدول رقم (١-٤)

توزيع مفردات العينة حسب المستوى التعليمي والحرف المختلفة

الحرف / المستوى التعليمي	الصاغة		صناعات خان الخليلي		حرف متنوعة		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أمي	٥	٨,٢	٧	١٥,٦	٢٠	٥٠,٠	٣٢	٢١,٩
يقرأ ويكتب	١٣	٢١,٣	٩	٢٠,٠	١١	٢٧,٥	٣٣	٢٢,٦
ابتدائي	١٢	١٩,٧	١٠	٢٢,٢	٣	٧,٥	٢٥	١٧,١
إعدادى	١٠	١٦,٤	٥	١١,١	١	٢,٥	١٦	١١,٠
ثانوى	٤	٦,٦	٢	٤,٤	١	٢,٥	٧	٤,٨
متوسط	١١	١٨,٠	١٠	٢٢,٢	٣	٧,٥	٢٤	١٦,٤
فوق متوسط	٣	٤,٩	١	٢,٢	١	٢,٥	٥	٣,٤
جامعي فأعلي	٣	٤,٩	١	٢,٢	٠	٠.	٤	٢,٧
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠
كا^{٢} = ٣٥,١	د.ح = ١٤				مستوى الدلالة (٠,٠٠١)			

وتشير قيمة كا^{٢} = (٣٥,١) إلى وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بالمستوى التعليمي بين مجموعات الحرف وذلك عند مستوى دلالة (٠,٠٠١) حيث نجد أن أكبر نسبة من الأميين تتركز فى صناعات الشيش والألومنيوم لتصل إلى ٥٠% حيث إن تلك الصناعات ترجع فى غالبيتها إلى

الـتوارث المهنى كما أن الفرد يتعلمها منذ الصغر ولا تحتاج إلى القراءة أو الكتابة فى مقابل ٨,٢% فى صناعات الصاغة، ١٥,٦% فى صناعات خان الخليلى.

٤- الديانة :

جدول رقم (١-٥)

توزيع مفردات العينة حسب الديانة والحرف المختلفة

الحرف / الديانة	الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
مسلم	٤٨	٧٨,٧	٤٢	٩٣,٣	٣٦	٩٠,٠	١٢٦	٨٦,٣
مسيحى	١٣	٢١,٣	٣	٦,٧	٤	١٠,٠	٢٠	١٣,٧
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠
كا^{2} = ٥,٣	د.ح = ٢				غير دالة			

يتضـح مـن استقراء الجدول رقم (١-٥) أنه ليس هناك فروق جوهرية بين المشـتغلين بالأنشـطة الحرفية المتباينة فيما يتعلق بالديانة حيث بلغت قيمة كا^{2} = (٥,٣). بينما يتبين ارتفاع نسبة أصحاب ورش الصاغة من المسيحيين عن غيرها مـن الحـرف الأخرى، إذ بلغت ٢١,٣% فى صناعات الصاغة، مقابل ١٠% من المسيحيين فى صناعات الشيش والألومنيوم، و٦,٧% من المشتغلين بصناعات خان الخلـيلى، وقد يمكن إرجاع ذلك إلى أن الجذور التاريخية لصناعات الصاغة ترجع إلى الأرمن واليهود أساساً.

٥- الموطن الأصلى ومحل الإقامة الحالى:

جدول رقم (١-٦)

توزيع مفردات العينة حسب محل الميلاد والأنشطة الحرفية

الحرف / الإجابة	الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
فى حى الجمالية	٤٤	٧٢,١	٣٥	٧٧,٨	٣٤	٨٥,٠	١١٣	٧٧,٤
أحياء أخرى داخل القاهرة	١٥	٢٤,٦	٧	١٥,٦	٥	١٢,٥	٢٧	١٨,٥
خارج مدينة القاهرة	٢	٣,٣	٣	٦,٧	١	٢,٥	٦	٤,١
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠
كا^{2} = ٣,٨	د.ح = ٤				غير دالة			

يتضح من معطيات الجدول رقم (١-٦) عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصـــائية بين مجموعات الحرف فيما يتعلق بالموطن الأصلى ومحل الإقامة حيث بلغت قيمة كا٢ = (٣,٨)؛ إذ أن الغالبية العظمى من مفردات العينة من مواليد قسم الجمالـــية بنسبة ٧٧,٤% في مقابل ٢٢,٦% من خارج قسم الجمالية، منهم حوالى ١٨,٥% في مدينة القاهرة لكن خارج قسم الجمالية، وتعلو نسب التركز في مناطق قريـــبة من قسم الجمالية كالوايلى والشرابية وامبابة وباب الخلق والبساتين والدرب الأحمر كما يتضح تضاؤل نسبة من هم خارج مدينة القاهرة إلى درجة كبيرة لتبلغ ٤,١% من إجمالى حجم العينة..

جدول رقم (١-٧)

توزيع مفردات العينة حسب محل الإقامة والأنشطة الحرفية

الحرف / محل الإقامة	الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
فى حى الجمالية	٣١	٥٠,٨	٣٠	٦٦,٧	٣١	٧٧,٥	٩٢	٦٣,٠
أحياء أخرى داخل القاهرة	٢٩	٤٧,٥	١٥	٣٣,٣	٨	٢٠,٠	٥٢	٣٥,٦
خارج مدينة القاهرة	١	١,٦	٠	٠	١	٢,٥	٢	١,٤
المجموع	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠
كا٢ = ٩,١	د.ح = ٤				غير دالة			

كمـــا يتضـــح من الجدول (١-٧) تركز غالبية مفردات العينة فى نفس منطقة عملهـــم وهى حى الجمالية وذلك بنسبة ٦٣% من إجمالى حجم العينة، بينما نجد أن نسبة المقيمين خارج الجمالية تصل إلى ٣٥,٦%، وتقل بدرجة كبيرة نسبة المقيمين خارج مدينة القاهرة لتبلغ ١,٤%.

ويتعارض هذا مع ما توصلت إليه فرضية تودارو من أن غالبية المشتغلين فى الحـــرف والصـــناعات التقليدية من أصول ريفية، بينما يتفق مع نفس النتيجة التى توصـــلت إليها اعتماد علام فى دراستها حول الحرف والصناعات التقليدية (١٩٩١م) حيـــث إن غالبـــية المشـــتغلين بالصناعات التقليدية من أصول حضرية إضافة إلى تركـــزهم فـــى نفـــس مناطق نشأتهم الأصلية، وقد يرجع ذلك إلى ارتباط الجذور التاريخية للحرف والصناعات التقليدية بالمدن منذ القدم نظراً لوجود الصناع المهرة والأسواق، ومن ثم مثلت الحرف جزءاً أساسياً من اقتصاد السوق.

سادساً: حالات الدراسة، وخصائصها :

وقد تم اختيار إحدى عشرة حالة للدراسة المتعمقة، بناء على معايير معينة وهى:

- أن تكــون ممثلة بقدر الإمكان للأنشطة الحرفية مجال الدراسة، أى أن تشتمل على صناعات: الذهب، الفضة، السبح، الصدف، النقش على النحاس، الشيش والألومنيوم.
- أن يكون النشاط الحرفى أكثر اعتماداً على المهارة اليدوية للصانع.
- التــنوع فى أماكن ممارسة النشاط ما بين الشارع الرئيسى أو الربع أو الوكالة أو الشوارع الجانبية أو الحارات والأزقة أو غيرها.
- الاهــتمام بالورش التى تتسم بالتجاور الأيكولوجى من ورش أخرى، حيث إن غالبــية الورش فى حى الجمالية تميل إلى التركز بالقرب من بعضها البعض؛ نظراً لما تفرضه خصوصية المجتمع المحلى الذى يتسم بسمة التركز المهنى، حتى كادت كل منطقة تسمى باسم الحرفة السائدة بها، مما يسهم إلى حد كبير فــى تحديــد أشــكال العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم البعض، ومن ثم فى نوعية حياتهم.
- أن تشــتمل حالات الدراسة على بعض الحرف التى تعمل بها النساء، إضافة إلــى التــنوع فى الحالة التعليمية والسن ومحل الإقامة كمتغيرات أساسية قد تسهم فى تشكل نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته.

وفــى ضوء المعايير السابقة، تم اختيار حالات الدراسة من أجل توثيق نتائج الدراســة الكمية، ومحاولة التعمق فى الحياة اليومية للحرفى الممارس للعمل سواء داخــل مواقــع العمــل أم خارج العمل فى وحدته المعيشية وفى علاقته بالمجتمع المحلى الحاضن له.

سابعاً: منهجية الدراسة :

تعــد الدراســة الراهــنة مــن الدراسات الوصفية التحليلية حيث تتجه أساساً كمحاولة لاختبار المقولة السادسة في النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز في أرض الواقــع، وقــد اتخــذت الدراسة من الحرفي (صاحب العمل) وحدة أساسية للتحلــيل Unit of Analysis بينما تعددت مستويات التحليل Levels of Analysis حيــث تتمــثل في الورشة Workshop، الوحدة المعيشية Household إضافة إلى المجــتمع المحلى Community في علاقته التبادلية مع الورشة والدور الذى يلعبه فى تشكل نوعية حياة الحرفيين المقيمين فيه.

وفــــى ضوء ذلك تم الاستعانة بعدد من الأساليب البحثية الكمية والكيفية، حيث كـــان لكــل مــنهما مجالـــه البحثى وأدواته الخاصة، وهو ما سنتناوله تفصيلاً في الأجزاء التالية :

١- الأساليب البحثية الكمية :

تــم الاســتعانة بعدد من الأساليب البحثية الكمية فى دراسة المنشآت الحرفية ونوعية حياة الحرفيين، وتتمثل تلك الأساليب البحثية فيما يلى:

- الإحصـــاءات الرســمية، حيــث تم الاستعانة بالتعداد العام للسكان والمنشآت الصادر عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ١٩٩٦م، مما أسهم بلا شك في الكشف عن العديد من السمات العامة لأبناء ذلك المجتمع المحلى من حيث أحوالهم التعليمية والأنشطة الاقتصادية التي يمارسونها، مع تحديد كثافة المنشـــآت الحرفـــية الموجـــودة بالمجـــتمع وأماكـــن تركـــزها والخصائص الديموجرافـــية للعاملين. إضافة إلى البيانات الرسمية المستمدة من حي وسط القاهـــرة والتي أتاحت للباحثة التعرف على الحدود الإدارية والجغرافية للحى ومساحته وحدوده وشياخاته.
- الخـــرائط الجغرافية، وهى تمثل أداة بحثية مهمة، حيث تم الاستعانة بالخرائط المـــتاحة لدى هيئة المساحة والجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مما أتـــاح الكشف عن الحدود الجغرافية للحى وأهم الشوارع الموجودة به وكذلك الشوارع الجانبية.
- الحصر (الرفع الميداني للمنشآت العاملة):

بعـــد تحديـــد منطقتي الدراسة (شارع المعز وشارع الجمالية) تم القيام بالرفع الميدانـــي لجمـــيع المنشـــآت الحرفية العاملة(*) بهما باستخدام الخرائط الجغرافية والملاحظـــة الميدانـــية لكل الشوارع الجانبية والحارات والأزقة المتفرعة عن كل منهما، والتي تتنوع أنشطتها ما بين صناعات الذهب والفضة والنحاس والألومنيوم والصدف والنسيج والجلود والأخشاب والأحجار الكريمة والسبح وغيرها.

- صحيفة الاستبانة(**) :

تتألف الاستبانة Questionnaire من خمسة أقسام رئيسية يهدف كل قسم منها إلى الحصول على معلومات وبيانات من أجل تحقيق أهداف الدراسة.

---

* عاون الباحثة: السيد/ عماد محمد فى عملية الرفع الميداني.

** طبقت الاستبانة على صاحب الورشة أو من ينوب عنه.

١- **القســـم الأول:** يشتمل على مقياس نوعية حياة العمل الحرفي، ويتكون من (٤٢) عــبارة تمت صياغتها انطلاقاً من النمط المثالي للحرفية عند ميلز والتي تعبر فــي مجملها عن أسلوب الممارسة الحرفية اليومية للحرفي وأسلوب معيشته. وقد تم تعريف كل مقولة من المقولات الست الخاصة بنموذج الحرفية وتحديد أبعادهـــا ثم صياغة العبارات المقترحة للقياس الخاصة بكل مقولة على حدة، وقد روعي في صياغة عبارات المقياس البساطة والوضوح وأن تكون باللغة العامية؛ نظراً لأن غالبية المشتغلين بالحرف أميون لا يعرفون القراءة والكتابة حــتى يســـهل علـــيهم فهمها بيسر ووضوح، مما يتيح إمكانية الحصول على بيانات أقرب ما تكون للدقة تعبر عن أسلوب الممارسة الحرفية الفعلية اليومية للحرفـــي، وكذلك تكشف عن نوعية حياة العمل، وقد تم الاعتماد على اختيار المـــبحوث لاستجابة واحدة فقط من الاستجابات الثلاث التي وضعت أمام كل عبارة وهي :

(راض   راض إلى حد ما   غير راض) والتي تعبر عن درجة رضا الحرفي وشعوره بالإشباع والاستقرار النفسي.

٢- **القســـم الثانـــي:** ويخـــتص بالبيانات الأولية عن صاحب العمل والتي تشمل: النوع والسن والحالة التعليمية، ومحل الميلاد والإقامة، والديانة.

٣- **القسم الثالث:** ويتناول الخبرة المهنية لصاحب العمل، ويشتمل على أحد عشر ســـؤالا مغلقـــة الـــنهايات، وتهدف إلى الكشف عن مدى التوارث المهني بين العاملين في القطاع الحرفي، فيضم بيانات عن المهنة الأساسية للحرفي ومهنة الوالـــد ومـــدة الاشتغال بالحرفة ودوافع الاشتغال بها، إضافة إلى السؤال عن التغيرات والتطورات التي طرأت على الصنعة والطموحات الخاصة بالحرفي فيما يتعلق بعمله ومهنته.

٤- **القســـم الرابع:** ويختص بمورفولوجية الورشة، ويضم ذلك القسم خمسة أسئلة جميعها مغلقة النهايات تهدف إلى جمع بيانات تتعلق بالموقع الجغرافي للورشة ومساحتها ونمط الملكية بها والمرافق المتوفرة بها.

٥- **القســـم الخـــامس:** ويشمل عشرة أسئلة تدور حول ملامح قوة العمل بالورشة مـــن حيـــث عدد العاملين ونوعهم (ذكور،إناث) وتقسيم العمل ومن الذي يقوم بتوزيع الادوار على العاملين وعمالة الأبناء وأساليب الثواب والعقاب المتبعة فـــي العمـــل، وكذلـــك عمالة الأطفال والدور الذي يقوم به الصبي في العمل وأسلوب تدريبه وتعلمه الصنعة والسن المناسب لذلك... إلخ.

٦- **القسم السادس:** ويتعلق بنوعية حياة العمل حيث يضم تسعة أسئلة تتناول مواعيد العمل وساعات العمل ووقت الإجازة وكيف يقضيه الحرفي، وكذلك علاقة الحرفي بالعاملين معه داخل الورشة، وأيضا خارج مجال العمل على مستوى المجتمع المحلى كالمشاركة في المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة، إضافة إلى علاقة الورشة بالورش الأخرى الموجودة في الحي ومدي الخصوصية والتكاملية بينهم، والآثار الجانبية للصنعة على صحة الحرفي وأسلوب معيشته.

وقد قمت بتطبيق الاستبانة على عينة قوامها ١٤٦ من أصحاب الورش التى تتنوع أنشطتها ما بين صناعات الذهب والفضة والنقش على النحاس والألومنيوم والصدف والشيش والسبح، عن طريق المقابلة الشخصية لأصحاب الورش أو من ينوب عنهم؛ نظرا لأن غالبية أفراد العينة من الحرفيين غير متعلمين فكان يصعب عليهم الإجابة على الاستبانة بمفردهم، كما أن المتعلمين منهم كانوا يطلبون إلقاء الأسئلة عليهم حفاظًا على وقت العمل وعدم ضياع وقتهم. وعن زمن الإجابة على الاستبانة فكان يتراوح ما بين ٥٠-٨٠ دقيقة في الغالب أقوم خلالها بتقديم نفسى وشرح الهدف من البحث ببساطة والتحاور مع المبحوث في موضوعات عامة أولاً، ثم أبدأ في إلقاء الأسئلة مع محاولة تبسيطها قدر المستطاع ومراعاة الالتزام بترتيب الأسئلة كما وردت في صحيفة الاستبانة، إضافة إلى عدم إبداء الرأي أو التأثير على المبحوث في الإجابة، وعندما كنت أشعر بضيق أفق المبحوث وانشغاله كنت أكتفى بذلك وأقوم بإنهاء المقابلة ثم أعاود الرجوع إليه مرة أخرى.

٢- الأساليب البحثية الكيفية:

على المستوى الكيفى تم الاستعانة بعدة أساليب بحثية، تأتى فى مقدمتها المنهج الأنثروبولوجى بأدواته بدءاً من الملاحظة، فالمقابلة وكذلك التصوير الفوتوغرافى، كما تم الاستعانة بمنهج دراسة المجتمع المحلى ويضاف إلى ذلك دراسة الحالة. وسيتم توضيح ذلك بالتفصيل فيما يلى:

١- المنهج الأنثروبولوجى :

تطلبت دراسة نوعية حياة الحرفيين ضرورة استخدام المنهج الأنثروبولوجى؛ حيث إنه لا يمكن النفاذ إلى عالم الحياة اليومية للحرفى سواء داخل ورشته أم فى

علاقــته بزملائه فى الورش المجاورة وجيرانه فى المجتمع المحلى دون الاستعانة بذلك المنهج وأدواته، والتى تشمل :

- **الملاحظــة**: تم الاعتماد على الملاحظة كركيزة أساسية للبحث الأنثروبولوجي، فمــن خلالهــا قمت بملاحظة حدود القسم وتقسيماته الداخلية، من حيث شكــل الشــوارع والحارات وطبيعة العمران، وأشكال الورش الحرفية وطبيعة العلاقة بيــنها وبين الورش المجاورة لها، وكذلك أشكال التفاعل بين العاملين وبعضهم الــبعض وبيــنهم وبين صاحب العمل، وقد تبين مدى التباين الذي ينطوي عليه قسم الجمالية حيث يجمع الحي بين القدم والحداثة ويتضح ذلك في شكل المباني والمســاجد والمدارس وكذلك المقاهي التي نجد بعضها لا يتعدى شكل (النصبة) المعــدة لإعداد القهوة والشاي، وأخرى تشهد تطورًا ملحوظًا فنجد بها الأدوات الكهربائــية والتليفزيون والمروحة والراديو و(الدِش) أيضاً والخلاط الكهربائى لإعداد العصائر والمشروبات المثلجة.

ومن ثم تفيد الملاحظة في التعرف على كثير من تفاصيل الحياة اليومية سواء داخــل مواقع العمل أم بالمجتمع المحلى الخارجي دون الحاجة إلى السؤال عن كل شــيء، ممــا يسهم في التعرف على العديد من مواقف الحياة اليومية كما تمارس بالفعل وليس كما يعبر عنها أصحابها.

إضافة إلى ملاحظة الورشة ومظهرها الخارجى والظروف الفيزيقية الموجودة بهــا مــن حيث التهوية والإضاءة والنظافة، وملاحظة مدى تأثير ذلك على تشكل نوعية حياة العمل للحرفى وأسلوب معيشته. كما تم الاستعانة بالملاحظة فى الكشف عــن العديــد من المواقف الحياتية للحرفى داخل وخارج مجال العمل وفى علاقته بزملائه فى الورشة وفى الورش المجاورة .. وغير ذلك.

- **المقابلــة**: حيــث تم القيام بالعديد من المقابلات الفردية والجماعية لأصحاب الــورش الحرفــية والعامليــن بها والعديد من أبناء المجتمع المحلى المقيمين بالحــي، والذيــن كان لهم الفضل في توجيه نظرى إلى أماكن تركز الورش والمنشآت الحرفية والتي كان من الصعب الكشف عنها ومعرفتها، وكان ذلك خــلال مــرحلة الدراســة الاستطلاعية لمجتمع البحث مما أسهم في اختيار مــناطق الدراسة وكذلك في اختيار العينة البحثية الملائمة للدراسة، وأيضاً في مــرحلة الدراســة الميدانــية حيث قمت بمقابلات حرة مع عدد من الحرفيين وتحــاورت معهم فى قضايا تهم الدراسة تمثلت في علاقــة الحرفى بالورش

المجـــاورة له وعلاقته بالعاملين معه خارج مجال العمل، وكذلك وقت فراغه والأنشطة الاجتماعية التى يشارك فيها على مستوى المجتمع المحلى، مما أفاد فى سبرغور الظاهرة، والربط بين الملاحظات وبين ما يقال على ألسنة الأفراد في الحي.

- **التصـــوير الفوتوغرافـــي:** حيث يعد من أهم أساليب توثيق الملاحظة ورصد الواقـــع، ومن ثم كان من الضروري الاستعانة به من أجل الكشف عن العديد مـــن الملامـــح التقلـــيدية لمجـــتمع الدراسة وشكل الشوارع ومدى تعرجاتها والـــتواءتها وكذلـــك شـــكل المنشآت ومدى تقاربها والتصاق بعضها ببعض، إضـــافة إلـــى الاستعانة بها في التعرف على طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة داخل الورش وعلاقتها بالمجتمع المحلى الحاضن لها.

إضـــافة إلى دوره فى تجسيد العديد من ملامح نوعية الحياة داخل بيئة العمل، وإبـــراز أشكال التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم البعض، وكذلك محاولة تدعـــيم الكثير من مظاهر الإبداع والتجديد فى العمل الحرفى بالصور الفوتوغرافية وكذلـــك ما تمر به العملية الإنتاجية من مراحل وما تتطلبه من تخصصيه أو تقسيم عمل بين المشتغلين بالحرفة.

وفـــي ضـــوء ذلـــك يعد المنهج الأنثروبولوجي من المناهج التي عن طريقها نســـتطيع ســـبر أغوار الظاهرة موضوع الدراسة والنزول بها من إطارها النظري إلى أرض الواقع.

٢- منهج دراسة المجتمع المحلى :

تعـــنى دراسة المجتمع المحلى محاولة فهم ووصف جماعة من الأفراد تعيش فـــى موقـــع جغرافى معين، وتشترك فى نظم اجتماعية معينة. ويتكامل فى دراسة المجـــتمع المحلـــى مستويات عديدة من مستويات التحليل السوسيولوجى، المستوى الفـــردى، والمســـتوى الاجـــتماعى والمستوى النظامى (محمد الجوهرى، عبد الله الخـــريجى، ١٩٩٥: ٢٩٠). وفـــى ضوء ذلك تمت الاستعانة فى دراسة المجتمع المحلـــى بالاحصاءات الرسمية والخرائط الجغرافية والتى أسهمت فى الكشف عن العديـــد مـــن الســـمات العامة لمجتمع الدراسة من حيث الأحوال التعليمية للسكان والأنشـــطة الاقتصادية التى يمارسونها، وكثافة الأنشطة الحرفية الموجودة بمجتمع الدراســـة وأماكن تركزها... وغير ذلك (كما أوضحنا سابقاً). كما أنه تم الاستعانة أيضاً بكل من الملاحظة والمعايشة لمجتمع الدراسة وكذلك المقابلة للعديد من أفراد

المجتمع سواء من الحرفيين أو غيرهم من أفراد المجتمع من أجل الكشف عن العديد من مظاهر المشاركة الاجتماعية بين الحرفيين وبعضهم البعض سواء داخل مجال العمل (الورشة) أم خارج مجال العمل على مستوى المجتمع المحلى، إضافة إلى محاولة التعرف على أنماط العلاقة التبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى الحاضن لها ومدى تأثير ذلك على تشكل نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته.

٣- دراسة الحالة :

دراسة الحالة Case Study هي اتجاه جشطالتى أو كلى شمولي Holistic في فهم الناس وليست أداة تجزيئية (محمد الجوهري، عبد الله الخريجى، ١٩٩٥: ٢٤٧) حيث ينظر إلى أي وحدة اجتماعية نظرة كلية تستوعب تطور هذه الوحدة ونموها سواء كانت فرداً أم أسرة أم نظاماً أم تنظيماً أم مجتمعاً بأكمله. فهي طريقة يمكن من خلالها النفاذ إلى أعماق الظاهرة بدلاً من الاكتفاء بالجوانب السطحية العابرة التي قد لا تكون ذات دلالة حقيقية (محمد على محمد، ١٩٨٣ :١٨٥،١٨٣) في إطار ذلك رأيت ضرورة الاستعانة بذلك المنهج لدراسة حالة بعض الحرفيين من أصحاب الورش، إضافة إلى ضرورة اتخاذ كل من الورشة ووحدة المعيشة الخاصة بالحرفى وحدة أساسية للدراسة؛ من أجل الوصول إلى رؤية متكاملة لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية للحرفى وكما يعيشها بالفعل فى أرض الواقع.

وقد بلغ عدد حالات الدراسة إحدى عشرة حالة ممثلة بقدر الإمكان لأصحاب الورش فى مجتمع الدراسة (كما اتضح سابقًا).

ثامنا: صدق وثبات المقياس :

لا يكاد يخلو أى قياس يتعلق بالظاهرات الطبيعية والاجتماعية والحيوية من قدر من أخطاء القياس العرضية، وهذه الأخطاء قد تكون قليلة وغير مؤثرة، وقد تكون كبيرة تشكك في نتائج القياس، وتسمى هذه الأخطاء بأخطاء الصدفة وهى التي تحول دون تطابق نتائج قياس سمة معينة لفرد ما إذا ما كرر القياس في نفس الظروف(رمزية الغريب، ١٩٧٠ :٦٥٣)، وللتحقق من صدق المقياس تم استخدام أسلوب الصدق الظاهرى (استطلاع آراء المحكمين) حيث تم إخضاع المقياس للتحكيم من قبل متخصصين في مجال العلوم الاجتماعية(*) وذلك بهدف الحكم على

* ١- أ.د. جابر عبد الحميد جابر، أستاذ علم النفس التربوي بمركز البحوث التربوية جامعة القاهرة.
٢- أ.د. محمود فهمي الكردي، أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة.
٣- أ.د. إجلال إسماعيل حلمي، أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس.

مـــدى ملاءمة العبارات الواردة في ذلك المقياس، ومدى ارتباط كل منها بالخاصية التـــي تقيســـها من خصائص الحرفية. وذلك بعد تعريف كل خاصية من خصائص الحرفية الست وتقسيمها إلى ستة مقاييس فرعية، ومن ثم تحديد أبعاد قياس كل منها والعـــبارات المقترحة للقياس في كل على حدة، إضافة إلى أنه تم عرض المحاور الأخـــرى التـــي تتضمنها صحيفة الاستبانة والتي يمثل هذا المقياس محوراً أساسياً بها، حيث طلب من الأساتذة المحكمين إبداء وجهات نظرهم إزاء كل من التعريف والأبعـــاد والعـــبارات المقترحة من حيث مدى وضوح كل عبارة ومدى ملاءمتها للقياس، إضافة إلى إبداء آرائهم في المحاور الأخرى الخاصة بالاستبانة مع إمكانية الـــتعديل حســـب مـــا يـــرونه مناسباً سواء بالحذف أم الإضافة أم إعادة الصياغة لعبارات القياس المقترحة، سعياً لتحقيق أهداف البحث..

وقـــد أجمعـــت آراء الأساتذة المحكمين على عدد من القضايا المحورية التي نجملها فيما يلي :

١- ضرورة تبسيط المقياس والالتزام بالصيغة العامية في صياغة العبارات.
٢- ضرورة اختصار عبارات المقياس وتحديدها بشكل أكثر تركيزاً لعدم الإطالة على المبحوث وإثارة الضيق والملل، مع الالتزام بعدد محدد من العبارات في كل مقياس فرعى من أجل أغراض التحليل الإحصائى.
٣- المساهمة في تعديل الكثير من العبارات من حيث صياغتها.
٤- التأكـــيد علـــى أن تكون هناك عينة ممثلة للحرف والصناعات نظراً لكثافتها الهائلـــة، إذ أن مجـــتمع الحرف والصناعات مجتمعا هلامياً وأن يكون اختيار تلك العينة بناء على عدد من المحكات التي تتعلق بالنمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز ولا تنفصل عنه.
٥- اختصار التعريفات الإجرائية لكل مقياس فرعى على حدة وجعلها أكثر تحديداً.

وفي ضوء ذلك تم اختصار عبارات القياس من (٧٢) عبارة إلى (٤٢) عبارة بواقـــع ســـبع عـــبارات لكل مقياس فرعى، مع القيام بتبسيط التعريفات الإجرائية وتحديدهـــا بشـــكل أكبر،إضافة إلى إعادة صياغة العديد من العبارات في ضوء ما اقترحه الأساتذة المحكمون. ويوضح الملحق رقم (١) الشكل النهائي للاستبانة.

- الثبات :

يشـــتمل مفهـــوم الصـــدق على مفهوم الثبات Reliability، فالمقياس الصادق يكـــون بالضـــرورة ثابتاً والعكس ليس صحيحا، فثبات المقياس هو أن يعطى نفس

النتائج إذا ما أعيد تطبيقه على نفس الأفراد وفي نفس الظروف، ويقاس هذا الثبات إحصـــائياً بحساب معامل الارتباط بين الدرجات التي حصل عليها في المرة الأولى وبيـــن نـــتائج القياس في المرة الثانية، فإذا ثبتت الدرجات في الاختبارين وتطابقت قـــيل إن درجـــة ثـــبات المقـــياس كبيرة، أما إذا كانت غير ثابتة ومتذبذبة قيل إن المقياس غير ثابت (رمزية الغريب، ١٩٧٠: ٦٥٣). وقد استخدمت طريقة الاتساق الداخلى لحساب ثبات المقياس وذلك على النحو الآتى:

تعـــتمد طـــريقة الاتســـاق الداخلى Internal consistency على مدى ارتباط العبارات مع بعضها البعض داخل المقياس، وارتباط كل عبارة منها بالمقياس ككل، فـــبعد تطبـــيق المقياس على عينة الدراسة التي يبلغ عددها ١٤٦ مفردة تم حساب معـــامل Alfa للمقياس الكلى ويوضح الجدول رقم (١-٨) معاملات الثبات لكل بند مـــن خلال ارتباطه بالمقياس الفرعى باستخدام الاتساق الداخلي(معامل ألفا Alfa) وكذلك طريقة التجزئة النصفية.

جدول (١-٨)

القيم التقديرية لمعاملات الصدق لبنود المقياس بطريقة تحليل البنود

رقم البند	ارتباط البند بالمقياس الفرعى	رقم البند	ارتباط البند بالمقياس الفرعى
١	٠,٣٧١**	٤	٠,٧٣٧**
٧	٠,٣٣٣**	١٠	٠,٦٤٣**
١٣	٠,٤٥٥**	١٦	٠,٤٨٤**
١٩	٠,٣٦٦**	٢٢	٠,١١٤**
٢٥	٠,٣٤٩**	٢٨	٠,١٤٨**
٣١	٠,٧٠٤**	٣٤	٠,١٨٥*
٣٧	٠,٥١٨**	٤٠	٠,٧٠٥**
٢	٠,١٠٠	٥	٠,٤٦٤**
٨	٠,٣٧٤**	١١	٠,٥٤٣**
١٤	٠,٤٩٥**	١٧	٠,٣٦٤**
٢٠	٠,٣٤٤**	٢٣	٠,٣٧٣**
٢٦	٠,٢٨٧**	٢٩	٠,٣٣٢**
٣٢	٠,٧٨١**	٣٥	٠,٥٣٤**

* دالة عند مستوى دلالة ٠,٠١

** دالة عند مستوى دلالة ٠,٠٠١.

تابع جدول (١-٨)

رقم البند	ارتباط البند بالمقياس الفرعي	رقم البند	ارتباط البند بالمقياس الفرعي
٣٨	**٠,٧٦١	٤١	**٠,٢٩٨
٣	**٠,٥٤٨	٦	٠,١٠٥
٩	**٠,٦٣٨	١٢	**٠,٥٣٢
١٥	**٠,٥٠١	١٨	**٠,٣٤٥
٢١	**٠,٤٧٩	٢٤	**٠,٥١٠
٢٧	**٠,٤٦٠	٣٠	**٠,٤٢٨
٣٣	**٠,٤١٦	٣٦	**٠,٥٢١
٣٩	**٠,٣٤٩	٤٢	**٠,٦٥٨

وقد جاءت جميع بنود المقياس دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٠١) فيما عدا البند رقـم (٣٤) دال عـند مستوى دلالة (٠,٠١)، والبنود رقم (٢، ٦) كانت غير دالة إحصائيا. وبلغت قيمة المعامل (٠,٦٦) بطريقة التجزئة النصفية، و(٠,٦٧) بطريقة ألفا كرونباخ.

- مصفوفة الارتباطات الداخلية :

تبيـن النـتائج الـواردة في جدول (١-٩) العلاقات الارتباطية بين المقاييس الفرعية لمقياس (نوعية حياة العمل الحرفي)، التي تشير إلى وجود عشرة معاملات دالة إحصائياً عند مستويات (٠,٠٠١، ٠,٠١، ٠,٠٥) وذلك كما يلي :

جدول (١-٩)

مصفوفة الارتباط بين المقاييس الفرعية والمقياس الكلي

الأبعاد	١	٢	٣	٤	٥	٦	المقياس الكلي
الإبداع	١,٠٠٠	**٠,٦٢٤	**٠,٤١٣	-٠,٠٠١	**٠,٤٠٥	٠,١٨٢ X	**٠,٦٧٢
الاهتمام بالدقة والجودة	**٠,٦٢٤	١,٠٠٠	**٠,٤٢٧	٠,٠٦٩	*٠,٢٦٠	٠,٠٤٢	**٠,٦١٨
الاستقلال الذاتي	**٠,٤١٣	**٠,٤٢٧	١,٠٠٠	٠,٠٧٥	**٠,٤١٨	**٠,٣٨٥	**٠,٧٠٩
طول فترة اتلممارسة	-٠,٠٠١	٠,٠٦٩	٠,٠٧٥	١,٠٠٠	٠,١٣٠	*٠,٢٣٦	**٠,٤٧٩
مرونة وقت العمل الحرفي	**٠,٤٠٥	*٠,٢٦٠	**٠,٤١٨	٠,١٣٠	١,٠٠٠	*٠,٢٤٦	**٠,٦٧٩
الحياة الاجتماعية	٠,١٨٢ X	٠,٠٤٢	**٠,٣٨٥	*٠,٢٣٦	*٠,٢٤٦	١,٠٠٠	**٠,٥٤٤

X دالة عند مستوى دلالة ٠,٠٥

* دالة عند مستوى دلالة ٠,٠١

** دالة عند مستوى دلالة ٠,٠٠١

وقد جاءت العلاقات الارتباطية بين المقاييس الفرعية والمقياس الكلى جميعها دالـــة عـــند مستوى (٠,٠٠١)، وكانت جميعها علاقات ارتباطية عالية موجبة، فيما عـــدا العلاقة بين خاصية طول فترة الممارسة الحرفية والمقياس الكلى حيث كانت علاقة ارتباطية موجبة متوسطة.

تاسعاً: تقنين المقياس :

تشـــير عملية تقنين المقياس إلى أن هناك أداء يمكن ملاحظته وقياسه، وأن هناك تعليمات واضحة ومحددة لتصحيح الإجابات وتفسيرها (سعد جلال، ١٩٨٥ :٣١).

١- طريقة تصحيح المقياس :

يتكون مقياس: " نوعية حياة العمل الحرفي " من ٤٢ عبارة موزعة بالتساوي على ست عبارات فرعية بواقع سبع عبارات لكل مقياس منها، وتكون الإجابة على عـــبارات القياس " براض " أو " راض إلى حد ما " أو " غير راض" ويشير جدول (١-١٠) إلـــى المقاييس الفرعية المتضمنة في المقياس وأرقام العبارات التي تقيس كل منها بنفس ترتيبها فى صحيفة الاستبانة.

جدول رقم (١-١٠)

المقاييس الفرعية وأرقام العبارات كما وردت بالمقياس

المقاييس الفرعية	أرقام العبارات
مقياس الإبداع	١، ٧، ١٣، ١٩، ٢٥، ٣١، ٣٧
مقياس الاهتمام بدقة الصنعة	٢، ٨، ١٤، ٢٠، ٢٦، ٣٢، ٣٨
مقياس الاستقلال الذاتي	٣، ٩، ١٥، ٢١، ٢٧، ٣٣، ٣٩
مقياس طول فترة الممارسة الحرفية	٤، ١٠، ١٦، ٢٢، ٢٨، ٣٤، ٤٠
مقياس المرونة في وقت العمل	٥، ١١، ١٧، ٢٣، ٢٩، ٣٥، ٤١
مقياس الحياة الاجتماعية	٦، ١٢، ١٨، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٤٢

٢- مفتاح التصحيح :

تـــم تحديد ثلاث درجات أساسية للمقياس تتدرج ما بين (٣-٢-١) حسب مقياس الرضـــا المتدرج (راض- راض إلى حد ما غير راض) على التوالي، حيث إنه تم صـــياغة بعض العبارات المعكوسة والتي تعكس في ضوئها درجات المقياس لتصبح (١-٢-٣)على التوالي، ومن ثم تتكون درجات كل مقياس فرعى من المقاييس الستة مـــا بيـــن ٧ درجات وهى أقل درجة على المقياس إلى ٢١ درجة وهى أعلى درجة

علـــى كـــل مقـــياس فـــرعى على حدة. ويشير الجدول (١-١١) إلى مفتاح تصحيح العبارات كما يلي :

جدول رقم (١-١١)
مفتاح تصحيح العبارات الواردة بالمقياس حسب اتجاه الإجابة

رقم العبارة	اتجاه الإجابة	رقم العبارة	اتجاه الإجابة	رقم العبارة	اتجاه الإجابة
١	راض	١٥	راض	٢٩	راض
٢	راض	١٦	راض	٣٠	راض
٣	راض	١٧	راض	٣١	راض
٤	راض	١٨	راض	٣٢	راض
٥	راض	١٩	راض	٣٣	غير راض
٦	راض	٢٠	راض	٣٤	راض
٧	راض	٢١	راض	٣٥	راض
٨	راض	٢٢	راض	٣٦	راض
٩	راض	٢٣	غير راض	٣٧	راض
١٠	غير راض	٢٤	غير راض	٣٨	راض
١١	راض	٢٥	غير راض	٣٩	راض
١٢	راض	٢٦	راض	٤٠	غير راض
١٣	غير راض	٢٧	راض	٤١	غير راض
١٤	غير راض	٢٨	راض	٤٢	غير راض

عاشراً: المجال الزمني للدراسة :

بـــدأت هذه الدراسة فى يناير (١٩٩٩م) وانتهت فى مارس (٢٠٠٤م) وشملت هـــذه الفـــترة الدراسة بشقيها: النظرى والميدانى، حيث مرت خلالها بثلاث مراحل أساسية تتمثل فى الآتى :

١- **المرحلة التصورية للبحث :** والتى اشتملت على الاطلاع النظرى على التراث الخـــاص بموضوع الدراسة، إضافة إلى تحديد بعض الإجراءات المنهجية من أجـــل وضـــع إطار للعمل الميدانى.وقد استمرت هذه الفترة من يناير ١٩٩٩م حتى نهاية أكتوبر من نفس العام.

٢- **المـــرحلة الإجرائية للبحث :** والتى اشتملت على عدد من مراحـــل الدراســـة الميدانية وهى:

- القيام بزيارات استطلاعية لمجتمع البحث تمهيداً لاختيار منطقة الدراسة والرفع الميدانى للمنشآت الحرفية العاملة، وقد تزامنت هذه المرحلة مع المرحلة التصورية.
- اختيار العينة البحثية وبدأت فى ديسمبر ١٩٩٩م وحتى منتصف يونية ٢٠٠٠م.
- تصميم أدوات جمع المادة الميدانية، واستمرت من بداية فبراير حتى نهاية ٢٠٠١م.
- مرحلة الجمع الميدانى الفعلى واجراء دراسات الحالة التى بدأت فى مارس ٢٠٠١م واستمرت لفترة طويلة حتى نهاية صيف ٢٠٠٢م.

٣- المرحلة التأويلية والتفسيرية: والتى تتمثل فى كتابة التقرير النهائى للدراسة الميدانية وتفسير نتائج الدراسة فى ضوء الأطروحات النظرية ونتائج الدراسات السابقة مع الأخذ فى الاعتبار المعطيات التاريخية وخصوصية مجتمع الدراسة، وقد استمرت هذه المرحلة حتى مارس ٢٠٠٤م.

حادى عشر: مستويات التحليل والتفسير :

لما كانت الدراسة منظومة متعددة الأبعاد والمتغيرت، لذا تعددت مستويات التحليل والتفسير وفقاً للمداخل المنهجية للدراسة، ومستويات التحليل وهى: المجتمع المحلى، والمنشآت الحرفية، والوحدة المعيشية.

- **المجتمع المحلى**: مزجت خطة تحليل وتفسير بيانات المجتمع المحلى بين الأساليب الكمية والكيفية، والتى تضافرت فى التحليل معاً من أجل تحقيق أكبر قدر من الشمولية والعمق فى ذات الوقت. حيث تم الاعتماد على التحليل التاريخى (البنائى) للمجتمع المحلى، والتحليل الكمى حيث الاستعانة بالتعداد العام للمنشآت والسكان، إضافة إلى التحليل الأيكولوجى لمجتمع الدراسة، وفيما يلى عرض مفصل لكل من تلك الأساليب وكيفية الاستعانة بها فى دراسة المجتمع المحلى.

١- التحليل التاريخى (البنائى) :

روعى فى دراسة المجتمع المحلى ضرورة الرجوع إلى الجذور التاريخية لنشأة مجتمع الدراسة وأثر ذلك على تكوينه ونشأته، وكذلك الكشف عن أثر الروافد التاريخية فى تشكيل البنية الحرفية للأنشطة الحرفية (مجال الدراسة) ومدى ارتباطها تاريخياً بذلك المجتمع، مع محاولة تلمس أهم ملامح نوعية حياة الحرفيين عبر المراحل التاريخية المتعاقبة. إضافة إلى رؤية المجتمع المحلى كبناء تتفاعل وحداته

الداخليــة، وتــترابط أجــزاؤه ويؤثر كل منها فى الآخر، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة التبادلية بينه وبين المنشآت الحرفية الحاضن لها. ويتضح ذلك فى الفصل الرابع.

٢- التحليل الكمى :

- تــم تحليل البيانات الإحصائية الواردة فى التعداد العام للسكان ١٩٩٦م والتى تــتعلق بحجم السكان ومستوياتهم التعليمية وأعمارهم، وأنشطتهم الاقتصادية؛ بهدف التعرف على أهم ملامح السكان وخصائصهم بمجتمع الدراسة.
- تــم تحلــيل البيانات الإحصائية الواردة فى تعداد المنشآت ١٩٩٦م والخاصة بحجم المنشآت الحرفية الموجودة بمجتمع الدراسة، وأنماطها، وعدد المشتغلين بهــا وأماكــن تركــزها .. إلخ. على نحو ما تم تفصيله فى الفصل الخامس الخاص بمجتمع الدراسة.
- الاســتعانة بــالجداول الــتكرارية البسيطة والمزودجة فى وصف أهم ملامح السكان والمنشآت بالمجتمع المحلى.

٣- التحليل الأيكولوجى :

تــم الاســتعانة بالمدخل الأيكولوجى من خلال رفع المنطقة والاستعانة بأحد المتخصصــين فى قسم الجغرافيا بكليةالآداب - جامعة عين شمس من أجل تصميم الخــرائط التفصــيلية لمنطقة الدراسة وأهم ملامحها الأيكولوجية وتحديد المنشآت الحرفية الموجودة بها. كما استعنت بالملاحظة المتعمقة والمعايشة لمجتمع الدراسة لفــترات طويلــة؛ مــن أجل الكشف عن شكل الشوارع والحارات والأزقة، ومدى تركــز المنشــآت الحرفية بها، وأماكن تركزها إضافة إلى مقابلة العديد من أفراد المجــتمع المحلــى، والذين كان لهم الفضل فى الكشف عن أماكن تركز المنشآت بالمجتمع.

إضــافة إلــى الاستعانة بالتحليل الأيكولوجى فى محاولة الكشف عن الطبيعة الأيكولوجــية لــورش الدراسة وما تتسم به من حيث المساحة والظروف الفيزيقية ومــدى التكيف مع ضيق المكان، ومدى التباين فى ذلك بين أنماط الحرف المختلفة ومــن ثــم مــدى تأثير ذلك على تشكل نوعية حياة العمل للحرفى ومدى شعوره بالرضا والإشباع الذاتى.

- المنشآت الحرفية :

تــم المزواجة بين الأساليب الكمية والكيفية فى دراسة المنشآت الحرفية، وذلك كما يلى :

١- التحليل الإحصائى:

استعنت بالبرنامج الإحصائي SPSS في دراسة الخصائص الديموجرافية للعينة البحثية ورصد تكرارات العبارات الدالة على كل مقولة من المقولات الست المرتبطة بالممارسة الحرفية. وتم استخدام معامل (كا^2) لدراسة دلالة الفروق بين الأنشطة الحرفية المتباينة فيما يتعلق بالإجابات على تساؤلات الدراسة. إضافة إلى معامل الارتباط بيرسون للكشف عن مصفوفة العلاقات الارتباطية بين المقاييس الفرعية وتحديد مستوى الدلالة الإحصائية لكل منها. وأيضًا استعنت باختبار (ف) F- Test للكشف عن مدى دلالة الفروق فى نوعية حياة العمل بين مختلف أفراد العينة .

٢- التحليل الكيفى :

تم القيام بدراسة الحالة للورش الحرفية من أجل الكشف عن أيكولوجية المنشآت وما يتوفر بها من مرافق والتعرف على الظروف الطبيعية بها من حيث: المساحة، التهوية، الإضاءة، ومستوى النظافة، ومدى استيعاب الورشة لحجم العمالة والأدوات الموجودة بها، وتأثير ذلك على أشكال التفاعل بين الحرفيين وبعضهم البعض سواء على المستوى الداخلى للورشة أم على المستوى الخارجى بين الورش وبعضها البعض، وكذلك بينها وبين المجتمع المحلى الحاضن لها وأفراد المجتمع الآخرين، والاهتمام أيضاً بتحليل لغة التخاطب بين الحرفيين وأسلوب التحدث والرموز المستخدمة فى الحياة اليومية داخل الورشة.

- وحدة المعيشة :

حرصت على دراسة وحدات المعيشة الخاصة بالحرفيين من خلال ملاحظة مستوى المسكن وتأثيثه والأجهزة الكهربائية الموجودة به، وكذلك فيما يتعلق بالزوجة ومستواها التعليمى، وشكل الزى الذى ترتديه وأسلوب التحدث. كما قمت بإجراء مقابلات مع الزوجة والأبناء للتعرف على مدى رضاهم عن عمل رب الأسرة وطموحاتهم المستقبلية، وأساليب تقضية وقت الفراغ وغيرها من جوانب الحياة المختلفة. وقد تم جمع تلك البيانات باستخدام دليل دراسة الحالة (ملحق رقم ٢) فضلاً عن المقابلات الحرة مع حالات الدراسة.

ثانى عشر: الصعوبات التي واجهت الدراسة :

أثناء إجراء الدراسة واجهتنى بعض الصعوبات التى تتمثل فيما يأتى:

١- ندرة الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية على المستوى المحلى حول العمل الحرفي بصفة عامة ونوعية حياة العمل بصفة خاصة.

٢- عزوف بعض أصحاب الورش عن التعاون مع الباحثة خوفاً من الضرائب أو تعطيل العمل، وكذلك الخوف من مكتب العمل والتأمينات وخاصة الورش غير المرخصة.

٣- ضيق مساحة معظم الورش وتركزها في ممرات ضيقة للغاية وعدم اهتمام أصحابها بنظافتها مما جعل عملية الوصول لتلك الورش أمراً عسيراً.

٤- القيام بتطبيق الاستبانة عن طريق المقابلة الشخصية ومعاودة الرجوع إلى المبحوث أكثر من مرة حسب ظروف عمله حتى لا يشعر بالضيق والملل، مما أدى إلى استغراق الكثير من الوقت والجهد.

٥- افتقار البيانات الإحصائية الرسمية لأي معلومات تفصيلية عن تصنيف الورش وحجمها في المنطقة مما دفع الباحثة إلى ضرورة رفع المنطقة، إضافة إلى عدم توفر الخرائط التفصيلية التي توضح أماكن تركز الورش داخل منطقة الجمالية.

٦- صعوبة دخول وحدات المعيشة الخاصة بالحرفيين، فكان غالبيتهم يبدى اعتراضاً شديداً لذلك على الرغم من ثقتهم واطمئنانهم للباحثة، وقد يرجع ذلك إلى الثقافة الحرفية التى يتمتع بها الحرفى، حيث إن الحرفى دائم الاعتزاز والفخر بنفسه وهيئته، فلذلك كان يرفض تماماً أن يخترق أحد أسراره المعيشية والحياتية.

٢

الفصل الثانى
الإطار النظرى للدراسة

مقدمة
أولا: نوعية الحياة من المنظورات العلمية المختلفة.
ثانيا: نوعية الحياة من منظور علم الاجتماع.
ثالثا: الإطار النظرى للدراسة.
١- النموذج المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز.
٢- أنسنة العمل.
٣- قضايا وفروض أخرى.

الفصل الثانى
الإطار النظري للدراسة

مقدمــة :

يعـــد موضوع نوعية الحياة نطاق بحث مشترك بين العديد من العلوم الإنسانية والــتى يأتى فى مقدمتها: علم الاقتصاد، وعلم النفس، وعلم البيئة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجــيا. إذ حاول كل علم من تلك العلوم استكشاف ملامح نوعية الحياة فى مجاله، وقد تباينت هذه العلوم عن بعضها البعض فيما يتعلق بطبيعة المتغيرات الأساســية أو المســتقلة الــتى تشــكل نوعــية الحياة من حيث كونها ذات طبيعة موضــوعية أو ذاتية؛ وذلك نظراً لتباين الرؤى والتوجهات النظريــة التى يعتنقها الباحــثون فى هذا المجال. وحيث إن دراسة نوعية الحياة لم تكن تمثل هدفا لعلماء الاجتماع، فقد جاءت العديد من الإسهامات فى هذا المجال ضمنياً فى إطار تناولهم لدراســة المجتمع الإنساني وتغيره، ونظرًا لتناثر هذه الإسهامات مع تزايد الاهتمام بنوعــية الحياة فى العقدين الأخيرين، فسوف يعرض هذا الفصل بإيجاز لإسهامات العلمــاء فــى دراســة نوعــية الحياة من المنظورات العلمية المتنوعة وكذلك من المنظور الاجتماعي، مع التركيز علي أهم الفروض والمقولات الأساسية بكل منها. إلا أن الدراســة الراهنة تنطلق أساساً من المقولة السادسة بالنموذج المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز (١٩٥١م) والتى تنص على: " يعكس أسلوب الممارسة الحرفية نوعــية الحــياة الاجتماعية للحرفي وأسلوب معيشته". (Mills,1951: 220-222)، ولما كانت هذه المقولة دالة للمقولات الخمس الأخرى فى ذلك النموذج، فقد اتخذت الباحــثة مــن المقــولات الست الأساسية فى ذلك النموذج إطاراً تصورياً لها فى الدراسة الراهنة.

كمــا حاولت الدراسة استكمال هذا الإطار النظرى ببعض قضايا أنسنة العمل Humanization of work، إضــافة إلى بعض النظريات الكبرى فى دراسة نوعية الحــياة، وكذلــك بعــض الفروض النظرية المستمدة من النتائج التى توصلت إليها الدراسة الرائدة فى الوطن العربى على حد علم الباحثة التى قامت بها أستاذتى الأســتاذة الدكــتورة/ اعتماد علام حول: "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغــير" (١٩٩١م) حيث قامت باختبار المقولات الخمس الأولى فى النمط المثالى للحرفــية، وتــم تطبيقها على عدد من الصناعات والحرف التقليدية كصناعة مواقد الكيروسين ودبل البخت، والخيامية، والنقش على النحاس.

وتأسيساً على ما سبق، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام أساسية، يستعرض الأول نوعية الحياة من المنظورات العلمية المتباينة والتى تتمثل فى: علم الاقتصاد وعلم النفس، وعلم البيئة .ويتناول الثانى، نوعية الحياة من منظور علم الاجتماع وتطور حركة المؤشرات الاجتماعية. بينما يركز الثالث على الإطار التصورى للدراسة كما يمثله النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز، إضافة إلى عدد من القضايا والفروض النظرية الاخرى والمستمدة من: قضايا أنسنة العمل Humanization of work، والنظريات الكبرى فى دراسة نوعية الحياة، وبعض نتائج الدراسات السابقة.

أولا: نوعية الحياة من المنظورات العلمية المتباينة :

رغم حداثة مفهوم نوعية الحياة The Quality of Life والذى أصبح اليوم من المفهومات الشائعة، إلا أن بداية الاهتمام بدراسات نوعية الحياة كانت منذ فترة طويلة، فبداية من العصور الوسطى فى أوروبا كانت البدايات عامة وشائعة فى محاولة لتتبع أحوال المجتمع، إلا أنها أصبحت فى القرن العشرين معرفة علمية مقننة طورت مناهج وطرق للبحث لصيقة بها، حتى أصبح مبحث نوعية الحياة الآن من المباحث التى تلقى اهتماما من جانب علوم إنسانية عديدة (هناء الجوهرى، ١٩٩٤: ٦). ومن ثم سنتناول فيما يلى المنظور العلمى لكل منها فى دراسة نوعية الحياة، بدءاً من المنظور الاقتصادى، فالمنظور النفسى، ثم المنظور البيئى.

١- الحياة من المنظور الاقتصادى Economical Perspective:

يعتمد المدخل الاقتصادى التقليدى فى تعريف نوعية الحياة على الأرقام أساساً، بحيث يمكن القول إن المدخل الاقتصادى يقدم نوعية الحياة بلغة كمية من خلال الاعتماد على النظريات والمنظورات الاقتصادية واستخدام مفهوماتها وأساليب التحليل الاقتصادى لبناء مؤشرات نوعية الحياة، حيث كان التركيز على بعض المفاهيم كالإنتاج والتوزيع والسلع والخدمات وعلاقتها بنوعية الحياة، كما أن علماء الاقتصاد اعتبروا أن صافى الدخل القومى ونصيب الفرد من الدخل القومى لفترة طويلة مؤشراً لنوعية الحياة ومستواها (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧٢).

وقد اتجه الاقتصاديون بعد ذلك إلى توسيع مدخلهم عن طريق الاهتمام بالنمو الكيفى بجانب النمو الكمى مع الأخذ فى الاعتبار بأهمية الوقت كمؤشر لنوعية الحياة؛ على اعتبار أن الوقت يمثل أحد الموارد المحدودة وأن حجم وقت الفراغ والأنشطة التى تمارس فيه وكيفية الاستمتاع به تكشف جميعها عن مستوى نوعية الحياة.

كذلــك لم يعد المدخل الاقتصادى مقتصراً على الأخذ بنصيب الفرد من الدخل القومى بل بدأ يهتم بفكرة عدالة التوزيع فى كم ونوع السلع والخدمات وفى الفرص المــتاحة للحصــول علــيها (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧٣) مما يؤكد أن مفهوم نوعية الحياة من هذا المنظور هو مفهوم اقتصادى أكثر منه اجتماعياً أو معنوياً.

٢- نوعية الحياة من المنظور النفسى Psychological Perspective:

تركــز المداخــل النفســية فى دراسة نوعية الحياة على الاحتياجات الإنسانية وإشــباعها والاعــتماد علــى رؤية الفــرد وإحساسه ومشاعره، فشعور الفرد بأن الأحــوال حسنة أو سيئة يتوقف على مدى شعوره بإشباع حاجاته. ومن هنا تستند مؤشــرات نوعية الحياة على إدراك الفرد لنفسه وتقويمه ومشاعره واتجاهاته للحياة ككل أو لجوانب معينة منها (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧٣) .

وكــان هناك العديد من الإسهامات النظرية فى تناول مفهوم نوعية الحياة من المــنظور النفســي والتى يأتى فى مقدمتها: نظرية تدرج الحاجات Need Hieararchy لإبراهام ماسلو Maslow، الذى يرى أن الحاجات الفيزيقية فى ارتباطها بالحاجات الحــيوية تؤلف الأساس فى دراسة نوعية الحياة، فكل فرد ينتقل من مستوى الحاجة الأدنــى إلــى الأعلــي، ويعــد تحقيق الذات (حاجات الأنا) Ego needs هى القمة المستهدفة، وذلك مروراً بخمس مراحل أساسية هى: الحاجة إلى البقاء، والحاجة إلى الأمــن، والحاجــة إلى الانتماء، والحاجة إلى التقدير الاجتماعى وأخيراً الحاجة إلى تحقيق الذات .

ويرى ماسلو أن الفرد يشبع حاجاته وفق نظام صاعد من الحاجات الأدنى إلى الأعلــى، كما أنه يؤكد أن إشباع هذه الحاجات بالنسبة للفرد قد يتعرض للتعقيد أو التيســير بســبب المجــتمع أو البيــئة، والــتى يمكن قياسها بمؤشرات موضوعية .(Sirgy,2001: 244)

وهــناك أيضــا نظرية الإفاضة (التكامل) Spillover Theory لدراسة نوعية الحياة، والتى تفترض أن تحقيق الإشباع والرضا فى أحد مجالات الحياة ربما يؤدى إلى الشعور بالرضا فى مجالات الحياة الأخرى .فالرضا عن العمل مثلا يؤدى إلى الرضــا عــن مجــالات الحياة الأخرى كالأسرة ووقت الفراغ، والصحة والبيئة، والأبــناء... وغيرها .ويتم تناول هذا المدخل على مستويين: مستوى أفقى، وآخر عمــودى، بالنسبة للمستوى الأفقى: فهو يعنى تأثير أحد مجالات الحياة على المجال المجاور له. أما المستوى العمودى فيفترض أن الحياة مقسمة إلى مجالات أساسية،

كـالعمل، والعلـم، والأسرة، ووقت الفراغ، والمجتمع المحلى وغيرها، وأن تلك المجـالات يتم ترتيبها تدريجياً فى عقول الأفراد، حيث يتباين هذا الترتيب من فرد إلى آخر حسب أهميتها النسبية عند كل منهم، ويأتى فى قمة هذا التسلسل أكثر تلك المجـالات سـيطرة والـتى غالباً ما تكون الحياة ككل Overall Life، بمعنى أن الشـعور بالرضا أو عدم الرضا فى هذا المجال (الحياة ككل) يعبر عن نوعية حياة الفرد (Sirgy,2001: 244).

ممـا سبق نجد أن نوعية الحياة من المنظور النفسي تهتم بعدد من المفهومات كالرضا، والإشباع والطموح كما يدركها الفرد ذاته

٣- نوعية الحياة من المنظور البيئي Environmental Perspective:

اتجـه أنصار المدخل البيئي فى بناء مؤشرات نوعية الحياة إلى التركيز على المؤشـرات الموضـوعية لنوعـية الحياة من منظور الحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعـية، ثم لم يلبث أن اتسع فلم يعد قاصرا على المؤشرات التقليدية للبيئة، والتى تشـمل: الماء والهواء والتربة وكل ما يتعلق بالحياة الطبيعية من حيوان ونبات، بل امـتد ليشمل علاقة الإنسان بالمكان من كافة أبعادها، بل وعلاقة الإنسان بالزمان أيضـا. فقد مهد المدخل البيئي الطريق أمام المدخل الأيكولوجى الذى يأخذ بمنظور الـتفاعل بين الإنسان والبيئة فى بناء مؤشرات نوعية الحياة، ومن ثم أفسح الطريق أمام الأخذ بالمؤشرات الذاتية (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧١،٧٢) .

ويـنظر أصـحاب المـنظور البيئى إلى أن نوعية حياة الإنسان تعتمد بشكل أساسـى علـى نوعية البيئة، لأنها هي التى تتحكم فى حجم الجهد المبذول من قبل الإنسـان مـن أجـل أن يـتعايش مع البيئة تعايشاً منتجاً ومفيداً فى سبيل تحقيق الرفاهية، وبالتالى فإن تحسين نوعية البيئة يستتبع تحسين نوعية حياة الأفراد، وهو ما يؤكد وجود علاقة وثيقة ومتبادلة بين العوامل البيئية والعوامل المتعلقة بإحساس الفرد بما يمثل بالنسبة له نوعية حياة مرغوبة (هناء الجوهرى، ١٩٩٤: ٦٦).

ثانيا: نوعية الحياة من منظور علم الاجتماع Sociological Perspective:

ظهـر علـم الاجـتماع مرتبطاً أساساً بدراسة النظم والثقافة، فظل فى نشأته وتطـوره علمـاً مؤسسـياً، حيث انشغل الآباء المؤسسون " دور كايم، وماركس، ومـاكس فيبر " بتحليل الأبنية الكلية للمجتمع، فاهتم ماركس بأنماط الإنتاج والأبنية الفوقـية، بينما انشغل دور كايم بأشكال التضامن الاجتماعى وقوانينه، فى حين اهتم ماكس فيبر بالفهم الداخلي لمعاني الأفعال الاحتمالية. وفى كل هذه التحليلات غاب

الفرد وغابت الحياة اليومية ومن ثم غابت نوعية الحياة، وظهر علم الاجتماع بشكل مؤسسى سافر يهتم بالنظم والأنماط الضابطة (أحمد زايد، ١٩٩٢: ١٤، ١٥).

وعلـــى الرغم من ابتعاد العلماء الأوائل عن هذا الموضوع "نوعية الحياة" بشكل مباشـــر، مما أدى إلى عدم وجود نظريات خاصة بنوعية الحياة فى علم الاجتماع، إلا أنـــنا نجد العديد من الصياغات النظرية التى تتناول نوعية الحياة سواء على مستوى المجـــتمعات أم الجماعـــات أم النظم بشكل غير مباشر فقد أبدى علماء الاجتماع اهـــتماماً خاصـــاً ببعض القضايا التى تتعلق بماهية الحياة ككل، وكيفية إدراك الأفراد لهـــا، وكيفـــية إدراك الأفـــراد للواقـــع الذى يعيشونه، إضافة إلى الاهتمام بعدد من المؤشـــرات (المتغـــيرات) الـــتى تتمثل فى: الطبقة الاجتماعية، والتغير الاجتماعى، وتقسيم الوقت، ووقت الفراغ، والقيم... وغيرها (هناء الجوهرى، ١٩٩٦: ٧٢، ٧٣).

ومـــن ثـــم فقـــد ارتبط تطور الاهتمام بدراسة نوعية الحياة فى علم الاجتماع بـــتطور حركة المؤشرات الاجتماعية Social Indicators، والتى كانت دالة على نضـــج التنظـــير السوســـيولوجى، ونهاية الازدواجيات التى أرهقت علم الاجتماع وقيدت حركته.

حيـــث تعبر المؤشرات الاجتماعية – من وجهة النظر السوسيولوجية – عن الملامـــح التى يمكن تحديدها بسهولة فى المجتمع والتى يمكن قياسها، وهى تختلف مـــن زمن إلى آخر وتعد معبرة عن بعض جوانب الحقيقة الاجتماعية فى المجتمع. ومعظم المؤشرات الاجتماعية المستخدمة يتم استخلاصها من الإحصاءات الرسمية والـــتى تتضـــمن أعـــداد المتعطليـــن ومعدلات الحالة الصحية والوفيات ومعدلات الجـــريمة، وتســـتخدم المؤشرات الاجتماعية عادة لتحديد وتقييم مدى ما وصل إليه المجـــتمع مـــن تقـــدم إضافة إلى التنبؤ بما سيحدث فى المستقبل. ومن ثم أصبحت تســـتخدمها الحكومات على نطاق واسع، وأصبح ميدان المؤشرات الاجتماعية يمثل فـــرعاً متميزاً من فروع علم الاجتماع وأصبحت له دوريات علمية متخصصة فى تحديـــد ومناقشـــة أكثرها قدرة على قياس الواقع والتعبير عنه (مارشال،٢٠٠١ : ١٤٢٠،١٤٢١).

فكـــان للمؤشـــرات الاجتماعية عند علماء الاجتماع دوراً محورياً فى دراسة نوعـــية الحياة، فهى تقيس حجم المدخلات كما تعد مقاييس للمخرجات، إضافة إلى ذلـــك فهى أدوات قياس كلية تحدد من ناحية مستوى نوعية الحياة فى المجتمع، كما تشـــكل قياســـا لمســـتويات الإشباع الذى تحقق للأفراد الذين يعيشون فى إطارها،

ودرجة إحساسهم بالرضا عنها، والمشكلات التى تعوق هذا الرضا أو العوامل التى تيسر تحققه بدرجة أكثر كفاءة وفاعلية (هناء الجوهرى، ١٩٩٦: ٧٢،٧٣).

وقد كان هناك العديد من الإسهامات التى بذلت لتأسيس المؤشرات الاجتماعية بهدف قياس حركة الواقع وتفاعلاته والآثار الناجمة عن هذه التفاعلات، وفى ضوء هذه الإسهامات يمكن تصنيف المؤشرات الاجتماعية إلى ما يعرف بالمؤشرات الموضوعية Objective Indicators التى تستند إلى وقائع وظروف الحياة الاجتماعية، والمؤشرات الذاتية Subjective Indicators التى تستند إلى الإدراك والتقدير الذاتى الذى يقيم الأفراد من خلاله الحياة التى يعيشونها فى المجتمع .وقد أكد المتخصصون فى هذا السياق على أن نوعية الحياة بالنسبة للفرد تعبر عن مجموعة من المطالب والحاجات التى بعد إشباعها أو توفيرها بشكل كامل تجعل الفرد سعيداً أو راضياً (هناء الجوهرى، ١٩٩٦: ٧٦) . إلا أنه لا يوجد تحديد دقيق لأهم المؤشرات الاجتماعية المستخدمة فى قياس نوعية الحياة، وإنما تنوعت وتباينت فى البحوث الاجتماعية بشدة مما أدى إلى عدم وجود نظرية عامة فى دراسة نوعية الحياة من المنظور السوسيولوجى، إضافة إلى عدم وجود مقاييس أو مؤشرات محددة لقياسها. وسنتناول فيما يلى كلا من المدخل الموضوعى والمدخل الذاتى فى قياس نوعية الحياة وبناء المؤشرات الاجتماعية.

١- المدخل الموضوعى Objective Approach:

هو ذلك المدخل الذى يعتمد على المؤشرات الموضوعية فى رصد نوعية الحياة وقياس التغير فيها وتقويمها، وكان من أنصار ذلك المدخل الإحصائيون، والعاملون بأجهزة الدولة الاحصائية والمخططون فضلا عن المنظمات الدولية المهتمة بالتنمية، وكان هناك العديد من المحاولات البحثية التى اعتمدت على ذلك المدخل فى دراسة نوعية الحياة، ويأتى فى مقدمتها جهود منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD وذلك من خلال برنامجها الطموح الخاص بالمؤشرات الاجتماعية والتى هدفت منه إلى قياس نوعية الحياة فى عدد من الدول فى عام ١٩٧٠م، وحددت منظمة OECD ثمانية مجالات أساسية لقياس نوعية الحياة، وتشمل: التعليم، العمل، الوقت، ووقت الفراغ، الطلب على السلع والخدمات، البيئة الفيزيقية، البيئة الاجتماعية، والأمان الشخصي. وقد فرض المدخل الموضوعى نفسه على بناء هذه المؤشرات حيث كان مصدر بياناتها الأساسى هو الإحصاءات المتوافرة على مستوى الدول فضلا عن نتائج المسوح (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٦٥،٦٦).

ومـــن الجهود الأخرى التى بذلت فى هذا الصدد، محاولات وضع دليل قياسي لنوعية الحياة بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد تحددت مجالات الاهتمام الاجتماعى بتســعة مجـــالات، تمثلــت فى: الصحة، والأمن العام، والتعليم، والعمل، والدخل، والفقر، والإسكان، والاستقرار الأسرى، والحرية والمساواة (١٩٦٩م)، وقد بلغ عدد المؤشرات لكل مجال مؤشرين أو ثلاثة مؤشرات، وتم حساب التغير فى كل مؤشر مـــن تلـــك المؤشرات سنوياً، وبزيادة عدد المؤشرات التى تعكس تحسنا فى نوعية الحياة عن تلك التى تعكس تدهورا فى نوعية الحياة فى كل مجال من تلك المجالات يمكن الحكم على نوعية الحياة بصفة عامة فى كل مجال من مجالاتها (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٦٦،٦٧) .

٢- المدخل الذاتى Subjective Approach:

يقوم هذا المدخل على العكس تماماً من المدخل الموضوعي، حيث يعتمد على المؤشـــرات الذاتـــية لرصـــد نوعية الحياة، فيرى أنصار هذا المدخل أن المهم هو نوعـــية الحـــياة كمـــا يخـــبرها ويدركها ويستجيب لها الأفراد وما تحققه لهم من إشـــباعات، ومن ثم مدى شعورهم بالرضا أو بالسعادة. فسعادة الناس ورضاهم أو تعاستهم وعدم رضاهم يعتمد على تقويمهم الذاتى ومدى إدراكهم لحالتهم، وكان من أنصـــار ذلك المدخل علماء العلوم الاجتماعية وعلماء علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع على وجه التحديد.

وتزخـــر أدبـــيات مؤشـــرات نوعية الحياة، وخاصة فى منتصف السبعينيات بـــنماذج عديدة لبحوث أخذت بالمدخل الذاتى فى بناء مؤشرات نوعية الحياة، ويأتى فـــى مقدمـــتها البحث المتميز لكل من فرانك أندروز Frank Andrews، وستيفين ويـــثى Stephen Withey الـــذى نشـــر فى عام ١٩٧٦م، وقاما فيه بتحديد أربعين مجـــالا مـــن مجالات نوعية الحياة. كما كان لهيئة اليونيسكو دوراً بارزاً فى مجال بـــناء المؤشرات الذاتية وفى محاولة لتحديد العلاقة بين نوعية الحياة كما ترصدها المؤشـــرات الذاتـــية وبيـــن قيم الأفراد ومعتقداتهم وأهداف حياتهم وطموحاتهم...، (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٦٨،٦٩) .

وهكذا، وعلى وجه العموم يهتم المدخل الذاتى فى بناء مؤشرات نوعية الحياة عـــادة بنوعية الحياة على المستوى الكلى Global Level، وعلى مستوى الاهتمام الفرعى، حيث يسعى إلى معرفة مدى رضاء الناس عن الحياة ككل، ومدى رضائهم عن جوانب ومجالات الحياة التى تشكل اهتماما لديهم .

٣- المدخل الموضوعي والذاتي في بناء مؤشرات نوعية الحياة :

أكـد الـتراث الـنظرى المعاصـر على ضرورة المزج بين كل من المدخل الموضوعى والذاتى فى دراسة نوعية الحياة، حيث إن أياً منهما لايغنى عن الآخر، وفـى ضوء ذلك ظهرت العديد من المحاولات التى اتخذت من كل من المؤشرات الموضـوعية والذاتـية كمؤشـرات أساسـية لقياس نوعية الحياة من خلال قياس الظـروف الواقعـية الموجـودة بالمجتمع والتى يعيشها الأفراد وتؤثر على درجة رضـاهم أو عـدم رضـاهم ودرجـة سعادتهم أو سخطهم عن الحياة ككل أو فى مجالات محددة منها (ناهد صالح، ١٩٩٠: ٧٠).

كمـا ظهـر حديثاً الدعوة إلى ضرورة النظر إلى نوعية الحياة ككل متكامل، نظـرياً ومنهجـيا، بمعنى ضرورة الجمع بين كل من المنظور البيئى والاقتصادى والنفسـى والاجـتماعى فـى دراسة نوعية الحياة؛ من أجل الكشف عن الواقـع الاجـتماعى والظروف المجتمعية التى يعيشها الأفراد وبين الإستجابة لهذا الواقع مـن جانب الأفراد والفئات الاجتماعية والمجتمعات معبرين عنها بمدى الرضا أو السخط، وبمدى السعادة أو التعاسة..

ثالثًا: الإطار النظرى للدراسة :

تنطلق الدراسة الراهنة بصفة أساسية من المقولة السادسة فى النموذج المثالى للحرفـية عند س.رايت ميلز (كإطار نظرى للدراسة) إضافة إلى الاستعانة ببعض قضـايا الاتجاه نحو أنسنة العمل Humanization of work، مع عدد من القضايا النظرية الأخرى المستخدمة فى دراسة نوعية الحياة والتى قد تفيد فى دراسة نوعية حـياة تلك الفئة من الأفراد وهم المشتغلون بالحرف والصناعات التقليدية، مما يفيد فـى تحلـيل نـتائج الدراسـة الراهنة والتى تتعلق بنوعية حياة الحرفيين فى حى الجمالية بمدينة القاهرة .

١- النموذج المثالى للحرفية:

تشير الحرفيـة Craftsmanship كما هى عند أندرسون Anderson إلى "أن العمـل نفسه يكون هو المصدر الأكبر للرضا، إذ أن فعالية أداء أى عمل تتمثل فى بعـض درجـات مـن الرضـا أو الإشـباع أو الشـعور بالـتفوق والسيطرة " (Anderson,1964: 80).

ومع بداية النصف الثانى من القرن العشرين صاغ ميلز نموذجه المثالى للحرفية كـأداة تحليلية، ويتضمن هذا النموذج خصائص ست لو تكاملت جميعها أو معظمها

عند الحرفى الممارس للعمل اليدوى فإنها تحقق لديه الإشباع الذاتى والرضا الكبير إزاء ما يقوم به من عمل. وتتمثل تلك الخصائص فى: Mills, 1951: 220-224 ؛ اعتماد علام، ١٩٩١: ٤٩،٤٨.

- أن الإنتاج هو الدافع الوحيد للعمل الحرفى، وأن هذا الدافع يعتمد على خاصيتين أساسيتين هما :الخلق والإبداع.
- أن تفاصيل العمل الحرفى ذات أهمية قصوى عند الحرفى، نظراً لأن التفاصيل تعتمد على ما يتمتع به الحرفى من إبداع اكثر من اعتمادها على مواصفات أو كمية الإنتاج من السلع الحرفية.
- تمتع الحرفى بالاستقلال الذاتى المتمثل فى هيمنته الكاملة على أسلوب العمل خلال مراحل التشغيل المختلفة التى يمر بها المنتج الذى يصنعه.
- أن ممارسة العمل الحرفى تتيح للعامل القدرة على التعلم واكتساب الخبرة، مما يفيد فى تطوير مهاراته وقدراته اللازمة للإنتاج الحرفى.
- عدم الفصل بين ساعات العمل اليومية وأوقات الفراغ والراحة، وأن التداخل بينهما واضح خلال العمل اليومى.
- يعكس أسلوب الممارسة الحرفية اليومية (أسلوب حياة العمل)عند الحرفى نوعية حياته الاجتماعية وأسلوب معيشته بصفة عامة.

وقد اتخذت من المقولة السادسة فى ذلك النموذج إطاراً نظريًا للدراسة الراهنة، والتى لم تحظ بالدراسة من قبل (فى حدود علمى) بينما حظيت الخمس مقولات الأولى بالدراسة والتحليل من قبل إحدى الدراسات العربية الرائدة فى هذا المجال وهى الدراسة التى قامت بها أستاذتى الدكتورة اعتماد علام فى سنة ١٩٩١م حول عدد من الحرف والصناعات التقليدية، فى محاولة للكشف عن مدى تمثل تلك الخصائص الحرفية فى تلك الحرف والصناعات التقليدية ومدى إتصافها بالثبات والتغير.

إلا أنه فى إطار النموذج المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز لا يمكن فصل المقولة السادسة عن المقولات الخمس الأخرى، حيث تتكامل جميعها فى اطار الكشف عن نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته.

وفيما يلى شرح المقولات الست وما تتضمنه من خصائص:

- تشير الخاصية الأولى إلى أنه لا يوجد دافع فى العمل الحرفى سوى الإنتاج الذى يعتمد بصفة أساسية على ما يمتلكه الحرفى من القدرة على الإبداع، فقد

ذكــر آرنسبرج Arensberg أن: " الإبداع Inventiveness هو محور أساسى فــى أى عمل يقوم به الحرفى" (Anderson,1964: 79)، كما أن هناك العديد من الدوافع الأخرى للعمل الحرفى التى قد تتمثل فى تحقيق المكسب والشهرة، إلا أنها تعد بمثابة نتائج للعمل والإنتاج وليست دوافع له (Mills,1973:11).

- ترتبط الخاصية الثانية بالعلاقة الداخلية بين الحرفى والشىء الذى يصنعه التى تــتعدى مجــرد العلاقــة القانونية له، حيث تبدأ علاقة الحرفى بالشىء الذى يصــنعه بــدءًا مــن تصوره فى خياله، مما يجعله أكثر ارتباطًا بالمنتج الذى يصــنعه حتى إنه يعتبره جزءًا منه ويكون على وعى بكل تفاصيله ومراحل إنــتاجه، ويعــنى هذا أن العلاقة بين المنتج والمنتج تبدو سيكلوجية أكثر منها قانونية وإذا حدث ذلك يصبح الحرفى اكثر دافعية وحبًا للعمل، فالاهتمام بدقة العمــل وإتقانه والوعى بكل تفاصيله من أهم مقومات رضا الحرفى أكثر من الاهتمام بكمية المنتج ومواصفات الإنتاج (Mills,1973:11).
- تشــير الخاصية الثالثة إلى ما يتمتع به الحرفى من الحرية والاستقلال الذاتى، فلابــد أن يكون الحرفى حراً فى البدء فى العمل حسب أسلوبه وطريقته، كما تكون له الحرية فى التعديل أو التغيير من شكل المنتج أو الأدوات المستخدمة فــى صناعته حسب آرائه وذوقه وإبداعه، فالحرفى يكون مسئولاً عما ينتجه، وعلــيه أن يــتحمل كافة المشاكل والصعوبات التى تواجهه فى سبيل تحقيق أهدافــة المــرجوة، وكلمــا كان الحرفى أكثر حرية فى عمله كلما كان أكثر رضــاءاً وسعادة (Mills,1973:12) إلا أن هذه الحرية لا يجب أن تتعارض مع قواعد العمل الحرفى وأسسه (Anderson,1964:78).
- وتعنى الخاصية الرابعة فى خصائص الحرفية أن عمل الحرفى يتضمن تنمية مهاراته وقدراته كما تتضمن تنمية نفسه كرجل أيضا. والتنمية الذاتية للحرفى تمــثل هدفــاً أبعد، فهى نتيجة تراكمية يمكن تحقيقها عن طريق الإقبال على العمل باستمرار ومشاركة الآخرين (زملاء العمل) والتعلم من خلال أفكارهم وخــبراتهم مما يفيد فى تنمية مهاراته وقدراته كحرفى ممارس للعمل ومن ثم تنمية ذاته أيضاً (Mills,1973: 12).
- تــتعلق الخاصية الخامسة بوقت العمل الحرفى، إذ يتسم بالمرونة الشديدة فى تحديــد ســاعات العمل وفى تحديد أوقات الفراغ والراحة، مما يتيح للحرفى إمكانــية تحديد أوقات راحته حسب ظروفه الاجتماعية وأحواله الصحية مما يســهم فى تحقيق أكبر قدر من الرضا والإشباع الذاتى لدى الحرفى، إذ يمكنه

الموازنـــة بيـــن ظروف عمله وبين متطلبات حياته الاجتماعية والأسرية، كما يسهم ذلك أيضاً فى عدم شعور الحرفى بروتين وملل العمل الذى يقوم به.

- تشير الخاصية السادسة إلى أن الحياة الاجتماعية للحرفى ليست مجالا منفصلا عن مجال عمله، فكل ما يتعلمه الحرفى من قيم وأفكار وثقافة ينتقل إلى مجال حياته الاجتماعية، فالورشة نسق اجتماعى مفتوح، ومن ثم ينعكس أسلوب حياة العمـــل لـــدى الحرفى على أسلوب حياته ككل فى علاقته مع زوجته وأبنائه وجيرانه وأبناء المجتمع المحلى الذى يعيش فيه.

٢- قضايا أنسنة العمل :

يقصد بالاتجاهات الإنسانية فى علم الاجتماع Humanistic Sociology بحوث علـــم الاجتماع التى تعارض المناحى الميكانيكية والمناحى المجردة والمناحى التى تتسم بالمغالاة، وتحاول هذه الاتجاهات أن تقدم عوضا عن ذلك تحليلاً اجتماعياً فى خدمـــة الإنســـانية، يهـــتم بالذاتية الإنسانية والإبداع موضحاً كيف يستجيب الأفراد للضوابط الاجتماعية وكيف يقومون بدور إيجابى فى تشكيل عالمهم الاجتماعى، إذ يهـــتم بالخـــبرات الإنســـانية الملموســـة كالكلام والمشاعر والأفعال عبر تنظيمها الاجتماعى والاقتصادى (مارشال،٢٠٠٠: ٨١).

وتشـــير فكـــرة أنســـنة العمل Humanization of work إلى الاهتمام بالعمل كمكـــان اجـــتماعى ومتجانس والتركيزعلى العلاقات الانسانية داخل مكان العمل. فالإشـــباعات المتحققة من خلال العمل بطريقة مباشرة (كالنقود والمكافآت المادية) ترتـــبط بإشـــباعات اجتماعـــية متنوعة مستمدة من العمل أيضاً لكن بطريقة غير مباشـــرة، كالشـــعور بالأمـــان، والتقدير الذاتى، وحب الآخرين، وتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية... وغير ذلك (Anderson,1964: 85,89).

وقـــد ظهـــر هذا الاتجاه كرد فعل للمداخل النظرية التى أكدت على الجوانب الاقتصـــادية والرشيدة للعمل وأغفلت الجانب الاجتماعى لا سيما فى أعقاب الثورة الصـــناعية وظهور نظام المصنع الحديث. وعن الجذور التاريخية لمصطلح أنسنة العمـــل، نجد أنه ظهر حينما بدأ الإنسان يعامل كشىء أو كموضوع فأصبح النشاط الذى يقوم به الفرد يفتقد لسمة الإنسانية وأصبح شيئاً قابلاً للقياس على أساس الوقت المستغرق فى العمل، وبذلك لم يعد الفرد فاعلاً ذا دوراً حاسم فى العملية الإنتاجية، وإنمـــا أصـــبح مكملاً أو تابعاً لعملية التطور التكنولوجى. ومن ثم تعد فكرة أنسنة العمـــل رد فعل للاستغلال غير الإنسانى الخاص بقوة العمل، إضـــافة إلى أنها تعد

اتجــاهــاً نقــديــاً لمنهجية تايلــور Taylor الخاصة بالإدارة العلمية Scientific Manegment التى تهدف إلى ارتفاع الحد الأقصى من الأداء الفيزيقى للعامل وفى أقل وحدة زمنية (Kvapilova,2001: 1-2).

وقــد ارتبطت فكرة أنسنة العمل، فى البداية بالتراث الماركسي حيث ارتبطت بالتغــير الكيفى فى العمل من خلال وسائل تحقيق الذات وإثبات الهوية الشخصية، فكما يذهب ماركس إلى أن الإنسان لابد أن يدعم نفسه كفاعل وكمفكر وكمبدع قادر على التطور الذاتى، وبذلك يرتبط الشعور بالرضا والسعادة عند الإنسان من خلال علاقته الطبيعية بالمجتمع من خلال العمل. ومن ثم فإن فكرة أنسنة العمل لا ترتبط بالعمل Labor كمعنى اقتصادى، ولا أيضا بالعمل Work كمعنى ثقافى، بل نجدها ترتبط بالمعانى الآتية: (Kvapilova,2001: 1-4).

- تحسين البيئة المادية وظروف العمل
- خلق المناخ النفسي الملائم الذى تسوده المحبة والتعاون داخل مواقع العمل.

وهكــذا تفهــم عملية أنسنة العمل على أنها العملية التى تسهم فى التغير التدريجى للعــامل من مجرد شيء أو موضوع قابل للقياس إلى ذات فعالة فى الإدارة الشخصية، وهــى العملية التى يتم من خلالها تحويل معنى العمل إلى تحقيق الذات أو تنمية الهوية الشخصية للفرد والتى يتم من خلالها إشباع الحاجات الخاصة بالإنسان.

وتأسيساً على ذلك، يتضمن الاتجاه نحو أنسنة العمل عدداً من الفرضيات، فمن الواضــح الــيوم أن العمــل أصبح لا يلائم الطبيعة البشرية على الإطلاق، كما أن الاســتمرارية والتواصــل فــى العمل تعد ذات أهمية قصوى لدى الأفراد من أجل مواجهة احتياجاتهم الأساسية، فإذا كان العمل غير مرغوب فيه، فيسعى هذا الاتجاه إلى البحث عن الطرق الممكنة لجعل العمل أكثر إرضاءً وإشباعاً للأفراد مع تحقيق ذلــك دون اللجــوء إلــى نقص الكمية أو الكيفية فى الإنتاج. كما يهتم هذا الاتجاه بضــرورة التحرى عن مدى رضاء الأفراد عن عملهم فى ظل الظروف الراهنة، وتحديد الظروف التى فى ظلها يمكن أن يصل الأفراد إلى الحد الأقصى من السعادة والرضا فى مجال العمل.

وهكذا فيعرف هذا الاتجاه أساساً بأنه السعى من أجل خلق عمل أكثر ملاءمة لكــى يؤديــه أو يقــوم به الأفراد البالغون، وهو يرفض تماما أن يكون هناك (أى احتمالــية للملــل والروتيــن فــى العمــل. وفرضــيات هــذا الاتجاه تتمثل فى: (Kahn,1974:199,200).

- أن العمـــل لا يجـــب أن يكون مضراً أو مؤذياً أو مفسداً أخلاقياً أو منهكاً أو محبطاً أو مذلاً باستمرار.
- أن العمل يجب أن يثير انتباه الفرد ويشوقه (يحفزه) للعمل، ويرضيه .
- أن يســتخدم العمل مهارات الفرد وقدراته التى يمتلكها ويساعده على اكتساب مهارات الآخرين وخبراتهم .
- يجب أن يعزز العمل أو على الأقل لا يضعف من اهتمامات الفرد وقدراته فى أداء أدواره الكبرى فى الحياة عموماً (كزوج، وأب، ومواطن، وصديق،...).

وينــبغى الإشــارة إلى وجود مجموعة من المقاييس تشتمل على تلك الأبعاد الســابقة، ولا يوجــد اتفاق عام على تحديد أحسنها أو أفضلها، إلا أن أكثرها قبولا وانتشارا يتمثل فى :

١- القياس بدلالة الرضا وعدم الرضا.
٢- القياس بدلالة مدى التوافق بين الشخص والواقع، بمعنى قياس مدى التوافق بين الدوافع والقدرات الذاتية للفرد من ناحية، والفرص المتاحة ومتطلبات العمل من ناحية أخرى .

ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى:

١- القياس بدلالة الرضا وعدم الرضا، يبنى على افتراض بسيط مؤداه: أن العمل يكــون إنسانياً (ملائماً للطبيعة البشرية) عندما يقرر الأفراد أنهم راضين عن العمــل .وقــد استخدم هذا المدخل البحثى فى العديد من الدراسات. ومن ذلك دراستا ماجريت بولما Margret M. Polma، والتى أجريت أولهما فى عــام (١٩٩٠م)، والثانية فى عام (١٩٩٩م) وتم الاعتماد فى كل منهما على مقياس الرضا المتدرج من أجل الكشف عن أهمية التدين كمؤشر من مؤشرات نوعية الحياة. (وسيتم عرض هذه الدراسات بالتفصيل فى الفصل التالى).

وطالمــا أن إدراك الرضا أو عدم الرضا يتم تحديده ذاتيًا أى يبنى على أحكام مــن الشــخص ذاتــه حسب خبرته وتجربته الشخصية، فانه لا يمكن وضع تعمــيمات بناء على استجابات الرضا كما يعبر عنها الأفراد. لذلك فان قياس الرضـــا يجب أن يكون واحداً من مقاييس أنسنة العمل لكن لا يجب أن يعتمد علــيه منفرداً، فهناك حاجة إلى المقاييس الموضوعية أيضاً إلى جانب المقاييس الذاتية الخاصة بإدراك الفرد بمدى رضاه وسعادته مقابل عدم رضاه وتعاسته (Kahn,1974: 200,201).

ومـن نمـاذج تلـك الدراسات التى اهتمت بالمزج بين المقاييس الموضوعية والذاتية فى قياس الرضا عن الحياة أو عن أحد مجالاتها المختلفة، نجد دراستا جوزيـف سيرجى Joseph Sirgy والتى أجريت كل منها فى عام (٢٠٠١م) واهـتم فى الأولى بالكشف عن تأثير الرضا عن المجتمع المحلى وما به من خدمـات علـى تحقـيق الرضا العام ووضع مقياس للكشف عن نوعية حياة المجتمع المحلى ويهتم كذلك بتحديد معدلات رضا السكان المقيمين بالمجتمع. واهـتم فـى الدراسة الثانية بقياس نوعية حياة العمل للكشف عن تأثير تحقق الرضـا فـى مجال العمل على تحقق الرضا فى مجالات الحياة الأخرى وفى الحـياة ككـل، واسـتخدم فيه أيضاً عدد من المؤشرات الموضوعية، والذاتية (أنظر الفصل الثالث).

٢- اقـترح كثـير من الباحثين أنه يمكن فهم العلاقة بين العامل وعمله من خلال قياس مدى التوافق (التلاؤم) بين السمات الشخصية للفرد وخصائص بيئته فى الواقـع، وتلـك الخصائص والسمات يجب أن تقاس موضوعياً وذاتياً. وقد تم تحديد عدد من المؤشرات لقياس مدى التلاؤم بين الإنسان وبيئته، والتى تتمثل فـى: الإنجـاز، والمصلحة الشخصية، والمسئولية، والتنمية الذاتية، واستخدام المهـارات الشخصية الموجودة، وتنمية مهارات جديدة. ويتنبأ لهذا المدخل أن يتـبوأ مكانـته إلا أن قـيمه تظل متدهورة ومنخفضة تماما، لذلك ففى الوقت الراهـن يعـد قياس الرضا أو عدم الرضا من الأفراد الذين يقومون به أكثر دلالة على نوعية حياة العمل (Kahn,1974: 202).

وفـى ضوء ذلك حاولت العديد من الدراسات أن تحدد العوامل المسئولة عن جعـل الأعمـال اكثر إرضاء بالنسبة للعاملين بها، وقد اختلفت هذه الدراسات فيما بيـنها، حيث لا يوجد مقياس موحد لقياس الرضا عن العمل، إلا أنه يمكن القول أن هـناك عـدد مـن العوامل التى يذكر أنها المسئول الأكبر عن تحديد الرضا وعدم الرضـا فـى العمل، وتتمثل تلك العوامل فى: المهنة والمكانة، العلاقات الندية فى العمـل، مضمون العمل، الأجور والعلاوات، السلوك الإشرافى (الرقابى)، الظروف الفيزيقية فى العمل (Kahn,1974: 202-213).

وهـناك عـدد مـن المحددات الأساسية التى لابد من توافرها فى العمل لكى يكـون مشـبعاً أو مرضـياً للأفراد العاملين به، وتتمثل هـذه المحددات فيما يلي (Spillane, 2004: 11):

- مستوى المهارة: أى أن يكون العمل من النوع الذى يتطلب قدرا من المهارة لأداء الأنشطة الخاصة به، مما يسمح للفرد بالتعبير عن قدراته ومهاراته.
- تكاملية المهام: والتى تشير إلى الدرجة التى يتطلبها العمل فيما يتعلق بتقسيم المهام على العاملين، وانه يجب أن تعتمد على التكاملية أو التماثل فيما بينهم، وعدم تجزئة المهام بالشكل الذى يجعل العامل ينفصل عن المهمة التى يؤديها.
- عائد العمل: بمعنى مدى أهمية ودلالة العمل بالنسبة للآخرين، وبمعنى آخر: مدى التأثير الحقيقى لهذا العمل ونفعيته للآخرين فى العالم الأوسع بصفة عامة.
- الاستقلالية: درجة الحرية التى يسمح بها العمل للأفراد العاملين والتى تبدو فى حرية التصرف فى جدول المواعيد وتحديد أوقات الراحة.
- التغذية الاسترجاعية: وتشير إلى الدرجة التى تسمح للعامل بتنمية قدراته الذاتية والاستفادة من خبرات الآخرين فى مجال العمل.

وانطلاقاً مما سبق، ومن أجل قياس الرضا أو عدم الرضا فى مجال العمل الحرفى موضوع الدراسة، ونظرا لما تتميز به طبيعة العمل هذا من سمات خاصة، فقد اتجهت إلى قياس الرضا فى العمل عبر ثلاثة مستويات أساسية داخل مجال العمل، كما تم تحديد عدد من المؤشرات التى يمكن من خلالها قياس الرضا أو عدم الرضا داخل مجال العمل، وتتمثل تلك المستويات ومؤشراتها فى الآتى:

أ - المستوى الذاتى Individual Level، والذى يعبر عن طموحات الفرد ورغباته واتجاهاته تجاه العمل، وتتحدد أهم مؤشراته فى:
- العوامل الدافعة للاشتغال بالحرفة.
- مدى التغيير والتجديد فى الحرفة.
- الصعوبات والمشاكل التى يواجهها الحرفى فى مجال العمل.
- مصاحبات العمل الحرفى فيما يتعلق بصحة الحرفى وسلامته.
- الطموحات المستقبلية للحرفى فيما يتعلق بالعمل.

ب- المستوى التنظيمى Organizational Level، ويختص ببيئة العمل داخل الورشة، وتتمثل أهم مؤشراته فى :
- مساحة الورشة، والظروف الفيزيقية بها.
- تقسيم العمل وتوزيع الأدوار بين العاملين.
- ساعات العمل، والتداخل فى أوقات العمل والراحة.
- أسلوب إدارة العمل (الثواب والعقاب).

- علاقـــات العمـــل ســـواء بين صاحب الورشة والعمال أو بين العمال بعضهم البعض.

ج- المســـتوى الثقافى Cultural Level، والذى يعبر عن قيم ومعتقدات الفرد التى توجـــه ســـلوكه داخـــل بيـــئة العمل وأخلاقيات العمل الحرفى، ويمكن تحديد مؤشرات هذا المحور فيما يلي :

- المستوى التعليمي للحرفى والتجانس فى بيئة العمل.
- أخلاقيات العمل الحرفى.
- اللغة والرموز المستخدمة فى خطاب الحياة اليومية أثناء العمل.

٣- نظرية الإفاضة :

أسهمت نظرية الإفاضة (التكامل) Spillover theory فى دراسة نوعية الحياة، وهـــى تفترض أن تحقيق الإشباع والرضا فى أحد مجالات الحياة ربما يؤدى إلى الشـــعور بالرضـــا فى مجالات الحياة الأخرى .فالرضا عن العمل مثلا يؤدى إلى الرضـــا عـــن مجـــالات الحياة الأخرى كالأسرة ووقت الفراغ، والصحة والبيئة، والأبناء... وغيرها،ومن ثم عن الحياة ككل (Sirgy,2001: 244).

وقـــد اتخـــذت بعـــض الدراسات السابقة من هذه النظرية إطاراً تصورياً لها، كدراســـة جوزيف سيرجى (٢٠٠١م) حيث افترض أن الرضا عن المجتمع المحلى ومـــا بـــه مـــن خدمات يسهم فى تحقق الرضا العام عن الحياة ككل وعن مجالات الحياة الأخرى كالعمل والأسرة ووقت الفراغ وكذلك الدراسة التى قام بها أيضاً فى نفـــس العـــام بهدف الكشف عن تأثير تحقق الرضا والاشباع فى مجال العمل على تحقـــق الرضـــا فى مجالات الحياة الأخرى، وعن الحياة ككل (وسيتم توضيح ذلك لاحقاً فى الفصل الثالث).

ومن ثم تم الاستعانة بهذه النظرية فى محاولة الإجابة على التساؤل التالى :

إلـــى أى مـــدى يـــنعكس تحقـــق الإشـــباع والرضا فى مجال العمل بالنسبة للحـــرفى،على تحقـــيق الإشباع والرضا فى مجالات الحياة الأخرى وكذلك تحقيق الرضا والسعادة فى الحياة ككل؟

وقـــد حاولـــت الدراسة الكشف عن مدى شعور الحرفى بالرضا والسعادة فى مخـــتلف مجـــالات الحـــياة الاجتماعـــية خارج مجال العمل، مع الأخذ من كل من المجتمع المحلى، ووحدة المعيشة بعدين أساسيين للتحليل والتفسير.

قضايا وفروض الإطار النظرى للدراسة :

١- يشكل العمل الحرفى وأسلوب الممارسة الحرفية اليومية، نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته. وتنبثق عن هذه القضية الفروض الآتية:

- تتباين نوعية حياة العمل لدى الحرفى بتباين نوع العمل ومستوى الممارسة الحرفية.
- تتباين نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته بتباين نوعية حياة العمل.
- الشعور بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل لدى الحرفى، يسهم فى الشعور بالرضا والاشباع فى مجالات الحياة الأخرى، وفى الحياة ككل.

٢- كلما كان الحرفى أكثر إشباعاً للخصائص الحرفية المتضمنة فى النموذج المثالى للحرفية عند ميلز، والتى تتمثل فى: الإبداع والقدرة على تحقيق الذات، الدقة والاهتمام بجودة العمل مقابل كمية الانتاج، الاستقلال الذاتى، المرونة فى اوقات العمل والتداخل بين أوقات العمل والراحة، طول فترة الممارسة الحرفية. فإنه يكون أكثر شعوراً بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل، ومن ثم تتحسن نوعية حياة العمل لديه.

٣- الإشباعات المتحققة من خلال العمل بطريقة مباشرة (كالنقود والمكافآت المادية) ترتبط بإشباعات اجتماعية متنوعة مستمدة من العمل أيضاً لكن بطريقة غير مباشرة كالشعور بالأمان، وتحقيق الذات، وتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية والشعور بالتميز والاستقلال الذاتى (Anderson, 1964: 85, 89).

٤- إن نوعية حياة العمل (QWL) لدى الحرفى هى دالة أساسية لعدد من المتغيرات على كل من المستوى الذاتى، المستوى التنظيمى، وكذلك المستوى الثقافى داخل مجال العمل.

٥- تعد نوعية حياة العمل أحد المؤشرات المهمة فى الكشف عن نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته، وليس مؤشراً كلياً لها (كما يذهب سيرجى (Sirgy, 2001)، إذ أن هناك متغيرات أخرى تسهم فى تشكل نوعية الحياة الاجتماعية وأسلوب المعيشة.

٣

الفصل الثالث

العمل الحرفى ونوعية الحياة

من واقع التراث البحثى: رؤية تحليلية

مقدمة

أولاً: دراسات نوعية الحياة ومؤشراتها.

ثانيًا: دراسات محددات الرضا عن الحياة.

ثالثًا: دراسات العمل الحرفى ونوعية حياة الحرفيين وتشمل:

١- العمل الحرفى كأحد أنشطة القطاع غير الرسمى.

٢- العمل الحرفى كأحد عناصر الثقافة المادية.

٣- الخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين.

- تعقيب.

الفصل الثالث
العمل الحرفى ونوعية الحياة
من واقع التراث البحثى: رؤية تحليلية

مقدمة:

يزخر تراث العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة بعدد هائل ومتنوع من الدراسات التى اهتمت بموضوع نوعية الحياة، حيث أنه يعد مجالاً مشتركاً بين العديد من العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الاقتصادية والسياسية والبيئية وكذلك الطبية... إلخ، فقد وجدت بعض المقالات التى تهتم بنوعية حياة المصابين بمرض السرطان أو نوعية حياة المعاقين.. وغيرها.

ورغم كثرة المادة العلمية والدراسات المتوفرة فى موضوع نوعية الحياة، إلا أنه لا تزال المكتبة العربية تفتقد لدراسات ميدانية تهتم بنوعية حياة الحرفيين، حيث إن دراسة الحرف لم تحظ بهذا القدر الكبير من الاهتمام إلا فى الستينيات، حيث بدأ الاهتمام العالمى بقضايا التنمية خاصة فى دول العالم الثالث وفى الوقت الراهن أخذ هذا الاهتمام يتزايد عالمياً وبشكل ملحوظ (اعتماد علام،١٩٩١: ١٨) ومع ذلك ظلت هناك ندرة فى الاهتمام العالمى بدراسة الخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين، وفى ضوء ذلك حاولت الباحثة التوقف عند عدد من الدراسات المهمة والبارزة فى مجال دراسة وقياس نوعية الحياة مما قد يفيد فى دراسة نوعية حياة الحرفيين.

كما قدم البحث أيضاً عرضاً تحليلياً لعدد من الدراسات الخاصة بالحرف والصناعات التقليدية والتى تنوعت فيما بينها من حيث الأطر النظرية والأساليب المنهجية؛ نظرًا لتنوع موضوعات الدراسة، فمنها من أهتم بالتركيز على حرفة بذاتها وأخرى قامت بدراسة عدد من الحرف، وثالثة اهتمت بدراسة الورشة والمنشأة الحرفية وخصائص الحرفيين، ورابعة اهتمت بالحرف كأحد عناصر الثقافة المادية التى يجب الحفاظ عليها... وفى ضوء ذلك قامت الباحثة بتصنيف هذه الدراسات حسب وحدة الموضوع إلى ثلاث مجموعات كما يلى:

١- دراسات تهتم بالعمل الحرفى كأحد أنشطة القطاع غير الرسمى.
٢- دراسات تهتم بالعمل الحرفى كأحد عناصر الثقافة المادية.
٣- دراسات تهتم بالخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين.

أولا: دراسات نوعية الحياة ومؤشراتها الاجتماعية :

يتناول هذا المحور عدداً من أهم الدراسات التى اهتمت بالقياس المباشر لنوعية الحياة The Quality of Life من خلال دراسة بعض الأبعاد الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية وتحديد تأثيرها على تشكل نوعية الحياة سواء على مستوى المجتمع القومى أم المجتمع المحلى أم على مستوى الفرد والأسرة.

ففى الدراسة التى أجرتها هناء الجوهرى سنة ١٩٩٤م، بعنوان: "المتغيرات الاجتماعية – الثقافية المؤثرة فى تشكل نوعية الحياة فى المجتمع المصرى فى السبعينيات دراسة ميدانية على عينة من الأسر بمدينة القاهرة"، وقد هدفت الدراسة إلىالكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمع المصرى من خلال النظر إلى الشرائح الاجتماعية المختلفة واستناداً إلى عدد من المتغيرات الاجتماعية الأساسية التى تتمثل فى: (المهنة الدخل التعليم) باعتبارها المتغيرات التى تشكل المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأفراد. وقد أجريت الدراسة فى ثلاثة أحياء سكنية متباينة فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى وهى: حى منشأة ناصر باعتباره يمثل أدنى مستوى اجتماعى اقتصادي، وحى النزهة كأعلى مستوى اجتماعى اقتصادي، وأيضا حى السيدة زينب بمثابة النمط المتوسط.

وقامت الباحثة بتطبيق الاستبانة ودليل الملاحظة على عينة من الأفراد يصل حجمها إلى (٢٥٠ مفردة) فى المجتمعات الثلاثة.

وقد قدمت الباحثة تعريفاً إجرائياً لنوعية الحياة يشير إلى أن: "نوعية الحياة هى ذلك البناء الكلى الشامل الذى يتكون من مجموعة المتغيرات المتنوعة والتى تهدف إلى إشباع الحاجات الأساسية للأفراد الذين يعيشون فى نطاق هذه الحياة،بحيث يمكن قياس هذا الإشباع بمؤشرات موضوعية تقيس القيم المتدفقة، وأخرى ذاتية تقيس قدر الإشباع الذى تحقق" (هناء الجوهري، ١٩٩٤: ٤٦) وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج ومن أهمها:

- أن هناك علاقات ارتباطيه داله من المؤشرات الموضوعية المتمثلة فى (الدخل، المهنة، التعليم) والمؤشرات الذاتية التى تتعلق(بمعدلات الرضا عن الحياة وعن مجالات الحياة الأخرى) لنوعية الحياة؛ ويرجع ذلك إلى الثقافة السائدة فى المجتمع المصرى ذات الطبيعة التقليدية التى تؤكد على تكيف الفرد مع طبيعة الحياة التى يعيشها بغض النظر عن مستوى الإشباع الذى تحقق، بينما يختلف الأمر بالنسبة للمجتمعات المتقدمة حيث تسود درجة عالية

من الرشد والعقلانية فى إدراك الإنسان وتقييمه لمدخلات المتغيرات الموضوعية فى نوعية الحياة فى مقابل الإشباع المتحقق له ذاتياً من تلك المدخلات قياسا على الطموحات والتوقعات العالية والمتنامية باستمرار.

- وجود تباين قوى بين الأحياء الثلاثة للدراسة دال عند مستوى ٠٠١،، حيث كانت القيمة النهائية للمؤشر العام لنوعية الحياة فى منشأة ناصر ٤٨،٩٨٩، بينما وصلت فى حى السيدة زينب إلى ٥٥،٧٢٩، وفى حى النزهة ٦٥،٢٣٥.

وتبين من ذلك أنه كلما ارتفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأفراد كلما كان ذلك مؤشراً لنوعية حياة أفضل والتمتع بمستوى معيشة أفضل.

وقد قام ميشيل هجرتى Micheal R.Hagerty سنة ١٩٩٩م بدراسة تهتم بـ: "اختبار نظرية التدرج الهرمى للحاجات عند ماسلو فى التنبؤ بتقدم نوعية الحياة على المستوى القومى عبر الزمن" وقد قام بإجراء الدراسة فى عدد من الدول التى بلغ حجمها (٨٨) دولة وخلال عدد من السنوات المتتالية منذ (١٩٦٠ ١٩٩٤م).

وقد اتخذت تلك الدراسة من نظرية ماسلو ركيزة أساسية؛ إذ أنها تعتمد على تصنيف حاجات الإنسان إلى خمسة احتياجات أساسية تبدأ من الحاجات الفسيولوجية (كالحاجة إلى الهواء والماء والغذاء) وتليها الحاجة إلى الأمان ثم الحاجة إلى الانتماء والحب والتى تشمل: الأصدقاء، الأسرة، المجتمع المحلى وبعد ذلك تأتى الحاجة إلى التقييم الذاتى والاعتراف بالذات والثقة بالنفس، وتأتى فى المرتبة الأخيرة الحاجة إلى تحقيق الذات.

وقد رتب ماسلو تلك الحاجات فى تسلسل هرمى حيث افترض أن إشباع تلك الحاجات يكون فى شكل متعاقب، فلإشباع إحدى الحاجات لابد من إشباع الحاجات التى تسبقها. وقد استهدفت تلك الدراسة تطبيق نظرية ماسلو على المستوى الأعم (الماكرو) وليس على مستوى الأفراد، وقام الباحث فى ضوء ذلك بتطوير مقياس لمحاولة قياس معدل التطور والإنجاز فى الدول وعبر السنوات المختلفة من خلال تحديد عدد من المؤشرات التى تتعلق بكل من الحاجات الخمسة عند ماسلو والقابلة للقياس على مستوى الدول.

ومن خلال تطبيق المقياس وفرت قاعدة كبيرة من البيانات عبر السنوات المختلفة على مدار ٣٥ عاماً متتالية، للكشف عن إذا كانت نظرية الحاجات الاجتماعية لماسلو قادرة على التنبؤ بمعدل التقدم فى نوعية الحياة على مستوى الدول. وقد أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج المهمة، منها:

- أن التتابع فى الإنجاز الحقيقى (الإشباع) للحاجات يرتبط بالتسلسل الهرمى عند ماسلو، أى أن هناك اتفاق مع تنبؤات نظرية ماسلو بالتدرج الهرمى للحاجات، إلا أن هناك تباين فى آلية النمو التى افترضها ماسلو حيث إنه افترض أن النمو فى أحد مجالات الحاجة لابد أن يكون بطيئاً عندما تتجه الدولة للاهتمام بتنمية مجال آخر.
- أن النمو فى أحد الجوانب الخاصة بالمجتمع نمو إيجابى يرتبط بالنمو (التطور) فى مجالات الحاجات الأخرى فى نفس العام.
- وجود بعض جوانب القصور فى نظرية ماسلو عندما تم تطبيقها للكشف عن نوعية حياة الدول، حيث إنها فشلت فى مراعاة الظروف الخارجية عن الأفراد كالبيئة الصحية، والفقر عند الجماعات الأقلية. (Hagerty, 1999: 249-271)

وفى دراسة أخرى لقياس وتحديد نوعية الحياة والتى قام بها كاتلين وكريستوفر Kattlen and Kristopher عام ٢٠٠٢م عن "دور وقت الفراغ فى قياس نوعية الحياة" وكان هدفها الأساسى هو محاولة اختبار وقياس دور وقت الفراغ فى الكشف عن نوعية حياة الفرد، وذلك بتحديد الأهمية النسبية لكل من المؤشرات الخاصة بالموقع (المكان): كالتسهيلات المتاحة للاستمتاع بوقت الفراغ، ومصادر وقت الفراغ، وكذلك تلك المؤشرات الخاصة بالفرد ذاته (كالرضا عن تجاربه الخاصة بوقت الفراغ) ودور كل منها فى التنبؤ بنوعية الحياة، بمعنى آخر اهتمت الدراسة بالمقارنة بين المؤشرات الموضوعية (مؤشرات الموقع) والمؤشرات الذاتية (الخاصة بتجارب الفرد وإدراكه) فى قياس وقت الفراغ ودورها فى التنبؤ بنوعية حياة الفرد.

وقد تم تطبيق الدراسة على عينة عشوائية يبلغ حجمها (٥٧١ مفردة) تم اختيارهم من ٦٠٠ أسرة من المقيمين فى مدينة برسبان Brisban فى كوين لاند Queensland باستراليا. وقد كشفت الدراسة عن عدد من النتائج منها:

- أن إسهامات وقت الفراغ المتمركزة على الفرد هى الأكثر أهمية فى التنبؤ بنوعية الحياة، أما مؤشرات وقت الفراغ الخاصة بالمكان (الموقع) فكان لها تأثير ضئيل وغير مهم على نوعية الحياة.
- أن الأفراد الذين يندمجون فى الأنشطة الاجتماعية بصورة أكبر والذين يكون لهم شعور أكثر رضاء عن المزايا المستمدة من وقت الفراغ كالراحة والاستجمام والترفيه عن النفس ومقابلة الأصدقاء... وغيرها – هم الذين يستمتعون بنوعية حياة أفضل.

- إن زيـــادة المشاركة فى أنشطة وسائل الإعلام بصفة خاصة وبصورة أوضح بين كل الأنشطة الاجتماعية الأخرى، وكانت عاملاً محدداً ومميزاً وايجابياً فى التنبؤ بنوعية الحياة.
- تلعب المتغيرات الديموجرافية دوراً فى إدراك الناس وخبرتهم بنوعية حياتهم (الســـن، النوع، المهنة،... إلخ) إلا أنها تعد أقل أهمية من الرضا المستمد من وقـــت الفـــراغ فيما يلعبه من دور فى التنبؤ بنوعية الحياة (Lloyd, Auld, 2002: 43-71).

ثانيًا: دراسات محددات الرضا عن الحياة :

يتناول هذا المحور عدداً من الدراسات التى تتخذ من دراسة الرضا عن الحياة عمومًـــا أو الرضـــا عن مجالات الحياة المختلفة مجالاً أساسياً لها، حيث إن قياس معـــدلات الرضا لدى الأفراد تختلف وتتباين حسب الإختلافات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وقـــد اتخـــذ مـــن الرضـــا عـــن الحياة مجالاً للدراسة والبحث فى العديد من الدراســـات؛ نظـــرًا لتعدد مجالات الحياة المختلفة والتى تشمـــل: الأسرة، والعمل، والديـــن، والأصـــدقاء، والبيـــئة، والمجتمع المحلى... وغيرها، وقد اهتمت غالبية الدراســـات بالعوامل المؤثرة فى تشكل ذلك الرضا عند الأفراد وفى مجالات الحياة المختلفة وعن الحياة ككل.

فقد ركزت دراستان لمارجريت بولما Margret M.Polma على إلقاء الضوء على علاقة الأبعاد الدينية بالرضا عن جوانب الحياة وعن الحياة ككل، وقد أجريت أولـــى هاتيـــن الدراســـتين فى سنة ١٩٩٠م، حيث أجريت على عينة قوامها ٥٦٠ مفردة فى مدينة أكرون بالولايات المتحدة الأمريكية، واعتمدت فى ذلك على قياس معـــدلات الرضا لدى الأفراد عن عشرة جوانب أساسية من جوانب الحياة المختلفة وهى: المجتمع المحلى، العمل، الدين، التعليم، العلاقات الاجتماعية، الأسرة، الزواج، مستوى المعيشة، الصحة، العمل المنزلى.

وقـــد توصلت الدراسة إلى أنه كلما كانت علاقة الفرد بالله أقوى، وكلما ارتفع معـــدل أداء العبادات كلما أدى ذلك إلى تقليل درجات الخوف والتوتر والقلق وزيادة معدلات القناعة والراحة النفسية لدى الأفراد (Polma, 1990: 255-276).

وفى الدراسة الثانية التى أجرتها مارجريت بولما فى سنة ١٩٩٩م بالاشتراك مـــع جـــيمز بـــيكوك James R.Peacock and Margaret .M.Polma، بعنوان:

"التديـــن المفرط والرضا عن الحياة أثناء دورة الحياة" وقد اهتمت فيها بالدور الذى يلعبه التدين المفرط (زيادة التدين) فى التأثير على الرضا عن الحياة خلال مراحل العمر المختلفة. وقد تم قياس معدل التدين من خلال: (العبادة الذاتية، والمشاركة فى الطقـــوس والشعائر الدينية العامة، والتفاعل الديني، وتفضيل التدين العام أو الخاص) وتم قياس ذلك على سبع جماعات عمرية مختلفة تبدأ بـــالفئة العمرية من (١٨ ٢٥) وصولاً إلى الفئة من (٧٦-٩٨) عاماً.

وعـــن منهجـــية الدراسة فقد تم اختيار ١٠٣٠ مفردة بطريقة عشوائية، وجمع بـــيانات الإستبانة باستخدام المقابلة الشخصية، وعن طريق التليفون أيضا وقد شمل التحلـــيل المتغـــيرات الديموجرافـــية الأساسية: التعليم السن النوع الدخل - الجنسية، وكذلك المؤشرات المتعددة عن التدين.

وتم قياس الرضا عن الحياة من خلال تساؤل رئيسى وهو: إلى أى مدى تكون راضياً أو غير راضٍ عن حياتك؟

ويطلـــب مـــن المبحوث أن يختار إجابه من بين سبع إجابات (مقياس الرضا المتدرج) على أن تكون رقم ١=غير راض بالمرة، ورقم ٧=راض جداً.

وفى ضوء ذلك يمكن إيجاز أهم نتائج الدراسة فيما يلى :

- وجود علاقة إيجابية مهمة بين العمر وبين مقياس التدين.
- أن متغـــير العمر هو المتغير الديموجرافى الوحيد الذى يدخل فى علاقة مهمة مع الرضا عن الحياة.
- أن التدين المفرط هو الأفضل فى التنبؤ بالرضا عن الحياة طوال فترات العمر (Polma and Peacock, 1999: 327-345).

وقـــد قـــام ميشـــيل هيجرتى بدراسته حول "الرضا عن الحياة" سنة ١٩٩٩م انطلاقاً من نظريتين من النظريات الكبرى الخاصة بدراسة نوعية الحياة وهى:

نظرية القدرة على الحياة Livability theory والتى تفترض أن الأفراد يقومون بـــالحكم على الرضا عن حياتهم معتمدين على أسس مطلقة، وكذلك نظرية المقارنة Comparison theory والتى ترى أن الأفراد يعتمدون على معايير نسبية فى الحكم على الرضا عن حياتهم مقارنة بخبراتهم الماضية أو بالأفراد الآخرين.

وفـــى ضوء ذلك اعتمدت الدراسة على هاتين النظريتين فى قياس الرضا عن الحـــياة، وقـــد شـــملت الدراســـة ثمـــانى دول تتمثل فى: المملكة المتحدة، اليابان، الدنمارك، إيطاليا، أسبانيا، ألمانيا، فرنسا، هولندا.

وقـــد حاولـــت الدراسة قياس الرضا عن الحياة فى ضوء التغيرات المستمرة عبر الوقت لمدة تصل إلى أكثر من ٢٥ عام.

وقـــد اتفقـــت نـــتائج الدراسة مع العديد من الدراسات السابقة فى أن المستوى المطلـــق لنصـــيب الفـــرد مـــن الدخـــل القومى كان له أكبر تأثير على الرضا عن الحـــياة.بيـــنما كشفت الدراسة على العكس من الدراسات الأخرى عن أن التغيير فى معدل الدخل وزيادة معدل الاستهلاك كان له تأثير أكبر على تشكل معدل رضا الفرد عن حياته (Hagerty, 1999: 343-356).

وقـــد أجـــرى جوزيف سيرجى Joseph Sirgy وكورنيل تيرى Cornwell Terri دراســـة حـــول الرضا عن الحياة فى عام ٢٠٠١م بعنوان: "شرعية مقياس ســـيرجى فى قياس نوعية حياة المجتمع المحلى" والتى تهدف إلى الكشف عن تأثير الرضـــا عن المجتمع المحلى وما به من خدمات على تحقق الرضا العام عن الحياة ككـــل وعـــن مجالات الحياة الأخرى، والتى تشمل :العمل، الأسرة، ووقت الفراغ. ولقـــد وضـــع سيرجى مقياساً للكشف عن نوعية حياة المجتمع المحلى ويهتم أيضاً بالكشـــف عـــن رضا السكان المقيمين بهذا المجتمع، معتمداً فى ذلك على الخدمات المقدمة ومدى التسهيلات التى يوفرها المجتمع للاستفادة بتلك الخدمات والتى تسهم فـــى الشعور بالرضا العام عن المجتمع المحلى وبالتالى يؤدى إلى الشعور بالرضا عن الحياة ككل.

وقد تم تطبيق الدراسة على عينة متنوعة من المجتمعات المحلية التى تقع فى جنوب غرب فيرجينيا Virginia، وقد اعتمد الباحث فى دراسته على نظرية الإفاضـــة Spillover Theoryالتى تفترض أساساً أن الرضا عن الحياة يرتبط وظيفياً بالرضا عن كل مجالات الحياة الأخرى ومجالاتها الفرعية (كالرضا عن المجـــتمع المحلـــى، الأســـرة، الـــزواج، العمـــل، والحياة الاجتماعية، الصحة، وغير ذلك).

وقد استندت الدراسة على ثلاثة فروض أساسية تتمثل فيما يلي:

- أن الرضـــا الشـــامل عـــن الحياة يعد نتيجة مباشرة لعاملين هما: الرضا العـــام عـــن المجـــتمع المحلى، ومجموع الرضا العام عن مجالات الحياة الأخرى.
- أن الرضا عن المجتمع المحلى الشامل يعد نتيجة مباشرة لثلاثة عوامل:

- مجمـــوع الرضـــا الشامل عن الخدمات الحكومية، خدمات الأعمال التجارية، الخدمـــات الأخـــرى. ومجموع الرضا عن نوعية البيئة فى المجتمع المحلى، ومجموع الرضا عن مجالات الحياة الأخرى.
- الرضـــا العام عن الخدمات الحكومية، خدمات الأعمال، الخدمات الأخرى هو نتيجة مباشرة لأربعة عوامل أساسية وهى:

١- مجموع رضا الفرد عن خدمات الأعمال التجارية(كالبنوك، الادخار، التامين، المطاعم،. إلخ)
٢- مجموع رضا الفرد عن الخدمات الحكومية (المطافئ، المكاتب، الشرطة،.إلخ)
٣- مجمـــوع الرضا العام عن نوعية البيئة، مستوى المعيشة، الروابط بين الناس، الجيرة، الإسكان. لخ)
٤- مجموع الرضا العام عن مجالات الحياة الأخرى.

وقـــد تـــم اســـتخدام مقياس الرضا المتدرج لقياس معدلات رضا الأفراد عن المجتمع المحلى والخدمات المتاحة به، وكذلك معدلات الرضا عن مجالات الحيـــاة الأخرى. وقد جاءت النتائج مدعمة لفروض الدراسة حيث أثبتت أن :

١- الشعور بالرضا أو عدم الرضا عن المجتمع المحلى يتشكل من خلال الشعور بالرضا عن الخدمات الحكومية، الأعمال التجارية، والخدمات الأخرى.
٢- أن الرضـــا أو عدم الرضا عن المجتمع المحلى يلعب دوراً مؤثراً فى الشعور بالرضا عن الحياة ككل.
٣- أن الرضا الشامل عن خدمات المجتمع المحلى تتكامل مع الرضا عن مجالات المجـــتمع المحلـــى الأخرى (كالجيرة، الأسرة، الزواج، الصحة، العمل) والتى تؤثـــر فى مجملها على الشعور بالرضا العام عن الحياة ككل. (Sirgy and Terri, 2001: 125-143).

كما قام جوزيف سرجى Joseph Sirgy وآخرون بدراسة أخـــرى بعنـــوان: "مقـــياس جديد لنوعية حياة العمل QWL بالاعتماد على كل من نظرية الحاجة إلى الرضا ونظرية الإفاضة". وقد تعرض فيها لقياس نوعية حياة العمل بهدف الكشف عـــن تأثير تحقيق الرضا والإشباع فى مجال العمل على تحقق الرضا فى مجالات الحياة الأخرى ومن ثم الشعور بالرضا عن الحياة ككل.

وانطلـــق فـــى ذلك من كل من: نظرية الحاجة إلى الرضا عند ماسلو Need satisfaction theory، وكذلك نظرية الإفاضة Spillover theory.

وعن منهجية الدراسة، فقد قام الباحث بتصميم مقياس للكشف عن نوعية حياة العمــل، والذى تضمن عدداً من الأبعاد وهى: بيئة العمل، مطالب العمل (المكافآت) فــى العمل، السلوك الرقابى (الإشرافي) فى العمل، البرامج المساعدة فى التنظيم. وتم تحكيم هذا المقياس وإعلان شرعيته رسمياً، وتم اختباره وتجربته.

وقد قدم الباحث تعريفاً إجرائياً لنوعية حياة العمل QWL بأنها: تعرف برضا العــامل وإشــباعه للحاجــات المتنوعة من خلال أنشطة ونتائج التقييم الناتجة عن الــتواجد فــى موقــع العمل. فالحاجة إلى الرضا ينتج عن إسهامات تجارب موقع العمــل فى الرضا عن العمل، والرضا عن مجالات الحياة المختلفة (كحياة العمل، والحياة الأسرية، المسكن، ووقت الفراغ) وإسهاماتها المباشرة فى تحقيق الرضا عن الحــياة ككل. وقد اعتمدت الدراسة على افتراض أساسى يتمثل فى أن نوعية حياة العمــل quality of working life (qwl) تتشكل من خلال مدى الإشباع (الرضا) عــند العاملين (الموظفين) فى سبعة احتياجات أساسية تتضمنها العلاقة الامبيريقية الآتية :

QWL=NS(hs) +NS(ef) +NS(s) +NS(t) +NS(a) +NS(k) +NS(cs)

وتلك الاحتياجات السبعة هي:

- NS (hs) = الرضا عن الصحة والأمان.
- NS (ef) = الرضا عن الحاجات الأسرية والاقتصادية.
- NS (s) = إشباع الاحتياجات الاجتماعية.
- NS (t) = إشباع حاجات التقييم الذاتى.
- NS (a) = إشباع الحاجات الواقعية.
- NS (k) = إشباع الحاجات المعرفية.
- NS (cs) = إشباع الحاجات الجمالية.

أمــا عن عينة الدراسة، فقد تم تطبيق ذلك المقياس على ثلاث عينات، الأولى والثانية كانتا فى كليتين من جامعتين مختلفتين ومجموعة الأعضاء المساعدين بها، والعيــنة الثالثة كانت من بعض الموظفين العاملين فى شركات للحسابات المتنوعة، وتم جمع البيانات باستخدام المسح البريدي، وقد بلغ حجم العينة الكلية ٤٩٠ مفردة. وقــد أســفرت الدراسة عن نتيجة مهمة، وهى: أن تحقيق الرضا وإشباع الحاجات المخــتلفة فــى مجال العمل تنعكس بدورها على تحقيق الرضا عن مجالات الحياة الأخــرى الــتى تتمــثل فــى (الأسرة،الزواج، الأصدقاء، الجيرة،البيئة، الأنشطة

الاجتماعــية). وبالتالى تنعكس بشكل واضح على الشعور بالرضا عن الحياة ككل. (Sirgy, David and Lee, 2001: 241-302).

ثالثًا: دراسات العمل الحرفى ونوعية حياة الحرفيين :

نظــراً لــتعدد مجالات اهتمام الدراسات الخاصة بالعمل الحرفى ونوعية حياة الحرفيين فقد تم تصنيفها حسب وحدة الموضوع، إلى ثلاثة أقسام رئيسية كما يلى :

١- العمل الحرفى كأحد أنشطة القطاع غير الرسمى:

فــى دراســة دونالد ميد Donald c. Mead: حول " الصناعات الصغيرة فى مصــر " (١٩٨٢م)، اهــتم الباحــث بصناعة الأثاث كأحد الصناعات الضرورية المهمــة واتخــذ مــن المنشــأة وحدة أساسية للتحليل، وانطلق الباحث من التحليل الماركســى لأنمــاط وقــوى وعلاقات الإنتاج. وعن منهجية الدراسة قام الباحث بإجراء مسح اجتماعى على عدد من المنشآت التى تتخصص فى صناعة الأثاث فى مدينــتى القاهــرة والإسكندرية والتى بلغ عددها (٥٠) منشأة، ثم قام باختيار (٢٥) منشأة فقط لإجراء الدراسة المتعمقة. وعن أهم نتائج الدراسة:

- أن لكــل حرفة خصوصيتها ولها نمط إنتاجى معين وعمليات محددة يمر بها المنتج، وتتعدد مراحل الإنتاج وتتباين وفقا لنوع المنتج نفسه.
- تتســم الــورش بنمط من الخصوصية والتكاملية فيما بينها، حيث تقوم بعض الــورش بإنتاج المنتج كاملا، كما تقوم أخرى بإنتاج جزء من هذا المنتج على اعتبار أن عمليات الإنتاج عبارة عن مراحل تتتابع كل مرحلة تلو الأخرى.

بينما انطلقت دراسة جورج شتاوت Georg Shtaut: "الجمالية، الاقتصاد غير الرســمى والحــياة الاجتماعية فى حى شعبى بمدينة القاهرة " (١٩٩١م) من قضية مؤداها: أن القطاع غير الرسمى فى القاهرة يعد جزءاً لا يتجزأ من الاقتصاد الكلى فى المجتمع حيث يلبى الاحتياجات المعيشية.

وانطلاقــاً مــن ذلك قام الباحث بإجراء دراسته على أحد الصناعات التقليدية بحــى الجمالــية فــى مدينة القاهرة ألا وهى صناعة الألومنيوم، وكان ذلك بهدف الكشف عن العلاقة السائدة بين الأنشطة الصناعية والحياة الاجتماعية بحى الجمالية بمديــنة القاهــرة، باعتبار أن النشاط الاقتصادى يمثل أهم العناصر المشكلة للحياة الاجتماعــية. وعــن منهجــية الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الأنثروبولوجى أساســاً وأدواتــه بــدءا من الملاحظة والمقابلات الفردية والجماعية وكذلك دراسة

الحالـــة، وقـــام بإجـــراء دراسته على (١٣) منشأة تتخصص جميعها فى صناعات الألومنيوم. وقد أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج، أهمها:

١- أن هـــناك عـــدد مـــن الخصائص التى تميز ورش الشارع (كما أطلق عليها الباحث) وهى ورش الإنتاج غير الرسمي، وتتمثل تلك الخصائص فى :

- عدم الاعتماد على الميكنة الآلية والاعتماد الأساسى على العمل اليدوى.
- العلاقـــة المغلقـــة بيـــن محل العمل ومحل السكن (وحدة المعيشة) وكذلك بين العمل وعلاقات الحياة الاجتماعية.
- الاعـــتماد غير المباشر على المشروعات التجارية الرأسمالية الكبيرة بغرض الحصول على المواد الخام وتسويق المنتجات.
- المرونة فى علاقات الإنتاج.

٢- أن الورشـــة كوحدة إنتاج ليست مكاناً للعمل فقط، وإنما هى مقر أساسى لدعم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الحى.

٣- تبادل مظاهر التعاون والمحبة فى الحى بصورة واضحة، حيث أصبح الشارع الصـــناعى الممـــيز بإنـــتاج ســـلعة صغيرة نسبيا جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية للحى.

٤- تغير نمط الحياة بحى الجمالية منذ بداية البحث فى عام ١٩٨١م وحتى نهايته فـــى ١٩٨٥م، حيث أغلقت كثير من الورش واختفت الشلل من الحياة العامة بالشـــارع، فرغم بقاء الورش إلا أنها فقدت التكامل فى وظائفها لتصبح مجرد مؤسســـة اقتصـــادية. ويـــتفق ذلك مع ما توصلت إليه الدراسة الراهنة فرغم وجود بعض مظاهر التعاون والمحبة بين الورش إلا أنها نادرة جداً وغالباً ما يكون كل شخص مشغولاً برزقه، ولا تبدو تلك المظاهر إلا فى حالة الأزمات والمناسبات غير السارة.

وفى دراسة لأميرة مشهور، وعالية المهدى حول: " القطاع غير الرسمى فى شياخة معروف " (١٩٩٤) تم استخدام مدخل المنشأة لدراسة القطاع غير الرسمي، وذلـــك باعتبار وحدة الدراسة الأساسية هى الوحدة الاقتصادية، سواء كانت منشأة ذات موقـــع ثابـــت (الوحدات الثابتة) أم منشأة غير محددة الموقع، والتى يقصد بها (الوحدات الجائلة).

وقـــد تحدد الهدف الأساسى من الدراسة فى محاولة الكشف عن حجم القطاع غـــير الرسمى فى منطقة حضرية محددة وهى شياخة معروف، وتحديد خصائص

تلك الوحدات الاقتصادية غير الرسمية والتعرف على وظائفها وطبيعة الأنشطة التى تمارسها وما ينتج عنها من آثار اقتصادية واجتماعية.

ولتحقيق ذلك: اتبعت الدراسة المنهج الوصفى التحليلى واعتمدت على مجموعة من الأبعاد الرئيسية للدراسة، وهى: البعد التاريخي، والبعد الهندسي، البعد القانوني، والبعد الاقتصادي، وكذلك البعد الاجتماعى. وعن أهم ما توصلت إليه الدراسة فيتمثل فيما يلى :

- توفير فرص عمل لعمالة ذات مستويات تعليمية متفاوتة، وخاصة للأميين وذوى المستويات التعليمية الدنيا ووصولاً أيضا إلى ذوى التعليم الجامعي.
- توفير مستويات دخول مرتفعة نسبياً لأصحاب الوحدات والعاملين بهذا القطاع.
- عدم التزام أصحاب الوحدات الاقتصادية بتطبيق الإجراءات، وعدم الالتزام بدفع الضرائب، وهو ما يعد من سلبيات هذا القطاع. علاوة على ارتباط مزاولة بعض الأنشطة الاقتصادية بالتسبب فى الإزعاج وإشغال الطريق.

وقد أكدت الدراسة فى النهاية على ضرورة تيسير التعامل مع هذا القطاع والاهتمام به، فى إطار حل المشكلات التى تنشأ بين القطاع غير الرسمى والجهات الرسمية.

وقدمت أستاذتى الدكتورة اعتماد علام دراسة أخرى حول: "التنظيم الاجتماعى لمنشآت القطاع غير الرسمى وعلاقتها التبادلية بالمجتمع المحلى " (٢٠٠٠م)، واهتمت هذه الدراسة بالعلاقة التبادلية بين الورش (المنشآت) الحرفية والمجتمع المحلى الحاضن لها. حيث انطلقت من نظرية بيتر بلاو فى التبادل الاجتماعي، والتى فى ضوئها تحدد الهدف الأساسى للدراسة فى محاولة استقراء البنية التنظيمية لمنشآت القطاع غير الرسمي، والكشف عن أبرز خصائصها وكيفية تأثير العلاقات التبادلية بينها وبين المجتمع المحلى فى تشكل ملامح هذه البنية.

وعن منهجية الدراسة، اتخذت الدراسة من حى بولاق أبو العلا، وحى المطرية بمدينة القاهرة مجالاً جغرافياً لها، وتم الاستعانة بطريقة دراسة الحالة حيث بلغ عدد المنشآت التى تناولتها الدراسة (١٢) منشأة حرفية تعمل فى مجالات النشاط الإنتاجي، والخدمى والتجارى للقطاع غير الرسمى.

وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة فيما يلى :

- أن هناك علاقة من المنفعة المتبادلة بين المنشأة والمجتمع المحلى رغم أنها لا تخضع لضوابط محددة، إلا أنها تنهض على خاصية الجذب الاجتماعى Social attraction، الذى يزكيه بقوة معايير ثقافية سائدة تحكم سلوكيات

الأفراد سواء المشتغلون داخل المنشآت أو المقيمون بالمجتمع المحلى. وتعتمد قـوة الجـذب الاجتماعى بين الطرفين على التوقعات المنتظرة من كل منهما تجاه الآخر.

- أن اسـتمرارية تـردد علاقة المنفعة بين المجتمع المحلى والمنشأة يكون لها مردود قوى فى استقرار وثبات البنية التنظيمية للمنشأة، نظراً لاستقرار الطلب علـى النشـاطات الـتى تقدمها المنشآت من جانب المجتمع المحلى. فمنشآت القطـاع غـير الرسمى هى تنظيمات اجتماعية اقتصادية غير رسمية يتوقف نشـاطها علـى حاجة المجتمع المحلى إليه وبالكيفية والنوعية اللتين تلائمان المستوى الاجتماعى الاقتصادى للمقيمين فيه.

وفـى نفس الإطار اهتمت دراسة الدكتورة آمال عبد الحميد: " الثقافة الشعبية والقطـاع غـير الرسـمى دراسة أنثروبولوجية" (٢٠٠٠م)، بالكشف عن أبعاد العلاقـة والـتفاعل المتـبادل بيـن الثقافة السائدة فى الحى الشعبى وبين الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية التى تزاول فيه، وإلى أى مدى ينمو هذا القطاع من خلال فهمه ومعرفته بالممارسات الثقافية السائدة بحيث يعمل على تدعيم تلك الممارسات أو إعادة إحيائها أو إدخال عناصر جديدة ليضمن وجوده واستمراريته. كما اهتمت الدراسـة بمحاولـة الكشـف عن تأثير الثقافة السائدة على تشكل بعض ملامح هذا القطـاع. وعن منهجية الدراسة: فمثلها فى ذلك مثـل دراسة الدكتورة اعتماد علام (٢٠٠٠م)، حيث اتخذت من كل من حى المطرية، وبولاق أبو العلا مجالا جغرافياً للدراسـة، واعـتمدت علـى المنهج الأنثروبولوجى أساساً فى جمع المادة الميدانية واستعانت بدليل العمل الميدانى.

بيـنما انطلقـت فى تحليل المادة الميدانية من النظرية البنائية حيث النظر إلى المجـتمع المحلى كبناء تتفاعل فيه الأبنية الداخلية وخاصة الثقافية والاقتصادية من أجـل إحـداث التسـاند والتكامـل بينهما.. وبذلك نجد أن الباحثة قد أعطت الدور الأكـبر فـى إحداث التغير وتحقيق التوازن والتكامل فى باقى الأنساق الاجتماعية الأخرى ومنها أنشطة القطاع غير الرسمى.

وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها:

١- تتضافر عناصر الثقافة الشعبية مع أنشطة القطاع غير الرسمى فى العديد من الجوانـب وتتجسد بشكل جلى فى الاحتفالات الشعبية الدينية، حيث تشهد تلك الاحـتفالات تنشـيطاً لـبعض المنشآت الإنتاجية والتجارية وتظهر فنون من

الإبداع الشعبى فى الاحتفال بالسبوع إذ تنتج الشموع والأباريق والقلل، إضافة إلى إعداد الولائم وتجهيز الحلوى.

٢- ترسم الثقافة الشعبية السائدة فى مجتمعى البحث ملامح القطاع غير الرسمى والتى تتمثل فى:

- إن ثمة طقوس وممارسات ثقافية لإيقاع العمل ذاته والتى تعطى العامل ثقة وتفاؤلا. ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه الدراسة الراهنة، حيث تبين أن غالبية الورش الحرفية لابد أن تبدأ يومها بسماع القرآن ورش الماء والبخور وإلقاء التحية على الآخرين وذلك كنوع من التفاؤل ومنع الحسد وأخذ البركة.
- هناك العديد من الممارسات والأساليب الثقافية المتبعة لعرض السلع والمنتجات وكلها محاولات للتكيف الثقافى مع الحيز المكانى ومع الظروف المادية للبائع، مما يكسب أنشطة القطاع غير الرسمى طابعاً خاصاً.
- ثمة أساليب ثقافية لنداءات الباعة منها ما يتسم بطابع تقليدى متوارث، ومنها المتطور ويظهر معها فنون الإبداع الشعبى.

وقد طرحت الدراسة عددًا من القضايا الهامة، وهى :

- تمتد الثقافة بجذورها فى التاريخ، ومع ذلك فهى بناء دينامى مرن يتفاعل باستمرار مع معطيات الواقع المتغير، فيستوعب كل المفردات الجديدة إلى جانب العمل على استمرار العناصر القديمة أو إعادة إحيائها بما يحافظ فى ذلك الوقت على هويتها.
- أن الثقافة السائدة فى الحى الشعبى تحاول أن تخترق القطاع غير الرسمى وترسم جوانب من ملامحه مما أدى إلى إحداث نبض وحياة وديناميه لكثير من أنشطته، واصبح هناك تفاعلا ديناميا بين الثقافة الشعبية والقطاع غير الرسمى وأصبح كل منهما إحدى آليات استمرار الآخر.

٢- العمل الحرفى كأحد عناصر الثقافة المادية:

يستعرض هذا القسم مجموعة من الدراسات التى تناولت العمل الحرفى كأحد عناصر الثقافة المادية، حيث الاهتمام برصد وتسجيل ووصف العملية الإنتاجية وتحديد أهم سماتها وملامحها، خوفاً من تعرضها للاندثار أو تدهورها وفنائها.

ففى دراسة باول نيكلسون، وهيلين بترسون Paul Nicholson and Helen Patterson حول: "صناعة الفخار فى مصر"(١٩٨٥م)، تمثل الهدف الأساسى للدراسة فى محاولة وصف وتسجيل المراحل التى تمر بها العملية الإنتاجية وتحليل

أنمـاط الإنـتاج وتسجيل تلك المراحل فوتوغرافياً، إضافة إلى محاولة الكشف عن الخصـائص الاجتماعـية والاقتصادية للعاملين في تلك الصنعة، من أجل تسجيلها والاحتفاظ بها قبل اندثارها وفنائها.

وعـن منهجـية الدراسة: فقد أجريت الدراسة في إحدى القرى بصعيد مصر وهي قرية (دير الغربي) التي تقع في شمال مدينة الأقصر، حيث تكثر بها صناعة الفخـار وخاصـة ما يعرف بصناعة " البلاص الفخاري " كأحد الصناعات التقليدية المعـروفة مـنذ العصور القديمة وفي العصر الفرعوني. واعتمدت الدراسة بصفة أساسـية على المنهج الأنثروبولوجي وأدواته، بدءاً من الملاحظة والمقابلة المتعمقة وكذلـك التصوير الفوتوغرافي الذي أوضحت الدراسة مدئ أهميته كأداة في حفظ وتوثيق المادة الميدانية. وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة فيما يلي:

- أن هناك عدد من المراحل التي تمر بها العملية الإنتاجية والتي تبدأ باستخراج المعـدن من المناجم، ثم إعداد وتجهيز المادة الفخارية، وبعد ذلك خبز الخزف بالنار، وأخيراً التوزيع والتسويق.
- أكـدت الدراسـة على أن المكانة المهنية التي تحتلها صناعة الفخار التقليدية أخذت في التدهور والانحدار نتيجة لعدة أسباب تتمثل في:

أ – انخفـاض دخـل العاملين وقلة المكسب، إضافة إلى قلة الطلب على المنتجات الفخارية.

ب– انخفـاض حجم القوة العاملة، وعدم رغبة العاملين في تعليم أبنائهم وتوريثهم تلك الصنعة.

ج– التأكيد على صعوبة هذا العمل؛ إذ يستغرق الكثير من الجهد والوقت في مقابل قلة العائد المادي.

- يتسـم العاملون في تلك الصنعة بالأمية غالباً، وقلة الدخل وانخفاض مستوى المعيشة.
- عـدم رغبة العاملين في تلك الصنعة في تركها والتمسك بها رغم ما بها من صعوبات إلا أنهم اعتادوا عليها ولا يعرفوا غيرها.
- رغم وعي الفخاريون (صانعي الفخار) بالتكنولوجيا الحديثة، إلا أنهم يرفضون اسـتخدامها، وهناك ميل من جانبهم إلى المحافظة على القديم والتقيد بالتقنيات التقليدية والتي تعد أحد العوامل الأساسية في تدهور تلك الصنعة.

وفـي دراسـة لأستاذتي الدكتورة سعاد عثمان أجريت حول: "سبك المعادن، دراسـة في الثقافة المادية " (١٩٩١م)، تحدد الهدف الأساسي للدراسة في محاولة

وصـــف وتســـجيل بعـــض البيانات عن حرفة سبك المعادن؛ نظراً لانتشارها فى المجتمع المصرى واعتبارها جزءاً من الثقافة المادية للمجتمع المصري، إضافة إلى تحليل أنماط وقوى وعلاقات الإنتاج، ومحاولة الكشف عن بعض ملامح التغير فى أدوات الإنتاج وبعض السلوكيات والعلاقات المرتبطة بالحرفة.

وقـــد انطلقـــت الدراسة فى التحليل من خلال بعض قضايا النظرية الماركسية كنظرية لها وزنها فى تحليل البيانات الخاصة بأنماط وقوى وعلاقات الإنتاج. وعن منهجـــية الدراسة: فقد اتخذت الباحثة من حى الخليفة بمدينة القاهرة مجالاً جغرافياً لهـــا؛ نظرا لما يتمتع به من شهرة كحى حرفى من جانب، ونظراً لخبرة الباحثة به من جانب آخر. وقد اختارت أ.د. سعاد عثمان حرفة سبك المعادن نظراً لانتشارها فـــى مجتمع البحث وتمتعها بسمات تقليدية. واعتمدت على المنهج الأنثروبولوجى وأدواته فى جمع المادة الميدانية، مثل: الملاحظة، والإخباريين، وإجراء المقابلات، وعمل المسوح لشياخات الحى والحرف والورش الموجودة فى المنطقة. وتم إجراء الدراســـة الميدانـــية المتعمقة على (١٣) ورشة تتخصص فى حرفة سبك المعادن، والـــتى تتـــنوع أنماط إنتاجها، فمنها ما يختص بصهر المعدن (النحاس) وتشكيله، ومنها ما هو خاص بالألومنيوم. وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة فيما يلى:

١- علـــى الرغم من أن طريقة الإنتاج واحدة الطريقة التقليدية – إلا أن أنماط تلـــك السلع تختلف وتتباين وفقاً للمعدن المستخدم، كما أن هناك بعض الورش (المســـابك) التى تقوم بإنتاج السلع كاملة، وأخرى يتم فيها تصنيع أجزاء منها فقط. كما يمكن تصنيف تلك السلع وفقا لجودة المنتج. وقد تبين أيضا، أن هذه المســـابك تغطـــى احتياجات الطبقة الدنيا والعليا على حد سواء، إذ أنها تقوم بإنتاج بعض السلع النادرة التى يتعذر على المصانع الحديثة إنتاجها مما ساعد على بقاء تلك الحرفة واستمراريتها.

٢- ســـيادة الطـــابع التقلـــيدى فـــى شكل المسبك، أدوات الإنتاج، والمواد الخام المستخدمة، والقوى البشرية، وعمليات الإنتاج (الصهر- المزج التشكيل الصـــب – التجهيز – التلميع – الإعداد للسوق). حتى إن العمل يعد يدوياً فى مجملـــه، كمـــا أن القوى البشرية المستخدمة فى العمل محدودة للغاية وتضم عمالة الأطفال التى تمثل قوة عمل أساسية بالصنعة.

وقد أوضحت الدراسة أنه رغم سيادة كل تلك الملامح التقليدية فى حرفة سبك المعـــادن، إلا أن العمـــل فى تلك الصنعة يخضع لسيطرة رأسمالية على عدة مستويات تبدأ من صاحب العمل فالتجار الوسطاء، ثم القائمين على المصانع.

٣- أن علاقـــات الإنـــتاج تتمـــثل فى خمسة مستويات تبدأ بعلاقة صاحب العمل بالعمـــال، وكذلك علاقة صاحب العمل بتاجر المادة الخام، ثم العلاقة بأصحاب وعمـــال المســـابك المجاورة، وأيضا علاقة صاحب العمل بالتجار المتعاقدين على شراء السلع، وأخيراً علاقة صاحب العمل بالدولة.

وقد اتسمت غالبية تلك العلاقات بالصراع، حيث أن هناك استغلال يمارس بين كل الفئات، فكل فئة تستفيد من إمكانياتها فى استغلال الأخرى.

٤- تكمـــن أهم معوقات تطوير تلك الحرفة، فى: بعض الإمكانيات المادية كضيق المســـاحة، والحاجة إلى رءوس أموال، وكذلك الحاجة إلى خبراء وفنيين، وهذا من وجهة نظر أصحاب المسابك أنفسهم.

٥- وجـــود بعـــض المؤشرات الثقافية المهمة التى تلعب دورا كبيرا فى عزوف أصـــحاب المســـابك عـــن محاولات التطوير، والتى تتمثل فى تفضيل الملكية الخاصـــة والرغـــبة فى توريث المسبك للأبناء (ويتناقض هذا مع ما جاء فى دراســـة باول نيكلسون Paul Nichloson حيث عدم رغبة الآباء فى توريث المهـــنة لأبـــنائهم مـــع الرغبة أيضا فى الحفاظ على القديم وعدم الرغبة فى التطوير).

وقـــد تناولت تيسير حسن جمعه، فى دراستها حول :"الحرف والفنون الشعبية الـــيدوية فـــى مصـــر، دراسة أنثروبولوجية مقارنة لبعض جوانب الثقافة المادية " (١٩٩٤م) صـــناعة الغـــزل والنســـيج فـــى ثلاثة أنماط ثقافية متباينة وهى: النمط الريفـــي، والـــنمط الحضـــري، والنمط البدوى. وتم اختيار تجربة كفر حكيم للنمط الريفـــي، ومـــنطقة الخيامية للنمط الحضري، ومنطقة الضبعة وبرج العرب للنمط البدوى. وكان الهدف من ذلك يتمثل فيما يلى:

- محاولة الكشف عن العلاقة بين الفن والحرفة منذ العصور القديمة.
- محاولـــة الكشـــف عـــن العلاقـــة بين الخصائص الثقافية والنظم الاقتصادية والاجتماعية والحرف والفنون الشعبية اليدوية.
- تحديـــد مـــدى الاختلاف بين الأنماط الثقافية الثلاث (ريفى حضرى بدوي) مـــن الناحـــية الأيكولوجـــية والتكنولوجية وتأثير ذلك على التباين فى أنواع الحرف والفنون الشعبية.

وفـــى ضـــوء ذلك استعانت الباحثة ة ببعض الأطر النظرية كنظرية الحاجات لمالينوفسكى، ونظرية مارفن هاريس Marvin Harris والمادية الثقافية Cultutural Materialism، وكذلـــك نظرية ليفى ستروس عن: "التقابل الثنائي" التى استخدمتها

للمقابلة بين الحرفة والفن، والفن البدائى والفن الحديث، والحرفى والفنان، والجانب النفعى والجانب الجمالي، والعمل اليدوى والعمل الآلى.

أما عن الإطار المنهجى للدراسة: فقد استعانت الباحثة بالمنهج الأنثروبولوجى وأدواته من الملاحظة والمقابلة ودليل العمل الميدانى وكذلك التصوير الفوتوغرافى والتسجيل الصوتى وتصوير الفيديو. ذلك بالإضافة إلى منهج دراسة الحالة، والاستعانة أيضا بالمنهج المقارن للمقارنة بين فنون الغزل والنسيج فى الأنماط الثقافية الثلاثة. وقد خرجت هذه الدراسة بعدد من النتائج عن الحرف والفنون الشعبية اليدوية، أهمها:

١- أن الحرف والفنون الشعبية اليدوية بوصفها عنصراً من عناصر الثقافة المادية يمكن من خلالها التعرف على أنماط الحياة التى كانت سائدة فى العصور القديمة.كما أنها جاءت نتيجة لتميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى فيزيقياً فى صنعه لأدواته واستخدامه لها على نحو ملائم أدى إلى تكوين ثقافة.

٢- تختلف نظرة كل من الحرفى والفنان للإبداع، فيرى الحرفى أن مفهوم الإبداع مرادف لمفهوم العمل اليدوي، ويربط بين الإبداع فى الحرفة وبين إجادة العمل أو الدقة فى تنفيذ المنتج أو إدخال خامات جديدة أو الخروج عن المألوف وعدم النقل عن الغير، (ويتفق هذا مع ما توصلت إليه الدراسة الراهنة حيث عبر عن ذلك المعنى العديد من حالات الدراسة). أما الفنان فيرى أن الإبداع يكمن فى تقديم إنتاج غير مطروق من قبل، وعدم النقل عن الواقع، وإنما إعادة صياغته والإضافة إليه.

٣- أن هناك بعض مظاهر التشابه بين الأنماط الثقافية الثلاث فيما يتعلق بصناعة الغزل والنسيج، والتى تتمثل فى: الاعتماد على العمل اليدوى أساساً، والتفاعل مع البيئة واستخدام خاماتها، وبساطة المستوى التكنولوجى المستخدم. إضافة إلى اختلاف تأثير الجوانب الأيكولوجية على العمل الحرفى فى كل نمط واختلاف وظيفة المنتج فى كل نمط من الأنماط الثقافية الثلاث، والتباين فى الجانب التقنى وأسلوب العمل.

٤- إرتباط الحرف والفنون الشعبية اليدوية ببعض الخصائص الثقافية كالانتشار والتنوع والاستمرار والتكافل والاندثار، وببعض النظم الاجتماعية كالطائفة والطبقة الاجتماعية والعائلة والقرية.

٥- تعكس فنون الغزل والنسيج الكثير من عناصر التراث الشعبى المتمثلة فى الأساطير والحكايات والأمثال والأشعار، إضافة إلى الكثير من القيم

الاجتماعــية التى تعبر عن المكانة وإكرام الضيف والتعاون والمشاركة فى العمل.

٦- تحمــل الحــرف والفــنون الشــعبية رموزاً ذات أشكال طبيعية أو تقليدية أو هندسية، ولكل شكل من تلك الأشكال دلالته فى المعتقد الشعبى.

أما عن دراسة فاتن أحمد على، حول: "الأسواق التقليدية بمدينة الإسكندرية دراسة فى الأنثروبولوجية الاقتصادية" (٢٠٠٠م)، فقد أجريت الدراسة فى عدد من الأســواق التقليدية القديمة الواقعة بشياختى الترك والمغاربة بقلب المركز التجارى بحــى المنشــية بمديــنة الإسكندرية، والتى تضم عددا من الأسواق كسوق الترك، والمغاربة، وسوق العقادين، والدقاقين، والخراطين، والجواهرجية، والدخاخنية.

وأشــارت الباحــثة إلــى أن الاهــتمام بدراسة هذه الأسواق يرجع إلى عدة اعتبارات، تتمثل فى:

- تغــير الطــابع التقليدى المميز لبعض هذه الأسواق، حيث كانت أغلبها أسواقاً إنتاجــية، ثــم تقلــص بعضها الآن أو يكاد يصبح أسواقا تجارية تحت وطأة التغيرات الاقتصادية.
- تعكــس هــذه الأسواق بعض السمات الثقافية المميزة للأحياء التقليدية بمدينة الإسكندرية، خاصة فى مجال العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعى.
- تعكس هذه الأسواق بعض ملامح تطور التاريخ الاجتماعى الاقتصادى لمدينة الإسكندرية.

ولقــد اســتعانت الباحــثة، بإطــار تكاملى نظرى يجمع بين التحليل الوظيفى والماركســي، حيــث النظر إلى السوق كنسق كلى وكبناء يتكون من مجموعة من الوحــدات المترابطة والتى تقوم بالعديد من الوظائف المتبادلة مما يسهم فى الحفاظ علــى اســتقرار وبقاء واستمرارية تلك الأسواق التقليدية، إضافة إلى بعض قضايا التحليل الماركسى التى تفيد فى تحليل نظم وعلاقات الإنتاج.

وعــن منهجية الدراسة: استعانت الباحثة بالمنهج الأنثروبولوجى وأدواته فى جمــع المــادة الميدانية ودليل العمل الميدانى إضافة إلى المنهج التاريخى ودراسة الحالــة، ومــنهج دراســة المجتمع المحلى، حيث اتخذت من السوق وحدة أساسية للدراســة والتحلــيل. وقــد أكــدت نــتائج الدراسة على مدى خصوصية الأسواق والتغــيرات الــتى حدثت لها، والتى مازالت تحدث فى ظل تغير ظروف المجتمع، ويتضح ذلك على النحو التالى:

١- تشكل الأسواق موضوع الدراسة نسقاً كلياً، مكوناً من عدة وحدات فرعية تتسم بدرجة من التكامل والاعتماد الوظيفى المتبادل. ويبدو ذلك فى اعتماد بعض الأسواق على بعضها البعض كمصدر للحصول على ما يلزمها من المواد الخام ولوازم الإنتاج.

٢- وجود تغيرات ملموسة فى تلك الأسواق، بعضها تغييرات شاملة تتعلق باندثار بعض هذه الأسواق، وبعضها اقل حدة يرتبط بما طرأ عليها من ملامح التغير التى تشمل نوعية البضائع والمنتجات ومستوى التكنولوجيا.

٣- وجود مجموعة من القواعد والمبادئ الأساسية المتفق عليها بين العاملين بالسوق تنظم أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية وتعمل كميكانيزمات لحفظ التوازن داخل السوق، ومن هذه القواعد: المناداة، والمساومة فى الأسعار، والاتفاق المسبق على الأسعار، ومجلس الصلح، والمعايير التى تحدد نمط الاستهلاك.

٤- أن عمليات الإنتاج والتبادل التجارى داخل هذه الأسواق لا تنفصل عن المشروعات الرأسمالية أو النظم الصناعية الحديثة، بل ترتبط بها بشكل غير مباشر وتتكامل معها من عدة جوانب، ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه دراسة سعاد عثمان حول سبك المعادن.

٥- أن تلك الأسواق هى جزء لا يتجزأ عن المجتمع المحلى الحاضن لها، وهى تعكس معايير ذلك المجتمع من خلال شبكة الاتصالات والتفاعلات الاجتماعية الوثيقة التى تربط بين العاملين فى السوق.

وفى دراسة قام بها محمد السعيد أبو المعاطى: " توظيف الكمبيوتر متعدد الوسائط لحفظ وعرض بعض عناصر الثقافة المادية " (٢٠٠٢م)، اهتم الباحث بتوظيف إمكانيات الكمبيوتر متعدد الوسائط فى حفظ عناصر الثقافة المادية وعرضها واسترجاعها، باعتبارها أداة تكنولوجية هامة فى حفظ المادة الفلكلورية وأرشفتها. وفى إطار ذلك سعت الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما أنماط الحرف اليدوية الموجودة فى مجتمع الدراسة؟ وما خصائص كل منها؟
- ما نظم التدريب على هذه الحرف واكتساب الخبرة بها؟
- ما القيم الحاكمة لإنتاج الحرف اليدوية وأنماط التبادل داخل مجتمع الحرفيين مع المجتمع الأكبر؟
- كيف يمكن توظيف إمكانات الكمبيوتر متعدد الوسائط فى حفظ بعض عناصر الثقافة المادية واسترجاعها وعرضها؟

- هل يمكن تصميم برنامج يتضمن كافة الإجراءات المطلوبة، بما يساعد الباحثين والدارسين فى الاستفادة منه؟

وقد أجريت الدراسة: فى قرية دنديط إحدى قرى محافظة الدقهلية، وتم التركيز على ثلاث حرف للدراسة؛ وهى: صناعة السلال، والحصير، والأقفاص. وعن منهجية الدراسة: فقد اعتمد الباحث على مجموعة من المناهج والأدوات لجمع المادة وتحليلها، وتتمثل تلك المناهج فى: منهج دراسة المجتمع المحلى، والمنهج الأنثروبولوجي، وكذلك المنهج الفلكلورى. واعتمد الباحث على دليل العمل الميدانى بجانب الملاحظة والمقابلة والتصوير الفوتوغرافى والفيديو، هذا بالإضافة إلى دراسات الحالة للأسر. وقد أكدت الدراسة أن استخدام الصورة الفوتوغرافية أكثر ملاءمة من الفيديو فى حفظ عناصر الثقافة المادية وعرضها.

وفى السياق نفسه، نجد دراسة عنان محمد محمد، حول: " ملامح التغير فى الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة خان الخليلى بالقاهرة " (٢٠٠٣م)، التى اهتمت برصد أهم ملامح التغير فى أحد عناصر التراث الشعبى المادى وهو الحرف والصناعات التقليدية، وذلك من خلال منهجية الأنثروبولوجيا المرئية، والاعتماد على الصورة الثابتة والمتحركة فى جمع المادة وتحليلها. إضافة إلى الاهتمام بتحليل التغير من خلال الدراسة الميدانية لمقومات الإنتاج وعلاقاته فى مراحل العمل الحرفي، وكذلك محددات التغير المرتبطة بالمجتمع، مع إلقاء الضوء على ما يطرحه النسق الثقافى المادى من ميكانيزمات للحفاظ على استمراره ومقاومته للتغير. وقد حاولت الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما طبيعة التغير الذى طرأ على الحرفة فى الآونة الأخيرة، وجوانب هذا التغير؟
- ما الميكانيزمات التى يطرحها النسق الثقافى المادى للحفاظ على استمراره ومقاومته للتغير؟
- كيف يؤثر التغير الذى يطرأ على المجتمع فى تغير الحرف والصناعات التقليدية، بحيث تستمر حرفة دون الأخرى، أو تتأثر دون غيرها بالمتغيرات التى تحدث فى المجتمع؟

وعن الإطار المنهجى للدراسة: فقد تم إجراء الدراسة فى منطقة خان الخليلى بقسم الجمالية بمدينة القاهرة، وقد تم اختيار ربع السلسلة وربع المكوة مجالاً أساسياً للدراسة؛ نظراً لما يتمتع به كل منهما من كثافة حرفية إضافة إلى التنوع الحرفى فى كل منهما، وما يتسم به كل ربع من ملامح أيكولوجية مما يجعل له طبيعة

خاصــة. وقد استعانت الباحثة بكل من المنهج الفلكلوري، والمنهج الأنثروبولوجى بأدواتــه التى تبدأ بالملاحظة والمقابلة ودراسة الحالة وكذلك الاستعانة بالإخباريين والتسـجيل الصــوتى ودلــيل جمع البيانات، يضاف إلى ذلك الاستعانة بالتصوير الفوتوغرافى وتصوير الفيديو.

وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة فيما يلى:

- بقاء بعض الأدوات مع استمرار شكلها ووظيفتها،إذ يوجد الكثير من الأدوات الــتى لــم يحدث لها أى تغيير ومازالت تستخدم حتى الآن ولا توجد لها أى بدائــل آلــية، كأدوات الرسم والنقش على النحاس. إضافة إلى استمرار بعض الأدوات مــع احتفاظها بنفس الشكل ولكن مع تغير وظيفتها فى العمل الحرفى مــثل: المبارد والشاكوش. كما ظهر أيضا اندثار بعض الأدوات لتدخل الآلية كــبديل فــى أداء وظائفها، فلم تعد تستخدم العدد اليدوية والطرق القديمة فى تشطيب المنتج وتجهيزه فى جميع حرف خان الخليلى.
- حــدوث تغــير كلــى فى بعض الحرف، وقد شمل هذا التغير أسلوب الإنتاج والأدوات المستخدمة فيه، وهذه الحرف هى الصياغة والنقش على النحاس.
- أن العمالة الحرفية فى مجتمع البحث تتسم بقدر كبير من التجانس والتنوع فى نفــس الوقــت، إلى جانب وجود عمالة المرأة فى بعض حرف خان الخليلى ولكنها عمالة تتميز بعدم الاستمرار.
- تــبلورت مجموعــة من العلاقات بين مجموعة فئات تقوم بالإنتاج والتسويق. وهم صاحب الورشة والعاملين وتجار المواد الخام والورش المجاورة وكذلك الوسطاء. وقد تنوعت هذه العلاقات بين هذه الفئات من كونها علاقات صراع نتــيجة لعــدم تماثل هذه الفئات وتعارض مصالحها، وبين علاقات تقوم على الــتكافل والتضــامن الاجــتماعى بين أفراد وحدة الإنتاج نظرا لوجود بعض الــتماثل بيــنهم، وكأحد الأدوار الأساسية لصاحب العمل وهذا ما يميز النمط التقليدى للإنتاج. (ويتفق هذا مع ما ورد فى دراسة سعاد عثمان ١٩٩١م فيما يتعلق بحرفة سبك المعادن).
- أوضــحت الباحــثة أهمــية الفيديو كأنسب أدوات الجمع المرئى لعناصر الثقافة الماديــة فــى توضــيح الموضــوعات الميدانية التى يؤثر عنصر الحركة فى إبرازها، كالحركة داخل السوق، وعمليات البيع والشراء، والوصف الأيكولوجى للــربوع، كمــا أوضــحت أهمــية التصوير الفوتوغرافى فى رصد الكثير من

الجوانب المرتبطة بالانتاج كالأدوات والعمالة والخامات ومراحل العملية الإنتاجية.

٣- الخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين:

تفتقد المكتبة العربية لدراسات تهتم بخصائص الحرفية ونوعية حياة الحرفيين، وكانت دراسة أستاذتى الدكتورة اعتماد علام حول: "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير" (١٩٩١م)، من الدراسات الرائدة فى هذا المجال حيث اهتمت بالكشف عن أهم مظاهر الثبات والتغير فى عدد من الحرف والصناعات التقليدية، والتعرف على الخصائص الحرفية المتمثلة فى نموذج الحرفية عند س.رايت ميلز. وعن منهجية الدراسة: فقد قامت أستاذتى باختبار الخمس مقولات الأولى فى ذلك النمط، على عدد من الحرف التقليدية الموجودة فى كل من حارتى اليهود، والمغربلين بحى الجمالية بمدينة القاهرة. وقد تمثلت تلك الحرف والصناعات التقليدية فى: صناعة دبل البخت، ومواقد الكيروسين، ومنتجات خان الخليلي، وأيضا الخيامية. وقد اعتمدت فى ذلك على المنهج الأنثروبولوجى وأدواته المتمثلة فى الملاحظة والمقابلة والتصوير الفوتوغرافى ودليل العمل الميدانى وكذلك دراسة الحالة.

أما عن أهم نتائج الدراسة فتتمثل فيما يلى:

- اتصفت بعض الخصائص بالثبات، مثل: الاعتزاز بالحرفة، والمهارة اليدوية، والتداخل بين أوقات العمل ووقت الفراغ خلال أداء العمل اليومى، والاستقلال الذاتى فى أداء العمل.
- تعرض بعض الخصائص الحرفية للتغير، مثل: تكاملية الدور، والتوريث المهنى، وتنمية القدرات الذاتية.
- أن هناك عدد من العوامل التى تهدد بعض الصناعات التقليدية بالانهيار، كالمنافسة العالية التى يواجهها المنتج الحرفي، وتدهور خاصية التوريث المهنى بين المشتغلين فى الصناعات التقليدية، إضافة إلى انخفاض حجم العمالة الدائمة للأطفال.
- وجود بعض مظاهر الثبات والتغير فى أخلاقيات ومعايير العمل الحرفي، وهى:

١- الالتزام بتقاليد العمل الحرفى فى أداء العمل.

٢- توقير الصغير للكبير والامتثال لأوامر رب الحرفة.

٣- اســتمرار العمل بالنشاط الحرفى بغض النظر عن التقدم فى العمر، فليس من أخلاقيات أرباب الحرف الاستغناء.

٤- الالــتزام والتقــيد بمواعيد العمل اليومية بدافع حب العمل وليس اتباعاً للوائح والقوانين.

٥- المشــاركة بروح الفريق فى جميع المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة من حياة الحرفيين أعضاء جماعة العمل فى الورشة الحرفية.

٦- الــتزام الحــرفى بأداء الدور الفنى المطلوب، دون أن يكون هذا الالتزام تحت إشــراف مباشــر أو أن يكــون تحت طائلة لوائح منظمة للإنتاج وذلك بدافع انتمائية الحرفى لعمله.

٧- تنحصر مظاهر التغير فى أخلاقيات ومعايير العمل الحرفى فى :

- تلاشى دور رب الحرفة فى السيطرة على الحرفيين.
- عدم وجود معايير محددة تحدد جودة المنتج الحرفى.
- اضمحلال عملية تدريب الصبية فى الصناعات التقليدية.
- انخفــاض الشعور بروح الجماعة بين المشتغلين فى النشاط الحرفى الواحد، فأصبحت الفردية هى الموجهة للسلوك الحرفى.

٨- أن هــناك علاقــة قويــة بين التجاور الأيكولوجى للصناعات ونمط التفاعل الاجتماعى بين المشتغلين بتلك الصناعات.

وتعــد الدراســة الراهــنة اســتكمالاً لهــذه الدراسة الرائدة فى مجال دراسة الخصــائص الحرفية، حيث نهتم بدراسة المقولة السادسة فى النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز.

تعقيب:

لعــل المتأمل للدراسات السابقة يلحظ التباين بينها سواء من حيث الهدف من الدراسة أم من حيث الأطر النظرية والمنهجية التى انطلقت منها كل دراسة، وذلك كما يلى:.

١- من ناحية الموضوع والهدف من الدراسة :

اهتمــت دراســات المحــور الأول بقــياس نوعــية الحياة وتحديد مؤشراتها الإجتماعــية، والتى تباينت فيما بينها، فهناك بعض الدراسات التى اهتمت بدراسة نوعــية حياة الدول على المستوى العالمي، كالدراسات التى قام بها ميشيل هجرتى عــام ١٩٩٩م. علــى حيــن هدفت بعض الدراسات إلى قياس نوعية الحياة على

المستوى القومى من خلال تحديد عدداً من المؤشرات الموضوعية أو الذاتية أو كلاهما، ومن ذلك دراسة هناء الجوهرى سنة١٩٩٤ م حول نوعية الحياة فى المجتمع المصرى والتى اعتمدت فيها على ثلاثة مؤشرات أساسية وهى الدخل، والمهنة، والتعليم. فى مقابل دراسات أخرى التى اعتمدت على أحد المؤشرات الاجتماعية فى قياس نوعية حياة الأفراد، مثل: دراسة كاتلين وكريستوفر عام ٢٠٠٢م، حيث اهتما بوقت الفراغ كأحد المؤشرات الاجتماعية الهامة فى دراسة وقياس نوعية الحياة.

وعن دراسات المحور الثانى فقد ارتكزت بصفة أساسية على محددات الرضا عن الحياة، ومن ذلك نجد دراستا مارجريت بولما سنة (١٩٩٠م)، (١٩٩٩م)، التى اتخذت فى كل منهما من الأبعاد الدينية مؤشرًا أساسيًا للكشف عن معدلات الرضا عن الحياة لدى الأفراد. بينما اتخذ جوزيف سيرجى فى دراسته الأولى عام (٢٠٠١م) من المجتمع المحلى وما به من خدمات متغيرا أساسيا فى الكشف عن معدل الرضا عن الحياة. كما اتخذ أيضًا فى دراسته الثانية التى أجريت فى نفس العام، من العمل والرضا عن العمل، مؤشرا أساسيا للشعور بالرضا فى كل مجالات الحياة الأخرى ومن ثم الشعور بالرضا عن الحياة ككل.

أما عن دراسات المحور الثالث، فقد اهتمت بالعمل الحرفى ونوعية حياة الحرفيين، وقد تباينت فيما بينها من حيث الهدف من الدراسة فهناك بعض الدراسات التى اهتمت بالحرفة من الجانب الاقتصادى لها كأحد أنشطة القطاع غير الرسمى من أجل الكشف عن أهم ملامحها وسماتها وخصائص المشتغلين بها، ومن ذلك دراسة دونالد ميد (١٩٨٥م)، ودراسة جورج شتاوت (١٩٩١م)، وأميرة مشهور وعالية المهدى (١٩٩٤م) إضافة إلى دراسة أستاذتى أ الدكتورة اعتماد علام (٢٠٠٠م) ودراسة الدكتورة آمال عبد الحميد (٢٠٠٠م). كما اهتمت العديد من الدراسات الأخرى بدراسة العمل الحرفى كأحد عناصر الثقافة المادية التى لابد من الاهتمام بها والحفاظ عليها من الاندثار كدراسة باول نيكلسون حول صناعة الفخار (١٩٨٥م)، ودراسة أستاذتى الدكتورة سعاد عثمان حول سبك المعادن (١٩٩١م)، وأيضاً دراسة تيسير جمعة (١٩٩٤م)، والدكتورة فاتن أحمد على (٢٠٠٠م) حول الأسواق التقليدية بمدينة الاسكندرية، يضاف إلى ذلك دراسة محمد السعيد (٢٠٠٢م)، ودراسة عنان محمد (٢٠٠٣) التى اهتمت كل منهما بتوظيف امكانيات الكمبيوتر متعدد الوسائط فى حفظ عناصر الثقافة المادية وعرضها واسترجاعها. كما اهتمت

دراسة الدكتورة اعتماد علام (١٩٩١م) بدراسة الخصائص الحرفية لعدد من الحرف والصناعات التقليدية فى المجتمع المصرى.

٢- الأطر النظرية :

انطلقت العديد من دراسات نوعية الحياة من نظرية التدرج الهرمى للحاجات عند ماسلو Maslo، ومن ذلك دراسة ميشيل هجرتى Micheal R.Hagerty، وجوزيف سيرجى Joseph Sirgy من هذه النظرية، فقد افترض ماسلو أن هناك تصنيف تدريجى للحاجات الإنسانية يضم خمسة مستويات يحوى المستوى الأدنى الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والماء والجنس والمأوى وما إلى ذلك. ويضم المستوى الثاني، الحاجة إلى الأمان والطمأنينة،. ويتكون الثالث، من الجوانب المتعددة للحاجات إلى الحب والانتماء. أما عن المستوى الرابع فيشمل الحاجة إلى الاستقلال والحرية، وفى أعلى المستويات تأتى الحاجة إلى الجمال الفنى والمعرفة.

ويرى ماسلو أن الإنسان يشبع حاجاته وفق نظام صاعد من الأدنى إلى الأعلى، كما يؤكد أن إشباع هذه الحاجات بالنسبة للفرد قد يتعرض للتعويق أو التيسير بسبب طبيعة المجتمع والبيئة والتى يمكن قياسها بمؤشرات موضوعية.

وانطلقت بعض الدراسات الأخرى من نظرية الإفاضة Spillover theory، والتى تفترض أن الرضا عن الحياة يرتبط وظيفياً بالرضا عن كل مجالات الحياة الأخرى ومجالاتها الفرعية. وفى هذا الإطار أكدت دراسة سيرجى ٢٠٠١م، أن الرضا عن المجتمع المحلى يؤدى إلى الرضا عن مجالات الحياة الأخرى ومن ثم الرضا عن الحياة ككل، كما أكد أيضا فى دراسته حول نوعية حياة العمل، أن الرضا عن العمل يعد مؤشراً مهماً للرضا عن مجالات الحياة الأخرى وبالتالى عن الحياة ككل.

إضافة إلى نظرية القدرة على الحياة Livability theory التى تسهم فى قياس الرضا عن الحياة، حيث تفترض أن الأفراد يقوموا بتغيير الرضا عن حياتهم استنادا إلى أسس مطلقة. فى مقابل النظرية المقارنة Comparison theory التى ترى أن الأفراد يعبروا عن معدل رضاهم عن حياتهم استنادا إلى معايير نسبية ومقارنة بخبراتهم الماضية أو بالأفراد الآخرين.

وفى دراسة العمل الحرفى انطلقت العديد من الدراسات من التحليل الماركسى حيث الاهتمام بتحليل أنماط وقوى وعلاقات الإنتاج، ومن ذلك دراسة دونالد ميد (١٩٨٢م)، ودراسة الدكتوره سعاد عثمان حول حرفة سبك المعادن (١٩٩١م)، وأيضًا

دراسة جورج شتاوت (١٩٩١م). بينما انطلقت بعض الدراسات من التحليل البنائى الوظيفى في دراسة الحرف والصناعات التقليدية، ومن ذلك دراسة الدكتورة آمال عبد الحميد (٢٠٠٠م)، بينما اتجهت بعض الدراسات إلى الجمع بين كل من الاتجاه الوظيفى والماركسى كدراسة الدكتورة فاتن أحمد على (٢٠٠٠م)، وعنان محمد (٢٠٠٣م). وقد انطلقت الدكتورة اعتماد علام فى دراسة الخصائص الحرفية (١٩٩١م) من النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز – والذى يمثل الإطار النظرى الذى تنطلق منه الدراسة الراهنة – كما اعتمدت على النظرية التبادلية فى دراسة أخرى (٢٠٠٠م) حول التنظيم الاجتماعى لمنشآت القطاع غير الرسمى وعلاقتها التبادلية مع المجتمع المحلى.

٣- الأطر المنهجية :

اعتمدت غالبية الدراسات في دراسة نوعية الحياة وقياس الرضا عن الحياة على المسوح والاستبانات كأدوات أساسية فى جمع البيانات، حيث أجريت غالبيتها على المستوى الماكرو الذى يشمل عينات كبيرة الحجم، مما قد يسهم فى انخفاض مستوى الدقة المطلوبة من البيانات، خاصة تلك التى استعانت بالمسح البريدى أو جمع البيانات عن طريق التليفون. إذ أن موضوع نوعية الحياة من الموضوعات التى لا يمكن الكشف عنها إلا بالاقتراب من عالم الحياة اليومية للأفراد، وبصفة أخص فيما يتعلق بدراسة نوعية حياة الأفراد. فكان هناك ندرة تامة فى الاستعانة بالمنهج الأنثروبولوجى ومنهج دراسة الحالة فى دراسات نوعية الحياة، ،على الرغم من أهميته كمنهج يسهم فى الاقتراب من الحياة اليومية للمبحوث وإمكانية الكشف عن كل تفاصيلها كما هى بالفعل وليس كما يعبر عنها أصحابها.

على الرغم من وفرة التراث العالمى فى مجال دراسة نوعية الحياة، إلا أن هناك افتقار لمقياس موحد لنوعية الحياة ولقياس الرضا عن الحياة وعن مجالات الحياة المختلفة، فكانت هناك العديد من المحاولات لقياس نوعية حياة الدول على المستوى الماكرو، بينما لم نجد على المستوى الميكرو أى مقياس عام يسهم فى دراسة نوعية حياة الأفراد ويسهم فى الكشف عن معدل الرضا العام عن الحياة ككل وعن مجالاتها المختلفة. وقد يرجع ذلك إلى تباين الأطر النظرية للباحثين وعدم الاتفاق على تحديد المؤشرات الاجتماعية الخاصة بنوعية الحياة.. وقد سعت الدراسة الراهنة إلى محاولة بناء مقياس يسهم فى الكشف عن نوعية حياة الحرفيين، والتى قد تعد خطوة على الطريق لسد الثغر الموجود فى التراث العالمى لدراسات نوعية الحياة..

وقد اعتمدت غالبية الدراسات على المنهج الأنثروبولوجى وأدواته فى جمع المادة الميدانية التى تتمثل فى الملاحظة والمقابلة والتصوير الفوتوغرافى والاستعانة بالإخباريين وكذلك منهج دراسة الحالة، والتى مكنت من الوصول إلى نتائج أكثر عمقاً. كما اتخذت الغالبية العظمى من تلك الدراسات الورشة كوحدة أساسية للدراسة والتحليل، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع حيث تتطلب دراسة الحرف التقليدية ضرورة ملاحظة الباحث للعملية الإنتاجية وللحرفى وبيئة العمل وطبيعة علاقات العمل.

وقد تنوعت الدراسات التى أجريت على المستوى المحلى فى مجالاتها الجغرافية فقد أجريت بعضها داخل أحياء بمدينة القاهرة كدراسة سعاد عثمان حول حرفة سبك المعادن، والتى أجريت فى حى الخليفة بمدينة القاهرة، ودراسة جورج شتاوت التى أجرت بحى الجمالية على أحد الحرف والصناعات التقليدية وهى صناعة الألومنيوم، ودراسة اعتماد علام التى اهتمت بعدد من الحرف والصناعات التقليدية وذلك فى حارتى اليهود والمغربلين بالقاهرة، وكذلك دراسة آمال عبد الحميد، واعتماد علام لأنشطة القطاع غير الرسمى فى حى بولاق والمطرية بالقاهرة ودراسة عنان محمد على عدد من الحرف التقليدية بخان الخليلى فى القاهرة.

كما كانت هناك بعض الدراسات التى أجريت على المجتمع المصري، لكن خارج حدود مدينة القاهرة، كدراسة فاتن أحمد على التى تناولت فيها الأسواق التقليدية فى مدينة الإسكندرية، ودراسة تيسير حسن جمعة التى اهتمت بصناعة الغزل والنسيج فى ثلاثة أنماط ثقافية وهى كفر حكيم للنمط الريفي، ومنطقة الخيامية للنمط الحضري، ومنطقة الضبعة وبرج العرب للنمط البدوى. وأيضا دراسة باول نيكلسون حول صناعة الفخار والتى أجريت بإحدى القرى فى شمال مدينة الأقصر ودراسة محمد السعيد حول كل من حرفة السلال والحصير فى إحدى قرى محافظة الدقهلية.

٤- أبرز النتائج العامة:

- لا يمكن الكشف عن نوعية الحياة وقياسها دون الاعتماد على كل من المؤشرات الموضوعية Objective Indicators والمؤشرات الذاتية Subjective Indicators، فلابد من الاعتماد على المؤشرات الموضوعية التى تقيس الظروف الواقعية التى يعيش فى ظلها الأفراد والتى تتمثل فى: الإسكان، والبيئة، والتعليم، والدخل، والصحة، والمهنة... وغيرها، مع عدم إغفال تلك

المؤشـرات الـتى تتعلق بالفرد ذاته والتى تعبر عن درجة رضاه عن مجالات الحياة المتنوعة والتى تنعكس فى مجملها على الشعور بالرضا عن الحياة ككل. (هناء الجوهري، ١٩٩٤م).

- يرتـبط التحسن فى نوعية الحياة بالتقدم فى المستوى الاجتماعى الاقتصادي، حيث تبين أن الأفراد الذين يتمتعوا بمستوى اجتماعى أعلى فانهم يعيشون فى مسـتوى أفضـل ويكـون ذلك مؤشراً لنوعية حياة افضل. (هناء الجوهري، ١٩٩٤م)
- أن هـناك علاقـات ارتباطيه دالة بين المؤشرات الموضوعية (المهنة، الدخل، التعليم) لنوعية الحياة، والمؤشرات الذاتية التى تتعلق بمعدلات الرضا عن الحياة وعـن مجالات الحياة الأخرى. وقد فسرت ذلك هناء الجوهري، بأنه يرجع إلى خصوصـية المجـتمع المصـرى وطبيعة الثقافة السائدة به، التى تفرض على الأفـراد ضرورة التكيف مع ما هو كائن والإيمان بالقسمة والنصيب، والاقتناع بمـا هو موجود، مما يفسر رضاء الأفراد عن حياتهم وعن المجالات المتنوعة للحـياة بغض النظر عن مستوى الإشباع الذى تحقق بالفعل، وذلك على العكس من المجتمعات الأخرى المتقدمة.
- أن نوعـية حياة العمل لا تؤثر فقط على الرضا عن العمل، بل تؤثر أيضا على الرضا عن مختلف مجالات الحياة الأخرى كالحياة الأسرية، والحياة الاقتصادية، والاجتماعـية. وهكـذا يعد الرضا عن العمل نتيجة لما تتصف به نوعية حياة العمـل، بمعنى أنه يمكن استخدام نوعية حياة العمل كمؤشر كلى لنوعية الحياة (Sirgy ,2001).
- الرضـا فى مجال العمل وإشباع الحاجات المختلفة فيه يسهم فى تحقيق الرضا فى مجالات الحياة الأخرى (الأسرة، البيئة، الأصدقاء، الزواج، الجيرة، الدخل،.. وغـيرها) ومـن ثم ينعكس ذلك بشكل واضح على الشعور بالرضا عن الحياة ككل (Sirgy ,2001).
- أوضـحت أسـتاذتى الدكتورة اعتماد علام (١٩٩١م)، أن الخصائص الحرفية تـتأرجح بين الثبات والتغير، فهناك العديد من الخصائص التى اتصفت بالثبات كالمهـارة الـيدوية، والاعـتزاز بالحرفة، والتداخل بين أوقات العمل والراحة والاسـتقلال الذاتـى فى العمل الحرفى. بينما اتصفت بعض الخصائص بالتغير خاصة فيما يتعلق بتكاملية الأدوار، والتوريث المهني، وتنمية القدرات الذاتية.
- كمـا أكـدت دراسة أستاذتى الدكتورة سعاد عثمان (١٩٩١م)، والدكتورة فاتن احمـد علـى (١٩٩٦م)، وعنان محمد (٢٠٠٣م)، أن هناك العديد من جوانب

التغـــير وكذلك الاستمرار فى النسق الحرفي، فالاستمرار والتغير يتلازمانِ فى العمـــل الحرفي ، ويتفاوتان أيضاً تبعا لكـــل حرفة، وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال قوى الإنتاج وعلاقاته.

- أن هـــناك علاقـــة قويـــة بين التجاور الأيكولوجى للصناعات الحرفية ونمط الـــتفاعـــل الاجـــتماعى بين المشتغلين بتلك الصناعات، فكلما زاد التجـــاور الأيكولوجى زاد التفاعـــل الاجتماعى بشكل ملحوظ (اعتماد علام، ١٩٩١م) ، (عنان محمد، ٢٠٠٣م).
- أن الورشة الحرفية كوحدة إنتاج ليست مكان للعمل فقط، وإنما هى مقر أساسى لدعـــم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الحي، فالورشة كوحدة مؤسسية تدمج بين كـــلا من الوظائف الإنتاجية الضرورية للمعيشة، وكشبكة للعلاقات الاجتماعية المحلية (Shtaut,1991).
- وجود علاقة من المنفعة المتبادلة بين المنشأة الحرفية والمجتمع المحلى الحاضن لهـــا، رغم أنها لا تخضع لضوابط محددة، وقد أكدت ذلك كل من دراسة اعتماد عـــلام (٢٠٠٠م)، إذ رأت أن العلاقـــة تنهض على خاصية الجذب الاجتماعى Social attraction الذى يزكيه بقوة معايير ثقافية سائدة تحكم سلوكيات الأفراد ســـواء المشتغلين داخل المنشآت أو المقيمين داخل المجتمع المحلى، وتعتمد قوة الجـــذب الاجـــتماعى بين الطرفين على التوقعات المنتظرة من كل منهما تجاه الآخر. وفى دراسة فاتن أحمد على (٢٠٠٠م)، أوضحت أن الأسواق هى جزء لا يـــتجزأ مـــن المجتمع المحلى وهى تعكس معايير المجتمع المحلى من خلال شـــبكة الاتصالات والتفاعلات الاجتماعية الوثيقة بين العاملين في السوق، والتى تحكمهـــا مجموعـــة مـــن القواعد والمعايير الأساسية المتفق عليها بين العاملين بالسوق تنظم أنماط التفاعل وتعمل كميكانيزمات لحفظ التوازن داخل السوق.
- أن هـــناك تفـــاعل ديـــنامى بين الثقافة الشعبية السائدة فى الحى الشعبي، وبين أنشطة القطاع غير الرسمي، حتى اصبح كل منهما إحدى آليات استمرار الآخر مما يحقق تكامل واستمرار البناء الكلى (آمال عبد الحميد، ٢٠٠٠م).
- تبيـــن مـــن نتائج الدراسات السابقة أن هناك العديد من عوامل تدهور واندثار الحـــرف والصـــناعات التقلـــيدية، والتى تكمن فى ضعف الإمكانات المادية، والحاجـــة إلى رؤوس أموال، وكذلك الحاجة إلى خبراء وفنيين (سعاد عثمان، ١٩٩١م)، إضـــافة إلى عدد من العوامل الثقافية كعدم رغبة العاملين فى تعليم أبـــنائهم وتوريـــثهم الصنعة التى يعملوا بها، والأمية التى يتسم بها العاملون وعـــدم الرغـــبة فـــى التغيير والتطوير والتمسك بالقديم (Nicholson, and

(Patterson, 1985 كما ذهبت عنان محمد فى دراستها عام (٢٠٠٣م) إلى أن أهم عوامل التدهور تكمن فى المنافسة العالية، وتدهور خاصية التوريث المهني، وانخفاض حجم العمالة الدائمة للأطفال، إضافة أيضاً إلى عدد من العوامل التى تسهم فى تدهور وإندثار الحرف التقليدية والتى تتمثل في: الضرائب والتأمينات، التى تفرض على الحرفيين وتعوقهم عن العمل، وظهور العديد من المنتجات التى تعد مجرد بدائل صناعية لهذه الحرف وتجد إقبالاً من المستهلك نظراً لانخفاض أسعارها مقارنة بالمنتجات الحرفية اليدوية مما يهدد بقاء واستمرارية تلك الحرف والصناعات التقليدية.

٤

الفصل الرابع
الحرفيون ونوعية الحياة فى المجتمع المصرى - رؤية بنائية تاريخية

مقدمة

المرحلة الأولى: المجتمع المصرى القديم.

المرحلة الثانية: منذ الفتح الإسلامى لمصر وحتى بداية حكم محمد على.

المرحلة الثالثة: فترة حكم محمد على وخلفائه (١٨٠٥-١٨٧٩).

المرحلة الرابعة: منذ التدخل الأوروبى وحتى قيام ثورة يوليو (١٨٨٢-١٩٥٢م).

المرحلة الخامسة: من عهد الثورة وحتى عصر الانفتاح (١٩٥٢-١٩٨٠م).

الفصل الرابع

الحرفيون ونوعية الحياة في المجتمع المصري

رؤية بنائية تاريخية

مقدمة :

يطلعنا استقراء التاريخ الاجتماعي للنظام الحرفي في المجتمع المصري على العديد من الخصائص النوعية لكل من البنية الاجتماعية للمجتمع المصري وعلى الخصائص النوعية للنظام الحرفي الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك البنية. إذ تؤكد رموز البرديات والنصوص المصرية التي عثر عليها في أنحاء متفرقة من مصر أن بدء ممارسة النشاط الحرفي كان متزامناً ومتلازماً مع بزوغ شمس الحضارة المصرية العريقة والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ البشري (اعتماد علام، ١٩٩١: ٧١،٧٠). وانطلاقا من هذا كان لزاماً علينا التعرف على خصائص تلك البنية الحرفية من خلال رؤية بنائية تاريخية للوقوف على أهم ملامحها وسماتها والعوامل التي أدت إلى تدهورها واضمحلالها تارة وازدهارها وتطورها تارة أخرى، إضافة إلى خصائص الحرفيين وسماتهم وأوضاعهم والظروف التي حكمتهم وعاشوا في ظلها، والتي تعد انعكاساً واضحاً للظروف والمراحل التي مر بها المجتمع المصري خلال مختلف المراحل التاريخية المتعاقبة.

و يمتد التاريخ الاجتماعي للنظام الحرفي منذ عصر الفراعنة (المجتمع المصري القديم) وحتى الآن، وهي فترة طويلة مما يصعب من مهمة استعراض أهم ملامحها وأبعادها بشكل تفصيلي، إضافة إلى ندرة البيانات على حد علم الباحثة التي تصف الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي مر بها النظام الحرفى فى المجتمع المصري خلال الحقب الزمنية المتعاقبة. لهذا فسوف يختص هذا الفصل بتناول بعض المراحل التاريخية التي تعكس أبعادا مؤثرة على تشكل البنية الحرفية عامة، وسمات الحرفيين وأحوالهم الاجتماعية خاصة. مع محاولة رصد أهم مؤشرات نوعية حياة الحرفي وأسلوب معيشته كما يعكسها العمل الحرفي في كل مرحلة من تلك المراحل التاريخية وبقدر ما هو متاح من بيانات، حيث تتباين تلك المراحل والحقب التاريخية من حيث التسجيل والتدوين لها، فتوجد فترات لا يتوفر لها أي تسجيل، وفترات أخرى المدون عنها قليل جداً بينما تتمتع فترات أخرى بكثافة التسجيلات التاريخية.

ولأغراض التحليل سيتم تقسيم تلك الحقب التاريخية منهجياً إلى خمس مراحل تاريخية أساسية والتي تتمثل فيما يلي:

١- المجتمع المصري القديم.
٢- منذ الفتح الإسلامي لمصر وحتى بداية حكم محمد على.
٣- في فترة حكم محمد على وخلفائه لمصر.
٤- منذ التدخل الأوروبي وحتى قيام ثورة يوليو(١٨٨٢م ١٩٥٢م).
٥- من عام ١٩٥٢م وحتى عصر الانفتاح.

وقد تم ذلك التقسيم بناء على أن كل من تلك الفترات والحقب التاريخية كان يتسم بالعديد من الملامح السياسية والاقتصادية التي كان لها كبير الأثر في تشكل البنية الحرفية عامة وفي تشكل نوعية حياة العمل الحرفي ونوعية حياة الحرفيين خاصة.

فقد كان العمل الحرفي هو المصدر الأساسي والوحيد للإنتاج السلعي الذي تحتاج إليه مختلف الشرائح الاجتماعية في المجتمع المصري فيما قبل عصر محمد علـى، لذلك كان الحرفي يتمتع بمكانة اجتماعية عالية وكان النظام الحرفي يشهد تطورا وازدهاراً ملموساً في جميع المجالات الحرفية، إلا أنه مع قدوم عصر محمد علـى والاتجاه إلى التحديث في ظل نظام الاحتكار السياسي الذي اتبعه محمد على، وإدخال الصناعات الأجنبية لتدخل في منافسة غير متكافئة مع الصناعات المحلية مما أدى إلى انخفاض المكانة الاجتماعية للحرفي وتدهور الأنشطة الحرفية واندثار الغالبية العظمى منها، لذلك كان عصر محمد على يمثل نقطة تحول أساسية في التاريخ الاجتماعي للمجتمع المصري من ناحية وفي التاريخ الاجتماعي للنظام الحرفي ومن ثم نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم ومكانتهم الاجتماعية من ناحية أخرى. إضافة إلى ما تبع ذلك من فترات التدخل الأوروبي على مصر والتي تبدأ بالاحتلال البريطاني لمصر وتليها الحربين العالميتين الأولى والثانية التي كان لها كبير الأثر في حدوث النهضة الصناعية في المجتمع المصري، ونختتم ذلك بمرحلة تطور الصناعة المصرية منذ عهد الثورة وحتى عصر الانفتاح الاقتصادي.

المرحلة الأولى :الحرفيون ونوعية الحياة فى المجتمع المصري القديم :

مارس المصريون القدماء العديد من الأنشطة الحرفية والصناعات والمهن، ومع ذلك فلم تكن صناعة المعادن لديهم بارزة نسبياً، حيث جاء عصر صناعة المعادن العظيم في مصر متأخراً نسبياً عنه في غرب آسيا، فقد ظهر النحاس ببطء في نهاية

عصـــر ما قبل التاريخ، ولم يبدأ استعمال البرونز إلا في حوالي سنة٢٠٠٠ ق.م. أي بعـــد اســـتعماله فـــي الشرق بألف سنة، وكذلك أدخل الحديد تدريجياً في الصناعات المصرية فيما بين سنة ١٠٠٠ وسنة ٦٠٠ ق.م. (بوزنز، ٢٠٠٣: ٢٠٥).

وقـــد اتصف الحرفي في تلك الفترة بالكثير من القدرات الإبداعية واتضح ذلك فـــي إنتاجه العديد من المنتجات بالغة الدقة في فنون الزخرفة والنقش والمشغولات الذهبـــية والفضـــية دقيقة الصنع إضافة إلى براعة المصري القديم في حرفة البناء والـــتجارة كبـــناء الأهرامات الذي يعد شاهداً إلى الآن على دقة صنعهم وبراعتهم. وكـــان العمل البشرى هو مصدر القوة الوحيدة في مصر القديمة، والتي تكونت من الفلاحيـــن أساسا ومن أسرى الحرب والمساجين يضاف إليهم عدد كبير من العمال الذيـــن بمســـتوى العبيد ويأتي غالبيتهم إلى العمل عن طريق السخرة، وكانت طبقة الصـــناع والموظفيـــن في تلك الفترة تشكل الطبقة الوسطى في المجتمع بينما كان الموظفـــون شـــديدي الازدراء للصناع وكثيراً ما تهكموا على حياتهم الشاقة، حيث كـــان الموظـــف يحـــيا حياة رغدة نوعا ما وكانت بعض المهن مربحة جداً كمهنة الصـــائغ والنحات (بوزنز،٢٠٠٣ :٢٤٦،٢٤٥) ويدل ذلك على تباين حياة الصناع ومســـتويات معيشـــتهم نتـــيجة للتبايـــن فـــي أنماط المهن والأنشطة الحرفية التي يمارسونها.

وقد شهد عصر الفراعنة بداية تكون نظام الطوائف الحرفية Crafts Guilds، "التـــي تعـــرف بأنها تلك الوحدة الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع والتي ينـــتظم فيها أصحاب رأس المال والعمال المشتغلون بها وأنها تشكل مجتمعاً قائماً بذاتـــه يكـــاد يكون منعزلاً عن المجتمعات الأخرى "(محمد أنيس، ١٩٨٥: ١٥) وقـــد كـــان العمال، يلتفون حول رؤساء الصناعات في ذلك العصر وكانت المهن الحرفـــية وراثية، كما كان ممنوع على الأشخاص في العصر الفرعوني أن يغيروا مـــن مهنـــتهم إلا بعـــد الحصول على موافقة السلطة الإدارية، وقد اتصفت العمالة الحرفـــية في تلك الفترة بالتشوه وعدم التجانس نتيجة لتباين الأصول العرقية ونظام الـــرق الـــذي كان سائداً في تلك الفترة، حيث جمعت العمالة الحرفية بين الأحرار والعبـــيد فكانت البنية الحرفية إفرازاً حياً لتشوه البنية الاجتماعية الطبقية في مصر القديمـــة. وقـــد تباينت المكانة الاجتماعية للحرفيين فالأحرار لا يتساوون مع العبيد مـــن حيـــث المعاملة أو العلاقات الاجتماعية، وكذلك الوضع الوظيفي الذي يشغله الحرفي وتباينت كذلك مستويات المعيشة ونوعية حياة تلك الفئة نتيجة لتباين المكانة الاجتماعية والطبقية لهم (اعتماد علام، ١٩٩١: ٧٠ –٧٨).

وقد قدم المصريون القدماء العديد من الشواهد التي تدل على مدى التفاعل بين الفنان المصري القديم وبيئته الطبيعية المحيطة، من خلال ما ظهر لديهم من نقوش ورسومات تصور جميع مشاهد الحياة اليومية للمصري القديم كما يعيشها بالفعل، ومواقف من حياته اليومية كتصويره وهو يصيد فرس النهر وتصويره للحرف المختلفة التي مارسها وأبدع فيها والتي ارتبطت ببيئته المحيطة كصناعة السلال الخفيفة من نبات البردي والغزل والنسيج والصباغة والخبز والجزارة والنجارة وصناعة القوارب والسفن، مما يكشف لنا عن العديد من ملامح الحياة الاجتماعية للحرفيين في تلك الفترة وأسلوب معيشتهم (تيسير جمعة، ١٩٩٤: ٦٦،٦٧).

وقد تمثلت أهم الحرف والصناعات في تلك الفترة في :

- **المنتجات النحاسية**: من أهم المعادن التي استخدمها المصريون القدماء في الصناعة هي معدن النحاس رغم أنه جاء استعماله في مصر تدريجياً في نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد، فلم يستعمله المصريون في عصور ما قبل التاريخ، ومنذ عصر الأسرات صنعت التماثيل الملكية وتماثيل الآلهة من النحاس وشاعت عادة تزيين القبور بزخارف نحاسية، إضافة إلي الأسلحة المصنوعة من النحاس والآلات والأدوات المنزلية، وقد استغلت الحكومة المصرية مناجم النحاس في شبه جزيرة سيناء منذ الأسرة الثالثة وقامت بإنتاج سليكات النحاس لتزيين العيون وحمايتها من وهج الشمس، إضافة إلى أنها قامت باستيراد المزيد والمزيد من هذا المعدن نظراً لاستخداماته المتعددة في أسلحة القتال وأدوات النجارين والتماثيل وكذلك الحلي والأمواس والمرايا ولوازم الأبواب والأواني وغيرها (بوزنز، ٢٠٠٣: ٢٠٦، ٣٣٢)
- **صناعة الذهب**: كانت أبدع وأدق صناعة معدنية مصرية هي صناعة الذهب، فقد كان الذهب في حد ذاته ذا قيمة عالية عند قدماء المصريين ليس لاعتبارات اقتصادية فحسب بل لكونه مادة الشمس، فهو المعدن اللامع الغير قابل للفساد، وهو الذي انبعثت منه الآلهة وقد اعتقد قدماء المصريين أن الربة حتحور هي " تجسيد " الذهب، وكان أحد الألقاب الملكية عند قدماء المصريين " حورس الذهبي " فقد كسيت تماثيل الآلهة بالذهب الرقيق واستعملت رقائق الذهب في تغطية قمم المسلات والمعابد والدهاليز وأدوات الطقوس الدينية والنقوش البارزة ذات الصور المقدسة (بوزنز، ٢٠٠٣ :١٦٦).
- **صناعة الفضة**: وقد عرف المصريون القدماء كيف يستعملون الفضة الخالصة التي أطلقوا عليها اسم " المعدن الأبيض" واعتبروها نوعاً من الذهب فصنعوا منها

رقائق مطروقة لزخرفة المجوهرات والأثاث والتماثيل الصغيرة وتقول الأساطير إن للآلهة عظاماً من الفضة ولحماً من الذهب (بوزنز، ٢٠٠٣: ٢٥٨).

وكانت الفضة أكثر قيمة من الذهب عند قدماء المصريين نظراً لندرتها إلا أن غزوات مصر في آسيا عملت على انتشارها وتم استيرادها بكميات كبيرة في الأسـرة الثامنة عشرة وتضاءلت قيمتها في مقابل قيمة الذهب حيث إنها أيضا لـم تكـن مألوفة في صناعة الحلي الشخصية في عصر الأسرات لأن الذوق المصري كان يفضل ما هو ملون، بينما شاع استعمالها في صناعة الصحون والأقـداح وزخـرفة أرضيات المعابد، ولم تستعمل بعد ذلك بكثرة في الحلي الشخصـية إلا عـندما أصـاب مصر الفقر تحت الاحتلال الروماني (مري، ١٩٥٠: ٤٠٧،٤٠٦).

- **صناعة الغزل والنسيج**: كان الغزل والنسيج من أقدم الصناعات التي مارسها المصـريون القدمـاء حيـث بـدأت منذ عصر البداري، وعندما أتى عصر الأسـرات كـان المصريون ينتجون أرق قماش كتاني، وكانت الخيوط تغزل يدوياً وعلى الأخص بواسطة النساء فهن اللاتي يقمن بعملية الغزل والنسيج، باسـتخدام الـنول اليدوي وكانت الأقمشة جميعها كقاعدة عامة غير مخططة لعامة الناس، ولم يكن يرتدى أردية مزخرفة إلا الفراعنة. وقد بدى في مناظر الدولـة القديمـة أن النساء من جميع الطبقات كن يرتدين ملابس بلون أحمر وأزرق وقلمـا كـن يلبسـن الأصفر، ولم يكن المصري ذا مهارة كبيرة في الصـباغة فكان من الصعب عليه تنويع اللون وإنما كان يقوم بصباغة قماش بلون واحد بنجاح (مري، ١٩٥٠: ٤١٤).
- **الكتان** : كان استعمال الجلد والألياف المنسوجة نادراً في الملابس أما صوف الأغـنام فكـان محـرما، وكان التيل هو المادة الوحيدة المستعملة في مصر القديمـة لصـنع الملابس بوجه عام، وكانت صناعته ثاني صناعة مهمة في الدولة، وقد ترك المصريون القدماء على مقابرهم صوراً تبين جمع الكتان إلى جانـب زراعـة الحبوب وحصادها. وقد استخدم قدماء المصريين الكتان في أغـراض شـتى مـنها الثياب والأكفان وأربطة الموتى والأشرعة والأربطة الطبية والمفروشات (بوزنز، ٢٠٠٣: ٢٨٢،٢٨٣).
- **صـناعة الزجاج**: عرف قدماء المصريين منذ أقدم العصور كيف ينتجون معدن الـزجاج وكـان ذلك في عصر الهكسوس حيث اتصالهم بالشرق وبالعراق في ذلـك الوقت، ومن أجمل منتجات عصرهم النقوش الهيروغليفية المصنوعة من

عجيـــنة الزجاج (جورج بوزنز، ٢٠٠٣ :١٨٢). وكان الزجاج يستعمل بكثرة لتقلـــيد الأحجار الكريمة في تطعيم الذهب كما في تابوت توت عنخ آمون، وقد اندثرت تماما صناعة الزجاج بعد الدولة الحديثة (مري، ١٩٥٠ :٤١٢).

- الـــنقش (النحـــت) البارز: برع المصريون القدماء في فن النحت أيضاً، حيث نجـــد المعـــابد والحوائط والأعمدة والسقوف مغطاة تماماً برسوم منقوشة في الحجـــر، وكان تنفيذ ذلك النقش وجماله في الفن الفرعوني في غاية الدقة مما يتطلب براعة ومهارة فائقة (بوزنز، ٢٠٠٣ :٣٣٣)

ويلاحـــظ مما سبق أن التاريخ المصري القديم كان يزخر بالعديد من الحرف والصناعات التي بلغت قدراً من الرقي والازدهار والذي انعكس بدوره على ارتفاع المكانـــة الاجتماعـــية للحرفي والصانع، إلا أنه باحتلال الرومان لمصر تدهورت الأنشـــطة الحرفـــية وازدادت الأحوال المعيشية والاقتصادية للحرفيين سوءاً بسبب أطمـــاع الرومانييـــن فـــي جباية الأموال وفرض الضرائب الباهظة على كل فئات الشعب المصري، وكانت أكثرها انتشاراً ضريبة الحرف اليدوية التي فرضت على كـــل شخص من الذكور والإناث العاملين في أية مهنة يحصلون على أجر أو دخل مـــنها، كمـــا شـــملت الذين يتدربون على الحرف، وكان الحرفي مطالباً بأن يطلع الجهـــات المسئولة عند قيامه باحتراف الحرفة كما كان يجب عليه أن يخطرها في حالة تركه لها (لويس، ١٩٩٧: ١٩١،١٩٢) وانعكس ذلك بشكل واضح على الحياة الاجتماعـــية للحرفـــي حيث أثقلت الضرائب كاهل الحرفيين وأصبح معظمهم غير قادرين على الوفاء والسداد مما دفعهم إلى هجر صناعتهم وحوانيتهم فانخفض حجم العمالـــة الحرفـــية خـــلال فـــترة الاحتلال الروماني لمصر، واتصفت تلك الفترة بالتكاملـــية الواضـــحة بيـــن كل من النشاط الحرفي والزراعي، حيث كان القطاع الزراعـــي يوفر المواد الخام اللازمة للإنتاج الحرفي كما كان الحرفي يقوم بتصنيع بعض الأدوات الزراعية (اعتماد علام، ١٩٩١: ٧٨-٨٠)، ويرجع السبب الرئيسي فـــي ذلـــك إلـــى أن الفلاحين الأحرار كانوا يقدمون للعمل الزراعي مصدراً أكثر رخصاً من استخدام العبيد الذين كانوا يحتاجون إلى رأسمال لشرائهم بالإضافة إلى نفقاتهم طوال العام، إضافة إلى أن طبيعة وادي النيل الضيق لم يتح الفرصة لإنتاج مكثف يرتفع لمستوى الضياع الرومانية الكبرى latifundia (لويس، ١٩٩٧: ٦٢).

وقـــد اشـــتهرت مصـــر في العصر الروماني بصناعتين مهمتين هما صناعة الكتان وأوراق البردي كما توسعت في صناعة الزجاج، أما عن صناعة النسيج فقد ظلـــت " صـــناعة منزلـــية " وكان العاملون في ميدان نسيج الكتان الممتاز يمثلون

أرستقراطية صناعية، حيث كانوا يتوارثون المهنة جيلاً بعد جيل، وكانوا يقومون بتدريب أبنائهم وتدريب الصبية والفتيات من الأسر الأخرى الأحرار منهم والعبيد، وكان سن التدريب يبدأ في الفترة بين عشر وثلاث عشرة سنة، وتتراوح فترة التدريب ما بين سنة وثلاث سنوات، وكانت هناك أيضاً عقوداً لتدريب عمال البناء وصناع النحاس وصناع الحصير والمزامير، وكان هذا العقد يلزم كلاً من الطرفين بمهمة محددة، فكان يلزم صاحب الحرفة بتدريب الصبي وتعليمه وإعطاء أجره ودفع ضرائب عنه، كما يلزم الصبي بالطاعة التامة والالتزام وعدم التغيب، وكان يتم أيضاً فرض عقوبة على كل من الطرفين في حالة عدم التزامهم بتنفيذ شروط العقد (لويس، ١٩٩٧: ١٤٩-١٥٠).

أما الصناع الذين كثيراً ما ظهروا على أوراق البردي المؤرخة بالعصر الروماني فهم البناءون وقاطعو الأحجار وصانعو الطوب والنجارون وصانعو الفخار والأدوات المعدنية، والجنازون وصانعو الأحذية والصباغون والمطرزون وغيرهم، وقد غطى رجال هذه الصناعات والحرف أهم الاحتياجات الضرورية لاستمرار الحياة اليومية (لويس، ١٩٩٧: ١٥١).

وقد بدأ النظام الحرفي يستعيد حيويته ونشاطه في أعقاب الحكم اليوناني لمصر، وازداد هذا التطور والازدهار في الصناعات الحرفية خلال العصر القبطي أيضا، وتضاعف حجم العمالة الحرفية وازدهرت العديد من الصناعات كصناعات الغزل والنسيج والسجاد وصناعة الحصر والنعال، وخلال العصر القبطي أصبح للحرفيين دور أساسي ولا يمكن الاستغناء عنهم، حيث كانت خدماتهم موجهة لخدمة الأديرة والكهنة ورجال الدين بصفة أساسية. فمنهم من يشارك في الاحتفالات الدينية، وآخرون يتعهدون بخدمة الكنيسة، إلا أن الحرفي كان يتمتع بمكانة اجتماعية ضئيلة وكان ينظر إليه كالخادم الذي ليست له حقوق اجتماعية (اعتماد علام، ١٩٩١: ٧٩-٨٠).

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن هؤلاء الصناع كانوا ينتظمون في نقابات تشبه الاتحادات في العصر الروماني والبيزنطي، حيث أكدت الوثائق البردية على وجود نقابات للنساجين وصانعي الزجاج وصانعي الأحذية وآخرين، وكانت لتلك النقابات لائحة مكتوبة تحدد الواجبات الخاصة بالأعضاء، وتحدد الغرامة المفروضة على العضو في حالة المخالفات التي يرتكبها إضافة إلى تحديد أسعار السلع، وكانت للنقابة مهام أخرى حيث كانت تقوم بمساعدة أعضائها عند الحاجة والقيام بالطقوس الجنائزية عند وفاة أحد أعضائها (لويس، ١٩٩٧: ١٦٠، ١٦١).

ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين عند قدماء المصريين:

١- يمثل الصانع الوحدة المهنية الأساسية للإنتاج الحرفي؛ إذ يعتمد العمل الحرفي في جميع مراحل العملية الإنتاجية على إبداع الحرفي وذوقه وتسيد المهارة اليدوية مع عدم الاعتماد على أي أساليب أو أدوات آلية.

٢- الاعتماد على التوارث المهني أساساً في توارث الحرفة، مما أدى إلى غرس قيم العمل الحرفي عند الأبناء منذ الصغر واكتساب المهارة اليدوية والوقوف على جميع أسرار الحرفة منذ الصغر وبالتالي ينشأ الحرفي وهو يحب تلك الحرفة ويعتبرها جزءاً لا يتجزأ عنه.

٣- سيادة نظام الطوائف الحرفية والطاعة والامتثال لأوامر رب الحرفة حتى إن الحرفي كان لا يستطيع تغيير حرفته إلا بأوامر رب الحرفة.

٤- الترقية على أساس المهارة اليدوية وسنوات الخبرة في العمل، فكان هناك هيراريكية داخل نظام الطوائف حيث يوجد الرئيس، والعريف، وصاحب العمل (الأوسطي)، وكبير العمال، والصنايعى، والصبي.

٥- تتألف العمالة الحرفية من مستويين أساسيين هما: رب الحرفة (الرئيس)، والصناع فكان لكل منهم وضعه الوظيفي ومكانته في العمل ومن ثم في الحياة الاجتماعية من حيث نمط ومكان المسكن والملبس والعلاقات مع الحكام والآخرين مما أدى إلى التباين في الأجور ومستوى المعيشة.

٦- تتألف فئة الصناع من الأحرار والعبيد الذين كان يتم التمييز بينهم في المعاملة والأجور.

٧- التباين في نوعية حياة الحرفيين ومكانتهم الاجتماعية ومستويات معيشتهم حسب نمط النشاط الحرفي الممارس، حيث ارتفاع مكانة الصايغ والنحات في عهد قدماء المصريين، في مقابل ارتفاع مكانة صناع الكتان وورق البردي وغيرها من الصناعات المرتبطة بالنشاط الزراعي في العهد الروماني.

٨- تمتع المرأة بمكانة اجتماعية عالية في ذلك العصر نظراً لاستقلالها الاقتصادي، كما كانت هناك أربع حرف مفتوحة أمام النساء وهي: الكهانة، والقبالة (فن التوليد)، والندب، والرقص. وقد ظهرت الكثير من المناظر التي تمثل الحياة اليومية وتبدو فيها المرأة أثناء عملها مع زوجها ومراقبتها للصناع... (مري، ١٩٥٠: ١٦٥،١٦٤)

المرحلة الثانية: الحرفيون ونوعية الحياة منذ الفتح الإسلامي لمصروحتى بداية حكم محمد على:

ومـــع الفتح الإسلامي لمصر ارتفعت المكانة الاجتماعية للحرفيين وكثر عدد المشـــتغلين بالنشـــاط الحرفي. حيث ساهم الدين الإسلامي في تحقيق المساواة بين أفراد المجتمع ولم يعد هناك تفرقة بين الأحرار والعبيد وبين الحرفيين وغيرهم من أفراد المجتمع. واستطاع النظام الحرفي أن يلبى جميع احتياجات البلاد من الأقمشة والمنســوجات، كمـــا اتسم بانتشار الحرف والصناعات في مختلف أنحاء البلاد بل وارتـــباطها وتوطـــنها بدرجـــة كبيرة في أماكن تواجد المواد الخام (محمد محمد، ١٩٨٧: ١٩١) وتعـــد فترة حكم الفاطميين من أبرز فترات الفتح الإسلامي – على امتدادها – تأثيراً على نمط الحياة الاجتماعية للمجتمع المصري بصفة عامة وعلى الـــنظام الحرفـــي بصفة خاصة، ومن ثم نقدم فيما يلي عرضاً مفصلاً لفترة الحكم الفاطمـــي على مصر، ويليها عرض سريع لأهم الفترات التاريخية التي توالت بعد الحكم الفاطمي والتي تتمثل في عصر الأيوبيين والمماليك، والعصر العثماني الذي انتهى بقدوم الحملة الفرنسية على مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حيـــث التركـــيز في كل منها على أهم مظاهر القوة أو الضعف التي تميزها والتي تـــنعكس بدورهـــا على تشكل الحالة الاقتصادية عامة والبنية الحرفية في المجتمع المصري خاصة..

١- العصر الفاطمي: (٩٦٩-١١٧١م):

يسجل عام ٩٦٩م لحظة حاسمة في تطور مصر العربية والإسلامية الذي بدأ مع بداية العصر الفاطمي، حيث بلغت الحرف الصناعية أوج عظمتها وشهرتها وقد شهد المجتمع المصري منذ وصول الفاطميين العديد من مظاهر التطور والتقدم في مخـــتلف المجـــالات ســـواءً في الصناعة أو التجارة أو الزراعة وأيضاً في فنون العمـــارة والإنشاء، فعندما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة ٩٧٢م كان هدفه الأساسي هو تشييد مدينة " تقهر الدنيا " بقيادة القائد جوهر الصقلي، وفى سبيل ذلك عنى الفاطميون بمختلف أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مـــن أجـــل تقويـــة دعـــائم ملكهم وعملوا على إدخال الطقوس الدينية الجديدة وفقا لعـــاداتهم، ممـــا كان له عظيم الأثر في تشكيل الحياة الاجتماعية للمصريين بصفة عامة وللمشتغلين بالأنشطة الحرفية بصفة خاصة (ريمون،١٩٩٣: ٣٨ ٤٠).

وكـــان المجـــتمع في العصر الفاطمي يتكون من طبقتين اجتماعيتين أساسيتين هي: الطبقة العليا والتي يمثلها رجال الأعمال وأصحاب البنوك والمهنيين، والطبقة الدنـــيا وتشمل من يعملون بالأعمال اليدوية إضافة إلى رؤساء الحرف(المعلمين)

والحرفيين والعمال، وفى أسفل تلك الطبقة الدنيا نجد الفلاحين ومن يعملون في مهن أقل شأناً. وقد كان موقع الإنسان في المجتمع يتحدد عن طريق أصله حيث كان الابن يعمل في مهنة أبيه ولكن كان التعليم والديانة محكات مهمة أيضاً لتحديد موقع الإنسان ومكانته الاجتماعية في المجتمع، فقد شكل المسيحيون واليهود الذين عاشوا في ظل الإسلام مجتمعات خاصة بهم تمركزت حول الكنائس المسيحية أو المعابد اليهودية وهؤلاء شاركوا المسلمين في اللغة و في الحياة الاجتماعية ومعظم العادات الاجتماعية.

وقد عنى الفاطميون بالزراعة؛ إذ أنها تمثل أهم مصادر الثروة في مصر، وكانت زراعة القمح تشغل الجزء الأكبر من الأراضي المصرية الخصبة وعلى الأخص الدلتا والوجه القبلي؛ لأنه الغذاء الرئيسي لأهل البلاد، أما الذرة فلم تكن معروفة في مصر في ذلك العهد وكان الكتان يزرع في الدلتا والفيوم أما قصب السكر فقد توسع المصريون في زراعته في العصر الفاطمي، كما اهتمت الحكومة الفاطمية بغرس أشجار الغابات حتى يتسنى لها الحصول على الأخشاب اللازمة لبناء أسطولها الحربي وكان الفاطميون يعاملون الفلاحين معاملة تنطوي على التسامح والرعاية فقد حرصوا على عدم انتزاع الأراضي من أيدي أصحابها وتم تحديد مقدار الضريبة التي يدفعها مالكو الأراضي (كوستيللو،١٩٨١: ٨١-٨٤).

أما الصناعة فقد شهدت في العصر الفاطمي تطوراً وازدهاراً ملحوظاً واستخدمت أساليب جديدة في الصناعة مما ساعد على استقرار الأمور في البلاد، فضلاً عن حياة الترف والبذخ التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية وبخاصة القاهرة والفسطاط، مما كان له كبير الأثر على الإنتاج الصناعي فلم يعد عمل المصانع مقصوراً على إمداد الجيش والأسطول الفاطمي بالسلاح والعتاد الحربي والملابس لطوائف الجند، بل امتد واتسع لسد حاجة الخلفاء والوزراء ورجال الدولة وغيرهم، ومن أشهر الصناعات التي ازدهرت في هذا العصر:

- صناعة النسيج: إذ بلغت من الرقى في مصر حيث أصبح من اليسير صنع الأقمشة الصوفية وتصديرها إلى بلاد الفرس وكذلك المنسوجات الحريرية، وقد أنشأ المعز لدين الله دار الكسوة في القاهرة والتي كانت تفصل بها الثياب لموظفي الدولة، وكان يصنع بهذه الدار أيضا كسوة الكعبة، وعمل الفاطميون على النهوض بصناعة النسيج فأنشئوا عدة مصانع لإنتاج الأنواع الفاخرة من المنسوجات، ويشير المقريزى إلى أن أروع ما برز فيه الفاطميون صناعة المنسوجات بمختلف أنواعها، ومن المواد الخام التي كانت تستخدم في صناعة النسيج نجد الكتان

والصوف وكذلك الحرير، يضاف إلى ذلك نوع آخر من النسيج يسمى التكالى وهو مذهب اللون دون ذهب ولكنه موشى، وقد أنشأ الفاطميون أيضا داراً لصناعة الحرير أطلق عليها دار الديباج (المقريزى، ج١٩٩٦،١ :٤١٣-٤٦٤). وتقدمت أيضا صناعة المنسوجات الكتانية في العصر الفاطمي نظراً لوفرة الكتان في دمياط وشرق الدلتا وكانت المراكز الرئيسية لصناعته تتركز في الفيوم وتنيس ودمياط وشطا ودبيق (زكى حسن، ١٩٣٧: ١٥٠).

- **صناعة الخزف:** وتقدمت أيضا صناعة الخزف وشهدت تطوراً ملحوظاً، فقد أشار ناصر خسرو إلى أن المصريين برعوا في صناعة أنواع مختلفة منه حتى إنه بلغ من انتشار استعماله في مصر أن البقالين وغيرهم من التجار كانوا يضعون ما يبيعونه في أوانٍ من الخزف بدلا من الورق (زكى حسن، ١٩٣٧: ١٧٥).
- **صناعة الزجاج:** وازدهرت كذلك صناعة الزجاج في العصر الفاطمي والتي يرجع منبتها في الأصل إلى عصر الفراعنة، إلا أنها تقدمت تقدماً عظيماً في العصر الفاطمي وتنوعت المصنوعات الزجاجية من القناني والزجاجات وغيرها، إلا أن أرقى المصنوعات الزجاجية الفاطمية وأكبرها قيمة فنية هو الزجاج المذهب والمزين بزخارف ذات بريق معدني وقد تركزت صناعة الزجاج في العصر الفاطمي في الفسطاط ومدينة الفيوم والأشمونين والشيخ عبادة (زكى حسن،١٩٣٧ :١٨١-١٨٣).
- **النقش على الخشب:** كما برع الفاطميون أيضا في حرفة النقش على الخشب، حيث عبر بصدق عن الطبيعة من حولهم ورسم ملامح الحياة الاجتماعية في عصرهم، فكانوا يقومون بنقش الرسومات التي تتضمن الحيوانات والنباتات على الأخشاب والتي تعبر عن مناظر الصيد أو القتال أو الموسيقى ويقلد فيها الفنان الطبيعة بأمانة وبساطة.وتضم الكثير من المساجد والكنائس القبطية بين جدرانها تحفاً خشبية والتي تعد دليلاً مادياً على براعة الفاطميين في فن النقش على الخشب.
- **صناعة التكفيت:** تعد صناعة التكفيت من أهم الصناعات المعدنية التي راجت في العصر الفاطمي، وقد ذكر المقريزى عن هذه الصناعة، أنها تشتمل على عدة حوانيت لعمل التكفيت، وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة. وقد ظلت هذه الصناعة بالمجتمع المصري بعد العصر الفاطمي

لـزيادة الطلب عليها، فلا تكاد تخلو دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت كالأطباق والمباخر والسروج (المقريزى، ج١٩٩٦،٢: ١٠٤-١٠٥).

ونتـيجة لهـذا التطور الذي شهدته مختلف المجالات الصناعية ازداد النشاط التجاري في الفسطاط والقاهرة حيث يقيم الأعيان وأصحاب الإقطاعات ويكثر توافد الـناس، وكانـت الفسـطاط مـن أهـم مراكز مصر التجارية لموقعها على النيل وتوسـطها بين الوجهين القبلي والبحري واتصالها بكافة البلاد المصرية عن طريق النيل. وقد أقيمت في مصر في ذلك العصر الوكالات التجارية وهى كالفنادق حيث كانـت مخصصـة ليـنزل بها التجار القادمون من بلاد الشرق الإسلامية، فيذكر المقريزي عن وكالة (قوصون): " أن هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والفستق والجوز واللوز والخرنوب ونحو ذلك وأن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضـائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتاً أدركناها عامرة كلها وتحوى نحو أربعـة آلاف نفـس مـا بين رجل وامرأة وصغير وكبير "، إضافة إلى ما يعرف بالقياسـر والتـي أعـدت للتجار فكانت القيسارية عبارة عن مجموعة من المباني العامـة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن ومساجد لتجار المسلمين ويعلوها رباع يقيم فيها الصناع والتجار بأجر.

كمـا يحدثـنا المقريزى عن التقدم الهائل في صناعة السفن في ذلك العصر؛ نتـيجة لازديـاد حركة النشاط التجارى، فقد تم تشييد ترسانة لبناء السفن في مدينة الفسـطاط كمـا كانـت هناك أيضاً مراكز لصناعة السفن في كل من الإسكندرية ودمياط (المقريزى، ج٢، ١٩٩٦ :١٩٣-١٩٦).

وعـن مظاهـر الحـياة الاجتماعية في المجتمع المصري خلال فترة الحكم الفاطمي، فقد تقلبت بين ألوان من البذخ والترف، ومن مظاهر ذلك القصور الكبرى التـي بـناها الفاطميون واتخذوها مساكن لهم ولأفراد أسرتهم والتي لا يزال العديد مـنها قائمـاً إلـى الآن، ومـن أشـهرها القصر الشرقي الكبير.وكان الفاطميون يحرصـون على الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى ورأس السنة الهجـرية والمولـد النبوى ويوم عاشوراء ومولد السيدة فاطمة الزهراء وليلة أول رجـب ولـيلة النصف منه، وكذلك أول شعبان ونصفه .وغيرها، وكانت تتميز مظاهـر احـتفالاتهم بكثـير من البذخ والترف وكان الشعب المصري يستقبل تلك

المواسم بالفرح والسرور (محمد سرور، ١٩٧٩ :١٣٨ ١٥٠) ولذلك ظل الشعب المصري يحتفظ بتلك الأعياد والمواسم ويحرص على الاحتفال بها حتى الآن.

وقد ارتبطت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للحرفيين ارتباطاً قوياً بحالة الثراء التي كانت عليها الدولة الفاطمية، كما تفاوتت المكانة الاجتماعية للصناع تبعاً لمدى حاجة الحكام لنمط الصناعة التي تحقق مآربهم، فقد كان الوضع الوظيفي للحرفي ونمط النشاط الممارس هو الذي يحدد مكانته الاجتماعية والاقتصادية ومن ثم نوعية حياته الاجتماعية وأسلوب معيشته إلى حد كبير، فكان النساجون وصناع الجواهر والذهب والأواني البلورية ذات النقوش والزخرفة أفضل مكانة ممن سواهم من الحرفيين في العصر الفاطمي (اعتماد علام،١٩٩١: ٨٧). ونظراً للمكانة التي كان يتمتع بها الحرفيون عند الخليفة وكبار رجال الدولة وما يتمتعون به من مهارة يدوية فائقة كان الحرفي يشعر بالثقة بالنفس ويكتسب اعتزازه لنفسه ويتمتع بمستوى معيشة أفضل إلا أن التفاوت في أجور الحرفيين كان يستند على نوع النشاط الحرفي وأهميته عند الحكام الفاطميين.

ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين فى العصر الفاطمي:

- ازدياد حجم العمالة الحرفية، وتنوع نمطها، حيث كان للمرأة دور بارز في تنمية العديد من الصناعات الحرفية خاصة صناعة الخزف والفخار والحلي إضافة إلى صناعة السجاد والنسيج (حسن الباشا، ١٩٧٠: ١٧١-١٧٣).
- انتشار ما يعرف بالوكالات والربوع والقياسر التي كانت معدة أساساً للتجار القادمين من مختلف أنحاء الدول والتي كانت تتركز بها الحوانيت والمخازن والمصانع مما يدل على ازدياد حجم التجارة في ذلك العصر.
- التخصص الحرفي الذي اتسمت به الصناعة المصرية في تلك الفترة، حيث تركز أرباب كل حرفة في منطقة ما وتعرف باسم تلك الحرفة مثل: النحاسين والصاغة والتمبكشية والضببية والعطارين والخيامية، والتي لا تزال العديد منها باقية حتى الآن وإن اختلف مضمونها إلا أنها لا تزال بنفس الاسم، مما أدى إلى شعور الحرفي بالتميز والثقة بالنفس.
- ارتفاع مكانة بعض الحرف والصناعات عن غيرها من الصناعات (كصناعة المنسوجات الصوفية والحريرية والكتانية وكذلك الخزف والتطعيم بالعاج والنقش على الخشب وصناعة الحلي والذهب) وذلك نظراً لحاجة الحكام إلى تلك الصناعات بصورة أكبر من غيرها، مما أدى إلى الاهتمام بها وتطويرها.

- الاعتماد على المهارة اليدوية للصناع بشكل أساسي في العمل الحرفي مما أدى إلى ارتفاع المستوي المهارى للصناع.
- التوارث المهني للحرف والصناعات كعامل أساسي في استمرارية النشاط ٧- ارتباط مكان السكن بمكان العمل، فكان غالبية الصناع يتمركزون في الربوع والوكالات التجارية ويقيمون فيها أو بجوارها، وعند الكثير منهم كان مكان السكن هو نفسه مكان العمل.
- كانت العمالة تتألف من العمالة القرابية أساساً مع عدم الاعتماد على العمل المأجور، ولذلك اتسمت علاقات العمل بالمرونة وسيادة المودة والمحبة والتعاون، مما كان له الفضل في شعور الحرفي بكثير من الرضا والرغبة في العمل والإنتاج خاصة وأنه كان يشعر بحريته وقدرته على الإبداع.

٢- ما بعد العصر الفاطمي :

بعد انتهاء عصر الدولة الفاطمية تولى صلاح الدين الأيوبي الحكم على مصر وقام بتشييد القلعة التي أصبحت مركزاً لحياة الدولة الرسمية والسياسية والإدارية والعسكرية. وقد كرس الأيوبيون (١١٧١-١٢٥٠م) قدراً كبيراً من اهتماماتهم للصناعات الحرفية وتنمية موارد الثروة المعدنية كما حاولوا الارتقاء بالمراكز الصناعية في مختلف أنحاء المعمورة، وكان ذلك دافعاً قوياً لازدهار الصناعات الحرفية في ذلك العهد وتحسين المنتجات الحرفية، فقد برع الحرفيون في تلك الفترة في صناعة المنتجات الجلدية وتصديرها إلى بلاد الشام وفى صناعة المنسوجات الفاخرة التي تستهلكها الطبقة الحاكمة (ريمون، ١٩٩٣: ٧٩، ٩٣). كما يؤكد المقريزى أيضا اجتياح التجار لوسط مدينة القاهرة فيقول إنه "بعد سقوط الأسرة الفاطمية وحين تم إخلاء القصور من المقيمين فيها وإحلال أمراء الأسرة الأيوبية مكانهم تحول المكان إلى سوق عادى، حيث كان التجار يبيعون جميع أنواع الأطعمة واللحوم والفواكه والحلوى والفطائر وغيرها من المأكولات " (المقريزى، ج١٩٩٦،٢ :١٤٧).

واستمر أيضا الاهتمام بالصناعات الحرفية خلال فترة حكم المماليك على مصر والتي استمرت من (١٢٥٠- ١٥١٧م) وكان ذلك النجاح السياسي والازدهار الفني الذي شهدته البلاد في فترة حكم المماليك يرتكز على الرفاهية المادية التي استمرت خلال جزء كبير من القرن الرابع عشر في ظل حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث شهدت مدينة القاهرة في تلك الفترة نمواً سريعاً في المنشآت التجارية والحوانيت والوكالات التجارية.

إضـــافة إلى ما شهدته من نمو عمراني واسع فقد قام السلطان بيبرس بتشييد الجامع الأكبر في عام ١٢٦٩م والذي يقع في شمال غرب باب الفتوح وقام ببناء المـــدارس والمؤسســـات الســلطانية الكبيرة المعروفة الآن باسم مجموعة السلطان قـــلاوون والموجودة حالياً بقسم الجمالية بمدينة القاهرة، إضافة أيضا إلى مستشفى قلاوون للرمد وتقع في شارع القصبة (المعز لدين الله الفاطمي) وغيرها حيث نجد تلــك المنشآت تشكل صروحاً مملوكية تمتعنا بمنظر رائع لا نزال نلمسه حتى الآن بالجمالية، كما أنها تقدم دليلاً حياً على الازدهار والتطور الذي بلغه فن العمارة في عصـــر المماليك، والتطور الذي بلغته الصناعات والحرف، حيث شيدت الكثير من الوكـــالات والـــربوع المخصصة للعمل الحرفي والتجارة مثل وكالة التفاح وكانت مخصصـــة لبـــيع الفواكه حيث يذكر المقريزى عن دار التفاح: " أن هذه الدار هي فـــندق تجاه باب زويلة يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضـــواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية وبظاهـــر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصـــل إلـــى الفواكـــه حـــر الشمس ". (المقريزي، ج٣، ١٩٩٦: ١٥١،١٥٢) والقيســـارية التـــي كانـــت تضم ثلاثين حانوتا مما دفع إلى تعمير المنطقة بالسكان وتضاعف عدد العاملين بالصناعة.

وهكـــذا كانـــت القاهـــرة في ظل حكم السلطان قلاوون مدينة متألقة تسودها الرفاهـــية والجمال والازدهار في جميع مجالات الصناعة والفنون المختلفة. إلا أن هـــذا الازدهـــار توقف في منتصف القرن الرابع عشر بسبب وباء الطاعون الذي أصـــاب الـــبلاد في عام ١٣٤٨هـ ١٤١٢م أو ما يعرف بالأزمة الكبرى والتي تســـببت فـــي نقص عدد كبير من السكان وكذلك انخفض أعداد الحرفيين وارتفاع معـــدلات الوفيات وبخاصة بين الأطفال، ويتأكد تدهور صناعة النسيج المحلية من الـــرواج الـــذي شـــهده نسيج " الجوخ " الذي كان يعد زياً تقليدياً مخصصاً لأفراد الطـــبقات الدنيا، إلا أنه أصبح يفرض نفسه في بداية القرن الخامس عشر وحصل علـــى رواج كبـــير نظراً لرخص ثمنه. كما حدث تدهور أيضاً في حرفة وصناعة الـــنحاس المكسو بقشرة من الفضة والتي كانت منتجاتها رائجة للغاية في القاهرة، حيـــث نقـــص الطلب عليه نظراً لحالة الفقر العامة التي اجتاحت البلاد إضافة إلى نقـــص الأيـــدى العاملة وصعوبة الحصول على المواد اللازمة للإنتاج، وقد خربت معظـــم الأســـواق وتعطلت نتيجة لهذا الوباء الكبير، فقد توقف سوق حارة برجوان وسوق القصبة وهو أعظم أسواق القاهرة فكما يذكر المقريزى :

"أن سوق القصبة من أعظم أسواق مصر، ويحتوي على اثني ألف حانوت عامرة بالعديد من أنواع المآكل والمشارب والأمتعة تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العاد عن إحصاء ما فيها من الأنواع فضلاً عن إحصاء ما فيها من الأشخاص وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل أكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت." (المقريزى، ج٣، ١٩٩٦ :١٥٤) كما نقص سوق باب الفتوح عما كان فيه من تجار وصناع وحوانيت، واندثر أيضاً سوق الشماعين حيث تباع الشموع والفوانيس ولم يبق منه سوى خمسة حوانيت، بالإضافة أيضا إلى سوق بين القصرين وكذلك معظم الخانات والوكالات والربوع التجارية التي أصابها الخراب والانهيار بعد ما شهدت من ازدهار وتقدم ملحوظ. (ريمون، ١٩٩٣: ١٣٥، ١٣٦).

وفي ظل الحكم العثماني لمصر الذي بدأ في ١٥١٧م ودام حوالي ثلاثة قرون تعرضت فيها القاهرة لكثير من التدهور والظلم الذي انعكس بشكل واضح على جميع الأنشطة التجارية والاقتصادية والحرفية وكانت أسباب هذا التدهور تتمثل فيما يلي: (إسماعيل هاشم، ١٩٧٨: ١٧٠-١٧١)

- سياسات السلب والنهب التي لجأ إليها الحكام الأتراك في مصر.
- عدم إلمام الأتراك باللغة العربية وصعوبة إقامة علاقات عمل واضحة مع القطاعات الأجنبية.
- قيام الأتراك بنقل الصناع المصريين المهرة إلى الأستانة.
- فرض العزلة على مصر.

وعن البناء الطبقي الاجتماعي في ظل الحكم العثماني: كان هناك ثلاث طبقات اجتماعية تتمثل أولها: في الطبقة الحاكمة والتي تتكون من المماليك الذين يتم اختيار كبار الأمراء وكبار رجال الدولة من بينهم، وكذلك العسكريين والذين أطلق عليهم الانكشاريون و معظمهم من الأتراك وكان غالبية هؤلاء العسكريين يمارسون أنشطة مهنية حرفية أخرى متواضعة من أجل زيادة دخولهم ومن ناحية أخرى كان العديد من الحرفيين والتجار في القاهرة ينضمون إلى هؤلاء الانكشاريين للحصول علي الحماية والاستمتاع بالمزايا الممنوحة للعسكريين.

أما عن الطبقة الثانية: فهي تتمثل في فئة العلماء والتي كانت تشغل مكانة متوسطة بين الطبقة الحاكمة التي يخدمونها وبين الأهالي الذين ينتمون إليهم، وقد كان بعضهم يقوم بأنشطة مهنية أخرى فكانوا يعملون نساخين أو خطاطين أو بائعي كتب، وكانوا يقومون بدورهم الأساسي كوسطاء بين الحكام والمحكومين. وتأتى في

المرتبة الثالثة والأخيرة فئة الأهالي وأطلق عليها العثمانيون " أبناء البلد " أو " الرعية ".

وبينما كان المماليك يحتكرون الوظائف الحكومية والإدارية والعسكرية، ويتولى العلماء الوظائف الدينية والقضائية والثقافية كان الرعايا يمثلون السكان العاملين في المجالات الاقتصادية والحرفية، وكان هناك تفاوتا كبيراً بين أبناء البلد، وقد أدى هذا التفاوت إلى اختلافات عميقة بينهم في الأحوال المادية وفى أنماط الحياة، حيث توجد في أسفل درجات السلم الاجتماعي طبقة البروليتاريا والتي أطلق عليها " العامة " وهى تضم أصحاب المهن المتجولة كالحمارة، والحمالة، والسقائين، والباعة المتجولين والأجراء وعمال اليومية، وقد كان أصحاب تلك الطبقة هم الأكثر بؤساً والأقل دخلاً فكانوا يعانون من فقر شديد ويسكنون العشش والأكواخ والأحواش. وتضم الفئة الثانية صغار ومتوسطي المهن من الحرفيين والتجار أعضاء الطوائف المهنية الذين يعملون في حوانيت وأطلق عليهم" أهل الحرف " وكان هناك تباين في أحوالهم المادية نتيجة لتباين دخولهم الشخصية إلا أن أحوالهم المادية تعد أكثر استقراراً من طبقة العامة.وفى أقصى درجات السلم الاجتماعي ارتفاعاً توجد طبقة الموسرين " البرجوازية " وتضم التجار وأصحاب المهن الحرفية، وهم الذين كانوا يمتلكون الثروات مما جعلهم على مقربة من أفراد الطبقة الحاكمة، وقد كان تجار البن والمنسوجات هم الأكثر رفاهية إذ كانت تجارة مصر الدولية ترتكز على هذين المنتجين (ريمون، ١٩٩٣ :١٨٣- ١٨٨).

وهكذا فقد كان المجتمع المصري في العصر العثماني مقسماً إلى طبقات وفئات اجتماعية.. تتفاوت حسب أصولها العرقية ووظائفها التي تعمل بها، وقد تفاوتت المكانة الاجتماعية للحرفيين حسب أنماط الأنشطة التي يقومون بها ومدى قربهم من الطبقة الحاكمة، فقد كان أعلاهم مكانة هم أصحاب المهن الحرفية والتجار حيث امتلاكهم الثروات وقربهم من أفراد الطبقة الحاكمة، يليهم أهل الحرف وهم الحرفيون الذين يعملون في الحوانيت وتكون أحوالهم المادية مستقرة إلى حدٍ ما، بينما يكون أصحاب المهن المتجولة والأجراء هم الأكثر فقراً وبؤساً. وقد ظل نظام الطوائف الحرفية قائماً خلال فترة الحكم العثماني، حيث كانت كل حرفة تؤلف من أهلها طائفة يرأسها شيخ للنظر في شئونها وتخضع لسلطته، وكانت القاهرة مقسمة إلى طوائف حتى من الناحية الجغرافية وكل طائفة تسكن مكاناً واحداً منعزلاً عن بقية المجتمع، ومع أن نظام الطوائف ظل قائماً في العهد العثماني إلا أنه فسد وساءت قواعده خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن

عشـــر، وقد ساعد على ذلك ما كانت تعاني منه مصر من حالة الركود الاقتصادي والإهمـــال في مصادر ثروتها حتى شمل الاضمحلال كافة أوجه الإنتاج والمبادلة فـــي أواخر القرن الثامن عشر. (عبد السلام عامر، ١٩٩٣ :١٤-١٦). وقد أهملت شـــئون الـــبلاد ومرافقها الكبرى أثناء فترة الحكم العثماني إهمالاً تاماً حتى انتشر الفقـــر فـــي البلاد مما أدى إلى سقوط مصر في يد الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت فيما يعرف باسم الحملة الفرنسية (١٧٩٧-١٨٠١م).

وبمجـــئ الحملـــة الفرنســـية علـــى مصر تراجعت الصناعة المصرية كثيراً وتدهـــورت أحـــوال الصناع في أوائل القرن التاسع عشر، وكانت أهم عوامل هذا التدهور تتمثل فيما يلى: (جيرار،١٩٧٨: ٢١٤-٢١٩)

- نقـــص الادخـــار والاستثمار بسبب الفقر المدقع الذي عاشت فيه البلاد لفترة طويلة من الزمن.
- تفوق أوروبا في إنتاج سلع جيدة الصنف رخيصة الثمن وتمتعها بميزة السبق في مضمار التقدم العلمي الصناعي.
- عدم توافر الظروف الملائمة لقيام الصناعة الحديثة، فقد كانت مصر فقيرة في الخامـــات المهمة كالحديد والفحم وغيرها من مقومات النهضة الصناعية هذا إلى جانب افتقارها إلى العمال الفنيين.

ومـــن الخصـــائص الصناعية في ذلك الوقت: صغر حجم المنشآت الصناعية نظراً لضيق نطاق السوق، وفي أغلب الأحيان كان يعمل صاحب المنشأة بمفرده أو بمعاونـــة بعـــض الصبية. ومن الصناعات ما كان يمارس في المنازل لا في مكان خـــاص بـــه، وكـــان رب العمـــل يعمـــل جنباً إلى جنب مع العمال وأحياناً يكتفي بالإشراف والتوجيه ومباشرة عمليات البيع والشراء وقد كانت طرق الإنتاج تقليدية إلى أبعد حد (جيرار، ١٩٧٨: ١٤٠).

- ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين في تلك الفترة :

١- تدهور العديد من الصناعات الحرفية، ويدل على ذلك التعطل والدمار الذي لحق بمخـــتلف الأسواق التجارية والوكالات والربوع وانهيار معظمها بفعل عدد من الأسباب السياسية وسيادة حالة من الفقر العام في عصر الدولة العثمانية.

٢- نقـــص حجـــم العمالة الحرفية وصعوبة الحصول على المواد اللازمة للإنتاج وتدهور المكانة الاجتماعية للحرفيين.

٣- اســـتمرار نظـــام الطوائف الحرفية، حيث كانت مصر مقسمة إلى طوائف من الناحـــية الجغرافية، إلا أنه فسد وساءت قواعده وأصبحت أداة للضبط الفعال

علـــى الاقتصـــاد والســـكان من قبل الحكومة في العصر العثماني (كوستيللو، ١٩٨١: ٩٤).

٤- التباين الطبقي الذي كانت تنطوي عليه فئة الحرفيين حسب نمط النشاط ومدى قـــربهم مـــن الطـــبقة الحاكمـــة، فكان أعلاهم مكانة أصحاب المهن الحرفية والـــتجار، يلـــيهم أهل الحرف الذين يعملون في حوانيت، بينما يكون أصحاب المهـــن المـــتجولة هم أكثر بؤساً وفقراً مما أدى إلى التباين في نوعية حياتهم ومكانـــتهم الاجتماعـــية علـــى أساس الوضع الوظيفي للحرفي ونمط النشاط الحرفي الممارس ومدى القرب من الحكام وحاجتهم لذلك النشاط.

المرحلة الثالثة: الحرفيون ونوعية الحياة فى عهد محمد على وخلفائه (١٨٠٥-١٨٧٩م):

نتناول في هذه المرحلة عصر محمد على باشا وأسرته الحاكمة من حيث أهم ملامحـــه السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة، والعوامل التي أدت إلى تدهـــور الصناعات الحرفية في عهده، ومن ثم تأثير ذلك على نوعية حياة الحرفي ومكانته الاجتماعية وأسلوب معيشته.

١- العمل الحرفي في عصر محمد على :

عـــندما تـــوج محمـــد على باشا والياً على مصر في عام ١٨٠٥م حاول بناء مصر الحديثة وإرساء دعائم الاقتصاد الوطني، وكان يرى أن القوة الاقتصادية هي الأســـاس الوحيد للقوة السياسية، فكان الهدف الأساسي للنظام الاقتصادي يتمثل في تعبـــئة الفـــائض الاقتصادي وزيادته إلى أقصاه من خلال العمل على بناء اقتصاد يقـــوم علـــى الإنـــتاج السلعي، يمثل جزءاً مستقلاً من الاقتصاد العالمي حيث تقوم الدولـــة بتصـــدير الفائض لديها من السلع الزراعية واستيراد سلع صناعية، وبذلك يمكـــن إرســـاء بناء اقتصادي كبير، وكانت سياسة محمد على لتحقيق هذا الهدف تعتمد على مبدأين أساسيين: مبدأ الاحتكار والتوجيه، مبدأ الاستقلال الاقتصادى.

ومـــن خـــلال تطبـــيق هذين المبدأين استطاع محمد على أن يزيد من العوائد المالية للدولة، بزيادة الضرائب وزيادة الأرباح من التجارة وكذلك زيادة التحكم في الحـــياة الاقتصادية، فقد قام بتطبيق نظام الاحتكار في الزراعة وأصبح مالكاً لجميع الأراضـــي الزراعـــية، كمـــا عمـــل على إدخال حاصلات زراعية جديدة وتوسيع زراعـــات أخـــرى ذات أهمـــية تجارية كالقطن والخشخاش والنيلة والأرز. وعن الصـــناعة: قـــام محمد على باحتكار جميع الصناعات الحرفية التي كانت قائمة في مصر وقام بإغلاق العديد من الورش وضمها إلي مثيلاتها في المصانع الحكومية،

وأرغم أرباب الحرف على دخولهم كموظفين في هذه المؤسسات وقد كان احتكار الحكومة للصناعة احتكاراً كلياً دون استثناء فلم تترك الدولة فرعاً من فروعها أو مجالاً إلا امتدت إليه يدها ونظامها (نوال قاسم، ١٩٨٧: ٧-١٦).

وكان محمد على يستخدم القواسين للتجسس على أصحاب المدابغ وصناع الحصر والنيلة بقصد التأكد من أنهم يعملون لحساب الحكومة فقط، مما أضر بالصناعة كثيراً ودفع الكثير من أرباب الحرف إلى ترك صناعتهم هربا من تعنت مندوبي الحكومة، فقد هرب الكثير من النساجين والصباغين إضافة إلى أن جهل صغار الصناع كان يتيح لرجال الإدارة فرصاً سانحة للاستغلال والإثراء عن طريق التلاعب بالموازين والمكاييل (على الجرتلى، ١٩٥٢: ٧٤-٧٧).

- نظام الاحتكار وآثاره السلبية على النظام الحرفي والحرفيين:

كان لنظام الاحتكار العديد من المساوئ الجسيمة على الصناعات الصغيرة خاصة وعلى الحرفيين، حيث تدهورت أحوالهم وجعلت منهم شريحة بائسة. وتتحدد أهم تلك المساوئ وأسبابها فيما يلي :

- أدى الاحتكار إلى تقييد حرية الصناع، حيث كان يحبس أفراد الحرفة الواحدة في مكان واحد بباب واحد يدخلون منه ويخرجون، كما أثقل كاهلهم بمختلف الضرائب والإتاوات ومنعهم من العمل لغير الحكومة (نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٥).
- أن قيام المصانع الكبيرة ذات الآلات الحديثة المتطورة أدى إلى إقبال المستهلكين على سلعهم وإعراضهم عن منتجات الصناعات الصغيرة التي لم تقدر على منافستها (نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٦).
- إجبار الصبية على العمل بالإكراه في المصانع الكبيرة كان له تأثيره الضخم على استمرارية الصناعات الصغيرة وتوارثها، حيث كانت تعتمد في الأساس على الصبية في التوارث المهني والبقاء، وبهذا فإن نظام الاحتكار عمل على تقويض نظام الحرف من أساسه، وهكذا اضمحلت الصناعات الصغيرة في مصر (نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٦).
- حرمان أرباب الحرف والصناع من أرباحهم المشروعة مما كان يوغر صدورهم ويضعف من رغبتهم في الإنتاج ويحملهم على ترك الصناعة (على الجرتلى، ١٩٥٢ :٧٧).
- قتل روح الابتكار لدى الصناع، فكانت الحكومة تحظر إنتاج السلع البديلة وتمنع اتباع طرائق جديدة للإنتاج خوفاً مما قد يترتب على ذلك من خسائر للمشاريع

الأميرية، ولم يكن لدى أرباب الحرف حافز على زيادة الإنتاج طالما أن الجزء الأكبر من الأرباح يعود إلى الحكومة (على الجرتلى، ١٩٥٢ :٧٨).

- المنافسة الأجنبية وظهور سلع جديدة رخيصة الثمن دفع الجمهور إلى الإقبال عليها والإعراض عن منتجات الصناعة الصغيرة والمنزلية التي بقيت جامدة لم تجار تغير الأذواق (على الجرتلى، ١٩٥٢ :٨٠).

وقد شعر محمد على في أواخر حكمه بوطأة الاحتكار على الصناعة الصغيرة، فعدل عن تلك السياسة الخطأ ومن ثم عادت للصناعات شيء من الحرية الاقتصادية واكتفى بفرض ضرائب معتدلة عليها. كما حاول محمد على الاهتمام بالحرفيين وحل العديد من مشاكلهم والرفع من شأنهم حتى وصل به الأمر لمنح بعضهم قروضاً للعمل تشجيعا لهم ومنعاً لتشردهم، إلا أنه رغم ذلك استمر تدهور الصناعات الصغيرة بسبب صعوبات التمويل وازدياد حدة المنافسة الأجنبية (على الجرتلى، ١٩٥٢ :٨٠).

٢- العمل الحرفي في عهد خلفاء محمد على (١٨٤٨-١٨٧٩م):

وتعد الحقبة التاريخية التي أعقبت حكم محمد على، والتي تولى فيها الحكم عباس الأول وسعيد ثم إسماعيل من أهم حقب تاريخ مصر الاقتصادي. فإذا جاز لنا اعتبار أن عهد محمد على هو حقبة قيام الدولة المصرية المستقلة ومن ثم التصنيع المستقل، فإن حقبة عباس الأول تمثل حقبة الرجعية والانتكاس، فقد انتهت في عصره أواصر حركة التقدم وتبددت النهضة التي تميز بها عهد محمد على. كما كان عصر عباس الأول من أحلك فترات التصنيع في مصر حيث تم فيه هدم ما تبقى من المظاهر التنموية لفترة محمد على.

بينما يمثل عصر سعيد الحلقة الأولى من أحكام ربط اقتصاد المجتمع المصري بالسوق العالمي للرأسمالية حيث إنشاء الشركة العالمية لقناة السويس. وأخيرا جاء عصر إسماعيل لتوثيق ذلك الارتباط الذي وصل إلى ذروته بإعلان إفلاس مصر في عام ١٨٧٥م ونتج عنه فرض التدخل المباشر لممثلي رأس المال الأجنبي فى شئون البلاد.

وهكذا فقد شهدت مصر خلال عهد إسماعيل نمطاً صناعياً معتمداً على الخارج عندما أراد إسماعيل أن يقيم تجربة صناعية تعتمد على الاقتصاد الحر وبلا تخطيط فسمح بسيطرة الدول الرأسمالية على مصر. وعندما أراد أن يقيم قاعدة اقتصادية على درب محمد على، مول كل مشاريعه بالاستدانة من الخارج مما أدى

إلـــى الاحـــتلال الإنجليزي لمصر في سنة ١٨٨٢م. وبناء على هذا توقفت جهود الـــنمو الصـــناعي ووضعت مصر على متصل طريق، طرفه الأول جعلها مزرعة للقطن، والطرف الثاني جعلها سوقاً للبضائع الأجنبية (شحاته صيام، ١٩٩١: ١٠٩-١١١) وفـــي ضـــوء ذلـــك نجد أن مصر تحولت تحت وطأة سياسات حكم أسرة محمد على إلى محمية بريطانية.

وعن تنظيمات الدولة تجاه الحرفيين في فترة حكم ما بعد محمد على، ظهرت اتجاهـــات إنســـانية واجتماعـــية جديـــدة كصـــرف أجور عن فترة وجود الحرفي بالمستشـــفى أو تعيين ابن محل والده. كما واصلت سياسة الإعفاء الضريبي لبعض طوائف الحرف نظراً لضيق أحوالهم المادية وقلة مكاسبهم وتشجيعاً لهم.

وبشـــكل عـــام فقـــد تعرضـــت تلك الفترة إلى فرض السيطرة على الطوائف الحرفـــية ممـــا جعل للطوائف الحرفية في تلك الفترة شكلاً ومضموناً مختلفاً عما عرفـــت عليه من قبل، كما فقدت أهم أسسها وعاداتها وتقاليدها المتمثلة في التفاف رجـــال الحرفة حول شيوخهم وقد أدى ذلك إلى ضياع القيادات الطائفية وانزوائها ومـــن ثـــم انكسارها أمام الغزو الصناعي الأجنبي لمصر وذوبانها في النهاية في الحرب العالمية الأولى.

ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين في عهد خلفاء محمد على:

- اســـتمرار تدهـــور الصـــناعات الحرفية واضمحلالها، حيث هجر الكثير من الحرفييـــن صـــناعاتهم وحوانيـــتهم وأغلقوها، نظراً لكثرة الضرائب الباهظة المفروضة عليهم والتي لم يستطيعوا سدادها.
- فقـــد الصـــناع استقلالهم وأصبحوا أجراء للدولة يتوقف أجرهم على كمية ما ينـــتجون، مما أدى إلى قتل روح الإبداع بداخل الحرفي ومن ثم هجر الكثير من الصناع حرفتهم وتدهورت الصناعات الصغيرة.
- ازدياد حدة المنافسة غير المتكافئة مع الصناعات المحلية الصغيرة، إضافة إلى عـــدم وجـــود أي دوافـــع للعمـــل والإنتاج والقدرة على الابتكار لدى الصانع المصري.
- ضيق الأحوال المادية للصناع وقلة مكاسبهم وازديادهم فقراً وبؤساً.
- استمرار نظام الطوائف الحرفية مع اختلاف مضمونه وأسسه حيث ألزم محمد علـــى شـــيوخ الطوائف بالإشراف على أفراد الطائفة وتنفيذ تعليمات الحكومة على أكمل وجه.

ومما سبق يمكن استقراء أهم ملامح نوعية حياة الحرفيين في تلك المرحلة التاريخية منذ عهد محمد على وحتى التدخل الأوروبي على مصر فيما يلي: (على الجرتلى، ١٩٥٢ :١٠٥-١٣٧).

١- في عهد محمد على حدث بعض التحسن في الأحوال الصحية فانتفت بعض أسباب تناقص حجم السكان حيث خفت وطأة الأوبئة، ونجحت مساعي محمد على في خفض وفيات الأطفال نتيجة لتعميم التطعيم ضد الجدري الذي كان يفتك بثلث المواليد في كل عام.
٢- كانت سياسة محمد على في اختيار عمال الصناعة تقوم على القسر والإجبار، فلم يكن العامل حراً في مزاولة الحرفة التي يفضلها أو التي تتناسب مع كفاءته، مما أدى إلى شعور العامل بالاضطهاد والاستغلال فكان يجند العمال من الزراعة والمهن الحقيرة للعمل في المصانع مع إغرائهم بالأجور المرتفعة، وقد أدى ذلك إلى إضعاف الحافز علي العمل والى حمل العمال على الهرب من المصانع.
٣- التباين في أنماط العمالة الحرفية، حيث يلجأ الباشا إلى جمع المتسولين والشحاذين للعمل في المصانع، إضافة إلى استخدام النساء في العمل في المصانع رغم تقاليد البلاد وكذلك استخدام الرقيق مما أدى إلى تباين نوعية حياتهم، وقد تملك غالبيتهم شعور عام بعدم الرضا نظراً لعدم التمييز بينهم في الكفاءة أو الأجر مما أدى إلى قتل روح الابتكار لدى العامل وعدم الرغبة في العمل.
٤- كان الأجر الذي يتقاضاه العامل ضئيلاً للغاية بالقياس إلى نفقات المعيشة، وكانت الحالة العائلية للعامل - أي عدد الأبناء - تؤخذ في الاعتبار أحيانا عند تحديد الأجر. غير أن مظاهر القسوة والاضطهاد وسوء استعمال السلطة كانت تبدو واضحة في معاملة الرؤساء للعمال، مما أدي إلى انخفاض مستوى معيشة العامل وانخفاض مكانته الاجتماعية، حتى إنهم كانوا يسكنون أحياء معينة لا يسكنها سوى الفقراء أو منخفضي الدخل.
٥- وعن ساعات العمل فكانت المصانع تعمل ثماني ساعات في الشتاء وتصل إلى عشرة ساعات في الصيف. ونظراً لصعوبات الإضاءة وكثرة تكاليف العمل الليلي لم تكن المصانع تعمل ليلاً إلا نادراً وكانت تعطل يوم الجمعة. وقد كان العمال يسكنون بعيداً عن المصانع مما ترتب عليه إضاعة الوقت في الانتقال وبخاصة في الشتاء، إذ كانت الطرق الزراعية تنقلب إلى مستنقعات.

٦- عاش العمال في خوف متصل من توقيع العقوبات الجسمانية بسبب الإهمال أو التأخير أو إتلاف الآلات، فقد كان العمال يعاقبون بالجلد لأية شبهة خطأ، مما كان يثير فيهم الحقد الدفين على الرؤساء.

المرحلة الرابعة: الحرفيون ونوعية الحياة منذ التدخل الأوروبي وحتى قيام ثورة يوليو (١٨٨٢-١٩٥٢م):

تتناول تلك المرحلة فترات التدخل الأوروبي فى مصر والتي بدأت بالاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م، ثم فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية وصولاً إلى عهد الثورة ١٩٥٢م. وذلك لما كان لتلك الفترات من تأثير كبير على المجتمع المصري عامة وعلى الصناعة المصرية والنظام الحرفي بصفة خاصة، كما يتم في كل من تلك الفترات التاريخية المتوالية تلمس أهم ملامح البنية الحرفية بها وأهم عوامل تدهورها واضمحلالها أو عوامل تطورها وازدهارها، ومن ثم تأثير ذلك على تشكل نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم.

١- العمل الحرفي في فترة الاحتلال البريطاني على مصر (١٨٨٢-١٩١٤م):

تتميز تلك الفترة بتأثير شخصية الاحتلال الأجنبي على الاقتصاد المصرى، بحيث يتم فيها تحويل هيكل الاقتصاد المصري إلى هيكل تابع متخلف على نحو يجعل الإنتاج يتم أساساً استجابة للاحتياجات في خارج المجتمع أي احتياجات رأس المال في المجتمع المتبوع. وقد ركزت حكومة الاحتلال على أن تخصص مصر في إنتاج وتصدير القطن وبفعل ذلك تقلص دور الدولة المصرية تماماً في تلك الفترة وتوارى خلف المعتمد البريطاني وأصبحت حكومة الاحتلال تهيمن على جميع الشئون الاقتصادية للدولة.(نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٢٢-٢٢٤)

وقد كان الاحتلال البريطاني على مصر تدعمه وتحفزه ظروف اقتصادية بحتة تتمثل في عاملين أساسيين وهما:

- الصدام الذي وقع بين حكومة مصر (يمثلها الخديوي إسماعيل) وبين رأس المال الأجنبي نظراً لزيادة حجم الديون المفروضة على مصر وعدم إمكانية السداد.
- اهتزاز مركز إنجلترا في صناعة النسيج واحتياجها إلى سوق يؤمن تصريف الفائض من منتجاتها الصناعية..

وكان أمر إهمال الصناعة المصرية لابد منه لنجاح سياسة الاحتلال حيث يتم تحويل اقتصاد مصر إلى اقتصاد تابع، وفي سبيل ذلك قامت سلطات الاحتلال

بـــإغلاق الترسانات الحربية والمصانع مما أدى إلى تدهور الصناعة في الاقتصاد المصــــري بشكل كبير، ومن ثم اعتمدت الدولة على المنتجات الأجنبية المستوردة حيـــث غـــزت الصناعات الأجنبية الأسواق المصرية، وكان في ذلك القضاء على الصـــناعات المحلـــية التي أصبحت عاجزة عن منافسة الصناعة الأجنبية المتقدمة (نوال قاسم، ١٩٨٧ :١٦٢-١٦٤).

ولم يكن حال الصناعات الحرفية الصغيرة بأحسن من حال الصناعات الكبيرة حيـــث تدهـــورت تدهوراً كبيراً ويمكن تحديد أهم عوامل تدهورها فيما يلي: (نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٢١،٢٢٠)

١- هجـــر الكثير من الصناع صناعتهم وأغلقت حوانيتهم، حيث الاتجاه الى العمل الزراعى وإنتاج القطن الذي لقي رواجاً كبيراً في الأسواق الخارجية. فقد قلت أو انعدمـــت أعداد الورش والدكاكين المكتظة بأرباب الحرف والصناعات من غزاليـــن ونساجين وعقادين وصباغين...، وقام على أطلالها مقاهى ودكاكين مملوءة بالبضائع الأوربية.
٢- كانـــت أســـاليب العمل في ورش الصناعات الصغيرة تقليدية تتسم بالجمود مع الاعتماد على العمل اليدوي الذي يستغرق وقتاً وجهداً أكبر مع عدم القدرة على اســـتخدام الآلات الحديـــثة فيها، مما نتج عنه ارتفاع تكلفة الإنتاج في البضائع الوطنية عنها فيما يناظرها من المصنوعات الحديثة والواردات الأجنبية.
٣- الضـــرائب الباهظة التي فرضت على أصحاب الحرف والمهن الحرة و عجز كثير من الصناع عن احتمالها نتيجة للفقر وقلة المكسب مما ساعد على هجر الكثير من تلك الصناعات وتفككها واضمحلالها.
٤- تغـــير نظـــرة الأفـــراد إلـــى السلع نتيجة لزيادة الاتصال بمظاهر الحضارة الأوروبـــية ممـــا كـــان لـــه أثر في تغيير ذوق فئة كبيرة من الشعب فكسدت الصناعات التقليدية.
٥- حـــرية الأفراد في ممارسة أي مهنة أو حرفة أو صناعة أو تجارة فلم يشترط أن يكـــون المحترف " صبياً محترفاً" مما أدى إلى هدم نظام الطوائف الحرفية والقضاء على روح التضامن بين أفرادها.

وقـــد قضى على نظام الطوائف قانونياً على أثر الأمر العالمي الصادر في (٩ يناير ١٨٩٠م)، وقد قرر حرية احتراف أي مهنة. وفى عام (١٨٩٢م) ألغيت جميع الضـــرائب المفروضـــة على طوائف الحرف، كما اختفت معظم الطوائف الحرفية خلال العقد الأول من القرن العشرين (عنان محمود،٢٠٠٣: ١٣٤).

٢- ما بعد الاحتلال البريطاني وحتى عصر الثورة ١٩٥٢م:

تمثل هذه الفترة مرحلة النمو المتردد حيث إنه بقيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م تغيرت السياسة الاقتصادية بسبب ظروف الحرب، فقد اضطرت مصر إلى هجر سياسة التخصص والحرية الاقتصادية وعدم التدخل الحكومي لتحل محلها سياسة الاكتفاء الذاتي وتنويع الإنتاج، مما كان له الفضل في انتعاش الصناعة وظهور بعض الصناعات التي لم تكن موجودة من قبل كالسجاجيد والمنتجات الخشبية وأنواع معينة من المنسوجات والملابس. إضافة إلى توسع العديد من الصناعات القائمة، وقد أدى ذلك إلى ازدياد أعداد العاملين في الصناعة، إلا أنه مع انتهاء الحرب عادت الأمور إلى ما كانت عليه وانهارت الصناعات الوطنية في منافسة مع الصناعات الأجنبية مرة أخرى (نوال قاسم، ١٩٨٧: ٣٥٦)

وفي بداية العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين ومروراً بالحرب العالمية الثانية شهدت الصناعة المصرية تطوراً ملحوظاً نتيجة لعدة أسباب نجملها فيما يلي :(نوال قاسم، ١٩٨٧: ٣٥٦،٣٥٧)

- تزايد الشعور على المستوى الشعبي والحكومي بأهمية قيام الصناعة في مصر واعتبار أنها مطلب أساسي لتنمية الاقتصاد، نتيجة لحدوث أزمة الكساد العالمي الذي عكس أثره على اقتصاديات التصدير ووجوب تنويع الاقتصاد وعدم الاعتماد على المحصول الواحد.
- ظهور الرأسمالية الوطنية متمثلا في بنك مصر ١٩٢٠م ومجموعة شركاته التي استخدمت رءوس أموال مصرية لأول مرة.
- بداية التدخل الإيجابي من جانب الحكومة لصالح الصناعة واتخاذ العديد من الإجراءات لحمايتها حتى توجت بالتعديل الجمركي عام ١٩٣٠م والتي مارست مصر من خلاله حقها في حماية صناعتها الوطنية.
- هيأت ظروف الحرب العالمية الثانية من خلال منهج " الاستعاضة عن الواردات " فرصاً كبيرة لانتعاش الصناعة الوطنية والصناعات الحرفية انتعاشاً كبيراً والذي لم ينته بانتهاء الحرب مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى.

وقدت أدت كل هذه الظروف مجتمعة إلى تطور الصناعة تطوراً ملحوظاً في تلك الفترة، حيث شهدت هذه الفترة نمو القطاع الصناعي الحديث ونمو الصناعات الاستهلاكية الأساسية حتى استطاعت أن تكفي إلى حد كبير الطلب المحلى، ومن أهمها صناعة النسيج والصناعات الكيماوية والمعدنية وصناعة نسج القطن وتعبئة الخضراوات والعلف الصناعي ومواقد الغاز والأجهزة الطبية..

ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين خلال تلك الفترة:

١- شمل النمو الصناعي في تلك الفترة كلا من القطاعين الرسمي وغير الرسمي، حيث تزايدت أعداد المؤسسات الصناعية خاصة صغيرة الحجم التي لا يتعدى عدد العمال بها عشرة عمال، حيث شجعت ظروف الحرب السائدة وعوامل الربح السريع على إنشاء الورش صغيرة الحجم. (نوال قاسم، ١٩٨٧ :٢٩٠-٢٩٧)

٢- ازدياد حجم العاملين في الحرف والصناعات الصغيرة في تلك الفترة بشكل كبير.

٣- ارتفاع عدد الدخلاء الجدد على العمل الحرفي، نظراً لتراكم رءوس الأموال لدى كبار ملاك الأراضي الزراعية وكبار تجار القطن والتوجه نحو الاستثمار الصناعي الأكثر ربحية، مما أدى إلى تغير بل وزوال العديد من قيم وتقاليد العمل الحرفي، وكذلك دخول قيم ومصطلحات جديدة كالفردية والمصلحة الشخصية والمنافسة العالية وتحقيق المكسب السريع في مقابل جودة الإنتاج.

٤- احتلت صناعة الغزل والنسيج مكان الصدارة بين الصناعات المصرية في تلبية احتياجات السوق المحلية بجانب صناعات أخرى كالصناعات الغذائية والأحذية والمنتجات الجلدية وتكرير السكر والزجاج والأسمنت والسجائر (شحاته صيام،١٩٩١: ١١٧-١١٩)

إلا أن الفترة ما بين عامي ١٩٥٠-١٩٥٢م واجهت متاعب كثيرة، حيث كانت تلك الفترة بمثابة عهد الأزمات ويمكن إرجاع ذلك إلى ما يلي: (شحاته صيام، ١٩٩١: ١٢٦-١٣١).

- نقص كفاية العمالة المدربة والمتخصصة
- ارتفاع أسعار المواد الأولية.
- الهبوط في إنتاج قوة العمل.
- امتناع الناس عن الاستثمار في الصناعة.
- النقص في رءوس الأموال.
- منافسة الصناعات الأجنبية للصناعة المحلية.
- تقاعس الحكومة عن تحسين الأسس الاقتصادية.

فكل تلك العوامل مجتمعة أسهمت في تدهور أحوال الصناعة بصفة عامة في تلك الفترة، ولم يتبق من أنشطة النظام الحرفي بمصر سوى الصناعات المنزلية والصناعات الصغيرة المتناثرة في المدن والمناطق الريفية.

المرحلة الخامسة: الحرفيون ونوعية الحياة منذ عهد الثورة ووصولاً إلى عصر الانفتاح (١٩٥٢-١٩٨٠م):

يعد التصنيع أهم وأقوى إضافة ساهمت بها الفترة الناصرية، فقد كانت ثورة يوليو١٩٥٢ م بكل ما أتت به من تحولات جذرية في البنية الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع المصري وما ترتب عليها من آثار واسعة المدى داخلياً وخارجياً من أهم الأحداث التاريخية قاطبة في القرن العشرين.

فمنذ عام ١٩٥٢م عرفت مصر ولأول مرة كيف تحكم نفسها من خلال أبنائها، فبدأ النهوض بالزراعة من ناحية ومن ثم تحويل الفائض الزراعي إلى الصناعة من ناحية أخرى، فكانت الصناعة التي ازدهرت في الهيكل الإنتاجي المصري مرتبطة جداً بالقطاع الزراعي ومنتجاته كصناعات الحلج والغزل والنسيج والصناعات الغذائية، وليس هناك من شك في أن منهجية التصنيع عقب الثورة قد سارت وفق منهج الاستعاضة عن الواردات وهو المنهج المماثل لتجارب كثير من بلدان العالم الثالث.

وجدير بالذكر أن البناء الصناعي في تلك الفترة اصطبغ بالصبغة الاستهلاكية، كما تميز بشكل تنظيمي قائم على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج فجمع شكلها بين التركز والتفتت، حيث كان التركز من نصيب المشروعات الرأسمالية الكبيرة من حيث الحجم والملكية، في حين كان التفتت يخص المشروعات الصغيرة التي كانت تقوم على الشكل العائلي كوحدة اجتماعية إنتاجية. وقد جاءت سياسات التصنيع في تلك الفترة لخدمة احتياجات الطبقة الوسطى الحضرية بمعنى أنها كانت "مدفوعة الطلب " وموجهة لإشباع حاجات الطلب الاستهلاكي، ويبدو ذلك مع التركيز على الإنتاج الصناعي السلعي وكان ذلك في العقد الأول من الفترة الناصرية، أما في العقد الثاني الممتد بين عامي ١٩٦١-١٩٧٠م فقد تأثر التصنيع بشكل واضح بالسياسات القائمة في المجتمع المصري والتي كان يسودها: مركزية الدولة، وقيادة القطاع العام في مجالات الإنتاج وسيادة مبدأ التخطيط الشامل، إضافة إلى التدخل المباشر للدولة وسيطرتها على المناشط الصناعية عن طريق التأميم، وسيطرة العسكريين على التوجيه والإدارة (شحاته صيام، ١٩٩١: ١٥٠-١٥٨) مما كان له أكبر الأثر على انخفاض أعداد الحرفيين المشتغلين في النشاط الصناعي الخاص مقابل القطاع العام، وأدى أيضا إلى هجرة عدد كبير من الحرفيين لحرفهم الأصلية والاشتغال في المشروعات الصناعية الكبيرة، إضافة إلى

انخفـــاض أعداد المنشآت الحرفية في بعض مجالات النشاط الاقتصادي كصناعات النسيج والمواد الغذائية والبترول والفحم (اعتماد علام، ١٩٩١: ١٠٤،١٠٢).

وخـــلال عقد السبعينيات شهد المجتمع المصري نمطاً تنموياً جديداً يعتمد على سياســـة الانفـــتاح الاقتصـــادي، وقـــد كان لتلك السياسة تأثيرها في مجمل البنية الاجتماعـــية والاقتصـــادية للمجتمع المصري، فعلى الرغم من أن سياسة الانفتاح الاقتصـــادي وضعت أساساً لتنشيط الاقتصاد ودفعه إلى الأمام إلا أن سياسة الباب المفـــتوح والإغـــراق بالاســـتيراد من الخارج وتشجيع القطاع الخاص والشركات المـــتعددة القوميات أصابت التصنيع والقطاع العام بالتدهور، ومن ثم هدم التجربة التـــنموية المستقلة وجر المجتمع المصري إلى فلك النظام العالمي (شحاته صيام، ١٩٩١: ١٢٦-١٣١).

وهكذا فان إطلاق حرية الاستيراد دون قيود، يسهم في تدفق السلع المستوردة إلـــى السوق الداخلية ومن ثم نشأة منافسة غير متكافئة بين ما هو مستورد وما هو محلـــى، إضـــافة إلى ارتفاع تكاليف المعيشة وغلاء الأسعار مما تسبب عنه الكثير من حالات الإفلاس وتراكم المخزون والاستغناء عن العديد من العمال الصناعيين، ممـــا كـــان له أكبر الأثر في تشكل نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم والتي سنحاول تلمس أهم مؤشراتها وأبعادها فيما يلي:

ملامح البنية الحرفية ونوعية حياة الحرفيين في تلك الفترة:

١- تقلـــص حجم الطبقة العاملة حيث الاستغناء عن كثير من العاملين نظراً لغلاء المعيشة وعدم القدرة على دفع أجور العاملين ،

٢- تراجع قيمة العمل اليدوي مما أدى إلى انخفاض المهارة اليدوية للعامل، حيث الاعـــتماد بصـــورة أكبر على العمل الآلي والميكنة الآلية الحديثة التي توفر الجهد والوقت وتسهم في تحقيق المكسب السريع.

٣- انتشـــار القيم السلبية بين الحرفيين كالمنافسة وحب الذات والحقد والغيرة، في مقـــابل العديد من القيم الإيجابية التى تتمثل في التعاون والمشاركة في العمل واحترام الصغير للكبير والتي كانت سائدة في ظل نظام الطوائف الحرفية.

٤- شـــعور الحرفـــي بعـــدم الرضا والضيق فيما يقوم به من عمل لا يعبر عن مهارتـــه وإبداعـــه، إضـــافة إلـــى قلة الإقبال عليه حيث المنافسة الشديدة مع المنتجات والسلع المستوردة الأخرى والتي لاقت إعجاب غالبية فئات الشعب، وكذلك ارتفاع أسعار المواد الخام وصعوبة الحصول عليها.

٥- تراجع خاصية التوريث المهني، وزوال نظام الطوائف الحرفية.

وقـد ارتـبط نمـط التصنيع في مصر في هذه الفترة بشكل وثيق بما يعرف بصـناعات التجمـيع والتشطيب والتشكيل، ذلك النوع من التصنيع الهامشي الذي يرتـبط دائمـاً بالمراحل التمهيدية للتصنيع في البلدان النامية. وبناء على ذلك كان التصنيع في تلك الفترة هو نكوص وارتداد عما تم في فترة الستينيات، فقد فرضت الصـناعات التـي أقيمـت في السبعينيات نوعاً من الارتباط بالسوق والاحتكارات العالمية (شحاته صيام، ١٩٩١: ١٦٣-١٨٠)..

وتأسيسـاً علـى مـا سبق، فقد ارتبطت البنية الحرفية في المجتمع المصري ارتـباطاً وثـيقاً بالبنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، كما تعرضت للعديد من مـراحل الازدهـار والرقى والتقدم بالإضافة إلى العديد أيضا من فترات التدهور والظلم والفساد، وكانت كل مرحلة من تلك المراحل تمثل انعكاساً واضحاً للأوضاع والظروف التي مر بها المجتمع المصري خلال المراحل التاريخية المتعاقبة.

٥

الفصل الخامس
مجتمع الدراسة وأهم ملامحه

الفصل الخامس
مجتمع الدراسة وأهم ملامحه

مقدمة :

فى إطار اهتمام الدراسة بالحرف والصناعات التقليدية ونوعية حياة الحرفيين فـــي قسم الجمالية، كان لابد من إلقاء الضوء على الجذور التاريخية للمجتمع وأهم ملامحـــه الأيكولوجـــية والجغرافية حيث النطاق الجغرافى والشياخات التى يضمها إضـــافة إلـــى أهم الملامح الاجتماعية وخصائص السكان والمنشآت. فدراسة هذه الملامح والخصائص تمثل المحور الأساسى للكشف عن نوعية حياة الحرفيين بذلك المجـــتمع؛ إذ أن نوعية حياة العمل الحرفى تعتمد على ما تهيئه البيئة المحيطه من تفـــاعل مباشـــر مع جيرة العمل وجيرة السكن مما يحقق قدراً من الرضا والإشباع الذاتى الذى يساعد على استمرارية العمل وتكامله.

وقد تم تقسيم المناقشة فى هذا الفصل إلى خمسة أقسام رئيسية وهى:

أولاً: التسمية والجذور التاريخية لمجتمع الدراسة.
ثانياً: الملامح الأيكولوجية لمجتمع الدراسة.
ثالثاً: الملامح الديموجرافية للسكان.
رابعاً: الملامح العامة للمنشآت.
خامساً: المرافق والخدمات.

أولاً: التسمية والجذور التاريخية:

سمى قسم الجمالية بهذا الاســـم نسبة إلى أمير الجيوش بدر الدين الجمالي وزير المستنصر الجمالى، والذي يطلق اسمه الآن على أكثر شوارع الجمالية اتساعاً وقدماً، ويـــرجع تسميته بالجمالي لكونه كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمار والذي قام ببـــناء باب زويلة، وباب الفتوح، وباب النصر ومدفنه الذي يبدو الآن من بقايا جامع الحـــاكم بأمـــر الله فى حين يذهب آخرون إلى أن الحى لم يعرف بهذا الاسم إلا نسبة للأمـــير جمـــال الدين محمود الاستادار فى عهد المماليك الجراكسة بعد أن أنشأ فى الحـــى مدرسة سنة ٨١١هـــ (١٤٠٩م) وكانت من أعظم مدارس القاهرة (المقريزى، ط ١، ١٩٩٦: ٢١١؛ عبد الرحمن فهمى، ١٩٧٠: ١٥٢).

وعند رؤية سكان الحي لسبب تسميته بهذا الاسم فيرى البعض أنه سمى بذلك نسبة إلى جماله، بينما يذهب البعض الآخر إلى أنه سمى بذلك نسبة إلى جمال الدين المملوكي الذي كان يقيم بالمنطقة. ومن ثم فقسم الجمالية هو من الأحياء الشعبية التاريخية القديمة لمدينة القاهرة والذي تعود نشأته إلى البدايات الأولى لنشأة مدينة القاهرة، حيث تمتد جذوره التاريخية إلى العصر الفاطمي عندما أمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله القائد جوهر الثقلي ببناء عاصمة الدولة الفاطمية في مصر وكان ذلك في ٣٥٨هـ، ٩٦٩م (أيمن سيد، ١٩٩٧: ١١) وقد كان الفاطميون يتخذوا من هذا القسم مركزاً لسكن الأمراء والحكام وكبار التجار، ومازالت أطلال تلك المباني قائمة حتى الآن، ومن أشهرها بيت السحيمى، وبيت الخازندار، وبيت القاضى، والتي تسعى الدولة حالياً إلى ترميمها وتجديدها حفاظاً على ذلك التراث من الضياع والانهيار.

ولم يكن حى الجمالية مركزاً للخلافة فحسب بل للتجارة والنشاط الاقتصادى، فقد كانت الجمالية تعكس النشاط الاقتصادى الحقيقى لمدينة القاهرة خلال فترة الحكم الفاطمي، حيث كان القسم يزخر بالعديد من الربوع مثل ربع السلحدار، ربع السلسلة، ربع المكواة. وكذلك الوكالات التجارية مثل وكالة الجواهرجية ووكالة بازرعة ووكالة القطن. وتجسد لنا هذه الوكالات الصلة القوية بين السكن والتجارة فى حى الجمالية. إضافة إلى وجود " السبيل " الذى اعتاد سكان الجمالية إقامته آنئذ الذى يضمن للعطشى الحصول على الماء. وكذلك لا يفوتنا أن نشير إلى الأسوار التى أحاطت القاهرة المعزية ببوابتين هما: "باب الفتوح، وباب النصر".

وقد أقيمت بالحي العديد من المنشآت الدينية المهمة، كالجامع الأزهر، والمسجد الحسيني ومسجد السلحدار، ومسجد السلطان قلاوون ومسجد الأمير بارسباى، والحاكم بأمر الله، ومسجد الكردي، والأمير بيبرس، وتعد المساجد من المعالم التي تؤكد الأصالة التاريخية والملامح التقليدية للحى من جهة وسيادة الطابع الديني من جهة أخرى. إضافة إلى انتشار عدد من الأضرحة التى تكشف عن الثقافة التقليدية التى يتميز بها الحي والتي من أشهرها: مقام سيدنا الحسين، مقام الشيخ عمر، الشيخ إسماعيل، مقام السيد الدواخلى والتي تتمركز غالبيتها بالقرب من المسجد الحسينى نظراً لمكانة المنطقة وقدسيتها...

وبداخل الجمالية نجد أنواعاً متعددة ومتباينة من النشاطات الحرفية، والتى ارتبطت بالحى منذ نشأتها، ويدل على ذلك وجود العديد من الشوارع التى

تكشف أسماؤها عن طبيعتها الحرفية كشارع الصاغة، القزازين (النسيج)، الصنادقية وشارع السروجية وكذلك شارع التمبكشية، مما يدل على الكثافة الحرفية التى تشهدها المنطقة من ناحية، وكذلك على عراقة تلك الأنشطة الحرفية وأصالتها من ناحية أخرى. وقد دعمت ذلك الدراسات الاستطلاعية والمشاهدات الميدانية للباحثة، والتى أسفرت عن تميز المنطقة بسمة التركز الحرفى، فكل منطقة تتسم بتركز نمط من الأنشطة والصناعات الحرفية المعروفة غالباً باسمها.

وهكذا كانت الجمالية مركزاً للنشاط الاقتصادى خلال فترة الحكم الفاطمى وفى فترة حكم محمد على شهد حى الجمالية إضافات معمارية، حيث بدأ الاهتمام بصيانة المبانى الأثرية، خاصة خلال فترة حكم الخديوى إسماعيل التي شهدت إنجازات مهمة فى مجال التخطيط العمرانى للحى (السيد الحسينى، ١٩٩١ :٦٥) وفى نطاق تلك الإنجازات ارتبطت الشوارع الأساسية للجمالية بالشوارع التجارية الأخرى كشارع الموسكى، ويعنى ذلك أن حي الجمالية ظل طوال القرن التاسع عشر منطقة مهمة ذات وضع متميز فى مجالى السكن والتجارة. ويفسر ذلك مدى تشكل نوعية الحياة الاجتماعية للحرفيين بقسم الجمالية وارتباطها أساساً بنوعية حياة العمل. وحينما شهدت مدينة القاهرة موجه أخرى من النمو والاتساع فى أواخر القرن التاسع عشر، كان حى الجمالية قد فقد أهميته لتطفو على السطح وبسرعة مذهلة أحياء ومناطق جديدة. ومن ثم بدأ الأغنياء من سكان الجمالية يفضلون الإنتقال إلى أحياء أرقى مما أدى إلى تدهور المبانى الأثرية وتحول الجمالية إلى منطقة شعبية فقيرة، على الرغم من أن التجار الذين تركوا الجمالية ليعيشوا فى مناطق أخرى قد أبقوا على محلاتهم وورشهم لتظل محافظة على موقعها المتميز، وقربها من مساكن الحرفيين والعمال واتصالها بالأسواق، وعلى امتداد القرن العشرين شهد الحى أضخم نمو سكاني وأعلى كثافة سكنية (السيد الحسيني، ١٩٩١: ٦٧).

وهكذا، فإن قسم الجمالية هو واحد من أقدم وأعرق أقسام مدينة القاهرة الذى يتسم بسمات الحى الشعبى التقليدى، ويتميز بكثافة الأنشطة والصناعات الحرفية الموجودة، وكذلك الكثافة السكانية الشديدة، كما يتمتع الحى بشهرة عالمية فهو مجمع تراث القاهرة القديم والحديث، مما قد يشكل نوعية حياة خاصة للمقيمين به بصفة عامة، والعاملين بالنشاط الحرفى بصفة خاصة.

ثانياً: الملامح الأيكولوجية لمجتمع البحث :

تهتم الأيكولوجيا بدراسة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والسياق الفيزيقى المحيط به وكذلك العمليات الدينامية والتفاعل، وطرق كسب العيش، وأنماط التكيف الثقافى مع الحيز المكانى، فضلاً عن أنماط السلوك السائد والتفاعل داخل البناءات المختلفة (kuper,1996:207) وفى نطاق الاهتمام بالملامح الأيكولوجية لمجتمع البحث سنتناول كلاً من الحدود الجغرافية والشياخات، وأيكولوجيا الشوارع.

١- الحدود الجغرافية والشياخات :

بالنظر إلى موقع قسم الجمالية بالنسبة لأقسام القاهرة الأخرى، نجد أنه يتبع إدارياً حى وسط القاهرة، الذى يتكون من قسمين رئيسيين هما: قسم الدرب الأحمر، وقسم الجمالية والذى يبلغ عدد السكان بهما ١٥٨٦٠ نسمة، ويصل عدد السكان بقسم الجمالية فقط إلى ٦٨٠٤٣ نسمة وهو ما يعادل ٤٣% من إجمالى عدد سكان حى وسط القاهرة وذلك فى ١/١/٢٠٠٠م، وعن الحدود الإدارية للقسم فهو يبدأ من ميدان الفردوس فشارع صلاح سالم فإدارة المرور حتى تلاقيه بشارع المنصورية بامتداده حتى ميدان المنصورية (الحلبى) فشارع مصنع الطرابيش وحتى ميدان الجيش، وهذا بالنسبة للحد الشمالى وعن الحد الجنوبى فهو يبدأ من شارع الأزهر عند تقاطعه بشارع بور سعيد (الأرقام الفردية) مع امتداد شارع الأزهر شرقاً إلى شارع الشيخ محمد عبده حتى التقائه بشارع صلاح سالم، أما عن الحد الشرقى فهو يبدأ من نقطة التقاء شارع المقطم مع صلاح سالم بامتداده شمالا حتى نقطة التقائه بشارع قرقماش وميدان الفردوس. وبالنسبة للحد الغربى فمن ميدان الجيش فشارع البيومى بامتداده إلى شارع الحسين إلى ميدان باب الفتوح فشارع بين السيارج حتى التقائه بميدان باب الشعرية فشارع بور سعيد حتى تقاطعه مع شارع الأزهر (مركز المعلومات بحى وسط القاهرة، ٢٠٠٠) (ويمكن توضيح ذلك فى الخريطة رقم 1) وهكذا نجد أن قسم الجمالية يقع ضمن حدود أربعة أقسام إدارية وهى قسم الظاهر والدرب الأحمر وباب الشعرية وكذلك منشأة ناصر، ولذلك تتعدد المداخل المؤدية إليه، فهناك مدخل من شارع بور سعيد وآخر من شارع الجيش وثالث من صلاح سالم ورابع من شارع الأزهر.

خريطة (١)

الحدود الإدارية لقسم الجمالية والتوزيع الأيكولوجي لشياخات القسم

المصدر: مركز المعلومات بحى وسط القاهرة، ٢٠٠٠م.

وعـن الشـياخات التابعة لهذا القسم إدارياً فهي سبع عشرة شياخة تتمثل فيما يلي:

١- باب الفتوح
٢- البريقدار
٣- المنصورية
٤- الكردي
٥- الدراسة
٦- جوهر القائد
٧- خان الخليلي
٨- المشهد الحسيني
٩- قصر الشوق
١٠- بين السورين
١١- الخرنفش
١٢- الجمالية
١٣- الشعراني
١٤- الخواص
١٥- العطوف
١٦- الأزهر
١٧- الحمزاوى

٢- أيكولوجيا الشوارع:

وعـن أيكولوجـيا الشـوارع بقسـم الجمالية فقد تبين من الشواهد الميدانية والدراسـة الاسـتطلاعية لمنطقة الدراسة والتى استغرقت وقتاً طويلاً؛ نظراً لعدم معـرفة الباحثة بمجتمع الدراسة من قبل، أن هناك شوارع تتسم باتساعها ونظافتها وأخـرى تتسـم بضيقها وعدم تمهيدها وعدم نظافتها وكثرة تعرجاتها والتواءاتها، وبقسـم الجمالية يوجد شارعان رئيسيان هما: شارع المعز لدين الله الفاطمي، الذي يـبدأ من شارع الأزهر وحتى بوابة باب الفتوح ماراً بشارع جوهر القائد وشارع الجمالية الذي يبدأ من المشهد الحسيني حتى الالتقاء مع بوابة باب النصر.

ويتمـيز هذان الشارعان بالاتساع مقارنة بالشوارع الجانبية الأخرى والدروب والحـارات والأزقـة التـي تتسم بالضيق الشديد والالتواء. وذلك إضافة إلى وجود شـوارع أخرى رئيسية والتي تمثل حدود القسم نفسه وهى تعتبر شوارع حديثة مثل شـارع صـلاح سالم، وشارع جلال، وشارع مصنع الطرابيش، وشارع بور سعيد وشارع جوهر القائد وكذلك شارع الأزهر. ومن الملاحظ أن غالبية شوارع ودروب وحـارات قسـم الجمالية يغلب عليها السمة الحرفية التجارية والإنتاجية حيث تظهر السمة التجارية بوضوح فى شارع المعز لدين الله وشارع جوهر القائد. ويرجع ذلك إلـى إتساعهما واحتوائهما على العديد من المبانى الأثرية التاريخية مما يجعلها مزاراً للسائحين والتجار من مختلف أنحاء العالم.

وبينما تتميز دروب هذا القسم بوجود المنحنيات الكثيرة المتعرجة التى تحتوى علــى الكثير من العطوف والأزقة التي تصل جنبات الشياخات بالقسم مما يكون له أكبر الأثر فى تشكيل نوعية العلاقات الاجتماعية وأشكال التفاعل الاجتماعى لأفراد المجتمع المحلى.

وفــى وإطــار الاهتمام بالحرف والصناعات ونوعية حياة الحرفيين موضوع الدراســة، ســوف يتم التركيز بصفة خاصة على أهم الملامح الأيكولوجية لكل من شــارعى المعــز لدين الله والجمالية بما يضم كل منهما من ورش ومنشآت حرفية حيــث يــتم التركيز على كليهما كمجتمع أساسى للدراسة الميدانية، وذلك في ضوء ثلاثة مستويات أساسية تتمثل فيما يلى :

- شــكل الشــوارع ومدى ضيقها أو اتساعها وأماكن تركز الورش، وتأثير ذلك على نمط العلاقات داخل المنشآت الحرفية.
- طــول فــترة بقــاء الورشــة فى المجتمع المحلى ومدى تلاصقها وارتباطها بالمجتمع والمنشآت الموجودة به.
- نوعــية النشاط الحرفى وتكامله بين المنشآت الحرفية وبعضها البعض، ومدى توافر الخدمات الضرورية الحياتية جنباً إلى جنب مع الورشة الحرفية.

شارع المعز لدين الله :

هو أول وأكبر وأشهر شارع فى القاهرة المعزية الفاطمية يصل طوله الحقيقى إلى ٤٨٠٠ م ويوجد بهذا الشارع أعظم المنشآت الإسلامية التي تمثل ستة عصور إســلامية كبرى: فاطمية وأيوبية، ومملوكية بحرية ثم مملوكية جركسية ثم عثمانية تركية حتى نصل إلى عصر محمد على باشا الكبير. ويوجد بهذا الشارع العديد من الملامح التى تؤكد الفن المصرى - الإسلامي وفن العمارة الإسلامية حيث يوجد به أعظم المنشآت الإسلامية مثل مجموعة السلطان قلاوون ومسجد السلطان برقوق، والحــاكم بأمــر الله، وكذلك المدارس كالمدرسة الكاملية التى أنشأها الملك الكامل، والقــباب والمــنابر التى برعوا فى إنشائها مثل قبة الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين، كذلك مجموعة الناصر محمد بن قلاوون، الذى أنشأ أول وزارة للأشــغال فــى تــاريخ مصــر ومدرسة الظاهر بيبرس ومدرسة بيمارستان وقبة السلطان قلاوون.

ويوجــد كذلك السبيل الذى كان السلاطين والأمراء والأغنياء يتسابقون لإقامته لتوفــير المياه العذبة للمارة والسكان كسبيل الناصر محمد بن قلاوون، وسبيل وكتاب

خسرو باشا، وسبيل وكتاب الأمير عبد الرحمن كتخدا. إضافة إلى الوكالات التجارية وهـى عبارة عن أحواش كبيرة تحيط بها المحال التجارية متنوعة النشاط، وتستقبل الـتجار والتجارة المحلية المصرية وأيضاً التجار والبضائع المستوردة، فتوجد وكالة وسـبيل عـباس أغا، ووكالة وسبيل وقف النقارى، وكذلك وكالة السلحدار، ووكالة بدويـة بنـت شـاهين، ووكالـة تغرى بردى، وكذلك وكالة الذهبى، ووكالة وسبيل الكردانى، ووكالة محمدين ... وغيرها(عباس الطرابيلى، ١٩٩٦: ١٩-٢٩).

إلا أن العديـد من الوكالات التجارية اندثرت الآن ولم يعد لها وجود، بينما لا يـزال بعضها قائماً إلى الآن مثل وكالة السلحدار، وكالة الجواهرجية، وكالة وقف الـنقارى وكذلك وكالة الذهبى، إلا أن الهدف منها تغير الآن فأصبحت بمثابة مكان يضـم عـدداً مـن المنشـآت الحرفـية الإنتاجية متنوعة النشاط، فهناك من يقوم بالصـناعات الفضـية، والصدفية وأخرى تتخصص فى تشغيل المعادن وثالثة تقوم بالـنقش علـى النحاس. وغير ذلك، وقد تبين من الشواهد الميدانية أن هناك خلط واضح فى أقوال أفراد المجتمع ومفهوماتهم حيث يخلطون بين مفهوم كل من الربع "والوكالة" "والسبيل" وفى الغالب يطلقون اسم الوكالة على أي منهم دون تفرقة.

إضـافة إلـى ذلـك يضـم الشارع العديد من بيوت الأمراء والأعيان كبيت السـحيمى ومـنزل جمـال الديـن الذهـبى ومنزل الألايلى والقاياتى ولهذا أطلق المؤرخـون والـرحالة على هذا الشارع اسم الشارع الأعظم أو شارع القاهرة أو القصبة وهو ما نعرفه الآن بشارع المعز لدين الله الفاطمى.

ويتمـيز شـارع المعز بطابعه التجاري والسياحي حيث تنتشر به العديد من المحـال التجارية والبازارات المختلفة خاصة محلات الصاغة والذهب، كما تنتشر بـه العديد من الورش الإنتاجية الحرفية متنوعة النشاط والتي تتركز في الشوارع الجانبـية والحـارات والأزقـة الموجودة به مثل شارع بيت القاضي وشارع أمير الجـيوش الجوانى، سكة برجوان، وتوجد الكثير من الشوارع التي تتخذ من أسماء الحـرف اسـماً لها نظراً لارتباط تلك الحرفة بها كشارع الضببية الذي سمى بذلك نسبة إلى تجار الأقفال الخشب الذين كانوا يعملون فيه، وشارع التمبكشية نسبة إلى الدخان والتمباك (السيد الحسيني، ١٩٩١: ٦٦) وحارة الصناديقية حيث كانت تباع صـناديق العـروس التـي كانت ضرورية قبل معرفة الدواليب الخشبية ونشطت صـناعة تلك الصناديق وكانت تطعم بالصدف والعاج (عباس الطرابيلى، ١٩٩٦ : ٣٤) إضـافة إلـى الصـاغة نسبة إلى صناعة الذهب والفضة وشارع السروجية،

والقزازين، والصروماتية (السيد الحسيني، ١٩٩١: ٦٦).ويمكن تحديد أهم الملامح الأيكولوجية لشارع المعز فيما يلي:

- تتركز غالبية الورش الحرفية الإنتاجية في الحارات والأزقة، وتتمتع بكثافة حرفية عالية حيث إن غالبية أصحاب الورش يميل إلى البعد عن الشارع الرئيسي أملاً فى التهرب من الضرائب، بينما تتركز أكبر نسبة من المحال التجارية والبازارات في الشارع الرئيسي؛ نظراً لما يتمتع به من شهرة كمنطقة سياحية وتجارية فهو لا يكاد يخلو من المارة والبائعين والتجار.
- من أهم الخصائص الأيكولوجية المميزة للشارع أنه مقسم إلى مناطق حسب نوع النشاط الحرفى الممارس به، فنجد نسبة كبيرة من التركز المهنى لأصحاب الحرفة الواحدة في مكان واحد، ففى بداية الشارع يوجد سوق الليمون ولا يوجد به سوى عدد محدود من ورش الحدادة والخراطة، تليها منطقة الضببية التى يتركز فيها تجارة وبيع الخشب، وتشتهر منطقة الدرب الاصفر وبيت القاضى بصناعة الألومنيوم وصناعة الموازين والمكاييل وسبك المعادن، بينما تتركز صناعة المنسوجات والأحذية في سكة برجوان، وحارة برجوان، وأيضا تتركز صناعة الشيشة بجميع أحجامها وأشكالها فى منطقة التمبكشية، وفى منطقة الصاغة تتركز صناعات الذهب والفضة ومنتجات خان الخليلى من المشغولات الصدفية والنحاسية. وقد أدى ذلك التركز المهنى وفق نوع النشاط الحرفى إلى زيادة التفاعل الاجتماعى بين أهل الصنعة الواحدة من ناحية، كما أدى أيضاً إلى تفاقم حركة المنافسة والغيرة بين أبناء الصنعة. والتى قد تدفعهم إلى المزيد من الإبداع والإنجاز فى أداء العمل من أجل الوصول إلى مكانة مهنية أفضل وكذلك حفاظاً على السمعة والمكانة.

إضافة إلى أن ذلك التقارب الأيكولوجى بين أبناء الصنعة الواحدة، أدى أيضاً إلى صبغ أصحاب الحرفة الواحدة بالعديد من السمات والخصائص المتجانسة والتى تميزهم عن غيرهم، فقد تبين من المشاهدات الميدانية ومقابلة مفردات العينة البحثية وحالات الدراسة، أن أبناء الحرفة الواحدة تكون لهم نفس اللغة والرموز التى يتحدثون بها وكذلك نفس نمط المعيشة وأسلوب أداء العمل، وتكون أيضاً أوقات عملهم متجانسة والممارسات التى يقومون بها قبل بدء العمل تكون متجانسة أيضاً حتى أن أفكارهم وطموحاتهم المستقبلية، والمشاكل التى يواجهونها فى العمل تكون متماثلة إلى حد كبير؛ ويعنى ذلك أن نوعية

حياة عملهم تلعب دوراً كبيراً فى تشكل نوعية حياتهم وأسلوب معيشتهم، ومن ثم تتباين نوعية حياة الحرفيين بتباين نمط العمل الحرفى الممارس.

- يتوافر بالشارع العديد من المقاهى والمطاعم ومحلات تجارة الجملة والتجزئة، فهو منطقة تجارية إضافة إلى كونه سوقاً سياحية تجذب السائحين فنجد أن المجتمع هنا يسهم بالعديد من الوظائف الاجتماعية إلى جانب الوظائف الاقتصادية التى يقوم بها حيث توفير الخدمات الحياتية الضرورية من مأكل ومشرب ودورات مياه إضافة إلى الجوانب الترفيهية كمشاهدة التليفزيون في القهوة أو سماع الراديو إضافة إلى مقابلة الأصدقاء وتبادل الأحاديث وسماع أخبار الناس والمجتمع. فالورشة الحرفية تتفاعل مع المجتمع المحلى الحاضن لها وترتبط به فى علاقة تكاملية تبادلية.
- تتشكل طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المنشآت الحرفية حسب نمط النشاط الحرفي الممارس، ففي صناعات الذهب والفضة رغم تقاربها الشديد بل وتلاصقها مع بعضها البعض - إذ تتركز غالبيتها في الربوع والوكالات التجارية كوكالة الجواهرجية وربع الصروماتية - إلا أن العلاقات الاجتماعية والتفاعل اليومى ينخفض إلى حد كبير، فكل حرفى يحرص على تحقيق الخصوصية بغلق باب الورشة أو مداراة الشغل عند دخول أحد أو عدم وجود عمالة خوفا من نقل أسرار الشغل، وذلك من أجل تحقيق التميز في الصنعة التى يقوم بها. بينما يختلف الحال في حرفة المشغولات النحاسية كما هو ملاحظ فى ربع السلحدار فنجد أن الحرفى دائماً يجلس أمام الورشة أثناء تأدية عمله حيث أن نقش النحاس وطرقه يصدر عنه ضوضاء ويحتاج إلى مساحة للعمل مما يعمل على زيادة التفاعل اليومى أثناء العمل بين العاملين في الورش المجاورة حتى ولو بإلقاء التحية والسؤال عن الأحوال العامة.

شارع الجمالية :

هو ثانى الشوارع الرئيسية الموجودة بقسم الجمالية، وهو شارع موازِ لشارع المعز لدين الله والذى يبدأ من شارع الحسين إلى باب النصر، ويتميز هذا الشارع بوجود العديد من المبانى الأثرية التاريخية التي من أهمها جامع السلطان بيبرس، سبيل محمد بك السلحدار، جامع على أوضة باشا، ومدرسة المعز لدين الله ..... وغيرها. إضافة إلى وجود بوابة باب النصر التى تعد من أهم المعالم التاريخية الموجودة به وبوابة بيت القاضي.

إضافة إلى العديد من الوكالات التجارية كوكالة كحلا، ووكالة قايتباى، ووكالة بازرعة والتى يتم تجديدها وإعادة ترميمها حالياً.

كما توجد مستشفى بدر التخصصى ومصلحة دمغ العملة والمصوغات وهى من المنشآت الحديثة. ويتميز الشارع باتساعه مما يسمح بمرور السيارات والمارة)، بينما يضم العديد من الشوارع الجانبية الأخرى التى يتسع بعضها ويضيق البعض الأخر، والتى تحتوى على العديد من الحارات والأزقة وتتسم بضيقها الشديد وكثرة تعرجاتها والتواءاتها مثل: حارة المبيضة، وحارة قصر الشوق، وشارع السيد الدواخلى، عطفة دار الطرية وعطفة البحراوى، والتى تتميز باحتوائها على العديد من المنشآت الحرفية التى تتنوع أنشطتها بين صناعات ذهبية وفضية ومشغولات نحاسية ومنتجات ورقية وكذلك صناعة الموازين البلدى وصناعات الألومنيوم.

وعلى الرغم من التشابه بين كل من شارع المعز وشارع الجمالية في العديد من الملامح الأيكولوجية يمكن تحديد بعض نقاط الاختلاف بين كلا الشارعين والتى تتمثل فيما يلى :

- التباين في كثافة عدد الورش والتباين في أنماط النشاط الحرفى الموجودة بكل منهما فعلى حين تكثر صناعات الذهب والفضة في شارع المعز نجد أنها تقل كثيرا في شارع الجمالية، فى مقابل تركز صناعة السبح في شارع الجمالية والتى تكاد تكون معدومة فى شارع المعز.
- نظراً لما يتمتع به شارع المعز من طبيعة تجارية وسياحية بالدرجة الأولى أدى ذلك إلى اهتمام كبير من أصحاب الورش التى تتركز فى الشارع الرئيسى أو الشوارع الجانبية الأساسية وكذلك في بعض الربوع بنظافتها وتنظيمها، فنجد غالبيتها يغلب عليها النظام والنظافة وكبر الحجم، بينما يختلف ذلك مع ما يبدو من حال الورش في شارع الجمالية فهو معروف بأنه شارع صناعى تتركز فيه العديد من الورش الصناعية الإنتاجية فنجد هناك إهمالاً مع عدم الاهتمام بالنظام أو بنظافة المكان، فالورش متلاصقة ولا توجد تهوية حتى إن هناك بعض المناطق التى تغلب عليها عشوائية البناء ويظهر عليها القدم مع تدنى الحالة الاجتماعية للسكان، وقد تم ترميم بعض المساكن وهدم بعض الأماكن مثل وكالة الغورى الموجودة فى منطقة الخرنفش بشارع الجمالية والتى كانت مكاناً للسكن والعمل معا، وتمر الجمالية بمرحلة جديدة حيث يتم ترميمها، وقد بدأ هذا المشروع القومى في ديسمبر(١٩٩٢ م) بترميم بيت

السـحيمى ومنطقة الدرب الاصفر التى تضم العديد من الوكالات الأثرية وقد تـم الإنتهاء من ترميم وكالة بازرعة ووكالة كحلاً وسبيل محمد على والعديد من المساجد الأثرية في المنطقة.

ثالثاً: الملامح الديموجرافية للسكان :

نتنـاول فـي هذا المحور أهم ملامح السكان بقسم الجمالية بدءاً بعدد السكان والسـن والحالـة التعليمية والمهنية والزواجية والقطاعات المختلفة والمهنة وأخيراً النشاط الاقتصادي ثم الخدمات المتاحة بالقسم.

١- عدد السكان :

باسـتقراء معطـيات الجدول رقم (٥-١) نلحظ أن عدد السكان بقسم الجمالية يصل إلى ٥٩١٥٩ نسمة منهم ٥١,٣% ذكور مقابل ٤٨,٧% إناث بينما يصل عدد السـكان بالقسـم إلى ٦٨٠٤٣ نسمة وذلك فى ٢٠٠٠/١/١م طبقاً للبيانات الصادرة عن مركز المعلومات بحى وسط القاهرة.

جدول رقم (٥-١)

توزيع السكان بقسم الجمالية حسب النوع فى عام ١٩٩٦م

عدد السكان / النوع	العدد	%
ذكـور	٣٠٣٧٦	٥١,٣
إنـاث	٢٨٧٨٣	٤٨,٧
مجمـوع	٥٩١٥٩	١٠٠,٠

المصـدر: الجهـاز المركـزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢

٢- السـن :

وعن توزيع السكان وفقاً لفئات السن، يتضح من الجدول رقم (٥-٢) أن أعلى نسـبة هى ١٨,٥% للفئة العمرية من ٢٠ إلى أقل من ٣٠ عاماً تليها نسبة الذين تقع أعمـارهم ما بين ٣٠ إلى أقل من ٤٠ عام وتصل نسبتها إلى ١٤% ثم الفئة من ١٥ إلـى أقل من ٢٠ عاماً وتبلغ ١١,٥%، وهكذا يلاحظ ارتفاع نسبة الشباب بالقسم أي الذين تتراوح أعمارهم من (١٥-٤٠) إذ تصل نسبتهم إلى ٤٤% من إجمالى السكان بالقسـم، بيـنما تنخفض نسبة كبار السن (٦٥سنة فأكثر) فتبلغ ٦,١% وكذلك نسبة

الأطفال (أقل من ٦ سنوات) وهى ٨,٥% وهذا يشير إلى ارتفاع نسبة من هم فى سن قادرة على العمل مقابل من هم غير قادرين على العمل.

جدول رقم (٥-٢)

توزيع السكان بقسم الجمالية حسب فئات السن والنوع فى تعداد ١٩٩٦م

النوع / فئات السن	ذكــور		إنـــاث		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ـ ٦	٢٥٨٧	٨,٥	٢٤٥٢	٨,٥	٥٠٩٣	٨,٥
٦ ـ	١٨٧٢	٦,٢	١٨٠٥	٦,٣	٣٦٧٧	٦,٢
١٠ ـ	١١٨١	٣,٩	١٠٨٢	٣,٨	٢٢٦٣	٣,٨
١٢ ـ	١٨٥٠	٦,١	١٧٧٦	٦,٢	٣٦٢٦	٦
١٥ ـ	٣٤٨١	١١,٣	٣٣٠٦	١١,٥	٦٧٨٧	١١,٥
٢٠ ـ	٥٨٧٣	١٩,٣	٥٠٥٣	١٧,٥	١٠٩٢٦	١٨,٥
٣٠ ـ	٤٢٩٨	١٤	٣٩٧٥	١٣,٨	٨٢٧٣	١٤
٤٠ ـ	٣٤٤٣	١١,٥	٣٦٣٥	١٢,٦	٧٠٧٨	١٢
٥٠ ـ	٢٤٥٤	٨	٢٧٨٧	٩،٧	٥٢٤١	٨,٩
٦٠ ـ	١٣٣٩	٤،٤	١٢٩٢	٤,٥	٢٦٣١	٤،٤
٦٥ +	١٩٩٨	٦،٦	١٦٢٠	٥,٦	٣٦١٨	٦
غير مبين	-	-	-	-	-	-
المجموع	٣٠٣٧٦	٥١,٣	٢٨٧٨٣	٤٨,٧	٥٩١٥٩	١٠٠,٠

المصـــدر: الجهـــاز المركـــزى للتعبئة العامة والاحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٤.

٣- الحالة التعليمية :

يتبين من الجدول رقم (٥-٣) ارتفاع نسبة الأمية بقسم الجمالية بشكل واضح لتصل إلى ٣٣,٨% وإن كانت تزيد عند الإناث لتصل إلى ٥٨,٧% مقابل ٤١,٣% للذكـــور، بيـــنما بلغـــت نسبة الأمية فى الحى بصفة عامة ٤٠% للأمية في تعداد ١٩٨٦م وقـــد وصـــلت نسبة الأمية إلى ٢٤,٢% على مستوى محافظة القاهرة في ١٩٩٦م مقـــابل ٣١,١%فـــى١٩٨٦م، ممـــا يدل على أن هناك تحسن ملحوظ في معـــدلات الأمية على مستوى محافظة القاهرة ،ويصل معدل الأمية بقسم الجمالية إلى١,٣%من إجمالي المحافظة في تعداد ١٩٩٦م.

كمـــا يتضح من الجدول أن أقل نسبة هى نسبة الحاصلين على درجات علمية عليا (ماجستير أو دكتوراه) حيث تصل إلى ٠,٢% من إجمالى حجم السكان بالحى ومـــن ثـــم فإن أغلب السكان بالقسم أميون أو ملمون بالقراءة والكتابة أو حاصلون على شهادات متوسطة.

جدول رقم (٥-٣)

توزيع السكان بقسم الجمالية حسب الحالة التعليمية والنوع فى تعداد ١٩٩٦م

النوع / الحالة التعليمية	ذكـــور		إنـــاث		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أمـــــى	٧٠٣٨	٢٧,٢	١٠٠٢٢	٤٠,٩	١٧٠٦٠	٣٣,٨
يقرأ ويكتب	٥٤٩٧	٢١,٢	٣٦٧٨	١٥	٩١٧٥	١٨,٢
ابتدائي	٢٥١٩	٩,٧	٢١٦٧	٨،٨	٤٦٨٦	٩,٣
أقل من المتوسط	٢٨٣٦	١٠,٩	٢٤٣٣	٩،٩	٥٢٦٩	١٠,٤
مؤهل متوسط	٥٠٧٦	١٩,٦	٤٥٤٢	١٨,٥	٩٦١٨	١٩
فوق المتوسط	٧٦٢	٢,٩	٥٣٠	٢،٢	١٢٩٢	٢,٦
جامعي	٢١٣٦	٨,٢	١١١٣	٤,٥	٣٢٤٩	٦,٤
ماجستير ودكتوراه	٥٣	٠,٢	٤١	٠,٢	٩٤	٠,٢
المجموع	٢٥٩١٧	٥١,٤	٢٤٥٢٦	٤٨,٦	٥٠٤٤٣	١٠٠

المصـــدر: الجهـــاز المركـــزى للتعبئة العامة والاحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣٠٠.

وقد يرجع انخفاض المستويات التعليمية بالقسم إلى أنه من أحد الأقسام القديمة التقلـيدية التى يسكنها الحرفيون والعمال، وذوو الدخول المنخفضة كما أنه يعد من الأحـياء الصناعية والتجارية وذو ثقافة ترى أن الهدف الأسمى هو التميز بالحرفة أو المهـنة لا التميز فى التعليم ومحو الأمية، فغالبية لغة تلك الأحياء هى لغة " ابن البلد " حيث تنتشر الأنشطة الاقتصادية الحرفية والتجارية التى توفر فرصة لعمالة الأطفـال مـنذ سن مبكرة مما يشجع على تسربهم من التعليم. كما أن قسم الجمالية يعد من الأقسام التى بها مغريات الانضمام المبكر لسوق العمل مثل ارتفاع الأجور وسهولة الحصول على عمل مما يدفع بصغار السن إلى الدخول فى مضمار المهن وعـدم اللجوء إلى المدارس وبالتالى ترتفع نسبة الأمية به، كما أن الزيادة السكانية مـن العوامل المهمة التى تدفع إلى صعوبة إلحاق الأبناء بالمدارس (حامد الهادى، ١٩٩٦: ٥٩٨،٥٩٩).

٤- الحالة الزواجية :

جدول رقم (٥-٤)

توزيع السكان بقسم الجمالية حسب الحالة الزواجية والنوع فى تعداد ١٩٩٦م

النوع / الحالة الاجتماعية	ذكور		إنـاث		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
لم يتزوج	٨٣٥٣	٢٧,٥	٦٠٣٧	٢١	١٤٣٩٠	٢٤,٤
متزوج	١١١٦٧	٣٦,٨	١١١١٩	٣٨,٦	٢٢٢٨٦	٣٧,٧
مطلق	٢٣٢	٠,٧	٤٠٩	١,٤	٦٤١	١,٠٨
أرمل	٩٦٧	٣,٢	٣٣٥١	١١,٦	٤٣١٨	٧,٣
غير مبين	٧٥	٠,٢	٧١	٠,٢	١٤٦	٠,٢
جملة	٢٠٧٩٤	٦٨,٥	٢٠٩٨٧	٧٢,٩	٤١٧٨١	٧٠,٦
المجموع	٣٠٣٧٦	٥١,٣	٢٨٧٨٣	٤٨,٧	٥٩١٥٩	١٠٠,٠

المصـــدر: الجهــاز المركــزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠٢.

يتضـــح من استقراء الجدول رقم (٥-٤) أن نسبة المتزوجين فى قسم الجمالية تصـــل إلى ٣٧,٧% من إجمالى حجم السكان بالمجتمع كما تصل إلى ٥٣,٥% من إجمـــالى مـــن هم فى سن الزواج، وتليها نسبة من لم يسبق لهم الزواج لتصل إلى ٢٤,٤% من إجمالى شريحة السن، فى حين تبلغ نسبة الأرامل ٧,٣% مقابل ١,٠٨ % مـــن المطلقين. مما يدل على إرتفاع معدلات الاستقرار الزواجي بالحى بدرجة ملحوظـــة، والـــذى يمكـــن تفسيره بانخفاض مستويات المعيشة وانخفاض تكاليف الزواج وكذلك رخص إيجارات المساكن مقارنة بالأحياء الأخرى.

٥- الحالة المهنية للسكان :

يتبيـــن من الجدول رقم (٥-٥) أغلب الملتحقين بمهن مختلفة فى حى الجمالية ممـــن هم فى سن العمالة ١٥ سنة فأكثر من الذكور بنسبة ٧٢,٢% مقابل ١٣,٨% مـــن الإناث، حيث إن الغالبية العظمى من النساء بقسم الجمالية غير عاملات، مما يؤكـــد أحـــد سمات المجتمع التقليدى وهى عدم تفضيل عمل المرأة واعتبارها (قوة غـــير عاملـــة) غير أن البيانات الإحصائية قد لا تعبر عن قوة عمل المرأة بصدق داخـــل المجتمع خاصة فى المجتمعات الشعبية التقليدية مثل قسم الجمالية، حيث إن عمل المرأة يكون غالباً عمل غير رسمى.

جدول رقم (٥-٥)
توزيع السكان (١٥سنة فأكثر) بقسم الجمالية
حسب أقسام المهن المختلفة والنوع في تعداد ١٩٩٦م

النوع / المهنة	ذكـور		إنـاث		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
رجال التشريع والمديرين	١٨٣٦	٩٥,٥	٨٦	٤,٥	١٩٢٢	٩,٨
الأخصائيون	١٤٣٨	٦٥,٩	٧٤٣	٣٤,١	٢١٨١	١١,٢
الفنيون	١١٦٦	٦٥,٦	٦١١	٣٤,٤	١٧٧٧	٩,١
الكتابيون	٧٨٠	٥٩,٣	٥٣٦	٤٠,٧	١٣١٦	٦,٧
العاملون في الخدمات	٢٥٩٦	٩١,٢	٢٤٩	٨،٨	٢٨٤٥	١٤,٦
المزارعون	١٠٧	٨٧	١٦	١٣	١٢٣	٠,٦
الحرفيون	٥٠٢٨	٩٨,٣	٨٧	١,٧	٥١١٥	٢٦,٢
عمال المصانع	١٣٧٤	٩٥,٧	٦٢	٤,٣	١٤٣٦	٧,٤
عمال المهن العادية	٩٠٢	٩٤,٦	٥١	٥,٤	٩٥٣	٤,٨
غير مصنف	١٢٩٤	٦٩,٨	٥٦١	٣٠,٢	١٨٥٥	١،٣
جملة	١٦٥٢١	٧٢,٢	٣٠٠٢	١٣,٨	١٩٥٢٣	٤٣,٨
غير ملتحق	٦٣٦٥	٢٧,٨	١٨٦٦٦	٨٦,٢	٢٥٠٣١	٥٦,٢
المجموع	٢٢٨٨٦	٥١,٤	٢١٦٦٨	٤٨,٦	٤٤٥٥٤	١٠٠,٠

المصـدر: الجهـاز المركـزي للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣٥٠.

وعن توزيع النسب ممن التحقوا بالعمل في قسم الجمالية من إجمالي الملتحقين بالعمل لكل فئة فهي كما يلي:

- أكبر نسبة من الملتحقين بالمهن المختلفة هم من الحرفيين بنسبة ٢٦,٢% وأن أغلـب العاملين في العمل الحرفي من الذكور بنسبة ٩٨,٣% بينما تندر نسبة النسـاء العاملات بالقطاع الحرفي ١,٧% فقد يرجع ذلك إلى ما تفرضه طبيعة العمـل الحرفي نفسه وعدم سماح المجتمع التقليدي للمرأة بالعمل في الحرف المخـتلفة إلا أن هذا مغاير لما كشفت عنه الشواهد الميدانية حيث وجدت أن هـناك الكثـير مـن الحالات التي تمثل فيها المرأة عنصراً هاماً في النشاط الحرفي.
- يلـي ذلك فئة العاملين في الخدمات ومحلات البيع بنسبة ١٤,٦% وكان أغلب العـاملون أيضـاً من الذكور بنسبة ٩١,٢% مقابل ٨,٨% من الإناث. ويأتي

ذلـك متسـقاً مـع الخصـائص الأيكولوجية لمجتمع البحث من حيث انتشار المحـلات الـتجارية والخدمـية كالمطاعم والمقاهى وكذلك الورش الانتاجية الصناعية وتجارة الجملة والتجزئة.

- وتنخفض باقى النسب فى الفئات المتبقية لتتراوح ما بين ١١,٢%، ٠,٦%.

٦- المهنة والقطاعات المختلفة للعمل :

جدول رقم (٥-٦)
توزيع السكان بقسم الجمالية (١٥سنة فأكثر)
حسب القطاع والنوع فى تعداد ١٩٩٦م

النوع / القطاع	ذكـور		إنـاث		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
حكـومـى	٣٠٠٩	٦٨	١٤١٤	٣٢	٤٤٢٣	٢٤,٥
أعمـال عـامة	٥١٥	٨٦	٨٤	١٤	٥٩٩	٣،٣
خاص داخل منشآت	٩٠٧٥	٩١,٢	٨٧٨	٨،٨	٩٩٥٣	٥٥,٣
خاص خارج منشآت	٢٨١٧	٩٦,٦	٩٨	٣,٤	٢٩١٥	١٦,٢
أجـنـبـى	٢٧	٨٧	٤	١٣	٣١	٠,٢
غير مبين	٦٨	١٠٠	–	صفر	٦٨	٠,٤
جـمـلـة	١٥٥١١	٨٦,٢	٢٤٧٨	١٣،٨	١٧٩٨٩	٤٠,٤
غير ملتحـق	٧٣٧٥	٢٧,٨	١٩١٩٠	٧٢,٢	٢٦٥٦٥	٥٩,٦
المجموع	٢٢٨٨٦	٥١,٣	٢١٦٦٨	٤٨,٦	٤٤٥٥٤	١٠٠

المصـدر: الجهـاز المركـزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٠.

من الجدول رقم (٥-٦) يتبين أن نسبة من التحقوا بالمهن كانت ٤٠,٤% من إجمـالى النشـطين اقتصـادياً بقسم الجمالية، وقد ارتفعت نسبة الذكور لتصل إلى ٨٦,٢% مقـابل ١٣،٨% من الإناث وكانت أعلى نسبة منهم هم العاملون بالقطاع الخـاص بنسـبة ٧١,٥% فقـد كانت نسبة من يعملون داخل المنشآت بهذا القطاع ٥٥,٣% أمـا من يعملون خارج المنشآت فوصلت فنسبتهم إلى ١٦,٢%، مما يدل علـى كثافة حجم العاملين بالقطاع الخاص فى قسم الجمالية وخاصة العاملين داخل المنشـآت. وقـد يـرجع ذلـك إلى أن قسم الجمالية من الأقسام التى يغلب عليها الاسـتثمارات الخاصة والقطاع الخاص أو المشروعات الفردية الخاصة والعائلية، والـذى تتركز فيه الصناعات الحرفية اليدوية التقليدية وهى غالبيتها تعد صناعات قطاع خاص هدفها تلبية احتياجات السكان (حامد الهادى، ١٩٩٦: ٥٧٢،٥٧١).

أما عن بقية الملتحقين بالمهن فقد بلغت نسبة العاملين بالقطاع الحكومى ٢٤,٥ %، والعاملين فى أعمال عامة ٣،٣%، ٠,٢% بالقطاع الأجنبى. وجدير بالذكر أن كثيراً من العاملين بالقطاع الحكومي يجمعون بين أكثر من عمل يندرج تحت أنشطة القطاع غير الرسمي في محاولة لزيادة الدخل وهذا ما أكدته العديد من الدراسات في هذا المجال (هناء الجوهري، ١٩٩٦: ١٧٣ ــ ٢٠٧).

رابعاً: الملامح العامة للمنشآت :

نظراً لما يتطلبه موضوع الدراسة والهدف منه، كان لابد من توضيح أهم خصائص المنشآت بقسم الجمالية من حيث: نوع المكان الذى تشغله وجنسية الحائز، وتاريخ بدء مزاولة النشاط بها، وكذلك الكشف عن حجم المنشآت العاملة وبصفة خاصة تلك التى تنتمى للقطاع الخاص بالقسم، وعدد المشتغلين بها وتوزيعها حسب حالة العمل وحسب القطاع، ويوضح الجدول رقم (٥-٧) أنه وفقاً لتعريف المنشآت فى تعداد ١٩٩٦م يوجد ٢٠٨٠٠ منشأة بنسبة ٤% من إجمالى المنشآت الموجودة بمحافظة القاهرة والتى تشمل جميع المنشآت العاملة وغير العاملة. ويتبين من معطيات الجدول رقم (٥-٧) أن أكبر نسبة من تلك المنشآت ٦٦,٨% عبارة عن دكان، و١٨% منها تكون عبارة عن حجرة أو أكثر، وتتضاءل النسب بعد ذلك لتتراوح ما بين ١,٣%، ٧،٣% فى حالة إذا كانت المنشأة كشكاً أو شقة. وأغلب تلك المنشآت عاملة.

جدول رقم (٥-٧)

توزيع المنشآت حسب نوع المكان الذى تشغله بقسم الجمالية فى تعداد ١٩٩٦

نوع المكان	العدد	%
مبنى بأكمله	٤٢٩	٢,١
دور أو أكثر	٤٥٤	٢،٢
شقة	١٥٢٧	٧,٣
حجرة أو اكثر	٣٧٤٥	١٨
دكان	١٣٨٩٠	٦٦,٨
كشك	٢٧٨	١,٣
أخرى	٤٧٧	٢,٣
غير مبين	—	—
مجموع	٢٠٨٠٠	١٠٠,٠

المصدر: الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للمنشآت، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٥

ومـــن استقراء معطيات الجدول رقم (٥-٨) نلاحظ أن نسبة المنشآت العاملة بقســم الجمالـــية تــبلغ ٦٥,٣% حسب تعداد المنشآت لعام ١٩٩٦م بينما قلت نسبة المنشـــآت المغلقـــة نهائياً أو المؤقتة بنسبة ١٨,١% و٣,٨% على التوالى، ونسبة المخـــزن ٩,٤% وتكـــاد تنعدم النسب فى بقية الفئات. ويشير ذلك إلى كثافة العمل الحرفى بالمنطقة وغلبة السمة الإنتاجية الصناعية.

جدول رقم (٥-٨)

توزيع المنشآت بقسم الجمالية حسب حالة العمل فى تعداد ١٩٩٦م

حالة العمل	العدد	%
عـــاملـــة	١٣٥٩٢	٦٥,٣
مغلقة مؤقتا	٦٧٨	٣,٨
مغلقة نهائياً	٣٧٦٠	١٨,١
مخزن نهائى	١٩٥٩	٩,٤
تحت التجهيز	٥٠	٠,٢
أماكن منشأة خالية	٤٠٨	١,٩
أخـــرى	٤٣	٠,٢
غير مبين	٢٢٠	١،١
مجموع	٢٠٨٠٠	١٠٠,٠

المصـــدر: الجهـــاز المركـــزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للمنشآت، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ١.

وتتنوع المنشآت العاملة بالقسم حسب حالة القطاع، فمنها ما ينتمى إلى القطاع الحكومـــى وأخـــرى تنـــتمى للقطاع الخاص وثالثة تصنف على أنها أعمال عامة وأخـــرى مشتركة وغيرها تعاونية، ويتضح من الجدول رقم (٥-٩) أن أكبر نسبة من المنشآت العاملة تتركز فى القطاع الخاص الاستثمارى حيث تصل إلى ٩٧,٨% مـــن إجمـــالى حجم المنشآت العاملة بالقسم وهى نسبة عالية جداً؛ وذلك نظراً لأن غالبـــية المنشـــآت والمهن فى حى الجمالية تكاد تكون موروثة أو منشأة منذ فترة طويلة أو تمارس نشاطها منذ أزمان بعيدة، فالحى يتسم بالسمة المهنية حتى كادت الوحـــدات الســـكنية تـــتحول إلـــى حوانيـــت لممارسة الحرف الدقيقة المتخصصة والمتميزة، كما أنه يتسم بالقدم والتقليدية ويغلب عليه الاستثمارات الخاصة والقطاع الخاص والمشروعات الفردية الخاصة والعائلية (حامد الهادى، ١٩٩٦: ٥٧٠).

جدول رقم (٥-٩)

توزيع المنشآت العاملة بقسم الجمالية حسب نوع القطاع في تعداد ١٩٩٦م

نوع القطاع	العدد	%
حكومي	١٦٢	١,٢
أعمال عامة	٧٢	٠,٥
خاص واستثماري	١٣٣٠٣	٩٧,٨
تعاوني	٥	٠,٠٣
مشترك	—	—
أخرى	٥٠	٠,٤
غير مبين	—	—
مجموع	١٣٥٩٢	١٠٠,٠

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للمنشآت، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣.

وفيما يتعلق بحيازة المنشآت العاملة والمغلقة مؤقتاً نجد أن أغلبها حيازات مصرية بنسبة ٩٩,٩% من إجمالي تلك المنشآت بالقسم. كما يتبين من الجدول رقم (٥-١٠) أن اغلب المنشآت بقسم الجمالية وعددها ١٢٨٥٠ ذات صفة مفردة، وذلك بنسبة ٩٥,٧% وتتضاءل النسب في فئتي مركز رئيسي وفرع، وتتوافق تلك النسب مع إجمالي محافظة القاهرة إذ بلغت المنشآت المفردة ٩٥,٥% من إجمالي المنشآت العاملة.

جدول رقم (٥-١٠)

توزيع المنشآت بقسم الجمالية العاملة فقط (عدا الحكومية) وعدد المشتغلين حسب صفة المنشأة في تعداد ١٩٩٦م

صفة المنشأة	عدد المنشآت		عدد المشتغلين							
			أصحاب عمل بدون أجر		أصحاب عمل بأجر		مستخدمون		مجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
مفردة	١٢٨٥٠	٩٥,٧	١٤٨٢٧	٩٤,٧	١٢٠٦	٩١	٢٤١٤٨	٨٥,٦	٤٠١٨١	٨٨,٩
مركز رئيسي	٢٠٥	١,٥	٣٣٢	٢,١	٤٦	٣,٥	١٤٥٦	٥,٢	١٨٣٤	٤,١
فرع	٣٧٥	٢,٨	٤٩٣	٣,٢	٧٣	٥,٥	٢٦٠٣	٩,٢	٣١٦٩	٧
مجموع	١٣٤٣٠	١٠٠	١٥٦٥٢	٣٤,٦	١٣٢٥	٣	٢٨٢٠٧	٦٢,٤	٤٥١٨٤	١٠٠,٠

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العم للمنشآت، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٤.

أما عن نسبة المشتغلين بتلك المنشآت فنجد أن ٣٤,٦% هم أصحاب عمل بدون أجـر، و٦٢,٤% مستخدمون، بينما تضاءلت نسبة أصحاب العمل بأجر إلى ٣%، وتتقارب أيضاً تلك النسب على مستوى محافظة القاهرة، إذ بلغت نسبة أصحاب عمـل بدون أجر ٣٥,٤%، والمستخدمون ٦٢,٤%، بينما بلغت نسبة أصحاب العمل بأجـر ٢,١% إضـافة إلى أن أكبر نسبة من المشتغلين هم العاملون فى المنشأة ذات الصـفة المفـردة بنسبة ٨٨,٩% تليها نسبة العاملين فى (الفرع) بنسبة ٧%، وأخيراً المشتغلون فى مركز رئيسى بنسبة ٤,١%.

ويعـد هـذا مؤشـرا مهمـاً على كثافة المنشآت المفردة بالقسم والتى ينقسم العـاملون فيها بين أصحاب عمل بدون أجر أو مستخدمين، وقد يرجع ذلك إلى أن قسم الجمالية من الأقسام ذات الطبيعة الخاصة التى تكاد المهن فيها تكون موروثة، وهـى تمثل امتداداً طبيعياً كل منها للآخر وتكون في احتياج دائم إلى عمالة بدرجة معقولة، مما يتيح الفرصة للآخرين للعمـل، فالمهن ليست حكراً على صاحبها؛ إذ أن هـناك من يجيـدها غير أصحاب العمـل، فيتجه صاحب المهن للاعتماد على العمالة المدفوعة الأجر (حامد الهادى، ١٩٩٦ : ٥٧٠) مما يدعم من معايير اختيار مجتمع الدراسة.

جدول رقم (٥-١١)
توزيع المنشآت العاملة فقط عدا الحكومية
حسب صفة المنشأة وتاريخ بدء مزاولة النشاط فى عام ١٩٩٦م

صفة المنشأة / السنة	قبل ١٩٨٦م		١٩٨٦م وما بعدها		غير مبينة السنة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
مفردة	٧٢٣٨	٩٥,٧	٥٥٤١	٩٦,١	٧١	٧١,٧	١٢٨٥٠	٩٥,٧
مركز رئيسي	١٣٣	١,٨	٦٩	١,٢	٣	٣	٢٠٥	١,٥
فـرع	١٩٣	٢,٥	١٥٧	٢,٧	٢٥	٢٥,٣	٣٧٥	٢,٨
مجموع	٧٥٦٤	٥٦,٣	٥٧٦٧	٤٣	٩٩	٠,٧	١٣٤٣٠	١٠٠,٠

المصـدر: الجهـاز المركـزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للمنشآت، ١٩٩٦، النتائج النهائية، محافظة القاهرة، ١٩٩٨، ص ٨.

ومن الجدول رقم (٥-١١) يتبين أيضا أن أكثر من نصف المنشآت الموجودة بقسـم الجمالـية أنشئت قبل عام ١٩٨٦م وذلك بنسبة ٥٦,٣% مقابل ٤٣% أنشئت فـى عـام ١٩٨٦م ومـا بعده وهذا يؤكد التقليدية والأصالة بقسم الجمالية، فأغلب المنشآت تكاد تكون موروثة أو منشأة منذ فترة طويلة أو تمارس نشاطها منذ أزمان

بعيدة. كما أن غالبية المنشآت الموجودة بالقسم مفردة بنسبة ٩٥,٧% بينما تنخفض نسبة المنشآت (مركز رئيسى) ١,٥%، وكذلك ما تحمل صفة (فرع) بنسبة ٢,٨%.

وهذا المؤشر يعكس الواقع التاريخي الفيزيقي لمنشآت قسم الجمالية فهي تؤكد القدم والتقليدية والأصالة على جانب، كما تؤكد الحداثة والمعاصرة على جانب آخر حيث إن هناك العديد من المنشآت التي بدأت مزاولة نشاطها منذ عام ١٩٨٦م وما بعد ذلك، وقد دعمت ذلك حالات الدراسة الميدانية مما يدل على الجمع بين التقليدية والحداثة في قسم الجمالية بالنسبة للمنشآت والحرف الموجودة به.

وتأسيساً على ما سبق، وكما تبين من المؤشرات الإحصائية أن قسم الجمالية من الأقسام التى تجمع بين التقليدية والحداثة فى المنشآت والحرف الموجودة به، كما أن غالبية المهن به تكاد تكون متوارثة ومنشأة منذ أزمان بعيدة، فضلاً عن أنها تتميز بكثافة حجم المنشآت الموجودة به والتى تتنوع أنشطتها - كما أوضحت الشواهد الميدانية والدراسة الاستطلاعية - وغالبية تلك المنشآت هى منشآت عاملة تنتمى إلى القطاع الخاص، مما يدعم من معايير اختيار مجتمع الدراسة.

خامساً: المرافق والخدمات :

يحفل قسم الجمالية بالعديد من الخدمات، سواء الأمنية أم الصحية أم التعليمية أم تلك الخاصة بالسوق والمواصلات، كما يزخر القسم بالعديد من الخدمات الاستهلاكية التى تشمل محلات البقالة والخردوات والصالونات والمطاعم والأفران ومحلات بيع الخضراوات والفاكهة والألبان، إضافة إلى وجود المقاهى والحمامات الشعبية. وفيما يلى يمكن إعطاء صورة عن تلك الخدمات على النحو التالى :

١- الخدمات التعليمية:

يتوافر بالقسم العديد من الخدمات التعليمية وخاصة فى مجال التعليم الابتدائى والمتوسط بالرغم من انخفاض المستوى التعليمى للسكان كما تكشف المؤشرات الإحصائية، وقد بلغت جملة المدارس بالقسم ٢٣ مدرسة ما بين ابتدائية وإعدادية وثانوية عام وصناعية وتجارية يضاف إلى ذلك جامعة الأزهر التى تخدم المنطقة وكافة أرجاء الجمهورية وأيضا الوافدين من مختلف الدول العربية والإسلامية.

٢- الخدمات الصحية :

تتنوع الخدمات الصحية الموجودة بالقسم بين مستشفيات ومكاتب صحية، وعن المستشفيات الموجودة بالقسم منها ما هو حكومى تعليمى مثل: مستشفى

الحسـين الجامعي وتقع فى شارع الأزهر، ومستشفى رمد قلاوون وتقع فى شارع المعـز لديـن الله، وكذلك مستشفى رمد الأزهر بشارع الشيخ الجعفرى بالدراسة، إضافة إلى مستشفيات القطاع الخاص وهى:

مستشـفى الشـيخ صالح الجعفرى بالدراسة، ومستشفى بدر التخصصى التابع لمسـجد بدر الدين العجمى بحارة الصالحية، كما توجد العديد من العيادات الخاصة ومكاتب الصحة..

٣- الخدمات الأمنية:

يضـم قسـم الجمالـية ثلاث نقاط شرطة تابعة له إدارياً، وهى: نقطة شرطة الحسـين، ونقطة شرطة المشهد الحسينى، ونقطة شرطة باب النصر. وذلك حفاظاً علـى الأمن بالمنطقة خاصة وأنها تعد منطقة سياحية بالدرجة الأولى حيث الآثار الإسـلامية التاريخـية الموجـودة، كما أنها منطقة لها قدسيتها نظراً لوجود مسجد الحسـين، إضـافة إلى العديد من المساجد التاريخية الأثرية التي تشعر الموجودين بالمنطقة بالأمان والطمأنينة، وكما يؤكد أهالي الحى بأن المنطقة لا تخلو من المارة لـيلاً أو نهـاراً نظراً لسيادة الطابع التجاري ووجود الصاغة كأكبر سوق تجارى يوجد بالمحافظة، مما يجعل المواطنين يشعرون بالأمان الدائم.

٤- الحمامات الشعبية :

يوجد بعض الحمامات الشعبية بقسم الجمالية التى تعد إحدى السمات التقليدية الشـعبية للحـى الـتى لا تزال مستمرة حتى الآن. مثل: حمام السلطان مرجوش والمقاصـيص والصاغة والجمالية، وقد كانت بعض هذه الحمامات مخصصة قديماً للرجال وبعضها الآخر للنساء إلا أنها أصبحت الآن مقصورة على الرجال.

٥- السـوق :

تتـنوع الأسـواق داخل قسم الجمالية ما بين أسواق تجارية وسياحية، وتتركز الأسـواق التجارية فى شياختين هما جوهر القائد، وبين السورين، حيث تسود فيهما تجـارة الملابـس والأقمشة والأدوات المنزلية والذهب والفضة (الصاغة) وتستمر الحـركة الـتجارية فيها طول أيام الأسبوع عدا يوم الأحد الذى يتزامن مع الراحة الأسبوعية للمحلات، غير أن هذا لا يمنع من وجـود بعض الباعة. أما عن السوق السـياحى الوحيد فهو يقع فى شياخة خان الخليلى حيث يشهد تمركزاً لعدد كبير من البازارات السياحية والمحلات التجارية.

٦

الفصل السادس
الخصائص الحرفية ونوعية حياة العمل
مؤشرات أمبريقية

الفصل السادس
الخصائص الحرفية ونوعية حياة العمل
مؤشرات أمبريقية

مقدمـــة:

يــرجع الاهــتمام بدراسة خصائص العمل الحرفى أو ما يسمى بالحرفية إلى الإســهامات الــرائدة مــن جانــب بعض المفكرين من أمثال : راسكين Ruskin، وتولســتوى Tolestey، وبيرجســون Bergson، وكذلك سوريل Sorel، فقد كان واضــحاً أمــام هــؤلاء الكــتاب والمفكرين كيف أن العمال فى ظل نسق المصنع الحديــث قــد افتقدوا الكثير من استقلاليتهم وإبداعهم فى العمل فضلاً عن افتقارهم للسيطرة والتحكم فى أوقات عملهم مع تدن واضح فى جودة ما يؤدونه من أعمال. ومــن ثم ظهرت إسهامات عديدة تحاول جاهدة وضع تصورات لما كان يتصف به العامل الحرفى من خصائص قبل الثورة الصناعية، مع محاولة الإجابة على تساؤل مــؤداه: إلــى أى مــدى أصبح الحرفى يفتقد الكثير من تلك الخصائص من خلال اشتغاله داخل نسق المصنع الحديث (اعتماد علام، ١٩٩١: ٢٣).

ومــنذ مطلع الستينيات وحدوث تحولات واضحة فى النظام الحرفى من حيث مســتويات المهارة والتقنية ومجالات النشاط خاصة فى الدول الرأسمالية كالولايات المــتحدة الأمريكــية، وأوروبا، حيث أدى هذا بدوره إلى تعميق النظرة إلى العمل الحــرفى إذ اتخــذت الإسهامات العلمية والدراسات الميدانية من هذا التحول مجالاً للدراســة والتحلــيل ومقارنــة الاستخلاصــات العلمية المتعلقة بالخصائص الست للحرفية عند ميلز.

وقــد شــغل الــنمط المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز أذهان العديد من الباحثيــن خلال السنوات الماضية، ويزعم بعض علماء الاجتماع بأن الخصائص الســت الــتى يشــتمل علــيها لم تعد موجودة على خريطة الواقع اليومى للأداء الحــرفى، وأن تلــك الخصائص قد صارت محض خيال؛ بسبب استخدام وسائل التقنــية الحديثة فى الإنتاج الحرفى بشكل كبير لاسيما فى المجتمعات الرأسمالية الصناعية، حيث إن الرأسمالية تؤثر بشكل كبير على مستوى الممارسة الحرفية، ومــن ثــم يحدث تحول كبير فبعد أن كان العمل الحرفى يحقق لصاحبه الرضا والانــتماء والاعــتزاز بالذات، والتكامل مع المحتوى الثقافى والاجتماعى الذى

يعمـــل بداخلـــه ويتعايش معه، نجد أن الممارسة الحرفية قد تقلصت لتحل محلها كفاءات أخرى (اعتماد علام، ١٩٩١: ٤٩،٤٨).

يتضـــح مـــن ذلـــك أن قضـــية انحـــراف الحرف والصناعات التقليدية عن خصائصـــها الســـت في النمط المثالي للحرفية عند ميلز لم تحسم بعد، خاصة وأن معظـــم الدراسات التي تناولت هذه الخصائص بالدراسة والبحث والتحليل تركزت في مجتمعات أوروبية متقدمة تختلف في محتواها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي عن مجتمعنا المصري، والذي يفتقر إلى مثل تلك الدراسات (اعتماد علام، ١٩٩١: ٥٠). ومـــن ثـــم تسعى الدراسة الراهنة في هذا الفصل إلى الإجابة على التساؤلين الآتيين:

أولاً : هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الحرف والصناعات التقليدية (مجال الدراسة) في الخصائص الحرفية؟ وإلى أي مدى تتسم تلك الخصائص بالثبات والتغير في مجموعات الحرف الثلاث؟

ثانـــياً: إلـــى أي مدى تلعب الخصائص الحرفية دوراً في تشكل نوعية حياة العمل لـــدى الحرفي؟ وبمعنى آخر، إلى أي مدى تعد الخاصية السادسة هي محصلة تفاعل الخصائص الحرفية الخمس الأولى في النمط المثالي للحرفية عند ميلز، في مجموعات الحرف الثلاث؟

أولاً: الخصائص الحرفية للحرف والصناعات التقليدية (مجال الدراسة):

يحـــاول البحـــث الراهن الكشف عما إذا كانت هناك فروق دالة إحصائياً بين الحـــرف والصـــناعات التقلـــيدية المتباينة، فيما يتعلق بالخصائص الحرفية الخمس المتمـــثلة فـــي نموذج الحرفية عند ميلز، والتي تشمل: خاصية الإبداع، والاهتمام بالدقـــة والجـــودة فـــي أداء العمل، وكذلك الاستقلال الذاتي للحرفي، وطول فترة الممارسة الحرفية، إضافة إلى التداخل في أوقات العمل والراحة.

وفـــي ضـــوء ذلك تم تقسيم مفردات العينة البحثية والتي يبلغ عددها ١٤٦ منشـــأة حرفـــية، حســـب مســـتوى الممارسة الحرفية، ووفقاً لعدد من المحكات، ولخدمـــة أغراض التحليل الكمي والكيفي وإمكانية عقد المقارنات بين مجموعات الحـــرف المتبايـــنة. وقد تمثلت تلك المحكات كما أوضحنا في الفصل الأول فيما يلـــي:

- القيمة المادية وتسويق المنتج.
- القيمة الفنية والجمالية للمنتج.
- الحاجة إلى التخصصية المعتمدة على الخبرة المكتسبة من أداء العمل.
- ارتفاع سن الطفل للقدرة على تعلم الصنعة.

وفي ضوء تلك المحكات السابقة، تم تقسيم الحرف والصناعات (مجال الدراسة) إلى ثلاث مجموعات أساسية، فجاءت حرف الصاغة في المجموعة الأولى - ذات مستوى الممارسة الحرفية العليا - والتي تضم صناعات الذهب، والفضة، تليها صناعات خان الخليلي في المجموعة الثانية - ذات مستوى الممارسة الحرفية المتوسطة - والتي تشمل : صناعات النقش على النحاس، والصدف، والسبح. بينما جاءت صناعات الشيش والألومنيوم في المجموعة الثالثة - ذات مستوى الممارسة الحرفية الدنيا - والتي أطلقنا عليها حرف متنوعة، وفيما يلي سيتم مناقشة كل من الخصائص الحرفية الخمس على حدة بين كل المجموعات الحرفية، وداخلها على مستوى كل مجموعة حرفية.

الخاصية الأولى : الاعتزاز بالحرفة والقدرة على الإبداع عند الحرفي :

يعد الإبداع Inventiveness كما يذهب آرنسبرج Arensberg جزءاً أساسياً من أى عمل يقوم به الحرفى (Anderson,1964: 79). وتشير الخاصية الأولى فى النمط المثالى للحرفية عند س. رايت ميلز إلى ما يتمتع به الحرفى من القدرة على الإبداع والابتكار فيما يقوم به من عمل، حيث إن العمل الحرفى يعتمد فى المقام الأول على مدى حب الحرفى وفخره واعتزازه بالحرفة التي يعمل بها، فكلما زاد حب الحرفى واعتزازه بحرفته كلما أدى ذلك إلى مزيد من القدرة على الإبداع والابتكار فى العمل الحرفى الممارس (Mills,1951:221).

ومن خلال استقراء معطيات الجدول رقم (٦-١) يتبين أنه ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الحرف والصناعات التقليدية فيما يتعلق بخاصية الإبداع في العمل الحرفى، إذ يتبين من ذلك أن الإبداع فى العمل الحرفى هو خاصة أساسية للعمل فى مختلف الحرف والصناعات التقليدية، بغض النظر عن نوع العمل الحرفى الممارس.

جدول رقم (٦-١)
دلالة الفروق بين الحرف المختلفة فى مقياس "نوعية حياة العمل الحرفى" باستخدام تحليل التباين (ف) واختبار شيفيه

المقياس	قيمة ف	الدلالة	مجموعات الحرف	ذهب/ فضة	ألومنيوم/ شيش	نحاس/سبح/ صدف	المتوسطات
الإبداع	٢,٤٦٣	غير دال	ذهب/ فضة				١٧,٤٩١
			ألومنيوم/ شيش				١٧,٢٠٠
			نحاس/ سبح/ صدف				١٧,٩٧٧
الاهتمام بالدقة والجودة	١٤,٢٣١	٠,٠١	ذهب/ فضة				١٩,٣٢٧
			ألومنيوم/ شيش	*			١٨,٦٠٠
			نحاس/ سبح/ صدف	*	*		٢٠,٢٤٤
الاستقلال الذاتى	٥,٠٨٣	٠,٠١	ذهب/ فضة				١٨,٢٢٩
			ألومنيوم/ شيش				١٨,٢٠٠
			نحاس/ سبح/ صدف	*	*		١٩,١٧٧
طول فترة الممارسة	٩,٥٩١	٠,٠١	ذهب/ فضة				١٧,٣٩٣
			ألومنيوم/ شيش	*		*	١٩,٠٥٠
			نحاس/ سبح/ صدف				١٦,٧٥٥
مرونة وقت العمل الحرفى	٧,٥١٣	٠,٠١	ذهب/ فضة				١٥,٧٠٤
			ألومنيوم/ شيش				١٥,٥٧٥
			نحاس/ سبح/ صدف	*	*		١٦,٩٧٧
الرضا عن العمل	١٠,٨٣٥	٠,٠١	ذهب/ فضة				١٨,٤٥٩
			ألومنيوم/ شيش	*		*	١٩,٧٧٥
			نحاس/ سبح/ صدف				١٨,٧٥٥
المقياس الكلى	٣,٦٣٥	٠,٠٥	ذهب/ فضة	*			١٠٦,٦٠٦
			ألومنيوم/ شيش				١٠٨,٤٠٠
			نحاس/ سبح/ صدف				١٠٩,٨٨٨

وقـــد دعمت ذلك نتائج الدراسة الميدانية على المستوى الكيفى؛ إذ كان الإبداع خاصـــية يتسم بها العمل الحرفى فى جميع الأنشطة الحرفية، على الرغم من وجود تباينات فى مستويات ذلك الإبداع الذى يقوم به الحرفى فى العمل الممارس، والذى يرجع إلى التباين فى طبيعة العمل الحرفى، وما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية من إمكانات وقدرات ذاتية، إضافة إلى التباين فى القيمة الفنية والجمالية، وكذلك القيمة

المادية للمنتج، وقد أكدت جميع حالات الدراسة على ذلك، حيث ذكرت الحالة (أ-ح) احدى حالات صناعة الذهب ما يلى : " أنا لو جاتنى زبونة لازم أعمل لها حاجة جديدة محدش لابس زيها، حتى لو أنا عملتها قبل كده معملش زيها تانى لازم كل حاجة اعملها يكون فيها بصمة جديدة ".

والحالة (س-أ) التى تعمل فى صناعة الصدف ذكرت :" لازم طبعا أعمل حاجات جديدة عشان افضل عايش ويفضل زبونى يلاقى عندى احسن حاجة، فكل واحد تكون له بصمته فى الشغل بتاعه".

كما اكدت على ذلك الحالة (م-م) وهى سيدة مطلقة تعمل فى صناعة السبح وكان الطلاق هو الدافع الأساسي لتعلم الصنعة والاشتغال بها، فقد ذكرت : " انا اشوف السوق عايز ايه واعمله عشان لو الزبون ملقاش عندى حاجة جديدة حيروح لغيرى ومش حيجينى". وقد ذكر عنها أحد الإخباريين (س-ع) قائلاً : "هى واحدة عرفت تعمل الحاجة اللى تمشى فى السوق ويكون لها زبونها، وعرفت تعمل لنفسها اسم وتبقى ناجحة، لأن السوق دلوقتى فيه منافسة عالية جدا، والورش اللى بتعمل السبح مفيش اكتر منها، فالتميز بقى نادر وصعب ".

بينما تنخفض قيمة الإبداع والفخر بالصنعة إلى حد كبير فى صناعات الشيش والألومنيوم ويتباين ذلك مع ما جاء فى نتائج التحليل الكمى، حيث يقتصر التجديد على بعض الإدخالات المحدودة فى الشكل فقط، فالعمل فى تلك الحرف التقليدية يعتمد فى المقام الأول على عدد من المواصفات الكمية والمقاييس المحددة أكثر من اعتماده على مهارة الحرفى وإبداعه. وعبرت عن ذلك حالات الدراسة، ففى الحالة (أ-أ) التى يعمل صاحبها فى صناعة الشيش وهو يرث تلك الصنعه عن والده، ويعمل معه ابنه أيضا، فذكر: "الشيشة شيشة فى الأول والآخر، يعنى حنعمل إيه جديد، مهما جددنا فيها، تكون حاجات فى الشكل والألوان، وبتكون على الكل، والشطارة بصحيح إن الواحد يعمل الحاجة على أصولها وزى ما إتعلمناها".

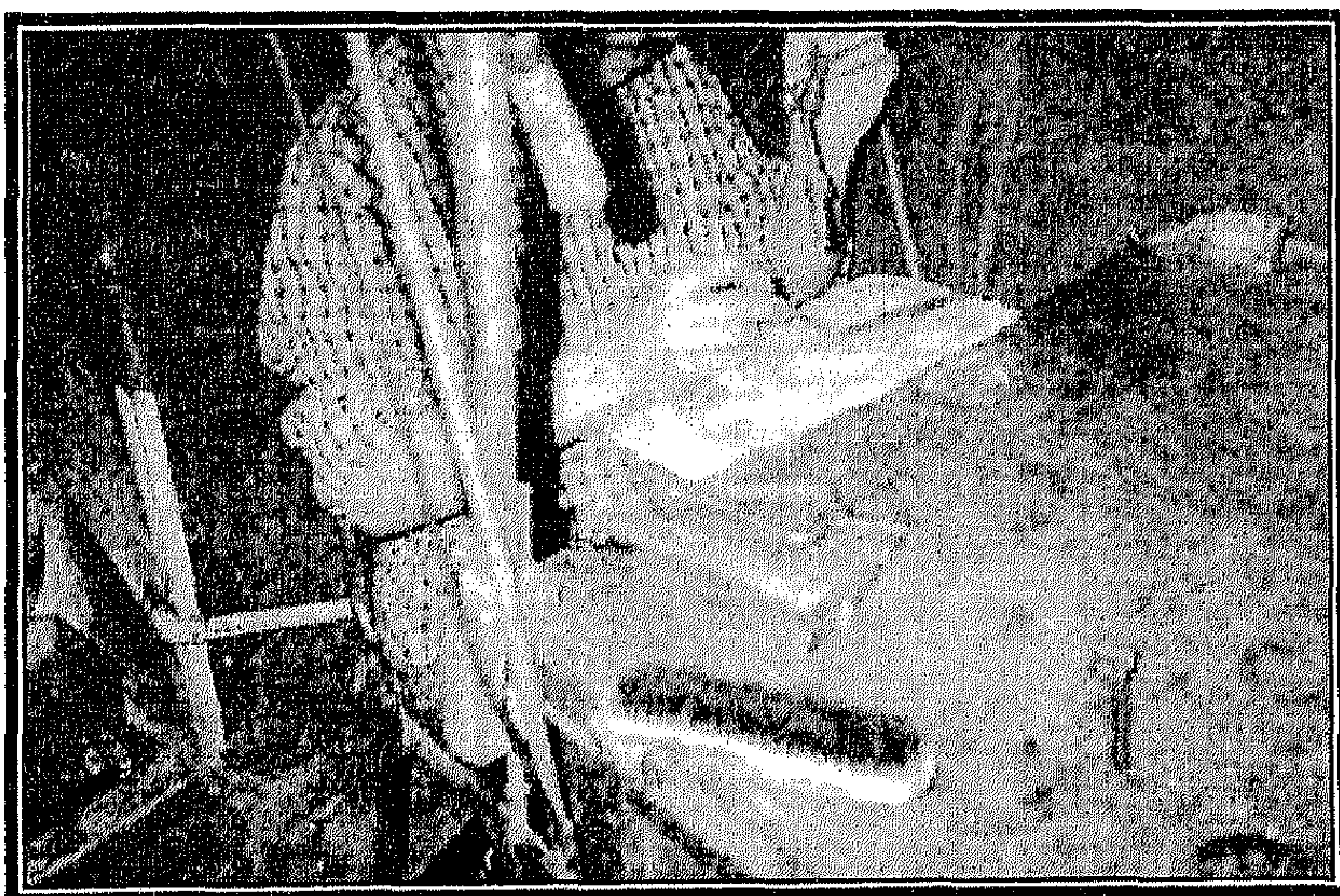
الخاصية الثانية: الاهتمام بالدقة والجودة فى أداء العمل الحرفى:

فى النمط المثالى للحرفية عند س.رايت ميلز، يعد الاهتمام بالدقة والجودة والمعرفة بسر الصنعة وتفاصيل العملية الإنتاجية التى يمر بها المنتج بمثابة ميكانيزمات لنجاح العمل الحرفى الممارس. فالاهتمام بجودة المنتج أهم من كمية الإنتاج عند الحرفى الناجح، حيث إن دقة الصنعة وجودتها هى الدليل على سمعته

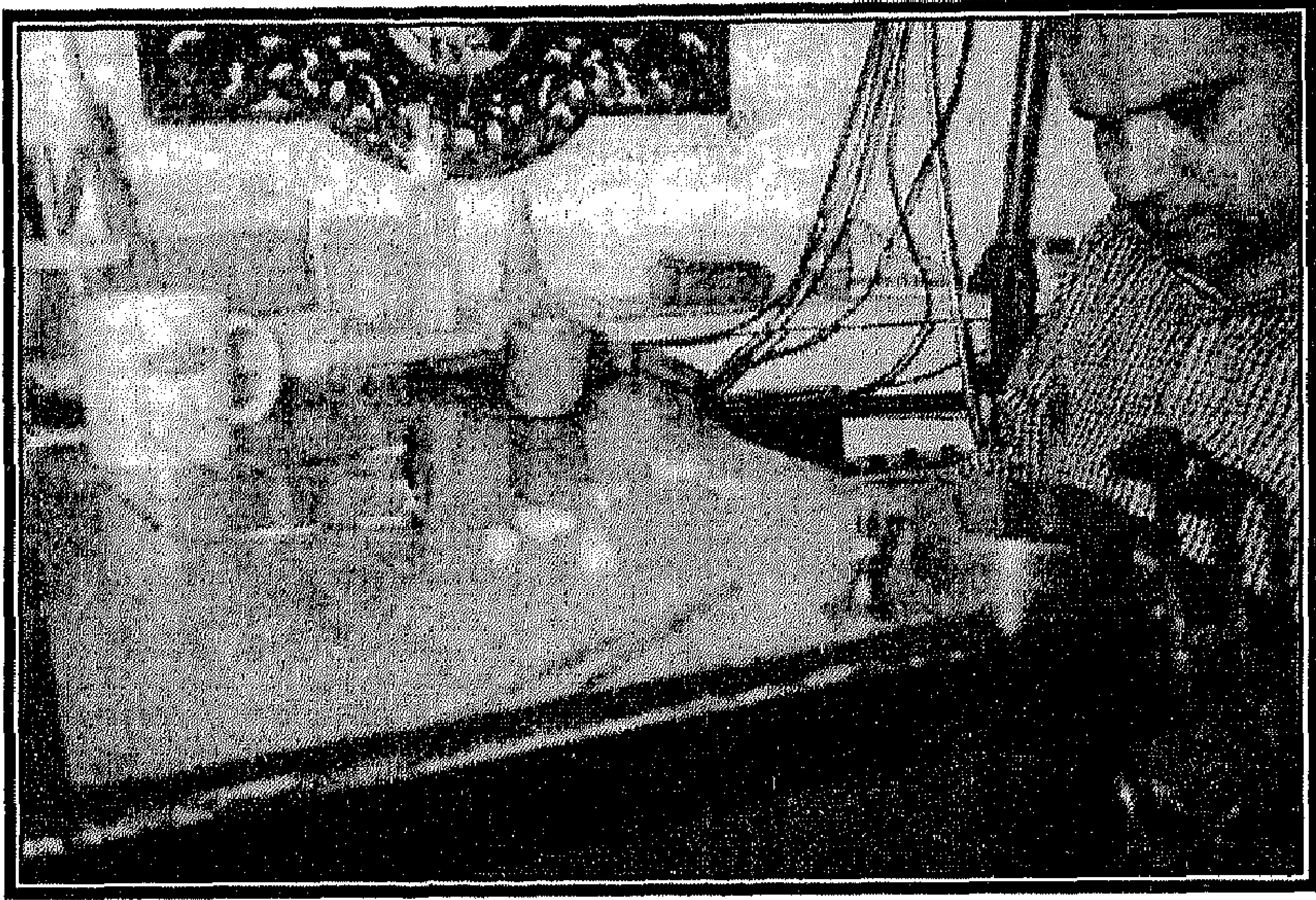
ومكانـــته بيـــن زملائـــه في الورشة وفي الورش المجاورة وفي المجتمع المحلى الحاضن لها (Mills,1951: 221).

وقد أوضحت نتائج التحليل الإحصائى كما هو واضح فى الجدول رقم (٦-١)، أن هـــناك فـــروق ذات دلالة إحصائية بين الحرف والصناعات فيما يتعلق بالاهتمام بالدقـــة والجـــودة وذلك عند مستوى دلالة (٠,٠١)، وكانت قيمة ف= (١٤,٢) حيث كانـــت لصـــالح صـــناعات خـــان الخليلى بمتوسط = (٢٠,٢) تليها حرف الصاغة بمتوسط =(١٩,٣)، وفي أدنى مستوى للاهتمام بالدقة والجودة تأتى صناعات الشيش والألومنيوم بمتوسط = (١٨,٦).

وقد دعمت ذلك حالات الدراسة، ففي حرف الصاغة أكدت حالات الدراسة أن أهـــم شـــىء بالنسبة للحرفى هو جودة المنتج الذى يصنعه؛ لأنه الذى يحافظ على اســـمه وسمعته فى السوق حتى إنه لا يحب أن يقوم بعمل الأشياء المكررة المعتادة في السوق، ولكن يسعى دائماً للتجديد والتنويع، ويهتم بالدقة والجودة بصورة شديدة؛ لأن هـــذا هـــو الذى يجعله متميزاً عن غيره. وكان من أهم مؤشرات ذلك حرصه علـــى القـــيام بكل مرحلة من مراحل العملية الانتاجية بنفسه. وقد عبرت عن ذلك الحالـــة (أ-ح) :" أنا لازم أطمن بنفسي على كل كبيرة وصغيرة في الشغل عشان الشـــغل يطلع زى ما أنا عاوز، مش أى كلام، لوحد اشتغل فيه محسش إنه بتاعى، وحتة منى" (انظر الصورتين رقم ١، ٢)



صورة رقم (١)
الدقة الشديدة فى صناعة الذهب

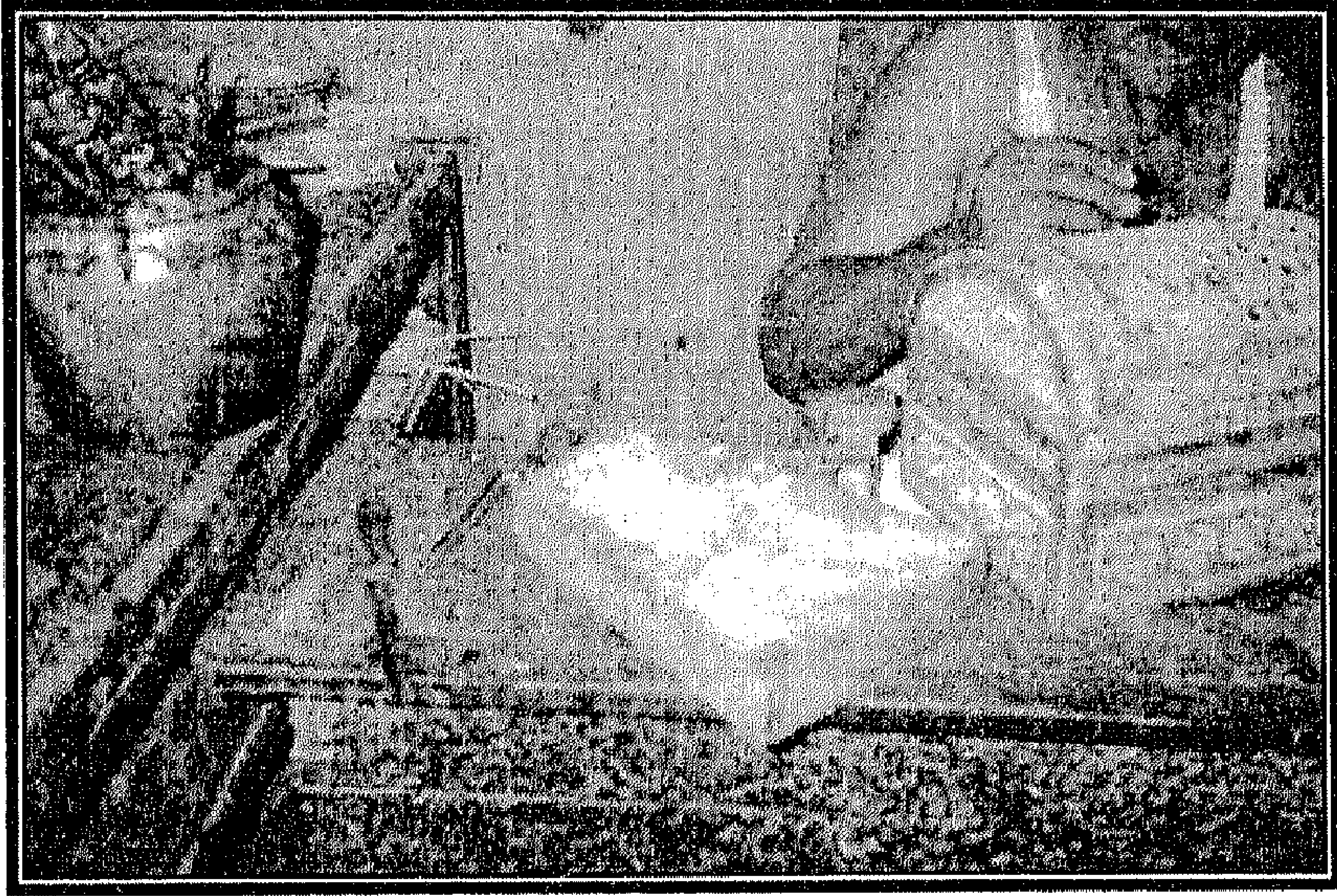


صورة رقم (٢)
التركيز الشديد فى حرفة الذهب

وينخفض مستوى الدقة والجودة نسبياً فى صناعة الفضة، عنها فى صناعة الذهب؛ حيث إن الحرفى الذى يعمل فى صناعة المشغولات الفضية يهتم بإنتاج كميات كبيرة من أجل الحصول على مكسب مادى كبير، ويتمثل الحفاظ على الاسم والسمعة فى صناعات الفضة فى كبر حجم الإنتاج والتسويق، ويبدو ذلك من انخفاض التنظيم الداخلى لورش الفضة عنها فى ورش الذهب فقد ذكرت الحالة (م-س) وهو صاحب ورشة لصناعة المشغولات الفضية ويرثها عن والده وأجداده، وهو حريص جداً على سمعة والده واسمه فى تلك الصنعة، فيذكر:" رغم المنافسة العالية فى السوق لكن احنا لازم ننتج كميات كبيرة عشان نلاقى مقابل، وعشان كده اشغل معايا ٣ صنايعية أوزع عليهم الشغل كلهم زى بعض لكن لكل واحد عدد معين أو نسبة معينة من الطرايح اللى لازم نعملها، لو معملتش كده واشتغلت علطول مش حعيش ".

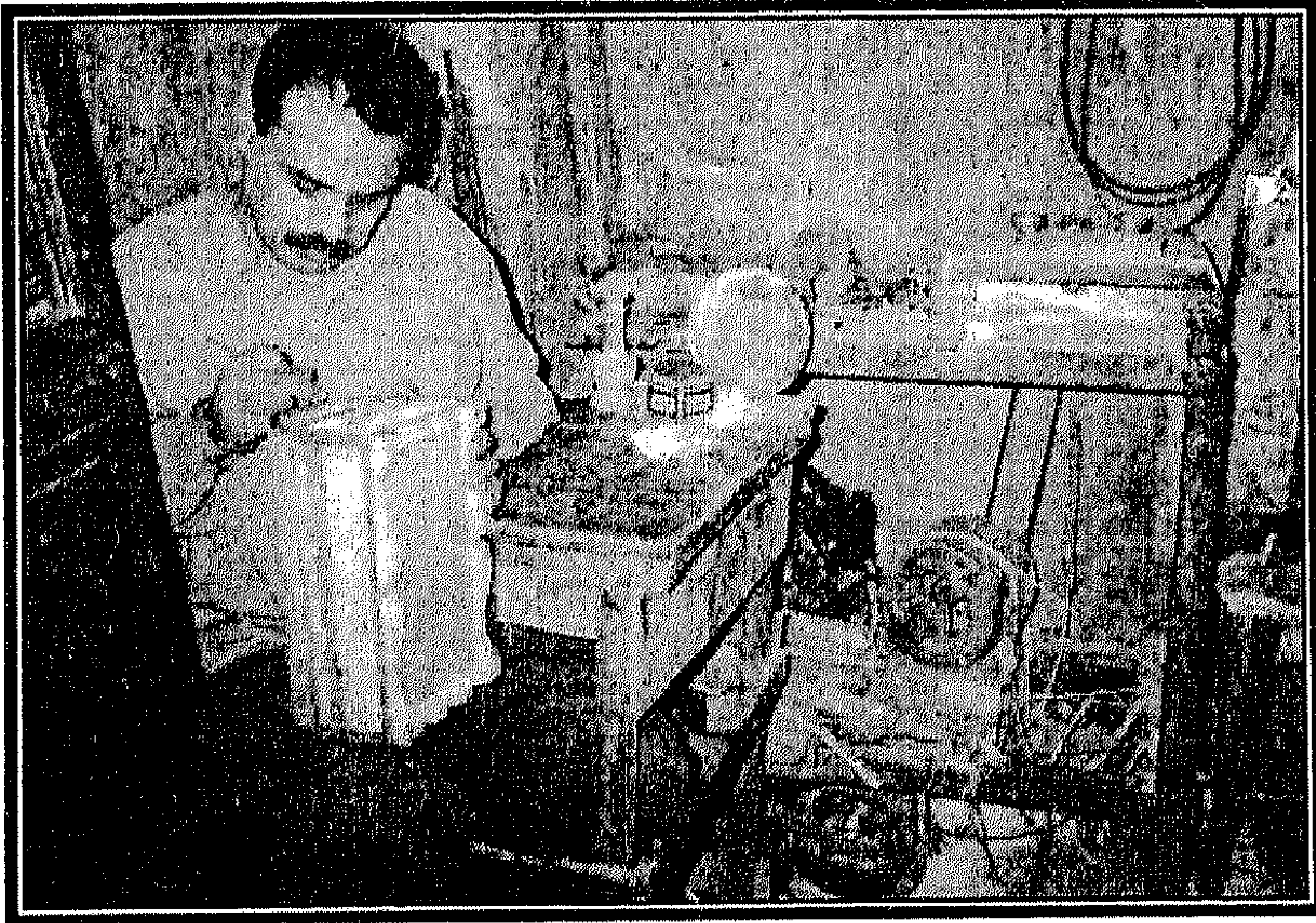
وفى صناعات خان الخليلى، اهتمت غالبية حالات الدراسة بالدقة والجودة فى صناعة المنتج من أجل التميز والحفاظ على السمعة والمكانة وكذلك من أجل البقاء والاستمرارية فى ظل المنافسة العالية. وفى هذا السياق عبرت الحالة (س-أ) والتى تعمل فى صناعة المشغولات الصدفية عن ذلك كما يلى: "كل شغل يختلف عن غيره، أنا أما أبص لشغل أى حد أعرف انه بتاعه، وكمان أى حد يشوف شغلى

يعــرف أنه بتاعى عشان لى بصمتى وأسلوبى، زى ما كل واحد له خط مميز إحنا كمان فى شغلنا كل واحد له طريقته اللى تميزه عن غيره". ويتضح ذلك من الصور أرقام (٣، ٤).



(صورة رقم ٣)

الدقة الشديدة والاهتمام بتفاصيل العمل فى حرفة الصدف



صورة رقم (٤)

التركيز الشديد فى صناعة الصدف

وتقل قيمة الاهتمام بالدقة والجودة إلى أدنى حد فى صناعات الشيش والألومنيوم، حيث إن العمل فى تلك الحرف يتم على وتيرة واحدة ويخضع لمواصفات كمية أكثر منها فنية، ويبدو ذلك من ارتفاع حجم العمالة ووجود الأطفال واضطلاعهم بالعديد من الأدوار الرئيسية فى العملية الإنتاجية إضافة إلى عدم الاهتمام بتنظيم الورشة ونظافتها وترتيبها.

وتأسيساً على ما سبق، يتبين أن هناك فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية سواء بين مجموعات الحرف المتباينة، أم على المستوى الداخلى لكل مجموعة حرفية على حدة، وذلك فيما يتعلق بخاصية الاهتمام بالدقة والجودة فى أداء العمل الحرفى، مقابل الاهتمام بكمية الإنتاج، والتى وصلت إلى أعلى معدلاتها فى صناعات خان الخليلى، وذلك أملاً فى التميز والحفاظ على السمعة والمكانة الحسنة. وتليها فى المرتبة الثانية حرف الصاغة حيث انخفاض الاهتمام بالدقة نسبياً فى صناعات الفضة عنها فى صناعة الذهب، ففى صناعة الذهب يحرص الحرفى على جودة الإنتاج، كما أن إنتاج قطعة واحدة قد يكفيه لتحقيق المكسب والشعور بالرضا، أما فى صناعة الفضة ونظراً لانخفاض القيمة المادية للمادة الخام إلى حد ما عن الذهب، فإن الحرفى لا يمكنه تحقيق المكسب والشعور بالرضا إلا بإنتاج كميات كبيرة. وهكذا، فإن ارتفاع العائد المادى من التسويق يشكل عاملاً أساسياً فى اهتمام الحرفى بالجودة فى مقابل كمية الإنتاج.

ويختلف الأمر عن ذلك فى صناعات الشيش والألومنيوم؛ إذ ينخفض بها الاهتمام بجودة المنتج إلى أدنى حد، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العملية الإنتاجية، والتى لا تتطلب مهارات أو قدرات معينة، بل إن العمل يتم على وتيرة واحدة، وتقل الحاجة إلى التخصصية فى أداء العمل، إضافة إلى ارتفاع حجم عمالة الأطفال، ويؤكد ذلك الطبيعة الأيكولوجية لورش صناعة الشيش والألومنيوم والتى يغلب عليها عدم النظافة، وعدم التنظيم والإهمال الشديد بالمقارنة بورش الذهب التى يغلب عليها التنظيم مع الترتيب مهما كان صغر حجمها، مما يسمح للحرفى بالتركيز والدقة والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى العمل، من أجل الوصول إلى أعلى مستويات الجودة.

الخاصية الثالثة : الاستقلال الذاتى للحرفى :

يعد الاستقلال الذاتى للحرفى من أهم خصائص الحرفية، سواء ما يتمتع به من استقلالية فى العمل وفى جميع مراحل العملية الإنتاجية، أم فى اتخاذ القرار

فـيما يتعلق بساعات العمل وتحديد أوقات الراحة وغيرها، ويرتبط هذا الاستقلال الذاتـى للحرفى بمدى خبرته وطول فترة ممارسته للعمل، فكلما زادت خبرته فى العمل كلما كان اكثر استقلالية وحرية فى العمل. إضافة إلى أن الاستقلال الذاتى للحـرفـى فى العمل يعد من العوامـل الدافعة للإبداع والابتكار فيما يقـوم به من عمل.

ومـن خـلال اسـتقراء النتائج المدونة فى الجدول رقم (٦-١) نجد أن هناك فـروق ذات دلالـة إحصـائية بيـن الحرف المتباينة فيما يتعلق بالاستقلال الذاتى للحـرفى، وذلـك عند مستوى دلالة (٠,٠١)، وتبلغ قيمة ف= (٥,٠٨)، ويمارس الحرفـيون فى صناعات خان الخليلى أعمالهم بدرجة عالية من الاستقلالية بمتوسط يصـل إلـى = (١٩,٢)، ثم يأتى المشتغلون بحرف الصاغة والمشتغلون بصناعات الشيش والألومنيوم بمتوسط = (١٨,٢) لكل منها.

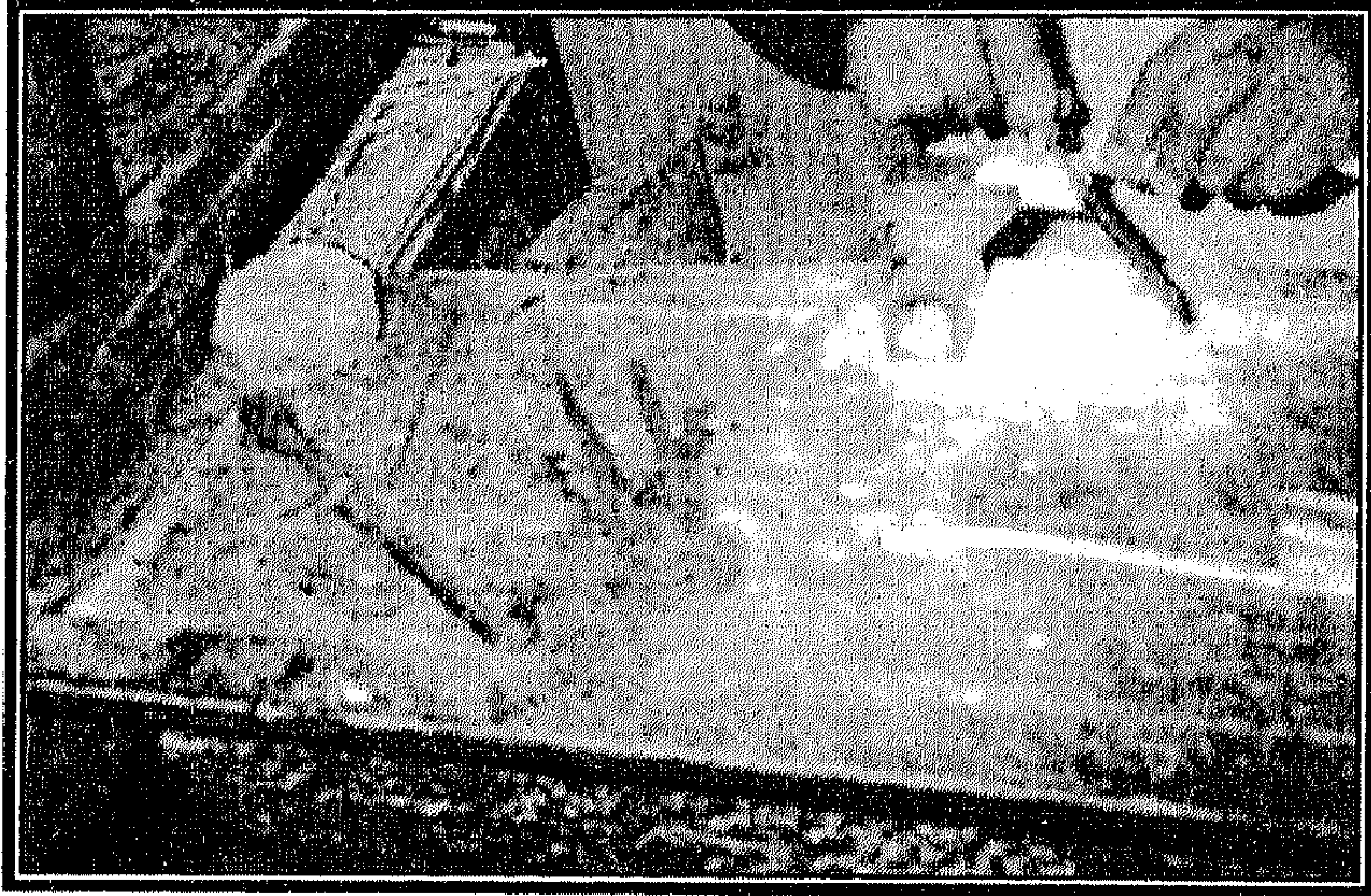
وقـد دعمت ذلك المشاهدات الميدانية، وما أسفرت عنه دراسات الحالة، ففى حرف الصاغة يتمتع الحرفى بقدر من الاستقلال الذاتى والحرية فى أداء العمل؛ إذ تسـمح له طبيعة العملية الإنتاجية بالتعبير عن ذاته، وعن ذوقه ومهارته، والإبداع فـى المنتج الذى يصنعه؛ إلا أنه تكون هناك قيوداً على تلك الحرية التى يتمتع بها الحـرفى نظـراً لارتفاع القيمة المادية للمادة الخام وخاصة فى (صناعة الذهب)، إضـافة إلى السوق، حيث إن الذهب والفضة من الصناعات التى تكون لها معايير عالمـية محـددة ومن ثم يكون الحرفى مقيداً ومحكوماً ببعض المعايير التى تكبح حريته واستقلاليته.

بينما ترتفع معدلات الاستقلال الذاتى للحرفيين فى صناعات خان الخليلى إلى أقصـى درجـة، ويمكـن تفسير ذلك بانخفاض القيمة المادية للمادة الخام عنها فى حرف الصاغة، كما أن طبيعة العملية الإنتاجية تسمح للحرفى بالإبداع والتجديد فى المنتج حسب مهارته وذوقه. إضافة إلى الطبيعة الأيكولوجية لورش تلك الصناعات الـتى تسـمح للحرفى بالتنقل والتحرك بالمنتج داخل وخارج الورشة، فمثلاً: نجد الحـرفى فى صناعة النقش على النحاس يجلس أمام الورشة فىالهواء الطلق ويقوم بالعمل الذى يمارسه (أنظرالصورة رقم ٥).

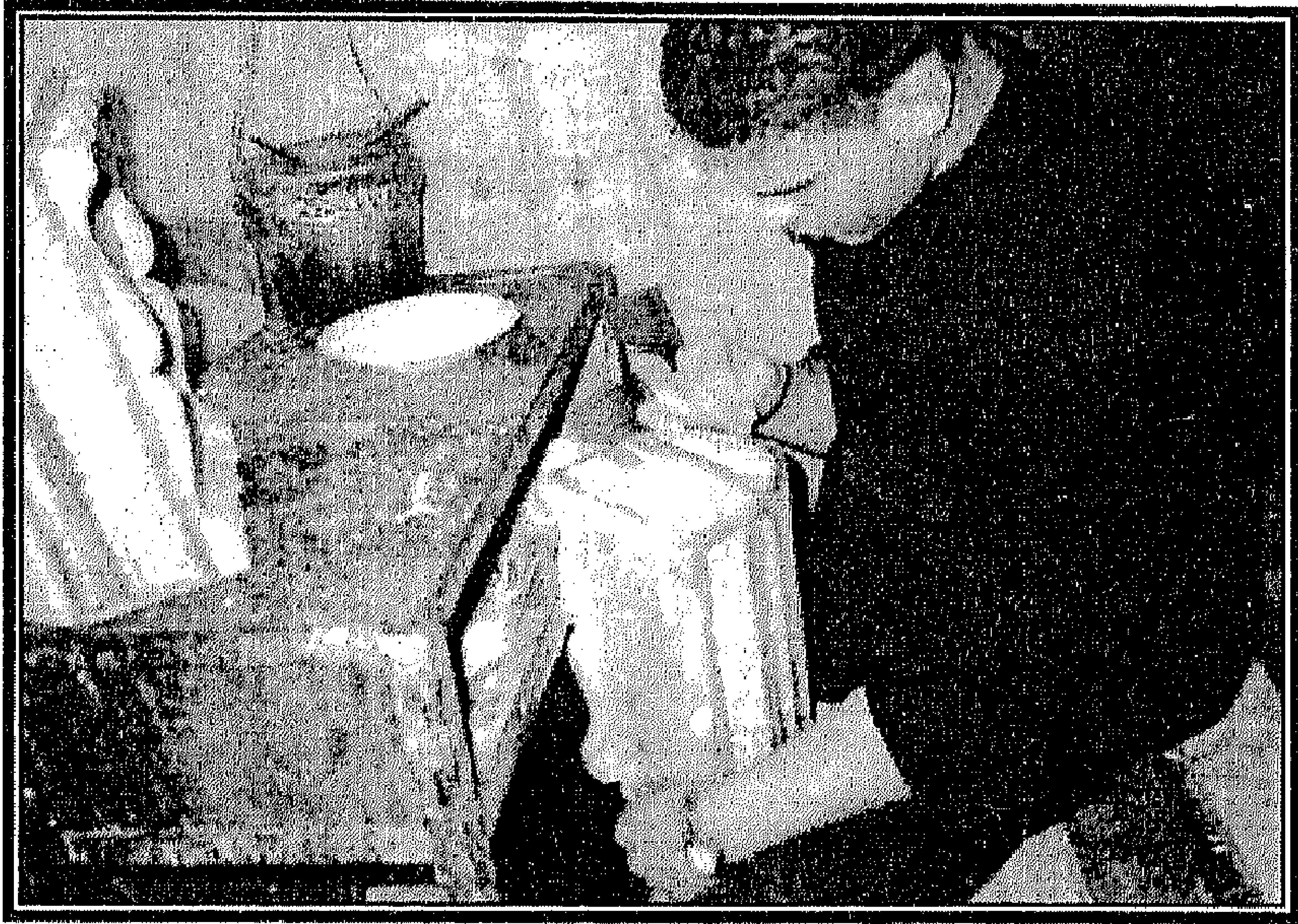


صورة رقم (٥)
أحد الحرفيين يقوم بالنقش على النحاس أمام الورشة

كمـــا أن العمل فى تلك الصناعات يعتمد أساساً على التكاملية فى أداء العمل، فكـــل حـــرفى يقـــوم بعمل، ويستكمله حرفى آخر،... وهكذا، وصولاً إلى الشكل النهائى للمنتج أنظر الصورتين رقم (٦، ٧).



صورة رقم (٦)
أحد العاملين يقوم بتقطيع الصدف حسب مقاسات محددة



صورة رقم (٧)

أحد العاملين داخل ورشة الصدف يقوم بالتطعيم وتلزيق الصدف

اضافة الى التكاملية على المستوى الخارجى بين الورش وبعضها البعض التى تتكامل فيما بينها من أجل الوصول إلى الشكل النهائى للمنتج وقد أوضحت المشاهدات الميدانية ذلك، فكانت هناك ورش تتخصص فى التطعيم بالصدف، وأخرى تتخصص فى تلميع وتشطيب العلب والمنتجات الصدفية، وثالثة ينحصر عملها فى تصميم وتجهيز العلب الخشبية من أجل التطعيم. وقد أسهم ذلك فى ازدياد درجة التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين سواء على مستوى الورشة الواحدة أم بين الورش وبعضها البعض حيث علاقات الوجه للوجه وماتفرضه طبيعة العملية الإنتاجية من التقارب والمشاركة بينهم فى العمل، إضافة إلى ما يتمتع به الحرفى من حرية فى أداء العمل وفى التحرك داخل الورشة وخارجها، وقد ساعد ذلك بدوره على ازدياد معدلات الرضا لدى الحرفى داخل بيئة العمل حيث القدرة على تكوين علاقات اجتماعية والشعور بالأمان والاستقرار النفسي.

وقد أسفرت الشواهد والملاحظات الميدانية عن تمتع حالات الدراسة فى صناعات خان الخليلي (النحاس الصدف – السبح) بقدر كبير من الاستقلال الذاتى والدليل على ذلك أن الحرفى يبدأ فى العمل وقتما يشاء، ويفرغ منه وقتما يشاء، إضافة إلى الحرية التى يتمتع بها العاملون فى الحركة داخل الورشة

وخارجهـا، وعدم التقيد بمواعيد محددة للعمل. بينما يقل تمتع الحرفى بالاستقلالية فى حرف الصاغة إلى حد ما؛ نظراً لوجود الكثير من القيود التى يواجهها الحرفى والتى تتمثل فى ارتفاع القيمة المادية للمنتج، فرغم ملكية الحرفى القانونية لما يقوم بـه مـن عمـل، إلا أنـه لا يتمتع بالحرية التامة، وكذلك ما يفرضه السوق من ميكانيزمات، (العرض والطلب) والذى يمثل أحد محكات التصنيف التى تم الاعتماد عليها فى تصنيف مجموعات الحرف.

وبالنسبة لصناعات الشيش والألومنيوم، تتعدد مراحل العملية الإنتاجية ويزداد حجـم العمالـة الحرفية بالورش بدرجة ملحوظة ومن ثم تنخفض درجة الاستقلال الذاتـى، الـتى يتمتع بها الحرفى حيث إن العمل يخضع لمواصفات كمية محددة، ويشترط على العامل إنتاج كمية محددة من المنتجات فى مقابل حصوله على أجره كاملاً (يوميته)، فلا يكون للعامل أى حرية سواء فى مواعيد العمل والانتهاء منه أم فى استخدام أدوات معينة أو غير ذلك.

وهكذا فكما تبين من نتائج الدراسة، أن هناك تباينات فى درجة الاستقلال الذاتى للحـرفى حسب طبيعة العمل الذى يمارسه، فجاءت فى أعلى مستوياتها فى صناعات خـان الخليلى، بينما تنخفض نسبياً فى كل من حرف الصاغة، وفى صناعات الشيش والألومنـيوم. كمـا تبيـن أيضاً وجود عدد من التباينات على المستوى الداخلى لكل حـرفة على حدة والذى قد يرجع إلى عدة اعتبارات أساسية تتمثل فى : عامل القرابة والـتوارث المهـنى، ففـى صناعات الشيش والألومنيوم رغم انخفاض ما يتمتع به الحـرفى من الاستقلال الذاتى فى أداء العمل، إلا أنه تبين من حالات الدراسة، عندما يكـون الحـرفى على صلة قرابة بصاحب العمل (ابنه أو أخوه أو أحد أقاربه) فإنه يتمتع بقدر كبير من الاستقلالية فى مواعيد العمل، وفى أداء العمل وفى تحديد أوقات الراحة.. وغيرها أكثر من الحرفيين الآخرين العاملين بالورشة.

كمـا تـزداد أيضاً الاستقلالية الذاتية للحرفى بزيادة خبرته التى يكتسبها من طول مدة ممارسته للعمل؛ فقدامى الحرفيين يتمتعون بقدر أكبر من الاستقلالية عن شباب الحرفيين.

الخاصية الرابعة : طول فترة الممارسة الحرفية:

تشـير الخاصـية الـرابعة فى النمط المثالى للحرفية إلى طول فترة ممارسة الحـرفى للعمل باعتبارها شرطاً أساسياً لتنمية مهارات الحرفى وقدراته في مجال العمـل الممارس، حيث الاستفادة من خبرات ومهارات وتجارب الآخرين العاملين

معـــه، فالعمل الحرفى يتم فى إطار جماعى يتعاون فيه كل حرفى مع آخرين داخل جماعـــة العمل، ولذلك فإن العلاقة الطيبة التى تسودها المحبة والتعاون مع العاملين هـــى شـــرط أساســـى لنجاح العمل الحرفى واكتساب الحرفى لمزيد من المهارات والخبرات، حيث يتم تبادل المشاورات والمناقشات بين العاملين وبعضهم فى مجال العمـــل، بيـــنما يعد الصراع والمنافسة وحب الذات بمثابة معوقات تواجه الحرفى وتحول دون تحقيق ذلك.

وباســـتقراء معطيات الجدول رقم (٦-١) يتضح أن هناك فروق دالة إحصائياً بيـــن الحرف والصناعات التقليدية المتباينة فيما يتعلق بخاصية طول فترة الممارسة الحرفـــية وذلك عند مستوى دلالة (٠,٠١) وتبلغ قيمة ف = (٩,٥٩) وقد جاءت فى أعلـــى معدلاتهـــا بيـــن هؤلاء المشتغلين بصناعات الألومنيوم والشيش بمتوسط = (١٩,١)، يلـــيها المشـــتغلون بحـــرف الصـــاغة بمتوسط = (١٧,٣) ثم المشتغلون بصناعات خان الخليلى بمتوسط يصل إلى = (١٦,٧).

وقـــد أكـــدت نـــتائج الدراســـة علـــى ارتفاع قيمة الخبرة فى جميع الحرف والصـــناعات التقليدية؛ إذ أن خبرة الحرفى بالعمل الذى يمارسه يجعله أكثر مهارة وأكـــثر إبداعـــاً ومعرفة بأسرار الحرفة، مما يضفى عليه سمعة ومكانة عالية بين زملائـــه فى العمل والحرفيين الآخرين على مستوى المجتمع المحلى. فكلما زادت الخـــبرة المهنية للحرفى، كلما ارتفعت مكانته وسمعته وكان أكثر استقلالية فى أداء العمـــل، ومـــن ثم تزداد ثقته بنفسه ويرتفع لديه الفخر والاعتزاز بالعمل الحرفى، ويزداد شعوره بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل.

أمـــا فـــيما يـــتعلق بطـــول فترة ممارسة العمل الحرفى فقد كانت فى أعلى مســـتوياتها فـــى صناعات الشيش والألومنيوم كما أوضحت نتائج دراسات الحالة والمشـــاهدات الميدانـــية للباحـــثة، بيـــنما انخفضت بين كل من المشتغلين بحرف الصـــاغة، وصـــناعات خـــان الخلـــيلى. ففـــى حرف الصاغة، لم تكن طول فترة الممارســـة شـــرطاً أساســـياً لإتقـــان الصـــنعة، والشعور بالتميز، حيث إن هناك ميكانـــيزمات أخـــرى تعد هى الأساس فى شعور الحرفى (الصايغ) بالتميز والتى تتمثل فى القدرة على الإبداع والإبتكار، وكذلك الثقة بالنفس، وفهم الصنعة ومعرفة كل صغيرة وكبيرة بها.

وقـــد عـــبرت عن ذلك الحالة (أ-ح) التى يعمل صاحبها فى صناعة الذهب، ويـــبلغ مـــن العمـــر ٤٥ عاماً، وحاصل على دبلوم صنايع، قائلاً: "أنا اشتغلت فى

الصنعة دى من صغرى واتعلمتها بمزاجى، عشان حبتها مش عشان مكسبها، واللى ميحبش الصنعة دى لازم حيموت مش حيقدر يعيش، فالصنعة كل متديها تديلك".

وفى صناعات خان الخليلى، أكدت الحالة (أ-م) التى تعمل فى النقش على النحاس والتى يرث صاحبها تلك الحرفة عن والده وأجداده ويعمل فيها مع ثلاثة أشقاء له، جميعهم يعملون معه بالورشة منذ سنة ١٩٦٠م، أى منذ حوالى ٤٣ سنة، ولديه ثلاثة أبناء يعملون معه أيضاً فى تلك الصنعة بجانب مهنهم الأساسية، وهو غير متعلم، ويذكر رأيه فى التعليم قائلاً:" التعليم مهم وبس، عشان الواحد يعرف يقرأ ويكتب لكن فى الشغل أهم حاجة هى اتقان الشغل نفسة وأن الواحد يعملوا على أصوله، ورغم إنى مبعرفش أكتب ولا حاجة، لكن من ممارستى وخبرتى الطويلة فى الشغل أقدر أرسم بنفسى وأكتب آيات قرآنية وأسماء وأعمل أشكال هندسية صعبة، من غير تعليم ولا حاجة ". فالحرفى هنا يؤكد على أهمية الخبرة وطول فترة الممارسة للعمل الحرفى لاكتساب المهارة وتعلم أسرار الصنعة اللازمة لنجاح العمل الحرفى.

وعن الحالة (س-ع) التى يعمل صاحبها فى صناعة السبح وهو يبلغ من العمر ٦٥ عاماً غير متعلم، وقد أخذ هذه الحرفة عن خاله وتنقل بين أكثر من حرفة وهو يعمل بصناعة السبح منذ أكثر من ٥٠ عاماً حتى أصبحت له شهرته وسمعته المعروفة بين أبناء مجتمعه المحلى، وكذلك على مستوى المجتمع المصري بصفة عامة وفى الدول العربية أيضاً فقد كان إنتاجه معروفا فى السعودية وسوريا وتركيا وغيرها من الدول التى كان يقوم بتصدير إنتاجه اليها، وقد ذكر فيما يتعلق بخبرته المهنية: "أنا اشتغلت فى الصنعة دى عشان حبتها فعلا، كنت اشوف أرايبى وهم بيشتغلوا فيها وحبيت اتعلمها، وعشان كده ابدعت وطورت فيها حاجات كتير وبقى لى اسمى فى كل مكان فى مصر وسوريا والسعودية ".

وقد ذكر عن رأيه فى التعليم، "التعليم مش مهم فى صنعتنا ولا الممارسة الطويلة، لكن اهم حاجة حب الصنعة فلو الواحد حب الصنعة دى يقدر يديها، ويجدد ويبدع فيها، وكل ما تدى الحاجة تديلك".

وهكذا يتبين انخفاض قيمة طول فترة ممارسة العمل فى صناعات خان الخليلى وفى حرف الصاغة، وذلك نظراً لطبيعة العملية الإنتاجية وما تتطلبه من المهارة والتركيز وطول البال والصبر، كما أنه لا يمكن تعلم الصنعة فى سن مبكرة، وإنما يكون الأفضل تعلمها فى مرحلة عمرية متقدمة تزيد فيها القدرة على

الصبر والفهم والحرص على المنتج، ويدل على ذلك انخفاض حجم عمالة الأطفال فـــى تلك الصناعات بدرجة ملحوظة عنها فى صناعات الشيش والألومنيوم. إضافة إلى عدم الاعتماد فيها على التوارث المهنى، حيث إن الحرفى إذا لم يكن يحب تلك الصنعة، فإنه لا يستطيع الاستمرار فيها.

وقد أسفرت الدراسة الميدانية عن الدور الكبير الذى يلعبه التوارث المهنى فى صـــناعات الشـــيش والألومنيوم فيما يتعلق بالتنشئة المهنية للحرفيين، فتذكر الحالة (أ-ج) احـــدى حالات صناعة الألومنيوم: " اتعلمت الصنعة دى من صغرى، وأخدت السلم من أوله، فكنت صبى وبعد كده اتعلمت شوية بشوية لحد مبقيت أسطى معروف وكبـــير ولـــى اسمى فى السوق والتعليم مهم طبعاً لأى حد عشان يقرأ ويكتب ". فهو يعمل فى تلك الصنعة منذ أن كان عمره ٣ سنوات أى منذ أكثر من ٦٠ سنة، ويعمل معه ابنه الذى لم يتم تعليمه فهو حاصل على الشهادة الإعدادية فقط.

كما ذكرت الحالة (أ-أ) إحدى حالات صناعة الشيشة، ويعمل بتلك الحرفة منذ أكثر من ٥٠ عاما، وهو غير متعلم، ويعمل معه ابنه أيضاً الذى يبلغ من العمر ٢٦ عامـــاً، وحاصل على الدبلوم، وعن رأى الوالد فى التعليم ذكرت الحالة : "أنا كنت أبـــوس إيد أبويا ورجله عشان أتعلم، كان نفسي اتعلم بس هو كان عاوزنى اشتغل معـــاه وأتعلـــم الصنعة دى، وأما كبرت كانت أمنية حياتى إن حد من ولادى يدخل الجامعـــة، بس ربنا محققهاليش، الحمد لله على كل حال ". فيرى صاحب الحالة أن التعليم مهم فى حد ذاته، فهو الذى يجعل للإنسان مكانة واحتراماً بين الآخرين، لكن المهـــم فى الصنعة هو الخبرة وطول فترة الممارسة للنشاط الحرفى من أجل القدرة على فهم جميع تفاصيل العمل الحرفى والتعرف على أسرار الصنعة.

الخاصية الخامسة: التداخل بين وقت العمل وأوقات الفراغ أثناء العمل اليومي:

فـــى النمط المثالى للحرفية عند ميلز، لا يوجد فصل بين أوقات العمل وأوقات الـــراحة أثناء ساعات العمل اليومى، بل إن هناك تكاملية بينهما حيث تسمح طبيعة العمـــل الحـــرفى بأن تتخلل ساعات العمل اليومية فترات راحة متفرقة تختلف من عـــامل حـــرفى إلـــى آخر دون تقيد بوقت محدد للراحة من أجل تلبية الاحتياجات الخاصـــة للفـــرد كالطعام والصلاة، أو الذهاب إلى الطبيب مع أحد أفراد أسرته أو الذهاب إلى المدرسة مع أحد أبنائه.. إلخ.

وقـــد تبين من نتائج تحليل المقياس أن هناك فروق دالة إحصائيًا بين الحرف والصـــناعات التقلـــيدية (مجال الدراسة) فيما يتعلق بمدى المرونة فى وقت العمل

الحرفي والتداخل بين أوقات العمل والراحة، وذلك عند مستوى دلالة (٠,٠١)، وكانت قيمة ف = (٧,٥١)، وقد وصلت أعلى معدلات المرونة والتداخل في أوقات العمل والراحة في صناعات خان الخليلي، بمتوسط يصل إلى = (١٦,٩) وتليها بنسب متقاربة كل من حرف الصاغة وصناعات الشيش والألومنيوم بمتوسطات تبلغ (١٥,٧) & (١٥,٦) على التوالي..

وقد دعمت ذلك نتائج دراسات الحالة؛ إذ تبين من المشاهدات الأمبريقية وأقوال حالات الدراسة، أن هناك تكاملية واضحة بين أوقات العمل وأوقات الفراغ والراحة وأن التداخل بينهما واضح خلال العمل اليومي، وخاصة في صناعات خان الخليلي، بينما تنخفض معدلات المرونة في حرف الصاغة نسبياً، وتصل إلى أدنى معدلاتها في صناعات الشيش والألومنيوم والتي تكاد تكون غير ملموسة نسبياً وأكدت على ذلك جميع حالات الدراسة ففي الحالة (أ-ح) التي تعمل في صناعة الذهب ذكرت : "وقتنا غال، وقتنا بفلوس، والدقيقة اللي بتمر تتحسب على الواحد". كما ذكرت الحالة (م-س) إحدى حالات صناعة الفضة: "أنا بحب شغلي، ومحبش أضيع وقتي في أي حاجة، وقت الشغل للشغل وبس، إزاي أقعد على قهوة أو أقف أدردش مع حد، لو أنا فاضي أروح أقعد مع ولادي أحسن، أنا أما أفتح الورشة وأجيب الصنايعية دول، بتكلف أد كده، يبقى لازم استغل كل دقيقة وكل ثانية في الشغل وبس".

إلا أن المشاهدات الميدانية أسفرت عن وجود بعض مظاهر للتداخل بين أوقات العمل والراحة في حرف الصاغة، إذ يقوم فيها الحرفي بأخذ قسط من الراحة أو مشاهدة التليفزيون أو قضاء فريضة الصلاة، إضافة إلى وجود بعض الظروف الاجتماعية التي تتطلب منه ترك مكان العمل كإصابة أحد أبنائه بمرض مفاجيء أو وفاة أحد أقاربه. وقد عبرت عن ذلك الحالة (أ-ح) بما يلي: "أنا لازم أبدأ شغلي الساعة ١٠ الصبح ولحد ١٠ بالليل حتى لو معنديش شغل لازم آجي وأفتح الورشة بدري وفي معادي، زي ما أهالينا ربونا الرزق بيجي بدري، ولما يكون عندي مزاج أشتغل، لما أحب أرتاح أشيل الشغل وأتفرج على التليفزيون أو أروح أصلي أو أدردش مع حد من زمايلي في الورش التانية".

وفي صناعات خان الخليلي تتكامل أدوار الحياة الاجتماعية مع أدوار العمل، حيث يمكن للفرد التحدث مع زملاء العمل أو آخرين أو الضحك أو إلقاء النكات وكذلك سماع الراديو والتليفزيون وشرب الشاي أثناء العمل. وأكدت ذلك الحالة (س-أ) التي تتخصص في صناعة المشغولات الصدفية، حيث ذكر : "إحنا بنتعامل

مـــع بعض كاننا أسرة واحدة فاهمين بعض وعارفين ظروف بعض، وعارفين إيه اللى نعمله وإيه اللى منعملوش عشان محدش يزعل من التانى ".ويتبين من ذلك أن الـــذى يحكم العلاقة بين العاملين وصاحب العمل وبينهم وبين بعضهم البعض أيضاً هى التوقعات المتبادلة بينهم وليس وجود أساليب جزاء وعقاب صارمة بينهم. فلكل جماعـــة حرفية ثقافة خاصة بها تسهم فى تحديد شكل العلاقة بين أعضاء الجماعة وبعضهم البعض، كما تحدد الأدوار والواجبات والحقوق المفروضة على كل منهم.

وفـــى الحالـــة (س–ع) يـــبدو التداخل بدرجة كبيرة بين أوقات العمل وأوقات الـــراحة، حيث إن ورشته تقع فى أسفل المنزل الذى يقيم به، وقد ذكرت زوجته فى ذلك: "هو علطول هنا رغم انه فى الورشة بس كإنه معايا، يجى يتغدى وينزل تانى وينزل شوية ويطلع يريح، أو يشوفنى عاوزة ايه، ويطلع يتوضى ويصلى..وكده".

وأيضـــاً ذكـــرت الحالة (م–م) سيدة تعمل فى صناعة السبح : " احنا بنشتغل حســـب الشغل، واحد يجى بدرى أو متاخر شوية مفيش مشكلة، كلنا هنا مع بعض زى الاخوات نتعامل مع بعض عادى جداً وأنا كمان زي زيهم، محبش ازعق لحد، هم عارفين شغلى وطريقتى وعارفين أنا عاوزه إيه، المهم عندى ان الشغل يخلص وكلهـــم بيشـــيلوا بعـــض، عشان طبعا أنا آجى يوم السبت أأبضهم، فلازم هم كمان يدونـــى حقى، عشان يخدوا حقهم، وممكن نتفرج على التليفزيون أو نسمع الكاسيت او ندردش واحنا بنشتغل، مفيش مشكلة".

وهكـــذا يتبيـــن أن التداخل بين أوقات العمل والراحة واضح جداً ويصل إلى أعلـــى مســـتوياته فى صناعات خان الخليلى، ويعد الالتزام الداخلى لكل حرفى فى ضوء التوقعات الاجتماعية المتبادلة بين الحرفيين وبعضهم وبدافع حب العمل ، هو الأساس فى تحديد شكل العلاقات الاجتماعية فيما بين العمال، وبينهم وبين صاحب العمـــل، ويســـاعد علـــى ذلك طبيعة العمل الممارس والذى يسمح بالتحرك داخل الورشة وخارجها وإمكانية الجلوس أمام الورشة والقيام بالعمل مما يسهم فى ازدياد التفاعل الاجتماعى مع الآخرين من المارة وأصحاب الورش الأخرى.

أمـــا عـــن صناعات الشيش والألومنيوم، نجد أنه لا توجد ساعات عمل محددة بدقـــة ولكن هناك صرامة شديدة من أجل الإلتزام بمواعيد العمل كالخصم من الأجر اليومى فى حالة التأخر بدون عذر، أو التوبيخ وإلقاء اللوم والإهانة أحياناً لعدم تكرار ذلـــك، وتتدرج أساليب العقاب لتصل إلى أقصاها بالطرد من الورشة نهائياً. وعبرت عن ذلك الحالة (أ–أ): " شغلنا من ١٠ صباحا إلى ١٠ مساءً، لكن مش مهم الواحد لو

اتأخــر ربع أو نص ساعة، مفيش مشكلة لكن اكتر من كده طبعاً أساله، لو فيه عذر أسامحه، لكن لو اتكرر بخصمله يوميته، ولو جانى على الضهر مثلاً اقوله روح مش عاوزك، وأعامله وحش ومدلوش وش عشان ميكررهاش تانى". ورغم ذلك لاحظت الباحــثة أن هناك تداخل واضح وبدرجة كبيرة بين أوقات العمل والراحة أثناء العمل الــيومى، حيــث يمكــنهم تــناول الغداء والدردشة معا أو سماع الكاسيت أوقيام أحد العامليــن بالاســتئذان من أجل قضاء مصلحة ما، أو الذهاب لتأدية الصلاة أو تناول الطعام أثناء أوقات العمل... وغيرها، وتعبر عن ذلك الصورة رقم (٨).



صورة رقم (٨)

الحرفيون فى ورشة الشيشة يتبادلون أطراف الحديث

ويتناول أحدهم الطعام قبل بدء العمل

وقــد أوضــحت الحالة (أ-ج) التى يعمل صاحبها فى صناعة الألومنيوم، أن الشــدة والعقاب هى الأساس فى تحديد العلاقة بين الحرفيين وصاحب العمل، حيث ذكــر :" الشغل عندى يكون من ٩ صباحا إلى ٩ مساء، لوحد اتاخر نص ساعة أو ســاعة مفــيش مشــكلة، ولو جه متأخر وكان فيه عذر جامد ماشى اسامحه وأديله يوميــته كاملة، لكن لو غاب من غير سبب أقوله مع السلامة واشوف غيره، الواحد لازم يكون شديد عشان الشغل يمشى مضبوط ومحدش يدلع ". وقد لاحظت الباحثة مدى صرامة وشدة صاحب العمل مع العاملين معه أثناء وجودها بالورشة، كما أن العاملين كانوا فى حالة خوف ورهبة من صاحب العمل.

ومما سبق يتبين أن التداخل بين أوقات العمل والراحة هى سمة عامة فى جميع الحرف والصناعات التقليدية، إلا أن هناك تباين بين مجموعات الحرف فيما يتعلق بمرونة أوقات وساعات العمل، فكانت فى صناعات خان الخليلى فى أعلى معدلاتها؛ نظراً لما تفرضه طبيعة العملية الإنتاجية من حرية الحركة وتكاملية الأدوار فيصبح العاملون داخل الورشة كأنهم أسرة واحدة، وتليها فى ذلك حرف الصاغة التى تقل فيها معدلات المرونة إلى حد ما، وكذلك تنخفض مظاهر التداخل بين أوقات العمل والراحة أثناء ساعات العمل؛ نظراً لما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية من شدة التركيز وإزدياد التخصصية إضافة إلى ارتفاع القيمة المادية وحرص الحرفى على السرية فى أداء العمل مما يقلل من فرص التفاعل الاجتماعى بين الحرفى وغيره من العاملين فى الورش الأخرى، بينما فى صناعات الشيش والالومنيوم تنخفض إلى أدنى حد المرونة فى ساعات العمل؛ نظراً لارتفاع حجم العمالة ومحاولة ضبط العملية الإنتاجية فكانت الشدة والقسوة هى الأساس فى ضبط سلوك العاملين والحفاظ على سير العملية الإنتاجية.

ثانياً : الخصائص الحرفية ونوعية حياة العمل :

تحاول الدراسة الإجابة هنا على التساؤل الثانى، الذى يتعلق بالدور الذى تلعبه الخصائص الحرفية الخمس فى تشكل نوعية حياة العمل لدى الحرفى، وذلك فى الأنشطة الحرفية التقليدية المتباينة. وبمعنى آخر إلى أى مدى تعد الخاصية السادسة فى نمط الحرفية هى محصلة تفاعل الخصائص الحرفية الخمس الأولى التى تشكل فى مجملها نوعية حياة العمل لدى الحرفى QWL، وذلك كما تعكسها مؤشرات الرضا والإشباع الذاتى لدى الحرفى فى مجال العمل، وفى ضوء ما توصلت إليه نتائج الرصد الميدانى على المستوى الكمى والكيفى.

ففى النمط المثالى للحرفية يذهب ميلز إلى أن عمل الحرفى لاينفصل عن حياته الاجتماعية سواء فيما يتعلق بعلاقته بالعاملين معه خارج مجال العمل أم علاقته بالورش المجاورة، وكذلك فى علاقته بأسرته وجيرانه، ويرى ميلز ان الرضا والإشباع الذاتى والاستقرار النفسي الذى يحصل عليه الحرفى من خلال عمله يسهم بلا شك فى الشعور بالإشباع والرضا التام عن حياته ككل (Mills,1951:224) فالإشباعات التى يحققها الحرفى بطريقة مباشرة من خلال عمله كالحصول على النقود والمكافآت المادية، تسهم فى تحقيق إشباعات اجتماعية أخرى والتى تعد بدورها مستمدة من العمل بطريقة غير مباشرة (Anderson,

(1864:85)، والـــتى تتمـــثل فى تحقيق الأمان له ولافراد أسرتة والتميز فى عيون الآخرين، وتحقيق الاجتماعية بمعنى ان يكون لديه أصدقاء وشلل اجتماعية، وكذلك تحقـــيق الذات والشعور بالاستقلالية، مما يسهم فى ازدياد الشعور بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل.

وقـــد تبين من نتائج التحليل الاحصائى كما يتضح فى الجدول رقم (٦-١) أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الحرف الثلاث فيما يتعلق بمستوى الرضـــا عـــن العمـــل، عند مستوى دلالة (٠,٠١)، وقد وصلت قيمة (ف) إلى = (١٠,٨٤)، وكانت فى أعلى معدلاتها فى صناعات الشيش والألومنيوم بمتوسط يبلغ (١٩,٨)، وتلـــيها صـــناعات خـــان الخليلى بمتوسط = (١٨,٨)، وتكون فى أدنى معدلاتها فى حرف الصاغة بمتوسط = (١٨,٥).

فقـــد أوضـــحت المشـــاهدات الميدانية ونتائج التحليل الكمى انخفاض مستوى الرضـــا عن العمل لدى المشتغلون بحرف الصاغة، إذ وصلت إلى أدنى معدلاتها، حيـــث ارتفـــاع القيمة المادية للمادة الخام وازدياد المنافسة العالية بين الحرفيين فى حرف الصاغة إلى أقصى درجة، وقد عبرت عن ذلك الحالة (م-س) إحدى حالات صـــناعة الفضـــة: "الصنعة بتاعتنا تعيا بس متموتش، أنا نفسى الصنعة ترجع زى زمان دلوقتى مبقاش فيه أخلاق وكله بيقول ياالله نفسى، أنا قرايبى كلهم بيشتغلوا فى الصـــاغة بس مش قادر أقولك لو طال كل واحد يقطع الثانى حيقطعه ويدوس عليه عشـــان يوقف حاله ويوديه فى داهية". مما يؤكد على أن عدم الرضا هنا نابع من عدم الرضا عن الظروف والأوضاع الحالية التى آلت إليها الحرفة اليوم وليس عن عـــدم الرضـــا عن العمل، إذ أنه حقق الكثير من النجاح والشهرة، وأصبح له اسمه وشهرته بين الناس.

إضـــافة أيضـــاً إلـــى مـــا يواجههـــه الحرفى فى حرف الصاغة من الركود الاقتصـــادى فقـــد انخفضـــت القـــدرة الشـــرائية للغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى؛ نظراً لارتفاع تكاليف المعيشة وغلاء الأسعار فأصبح اليوم شراء الذهب للضـــرورة فقط كشراء شبكة أو هدية (سبوع أو عيد ميلاد...) بينما كان فيما سبق هو وسيلة للادخار وتنمية المال ولكن حل محله البنوك الآن.

كمـــا أن الطبـــيعة الأيكولوجـــية لورش الصاغة التى تدفع الحرفى دائماً إلى إغـــلاق الورش أثناء العمل وما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية من شدة التركيز فى أداء العمـــل تؤدى إلى انخفاض التفاعل الاجتماعى بين الحرفى وغيره من العاملين

(وهـو مـا سيتم توضيحه تفصيلاً فى الفصل القادم)؛ مما يسهم فى إزدياد معدلات عـدم الشـعور بالرضـا عن العمل رغم ما يحققه الحرفى فى حرف الصاغة من إشـباعات، حيـث أوضحت المشاهدات الميدانية تمتع جميع حالات حرف الصاغة بمكانة اجتماعية ومهنية عالية، إضافة إلى التمتع بالشهرة والسمعة الحسنة وتحقيق الأمان، والغنى. وقد عبرت حالات الدراسة عن ذلك كما يلى : ففى الحالة (أ - ح) التى تعمل فى صناعة الذهب، ذكرت : "أنا بحب صنعتى وراضى عنها، رغم أى مشـاكل فـيها، لأن المشـاكل دى بتكون لفترة محدودة وعلى الكل مش على أنا لوحدى، أهم حاجة طول ما الواحد ناجح وحاله متيسر، ومكفى بيته، بيبقى مبسوط ومرتاح مش شايل هم حاجة".

وممـا سـبق يتبيـن أنه رغم وصول الحرفى إلى العديد من الإشباعات التى يأملهـا فى مجال العمل ورغم ارتفاع المكانة الاقتصادية والاجتماعية للحرفيين فى حـرف الصاغة، تنخفض لديهم معدلات الشعور بالرضا عن غيرهم من الحرفيين فـى الصـناعات الحرفـية الأخرى، وقد ارتبط ذلك بالعديد من العوامل الأخرى كظـروف المجتمع والسوق، وازدياد حدة المنافسة، والغيرة والحقد، وكذلك الخوف مـن الحسـد الذى لا يسمح للحرفى بتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية سواء فى مجـال العمل أم خارج مجال العمل. وكذلك ارتفاع الطموحات المستقبلية والرغبة فى تحقيق المزيد والمزيد والذى لا ينتهى أبداً ومن ثم عدم الوصول إلى الرضا أو الاشباع التام.

أمـا عـن المشـتغلين بصـناعات خان الخليلى فقد احتلوا المرتبة الثانية فى مستوى الرضا عن العمل، حيث إشباع الغالبية العظمى من الخصائص الحرفية فى نمـط الحرفـية وتحقـيق العديد من المطالب والإشباعات الذاتية فى مجال العمل كتحقـيق الـذات والشعور بالتميز والسمعة الحسنة، إضافة إلى الشهرة والاستقلال الذاتى فى أداء العمل والمرونة التى يتمتع بها الحرفى فى مجال العمل والتى تسمح لـه بالتوفيق بين حاجات العمل والحاجات الاجتماعية المختلفة كحل بعض مشاكل الأبناء أو الذهاب إلى المدرسة مع أحدهم، أو الذهاب إلى الطبيب...إلخ إضافة إلى التكامليـة فى أداء العمل التى تسمح للحرفى بتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية، سواء على المستوى الداخلى أم الخارجي بين الورش وبعضها البعض، مع ارتفاع طموحاتهم المستقبلية وارتباطها بالرغبة فى التوسع والتقدم فى العمل وعدم الرغبة فى تركه.

وتذكــر الحالــة (س – أ) إحدى حالات صناعة الصدف: "صنعتى حتة منى، مقــدرش أسيبها، ونفسى ربنا يكرمنى وأقدر أوسع الورشة وأجددها، ويبقى عندى محــل أبــيع فــيه شغلى فى خان الخليلى". مما يؤكد على ارتفاع مستوى الرضا والإشــباع الذاتــى لــدى الحرفيين فى صناعات خان الخليلى، والذى يرتبط أساساً بتحقيق الشهرة، والأمان، والسمعة الحسنة فى عيون الآخرين.

وقــد عــبرت الحالــة (س – ع) إحدى حالات صناعة السبح عن مدى تأثير العمــل الحرفى على الحياة الاجتماعية للحرفى، فذكر فيما يتعلق برأيه فى الأعمال الوظيفــية مــا يلــى: "الشغل الوظيفى ده ملوش غير الكسلان، إحنا اتعلمنا نشتغل بحريتــنا، منخدش أوامر من حد وتتوسخ إدينا وهدومنا وتبقى ريحتنا وحشة ودقتنا طويلــة والواحد ممكن ميشوفش ولاده، بس إحنا مولفين نفسنا على كده، وهى دى العيشة اللى بتعجبنا ونحبها، ولما الواحد ميكونش عنده شغل يبقى مهموم ومتضايق ومش طايق نفسه كمان". مما يؤكد على مدى الرضا عن العمل الحرفى مقابل عدم الرضا والاستياء الشديد للأعمال الوظيفية.

وقــد أوضــحت نــتائج الدراسة الميدانية ونتائج دراسات الحالة، أن مستوى الرضــا عــن العمل يختلف نسبياً من حرفى إلى آخر سواء على المستوى الداخلى للحرفة الواحدة أم على المستوى الخارجى بين الحرف وبعضها البعض، وقد أكدت الشواهد الميدانية ارتفاع مستوى الرضا عن العمل بين المشتغلين بصناعات الشيش والألومنيوم عن هؤلاء المشتغلين بالحرف الأخرى. وقد أمكن تفسير ذلك فى ضوء سـيطرة ثقافة الحمد والإيمان بالقسمة والنصيب والإيمان بالقدر، وعدم القدرة على تغيــير الواقــع، وقــد أكــد على ذلك انخفاض الطموحات المستقبلية لدى هؤلاء الحرفــيون، وعــدم الرغبة فى التطوير أو التغيير، إضافة إلى انخفاض المستوى التعليمى للغالبية العظمى منهم والاتجاه إلى تعلم الصنعة منذ سن مبكرة. وقد ساعد أيضاً على ارتفاع مستوى الرضا لدى هؤلاء الحرفيين انتشار ما يعرف فى الآونة الراهــنة (بموضــة الشيشــة) فى مختلف أرجاء المجتمع المصرى فلم يعد حى أو شــارع يخلــو من المقاهى المليئة بالشيش والتى أصبحت موضة لكل من الشباب والبنات، مما أدى إلى رفع حجم إنتاجية الورش التى تتخصص فى صناعة الشيش، ومــن ثم ارتفاع العائد المادى وازدياد معدلات الرضا والشعور بالإشباع الذاتى فى مجال العمل وقد عبرت حالات الدراسة عن ذلك كما يلى :

ففــى الحالــة (أ–ج) إحدى حالات صناعة الألومنيوم تذكر: " الحمد لله رغم التعب اللى باشوفة فى الصنعة دى أنا بقى لى اسمى دلوقتى ومش نفسي فى حاجة

وراض عن شغلي ومبسوط بحياتي الحمد لله هو حد بيقدر يغير حياته ". وذكر أن أكثر المشاكل التي تواجهه هي مشكلة العمالة، حيث قال : "انهارده أصعب حاجة انك تلاقى عامل وتعلمه وتخليه اسطى وبعد كده يسيبك ويشوف ورشة تانية يشتغل فيها مبقاش فيه التزام وكل واحد عاوز يمشي بمزاجه ".وعن علاقته بالورش المجاورة يذكر أنه لا يحب الاختلاط بأحد كما أن علاقته بالعاملين معه تكون داخل مجال العمل ولا تتعدى ذلك إلا في أضيق الحدود. وفي الحالة (أ-أ) التي يعمل صاحبها في صناعة الشيش، حيث يعاني من العديد من المشكلات، التي تتمثل في ارتفاع قيمة الضرائب، وغلو الخامات مع عدم القدرة على تسويق المنتجات ورغم هذا فهو يعبر عن الرضا عن حياته وعمله، قائلاً: "أنا الحمد لله عيشتي بسيطة وأنا راض بهـا، وعندي بيت ملكي وابني عايش معايا، وبنتي متجوزة وعايشة في بيت جنبي وهي بتحبني أوي، ومراتي ست طيبة وطلعنا حجينا سوى مرتين، الحمد لله مفيش حاجة إتمنيتها ربنا مدهليش بس كان نفسي ابني يدخل الجامعة لكن ربنا ما أردش كل شئ نصيب ".

وتأسيساً على ما سبق، وما أسفرت عنه نتائج التحليل الكمي والكيفي، يتبين أن هناك تباينات واضحة بين الحرفيين وبعضهم البعض فيما يتعلق بالرضا عن العمل. إذ أن هناك العديد من التباينات الذاتية الفردية التي تعتمد على مدى إدراك الفرد أو شعوره بالرضا أو عدم الرضا، حيث إن هناك العديد من العوامل الثقافية والاجتماعية التي تسهم في تشكل معدلات الرضا عند الحرفيين والتي ستتم مناقشتها تفصيلاً في الفصل القادم.

وعلى مستوى المقياس الكلي، تشير نتائج التحليل الكمي إلى أن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين مجموعات الحرف الثلاث عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وكانت قيمة ف= (٣,٦٤)، حيث تصل قيمة المقياس الكلي إلى أعلى مستوياتها في صناعات خان الخليلي (الصدف- النحاس- السبح)، والتي تعبر عن نوعية حياة العمل ومدى إشباع الخصائص الحرفية والشعور بالرضا حيث أن المقياس يتسم بتكامل الخصائص الحرفية وترابطها معاً. وذلك بمتوسط = (١٠٩,٨) ويليها العاملون بصناعات الشيش والألومنيوم بمتوسط = (١٠٨,٤) ثم الحرفيون في حرف الصاغة بمتوسط = (١٠٦,٦).

ويدل ذلك على تحسن نوعية حياة العمل لدى المشتغلين بصناعات خان الخليلي عن غيرهم من الحرفيين في الصناعات الحرفية الأخرى؛ إذ أن الحرفي في صناعات خان الخليلي كان أكثر إشباعاً للخصائص الحرفية المتمثلة في النمط

المثالى للحرفية عند ميلز، والتى تتمثل فى : القدرة على الإبداع، والاهتمام بالدقة والجودة، والشعور بالاستقلال الذاتى، وكذلك المرونة فى أوقات العمل والتداخل بين أوقات العمل والراحة.

ويأتى بعد ذلك المشتغلون بصناعات الشيش والألومنيوم، حيث اتسمت بعض الخصائص الحرفية بالتغير كالاستقلال الذاتى، والقدرة على الإبداع، وكذلك الاهتمام بالدقة فى تفاصيل العمل الحرفى، والمرونة فى أوقات العمل. فى مقابل بعض الخصائص التى اتصفت بالثبات والاستقرار كطول فترة الممارسة الحرفية، والتداخل بين أوقات العمل والراحة وكذلك الرضا عن العمل النابع من عدم الرغبة فى التغيير والرضا بالواقع.

وفى حرف الصاغة أيضاً تأرجحت الخصائص الحرفية بين الثبات والتغير، فقد اتصفت بعض الخصائص بالتغير كالاستقلال الذاتى، والمرونة فى أوقات العمل وطول فترة الممارسة والتوارث المهنى، فى مقابل عدد من الخصائص الأخرى التى اتسمت بالثبات كالإبداع والاهتمام بالدقة فى تفاصيل العمل والتداخل بين أوقات العمل والراحة.

وفى ذلك نجد أن نتائج الدراسة تتفق مع مقولة س. رايت ميلز فيما يتعلق بصناعات خان الخليلى، حيث إن الحرفى الأكثر إشباعاً للخصائص الحرفية الممثلة فى النمط المثالى للحرفية هو الأكثر شعوراً بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل ومن ثم تتحسن نوعية حياة العمل لديه. بينا أكدت الدراسة على اختلاف الأمر عن ذلك فيما يتعلق بحرف الصاغة وصناعات الشيش والألومنيوم، إذ أن هناك العديد من العوامل المجتمعية والثقافية التى تسهم بلا شك فى تحقق الشعور بالرضا والإشباع الذاتى لدى الحرفى فى مجال العمل..

تعقيب :

يتضح من الرصد الأمبريقى السابق أن هناك تداخل واضح وتشابك بين الخصائص الحرفية وبعضها البعض، حيث لا يمكن فصل إحدى الخصائص عن غيرها، إذ تمثل الخصائص الست منظومة متكاملة تميز حياة العمل لدى الحرفى، والتى قد تتباين فى معدلاتها بين أنشطة العمل الحرفى حسب ما تفرضه طبيعة العملية الإنتاجية وما تتطلبه من معايير من أجل الحفاظ على سير العملية الإنتاجية وتحقيق الهدف من الإنتاج، كما تمتد هذه التباينات على مستوى الحرفة الواحدة، والتى ترجع إلى التباين فى دوافع الاشتغال بالعمل الحرفى والمستوى التعليمى

للحـــرفى والصعوبات التى يواجهها فى الصنعة، وغيرها من العوامل التى ستناقش بالتفصيل فى الفصل القادم.

وقـــد توصلت الدراسة إلى أن تلك الخصائص الحرفية التى تتمثل فى: الإبداع فـــى الصـــنعة، والاهـــتمام بالدقة والجودة، والاستقلال الذاتى، وكذلك طول فترة الممارســـة الحرفية إضافة إلى التداخل بين أوقات العمل والراحة أثناء وقت العمل الـــيومى ومســـتوى الرضا عن العمل، كلما كانت أكثر تمثلاً (إشباعاً) عند الحرفى الممـــارس للعمـــل، كلمـــا أصبح الحرفى أكثر شعوراً بالرضا والإشباع الذاتى فى مجـــال العمـــل، والذى ينعكس أيضاً على ارتفاع معدل الرضا والإشباع الذاتى فى الحـــياة الاجتماعـــية ككـــل. ويعنى ذلك أن نوعية حياة العمل هى محصلة تفاعل الخصائص الحرفية معاً. ومن ثم نجد أنه :

- على المستوى الكلى للمقياس :

احتلـــت صناعات خان الخليلى المرتبة الأولى فيما يتعلق بتحسن نوعية حياة العمل والشعور بالإشباع الذاتى والرضا فى مجال العمل، وذلك بمتوسط يصل إلى = (١٠٩,٨) وهـــى فـــى ذلك تتفق مع مقولة س. رايت ميلز؛ إذ أن الحرفيين فى صـــناعات خـــان الخليلى كما تبين من نتائج الدراسة على المستوى الكمى والكيفى كـــانوا أكثر إشباعاً للخصائص الحرفية، فقد اتصفت غالبية تلك الخصائص بالثبات والاســـتقرار، ومـــن ثم فكانوا هم أكثر شعوراً بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل، وتحسنت نوعية حياة العمل لديهم.

وجاءت صناعات الشيش والألومنيوم فى المرتبة الثانية بمتوسط يصل إلى = (١٠٨,٤) حيـــث اتصـــفت بعـــض الخصـــائص الحرفية بالثبات مثل: طول فترة الممارســـة الحرفية، وكذلك التداخل بين أوقات العمل والراحة إضافة إلى مستوى الرضـــا عن العمل والنابع من الرضا بالواقع وعدم القدرة على التغيير. فى مقابل العديد من الخصائص الأخرى التى اتسمت بالتغير كالقدرة على الإبداع، والاهتمام بالدقـــة وتحقـــيق الجودة وكذلك الاستقلال الذاتى وأخيراً المرونة فى أوقات العمل. وفـــى ذلـــك تـــناقض مع ما ذهب إليه ميلز، حيث أنه رغم عدم إشباع العديد من الخصائص الحرفية لدى المشتغلين بصناعات الشيش والألومنيوم، إلا أنه كان هناك ارتفـــاع فـــى مســـتوى الرضا عن العمل لديهم، والتى ترجع فى المقام الأول إلى الإيمـــان بالواقع وانخفاض مستوى الطموحات المستقبلية وعدم الرغبة فى التغيير، إضـــافة إلى تأثير ظروف المجتمع حيث انتشار ما يعرف بموضة الشيشة مما أدى

إلـــى رواج الســلع وارتفـــاع العائد المادى للغالبية العظمى منهم، ومن ثم إرتفاع معدلات الرضا عن العمل لديهم.

كمـــا أنه بالرجوع إلى الجذور التاريخية لصناعة الألومنيوم تبين أنها صناعة تقلــيدية يدويـــة ارتبطـــت بالمجتمع المحلى منذ القدم، بينما لم تكن لها أى جذور تاريخـــية قديمة فى العصر الفرعونى أو عند قدماء المصريين، وإنما هى صناعة تقلــيدية ارتبطـــت مـــنذ القدم باحتياجات الشعب المصرى وأكدت على ذلك كتب التراث (أنظر الفصل الرابع).

وفـــى المرتـــبة الثالـــثة والأخيرة، على مستوى المقياس الكلى جاءت حرف الصاغة بمتوسط = (١٠٦,٦) فقد اتصفت الخصائص الحرفية بالتأرجح بين الثبات والتغير كما كانت هناك تباينات على المستوى الداخلى للحرفة الواحدة، وانخفضت العديـــد من مؤشرات الرضا لدى الحرفيين فى حرف الصاغة وقد أمكن تفسير ذلك فـــى ضـــوء العديـــد من العوامل المجتمعية والثقافية التى تسهم بلا شك فى تحقيق الشـــعور بالرضا والإشباع الذاتى والاستقرار النفسى لدى الحرفى الممارس للعمل، ومـــن تلـــك العوامـــل نجـــد : المنافسة والركود الاقتصادى، والخوف من الحسد، وارتفاع القيمة المادية للمادة الخام، وارتباط التسويق بالأحوال الاقتصادية للمجتمع والقـــدرة الشرائية للمستهلك، إضافة إلى انخفاض العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وارتفاع الضرائب... الخ.

- على مستوى المقاييس الفرعية :

تأرجحـــت الخصـــائص الحرفـــية فى حرف الصاغة بين الثبات والتغير، فقد احتلـــت المرتـــبة الوســـطى فى جميع الخصائص الحرفية المتمثلة فى : الإبداع، والاهـــتمام بالدقـــة والجودة، والاستقلال الذاتى، وكذلك المرونة فى أوقات العمل، وطـــول فترة الممارسة. فيما عدا الخاصية السادسة (الرضا عن العمل) التى احتلت فيها المرتبة الثالثة (الأدنى) نظراً لانخفاض معدلات الشعور بالرضا.

أمـــا عـــن صـــناعات خـــان الخلـــيلى، فقد احتلت المرتبة الأولى فى جميع الخصـــائص الحرفـــية كالقدرة على الإبداع والاهتمام بالدقة والجودة، والاستقلال الذاتى، وأيضاً المرونة فى أوقات العمل بينما احتلت المرتبة الوسطى (الثانية) فيما يـــتعلق بالخاصية السادسة (الرضا عن العمل)، وجاءت فى المرتبة الثالثة (الأدنى) فيما يتعلق بخاصية طول فترة الممارسة الحرفية.

وبالنسبة لصناعات الشيش والألومنيوم فقد احتلت المرتبة الثالثة (الأدنى) في كل من خاصية الإبداع والاهتمام بالدقة والجودة، وكذلك الاستقلال الذاتى، والمرونة فى أوقات العمل. بينما احتلت المرتبة الأولى (الأعلى) فى خاصيتى: طول فترة الممارسة، وكذلك الخاصية السادسة (الرضا عن العمل).

وجدير بالذكر أن المقياس هو مقياس متكامل؛ إذ تتكامل فيه جميع الخصائص الحرفية الست معاً فى منظومة متكاملة من أجل تشكل نوعية حياة العمل لدى الحرفى، وباعتبار أن مؤشر الرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل هو دالة أساسية لنوعية حياة العمل، فقد جاءت صناعات خان الخليلى فى المرتبة الأولى فيما يتعلق بتحسن نوعية حياة العمل، ومن ثم معدل الرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل، وتليها صناعات الشيش والألومنيوم فى المرتبة الثانية، بينما احتلت حرف الصاغة المرتبة الثالثة (الأدنى)..

٧

الفصل السابع
نوعية حياة العمل للحرفى وأبعادها التحليلية

أولاً: على المستوى الذاتى.
ثانياً: على مستوى بيئة العمل التنظيمية.
ثالثاً: على المستوى الثقافى.
تعقيب

الفصل السابع

نوعية حياة العمل للحرفي وأبعادها التحليلية

مقدمة :

يهدف هذا الفصل إلى التعرف على المؤشرات الدالة على نوعية حياة العمل للحرفي داخل مجال العمل (الورشة) من خلال ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية من بيانات كمية وكيفية وذلك على ثلاثة مستويات أساسية تتمثل فيما يلي:

- **المستوى الذاتي:** الذى يرتبط بالحرفي وطموحاته وآماله وتوجهاته ورغباته الخاصة تجاه العمل الذى يمارسه.
- **المستوى التنظيمي:** ويقصد به بيئة العمل التنظيمية (الورشة) وأهم خصائصها من الناحية الفيزيقية (كظروف التهوية – الإضاءة – المساحة) وتقسيم العمل داخل البيئة التنظيمية للعمل، وغيرها من المؤشرات والتى ترتبط بدورها ارتباطاً عضوياً بنوعية حياة العمل للحرفي كما تعد فى الوقت ذاته دالة عليه فى خصوصية يتسم بها النشاط الحرفي دون غيره من أنشطة العمل الأخرى.
- **المستوى الثقافي:** والذى يرتبط بالثقافة الحرفية وأخلاقيات العمل الحرفي واللغة المستخدمة داخل حياة العمل اليومية، والتى قد تؤثر سلباً أو إيجاباً على تشكل نوعية حياة العمل للحرفي وعلاقته بالآخرين من زملاء العمل.

وفى ضوء ذلك يمكن صياغة العلاقة الارتباطية بين نوعية حياة العمل التى نرمز لها بالرمز (QWL) والمستويات التحليلية الثلاثة السابقة، فى العلاقة الآتية:

$$QwL = f\,[QwLI + QwLo + QWLc]$$

حيث تشير (QWLI) إلى نوعية حياة العمل على المستوى الذاتى Individual Level

ويشير الرمز (QWLo) إلى نوعية حياة العمل على المستوى التنظيمى Organization Level

ويختص الرمز (QWLc) بالإشارة إلى نوعية حياة العمل على المستوى الثقافى Cultural Level. ومن ثم يسعى الفصل الراهن إلى الإجابة على تساؤل رئيسى مؤداه: ما العوامل الأساسية التى تلعب دوراً فى تشكل نوعية حياة الحرفي داخل مجال العمل، وذلك على كل من المستوى الذاتى، والمستوى التنظيمى لبيئة العمل، وكذلك على المستوى الثقافى بين المجموعات الحرفية الثلاث؟

وينبثق عن هذا التساؤل تساؤلات فرعية، وهى:

- كيف تبدو نوعية حياة العمل للحرفى على المستوى الذاتى؟
- ما ملامح نوعية حياة العمل للحرفى على المستوى التنظيمى لبيئة العمل؟
- ما أهم مؤشرات نوعية حياة العمل للحرفى على المستوى الثقافى؟
- إلى أى مدى تتباين نوعية حياة الحرفيين داخل مجال العمل بين المجموعات الحرفية المتباينة؟ وما تفسير ذلك؟

نوعية حياة العمل :

يعد مصطلح: نوعية حياة العمل Quality of work life (QWL) مصطلحاً حديثاً نسبياً يشمل العديد من القضايا التقليدية التى كانت موضع اهتمام الفلاسفة منذ زمن بعيد، وهو مصطلح متسع يتضمن كل مجال يمكن تصوره فى أخلاقيات وظروف العمل.

وقد انشغل علماء الاجتماع خلال العقد الماضى بتنمية المؤشرات الاجتماعية والأبعاد الكمية المستخدمة فى دراسة نوعية حياة العمل. إلا أن المصطلح لا يزال يتسم فى استخدامه بشيء من الطلاقة والاتساع، إذ تتباين حوله مؤشرات القياس وأبعاد التحليل. فتوجد المؤشرات الموضوعية والتى تتمثل فى : عدد ساعات العمل، طبيعة العمل، البيئة الفيزيقية، مخاطر الأمان فى العمل. إضافة إلى ما يعرف بالمؤشرات الخاصة بمزايا العمل وتشمل: الأجر، والأمن وكفاية المعاشات، والمرونة فى وقت العمل، البيئة الصحية، المكانة الاجتماعية، وفرص الترقية. وهناك مؤشرات أخرى تعرف بتكاليف العمل وتشمل: المخاطر الصحية، العوائق والصعوبات التى يواجهها، والرتابة والملل الناتجين عن تقسيم العمل، وعدم الراحة الفيزيقية، ومدى إنفاق الوقت والمال والجهد فى العمل. وأخيراً توجد المؤشرات الذاتية والتى تتضمن: الطموحات المستقبلية للفرد فيما يتعلق بعمله ومدى الشعور بالرضا والسعادة فى كل مجال من مجالات العمل (Morton, 1977: 298-309)

وفيما يلى ستتناول الدراسة نوعية حياة العمل للحرفى التى تتسم بخصوصية تفرضها طبيعة النشاط الحرفى وطبيعة البيئة الحرفية، وتميزها عن غيرها من أنشطة العمل الأخرى، وذلك عبر ثلاثة مستويات (الذاتى – التنظيمى – الثقافى) من خلال ما توصلت إليه الدراسة الميدانية من نتائج على المستوى الكمى والكيفى، ومحاولة توضيح أوجه التباين والتشابه فى ذلك بين الأنشطة الحرفية المختلفة. إضافة إلى التركيز بصفة خاصة على وجهة نظر الحرفيين أنفسهم فيما

يتعلق بمؤشرات الرضا والسعادة أو عدم الرضا والتعاسة فى العمل كما تعكسها كل من المستويات التحليلية، وتوضيح ذلك من خلال أقوال حالات الدراسة.

أولاً: المستوى الذاتى Individual level :

تنشأ لدى الحرفى الممارس للعمل عدد من المتطلبات الذاتية التى يسعى إلى تحقيقها من خلال العمل الذى يقوم به، وتتفاوت هذه المتطلبات أو التطلعات فى أهميتها من حرفى إلى آخر، بفعل عدد من العوامل كالتوريث المهنى للحرفى، وعوامل الاشتغال بالعمل الحرفى، والسن، والمستوى التعليمى للحرفى، ونوع العمل الحرفى الممارس، والخبرة المهنية للحرفى، والدخل الناتج عن الحرفة. أما عن هذه التطلعات على المستوى الذاتى فتتمثل فى : تحقيق الذات، والاستقلال الذاتى، والمرونة فى أوقات العمل، والرغبة فى التميز فى أداء العمل والسمعة والمكانة الحسنة، وتكوين صداقات اجتماعية حيث إن العمل الحرفى يتم فى إطار جماعى، علاوة على الإحساس بتحقيق الأمان له ولأفراد أسرته.

وفى ضوء ذلك تحاول الدراسة اللجوء إلى تحليل البيانات الكمية والكيفية، من أجل التعرف على نوعية حياة العمل الحرفى على المستوى الذاتى، وذلك وفق المؤشرات الآتية :

١- العوامل الدافعة للاشتغال بالحرفة.
٢- مدى التجديد والتغيير فى الحرفة.
٣- مخاطر وأضرار العمل الحرفى والتأثير على الصحة.
٤- الطموحات المستقبلية الخاصة بالعمل لدى الحرفى.
٥- الصعوبات والمشاكل التى يواجهها الحرفى فى عمله.

وسنتناول كلاً من تلك المؤشرات بالتفصيل من خلال ما تعكسه النتائج الكمية والكيفية، وعلى مستوى كل مجموعة حرفية على حدة، بدءاً بحرف الصاغة التى تضم (صناعات الذهب والفضة)، وتليها صناعات خان الخليلى التى تشمل (النقش على النحاس، الصدف، السبح)، وكذلك صناعات الشيش والألومنيوم.

١- العوامل الدافعة للاشتغال بالحرفة:

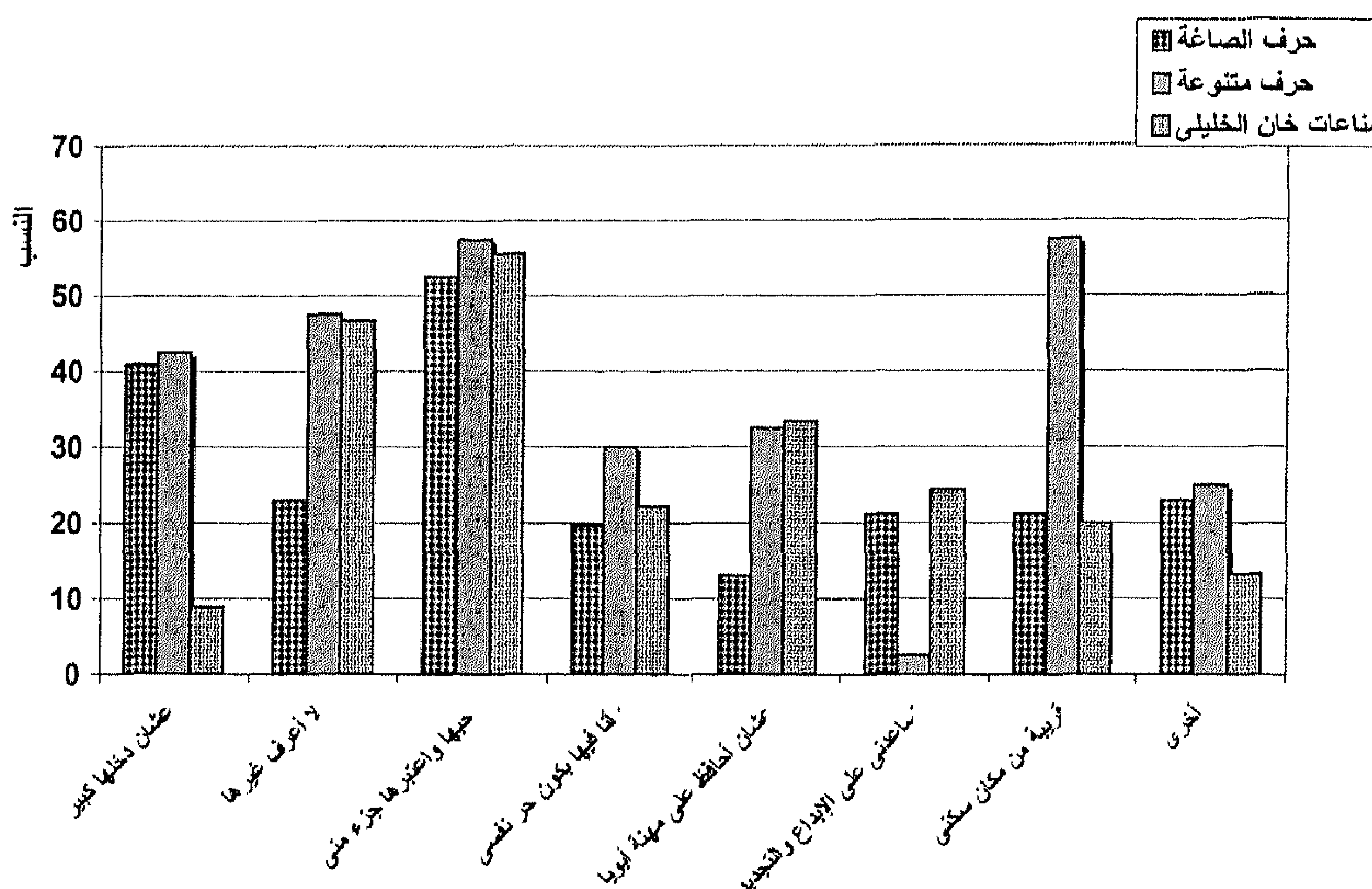
أوضحت نتائج الدراسة كما يتبين من الجدول رقم (٧-١) والشكل البيانى رقم (١) أن هناك عدد من العوامل الدافعة للاشتغال بالعمل الحرفى والتى تباينت بين مجموعات الحرف حسب أهميتها النسبية، وقد جاء حب العمل الحرفى والتمسك به

فى المرتبة الأولى لدوافع الاشتغال بالعمل الحرفى،فى المجموعات الحرفية الثلاثة. بينما انخفضت نسبة العمل بدافع الحفاظ على مهنة الوالد بنسبة ملحوظة تصل الى ١٣% فى حرف الصاغة و ارتفعت نسبيا فى صناعات خان الخليلى، والشيش والألومنيوم بنسبة ٣٣,٣%، ٣٢,٥% على التوالى.

جدول رقم (٧-١)
العوامل الدافعة للاشتغال بالحرفة

الحرف / عوامل الاشتغال بالحرفة	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
عشان دخلها كبير	٢٥	٤١,٠	٤	٨,٩	١٧	٤٢,٥	٤٦	٣١,٥
لا أعرف غيرها	١٤	٢٣,٠	٢١	٤٦,٧	١٩	٤٧,٥	٥٤	٣٧,٠
بحبها واعتبرها جزء مني	٣٢	٥٢,٥	٢٥	٥٥,٦	٢٣	٥٧,٥	٨٠	٥٤,٨
وأنا فيها بأكون حر نفسي	١٢	١٩,٧	١٠	٢٢,٢	١٢	٣٠,٠	٣٤	٢٣,٣
عشان أحافظ على مهنة أبويا	٨	١٣,٠	١٥	٣٣,٣	١٣	٣٢,٥	٣٦	٢٤,٧
تساعدنى على الإبداع والتجديد	١٣	٢١,٣	١١	٢٤,٤	١	٢,٥	٢٥	١٧,١
قريبة من مكان سكنى	١٣	٢١,٣	٩	٢٠,٠	٢٣	٥٧,٥	٤٥	٣٠,٨
أخرى	١٤	٢٣,٠	٦	١٣,٣	١٠	٢٥,٠	٣٠	٢٠,٥
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠

وقد جاء العمل بدافع حب المكسب والربح فى أدنى معدلاته فى صناعات خان الخليلى بنسبة ٨,٩% فى مقابل ٤١% ، ٤٢,٥% فى حرف الصاغة و صناعات الشيش والألومنيوم على التوالى . كما انخفضت نسبة الاشتغال بالحرفة بدافع الرغبة فى الابداع والتجديد فى صناعات الشيش والالومنيوم بصفة خاصة لتصل الى ٢,٥% ويمكن تفسير ذلك فى إطار طبيعة العمل فى صناعات الشيش والألومنيوم والتى تخضع فى المقام الأول إلى مواصفات كمية محددة أكثر من اعتمادها على مواصفات فنية أو جمالية.



شكل رقم (١)

العوامل الدافعة للاشتغال بالحرفة

ومن ثم فإن حب الصنعة هو الأساس فى الاشتغال بها، والاستمرارية وتحمل كل المشاق والصعوبات التى تواجهها، فإذا لم يكن الحرفى يحب صنعته فإنه لا يمكنه البقاء والاستمرار فيها، بغض النظر عن ميكانيزمات هذا الحب الذى يكون فى الغالبية العظمى من المشتغلين بحرف الصاغة بسبب الرغبة فى تحقيق المكسب والشهرة، أو الرغبة فى تحقيق الذات والشعور بالتميز والسمعة الحسنة بين المشتغلين بصناعات خان الخليلى، بينما فى صناعات الشيش والألومنيوم يكون حب الصنعة فى الغالب بدافع التعود عليها أو الحفاظ على مهنة الوالد والأجداد أو لعدم معرفة غيرها.

٢- التجديد والتغيير فى الصنعة :

أسفرت نتائج الدراسة، كما يتضح من معطيات الجدول رقم (٧-٢) عن تباين اتجاهات الحرفيين نحو التجديد أو التغيير فى الصنعة بين الأنشطة الحرفية المتباينة، وقد ارتفعت نسبة الاتجاه نحو التجديد أو التغيير فى حرف الصاغة سواء فيما يتعلق بالتجديد فى شكل المنتج أو تغيير المنتج نفسه، حيث تصل نسبتها إلى ٨٠,٦% من

إجمالى حجم التكرارات فى حرف الصاغة. وفى صناعات خان الخليلى وصلت هذه النسبة إلى ٧٥%، مقابل ٧٧,٢% فى صناعات الشيش والألومنيوم.

جدول رقم (٧-٢)
أشكال التجديد في الحرفة على مستوى العينة البحثية

الحرف / أشكال التجديد فى الصنعة	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
لم أجدد فى أى شيء	٩	١٥,٨	٧	١٩,٤	٥	١٤,٣	٢١	١٦,٤
التجديد والتغيير فى شكل المنتج	٣٣	٥٧,٩	٢٥	٦٩,٤	٢٢	٦٢,٩	٨٠	٦٢,٥
تغيير المنتج نفسه	١٣	٢٢,٨	٢	٥,٦	٥	١٤,٣	٢٠	١٥,٦
استخدام أدوات وآلات جديدة	٢١	٣٦,٨	٧	١٩,٤	١٨	٥١,٤	٤٦	٣٥,٩
أخرى	١٣	٢٢,٨	٥	١٣,٩	١٠	٢٨,٦	٢٨	٢١,٩
الجملة	٥٧		٣٦		٣٥		١٢٨	

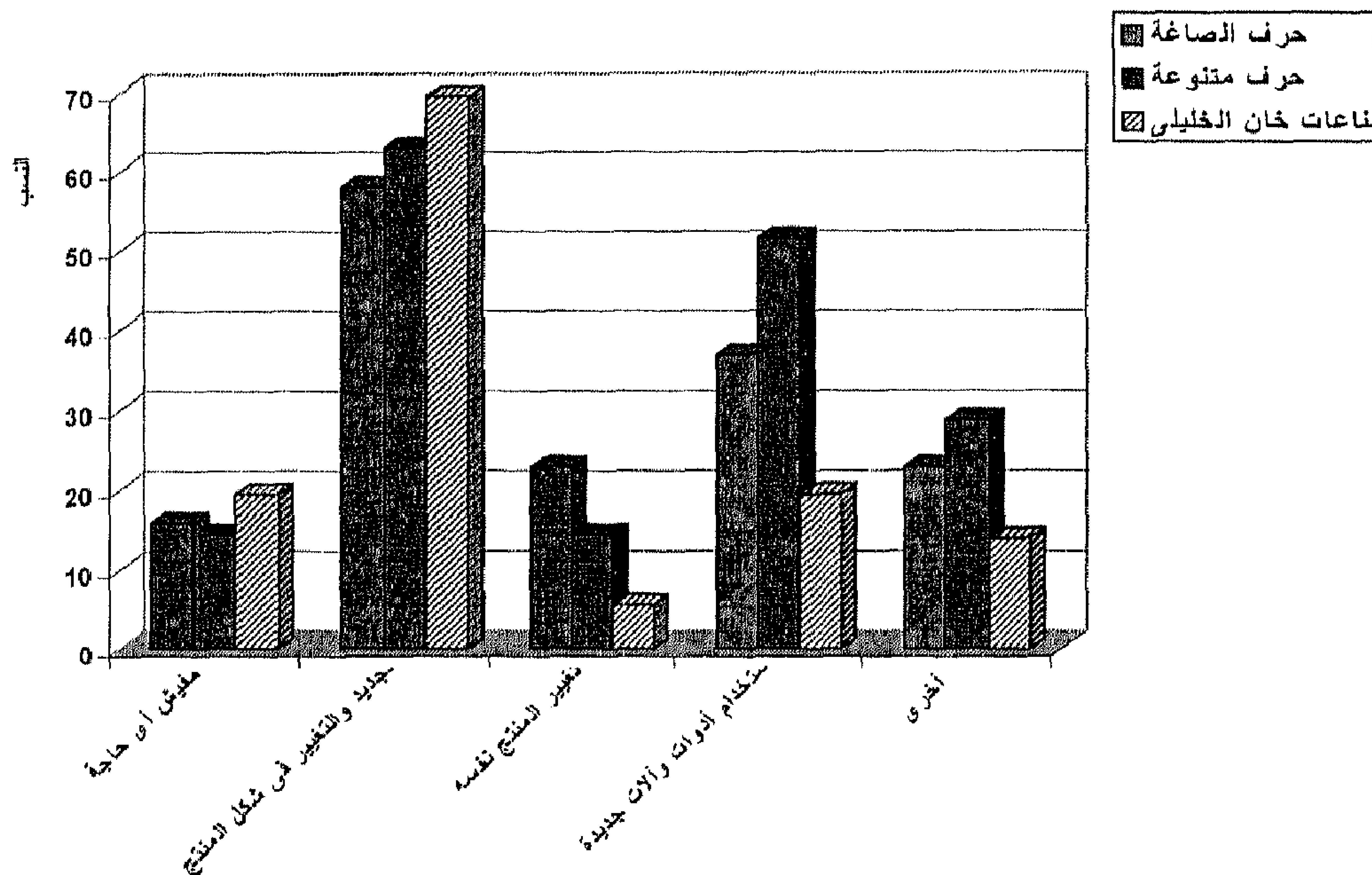
ويتضح من ذلك ارتفاع الاتجاهات نحو التجديد والتغيير فى شكل المنتج أو فى المنتج نفسه بين الأنشطة الحرفية المتباينة. إذ أن التجديد فى شكل المنتج أو فى المنتج نفسه هو شرط أساسى للبقاء والاستمرار فى الصنعة بالنسبة لحرف الصاغة كما أنه يعد شرطاً أساسياً للتميز فى الصنعة، وعبرت عن ذلك بعض حالات الدراسة، ففى الحالة (أ-ح) التى يعمل صاحبها فى صناعة الذهب ذكر : "كل شوية أنا بجدد وأطور عشان أفضل عايش ما أموتش خاصة أن المنافسة بقت دلوقتى عالية جداً".

إضافة إلى ما ذكرته الحالة (م-س) التى تعمل فى صناعة الفضة : "لو معملتش الجديد حقعد، مش حعيش، احنا لنا اسمنا فى السوق من زمان وعشان أحافظ على الاسم ده لازم أجدد عشان استمر".

ونجد أن التجديد فى حرف الصاغة ينحصر غالباً فى التجديد فى شكل المنتج، حيث تنخفض نسبة التجديد فى أدوات الإنتاج لتصل إلى ٣٦,٨%، وتنخفض كذلك نسبة التغيير فى المنتج نفسه لتبلغ ٢٢,٨% حيث إن التجديد والتغيير فى شكل المنتج هو أحد ميكانيزمات البقاء والتميز، ومن ثم تحسن نوعية حياة العمل لدى الحرفى حيث الشعور بتحقيق الذات والتميز فى أداء العمل خاصة فى حرف

الصاغة حيث تعلو فيها المنافسة بين الصناع وكذلك انفتاح السوق، ويؤكد على ذلك الطبيعة الأيكولوجية لورش الصاغة خاصة فى ورش صناعة الذهب؛ إذ أن كل حرفى يميل إلى إغلاق الورشة أثناء قيامه بالعمل من أجل الحفاظ على الخصوصية والسرية فى أداء العمل ومن أجل القدرة على التميز. بينما فى صناعات خان الخليلى، وصناعات الشيش والألومنيوم، نجد أن التجديد والتغيير فى الصنعة يعد سمة إضافية تميز الحرفى القادر على الإبداع، وهى لا تعد شرطاً أساسياً للبقاء والاستمرارية فى الصنعة. وتعلو نسبة استخدام أدوات جديدة فى صناعات الشيش والألومنيوم لتصل نسبتها إلى ٥١,٤%، فى مقابل ١٩,٤% فى صناعات خان الخليلى، و٣٦,٨% فى حرف الصاغة.(أنظر الشكل رقم ٢)

وهكذا تختلف أشكال واتجاهات التجديد التى تسم كل نشاط حرفى بذاته، والتى تفرضها طبيعة العمل الممارس، مما يسهم فى زيادة مستوى الرضا فى مجال العمل، الذى تتباين عوامله وأبعاده حسب طبيعة العمل الحرفى الممارس.



شكل (٢)

أشكال التجديد التى قام بها صاحب الورشة فى صنعته

حيث أوضحت المشاهدات الميدانية أن هناك ثبات إلى حد ما فى الأدوات المستخدمة فى الإنتاج خاصة فى منتجات خان الخليلى، إذ لم يطرأ عليها تغيير، بينما كانت حرف الشيش والألومنيوم أكثر اتجاهاً نحو استخدام أدوات جديدة من

أجـل زيـادة كمـية الإنتاج وتقليل الجهد المبذول فى العمل وكذلك تخفيض حجم العمالـة. وقد تبين أنه فى صناعات السبح والصدف والنقش على النحاس ينحصر إلى أدنى حد استخدام أدوات جديدة، فلا يوجد أدوات جديدة تغنى عن العمل اليدوى ذى المهـارة الخاصة الذى يضفى سمة خاصة للحرفى ويؤدى إلى زيادة اعتزازه بذاتـه وبمهارتـه اليدوية، بل أكدت أيضاً بعض حالات الدراسة على أن استخدام أدوات جديـدة فى صناعات خان الخليلى يقلل من مكانة الحرفى ويقلل من قدراته المهاريـة، بينما يعد الحرفى الذى يتمسك بالقديم وبالعمل اليدوى هو الأكثر تميزاً والأعلى مكانة. ويؤكد على ذلك تسيد المهارة اليدوية فى حرف الصاغة وصناعات خان الخليلى بصفة خاصة عنها فى صناعات الشيش والألومنيوم.

ومن ثم فإن الحرفى كلما كان أكثر قدرة على التجديد والإبداع فى المنتج الذى يقـوم به، فإنه يكون أكثر تميزاً وأكثر اعتزازاً بذاته وذلك في حرف الصاغة، أما فـى صـناعات خان الخليلى، فكلما كان الحرفى أكثر تمسكاً بالقديم ولا يتجه إلى التجديد والتغيير واستخدام الميكنة فإنه يكون أكثر اعتزازاً بذاته وأكثر تميزاً وأعلى مكانـة ممـا يسهم فى زيادة الشعور بالرضا لدى الحرفى، وفى صناعات الشيش والألومنـيوم يكـون الحرفى أكثر اعتزازاً بذاته وأكثر تميزاً كلما كان أكثر تجاوباً وتفـاعلاً مـع الاتجاه نحو الميكنة والآلية بمعنى (التجديد فى أدوات الإنتاج) حيث توفير الجهد والوقت وكذلك زيادة كمية الإنتاج.

٣- مخاطر العمل الحرفى والتأثير على الصحة:

قـد يصـاحب العمل الحرفى بعض المخاطر أو الأضرار الصحية التى تؤثر علـى صـحة الحرفى، والتى تسهم - بلا شك - فى انخفاض الشعور بالرضا عن العمل، كضرر بعض المواد المستخدمة في الإنتاج مثل : مادة (الكولا) المستخدمة فى صناعة الصدف كمادة لاصقة والتى تبين أن بعض الحرفيين يصابون بالإدمان مـنها، فهى مادة مخدرة، كما أن التركيز أو الجلوس لمدة طويلة يؤثر على العمود الفقـرى للحـرفى، وهناك بعض المشاكل التى تصيب الحرفى نتيجة استخدام النار فى صناعات الذهب والفضة.

ومـن استقراء الجدول رقم (٧-٣) يتبين أن هناك فروق جوهرية ذات دلالة إحصـائية بيـن مجموعـات الحرف المتباينة فيما يتعلق بالمشكلات الصحية التى يعانى منها الحرفى، والتى تؤثر بلا شك على درجة شعوره بالرضا أو عدم الرضا عن العمل. و تتباين تلك المشكلات والأضرار الصحية بناء على التباين فى طبيعة العمل الحرفى الممارس، وما تفرضه العملية الإنتاجية وما تتطلبه من جهد بدنى أو

ذهنى وكذلك ما تستخدمه من أدوات أو ما تمر به من مراحل إنتاج. فقد بلغت قيمة كا^2 = (٤٦,٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٠١).

جدول رقم (٧-٣)

المشكلات الصحية التي يعاني منها المشتغلون بالحرف

الحرف / المشكلات الصحية	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلي		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
التركيز لمدة طويلة يتعب العين	٣٢	٥٢,٥	٢٣	٥١,١	٤	١٠,٠	٥٩	٤٠,٤
المواد التى نستخدمها فى الشغل تعمل أضرارا جلدية	٢	٣،٣	٣	٦,٧	٧	١٧,٥	١٢	٨،٢
التعب والارهاق بعد وقفة طول اليوم	٧	١١,٥	٧	١٥,٦	٢٣	٥٧,٥	٣٧	٢٥,٣
مفيش تعب ولا حاجة	١٧	٢٧,٩	٨	١٧,٨	٤	١٠,٠	٢٩	١٩,٩
أخرى	٣	٤,٩	٤	٨,٩	٢	٥,٠	٩	٦,٢
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠

كا^2 = ٤٦,٢ د.ح = ٨ مستوى الدلالة (٠,٠٠١)

فعلى مستوى المجموعات الحرفية الثلاث نلاحظ ارتفاع نسبة المشاكل الصحية التى يعانى منها الحرفيون، والتى تتمثل فى : الأضرار الصحية التى تصيب العين والناتجة عن التركيز الشديد لفترات طويلة، وذلك بنسبة ٤٠,٤% من إجمالى العينة البحثية التى يبلغ عددها ١٤٦ منشأة حرفية، وترتفع هذه النسبة بدرجة ملحوظة كما يتضح فى الجدول رقم (٧-٣) بين المشتغلين بحرف الصاغة ، بنسبة ٥٢,٥% وكذلك فى صناعات خان الخليلى بنسبة ٥١,١%، بينما تنخفض بشدة فى صناعات الشيش والألومنيوم لتصل إلى ١٠%؛ نظراً لانخفاض مستويات التركيز والدقة فى تلك الصناعات بصفة خاصة. وفى المرتبة الثانية تأتى المشاكل البدنية التى تتمثل فى الإرهاق البدنى والتعب الجسمانى والناتج عن استمرار العمل لفترات طويلة دون توقف أو راحة، وذلك بنسبة ٢٥,٣% من إجمالى حجم العينة البحثية، والتى ارتفعت بدرجة ملحوظة فى صناعات الشيش والألومنيوم لتصل إلى ٥٧,٥%، بينما انخفضت فى كل من صناعات خان الخليلى وكذلك فى حرف الصاغة لتصل إلى ١٥,٦%، ١١,٥% على التوالى. ويؤكد ذلك انخفاض المرونة فى أوقات العمل فى صناعات الشيش والألومنيوم عنها فى الصناعات الأخرى،

ممــا يشــعر الحرفى بكثير من التعب والإرهاق نظراً لأنه يهدف إلى تحقيق الربح الكبير والمكسب الذى لا يمكن تحقيقه دون ذلك.

وفــى المرتبة الثالثة تأتى نسبة من لا يشعرون بالتعب ولا يعانون من مشاكل صــحية وذلــك بنسبة ١٩,٩% من إجمالى حجم العينة البحثية، والتى وصلت إلى أعلــى معدلاتهــا بيــن المشــتغلين بحــرف الصاغة وذلك بنسبة ٢٧,٩%، يليها المشتغلون بصناعات خان الخليلى بنسبة ١٧,٨%، ويأتى فى أدنى المعدلات هؤلاء المشتغلون بصناعات الشيش والألومنيوم وذلك بنسبة ١٠%.

وقــد أظهرت حالات الدراسة، التباين بين الحرفيين فى التعبير عن الإحساس بالتعــب والإرهــاق تــبعاً للســن، حيث تذكر الحالة (أ–ج) إحدى حالات صناعة الألومنيوم، ما يلى : "التعب فى الصنعة دى يكون فى الكبر،كده زى حالاتى الواحد لما بيكبر ميقدرش يتحمل الوقفة والشغل، مش السن له حكمه"

وأيضــاً ذكرت الحالة (م–م) وهى سيدة تعمل فى صناعة السبح قائلة : "لازم كــل واحــد يتعب عشان ياكل عيش، مفيش حاجة من غير تعب" مما يعكس مدى الرضا عن العمل، مع عدم المبالاة بالتعب والإرهاق الناجم عنه.

وذكــرت أيضــاً الحالــة (س–أ) التى يعمل صاحبها فى الصدف فيما يتعلق بالمتاعــب الصــحية الناجمة عن العمل، ما يلى: "الصنعة تتعب العين طبعاً عشان التركــيز لمدة طويلة، لكن احنا اتعودنا على كده وكل حاجة لازم يكون لها تعبها، بس اللى يرضى الواحد انه يقدر يوفى طلبات بيته وعياله" .

وهكذا يتضح أن هناك تباين فى المشكلات والمتاعب الصحية التى يعانى منها الحرفــيون حســب طبيعة العمل الحرفى الممارس وما تتطلبه العملية الإنتاجية من جهد بدنى أو تركيز لفترات طويلة وعلى الرغم من معاناة الحرفيين من العديد من المشاكل الصحية إلا أن الغالبية العظمى منهم يكتسبون القدرة على التكيف مع تلك المشاكل الصحية، ويؤكد ذلك ازدياد التمسك بالعمل الحرفى وعدم الرغبة فى ترك العمــل حيــث تحقيق العديد من الإشباعات كالمكسب والأمان المادى والتميز فى مجــال العمــل وتحقيق الذات. كما أن الحرفى عندما يشعر بالراحة فإن هذا يكون مؤشراً لعدم الشعور بالرضا. حيث إن ذلك يكون دليلاً على عدم وجود عمل ومن ثــم عــدم تحقيق المكسب والشهرة والغنى وافتقاد العديد من الإشباعات فى مجال العمــل فيتبايــن الشعور بالرضا أو عدم الرضا الناجم عن المتاعب الصحية التى تصــيب الحرفى فى العمل حسب طبيعة العمل الممارس، وكذلك حسب مدى تكيف الحرفى مع عملة ومدى حبه وتمسكه به.

٤- الطموحات المستقبلية للحرفى فى العمل :

مـن خـلال استقراء معطيات الجدول رقم (٧-٤) يتضح أن أكثر من نصف حجـم العيـنة البحثـية يـأمل فى توسيع الورشة التى يملكها وتجديدها والارتقاء بمسـتواها بنسـبة ٥٥,٥% من إجمالى مفردات العينة والبالغ عددها ١٤٦ مفردة، بيـنما يرغـب ٣٩% من الحرفيين فى التطور والنمو أملاً فى الوصول إلى مكانة أعلـى وأن يكـون (أوسـطى) كبيراً فى صنعته. كما نجد أن حوالى ٢١,٢% من إجمالى حجم العينة تأمل فى أن يكون لديها ورشة أخرى ومحل لعرض المنتجات، أى أن الغالبية العظمى من الطموحات الشخصية للحرفيين تنحصر فى مجال العمل نفسه سواء فيما يتعلق بتوسيع الورشة أم تجديدها أم إدخال ماكينات جديدة أم عمل الأبـناء معهـم أم امتلاك محل أو ورشة أخرى. ويدل ذلك على أن العمل بالنسبة للحرفى يأتى فى المقام الأول فى اهتماماته الشخصية، فعمل الحرفى هو أهم شىء فـى حياته كلها، فإذا كان سعيداً فى عمله فهو سعيد فى حياته، وإذا لم يكن سعيداً فـى عمله، فهو غير سعيد فى حياته. كما أوضحت الدراسة أن هناك حوالى ٢١,٢ % مـن إجمـالى العيـنة ليس لديهم طموحات مستقبلية، حيث يعكس ذلك الرضا بالواقع والإيمان بالقسمة والنصيب.

جدول رقم (٧-٤)

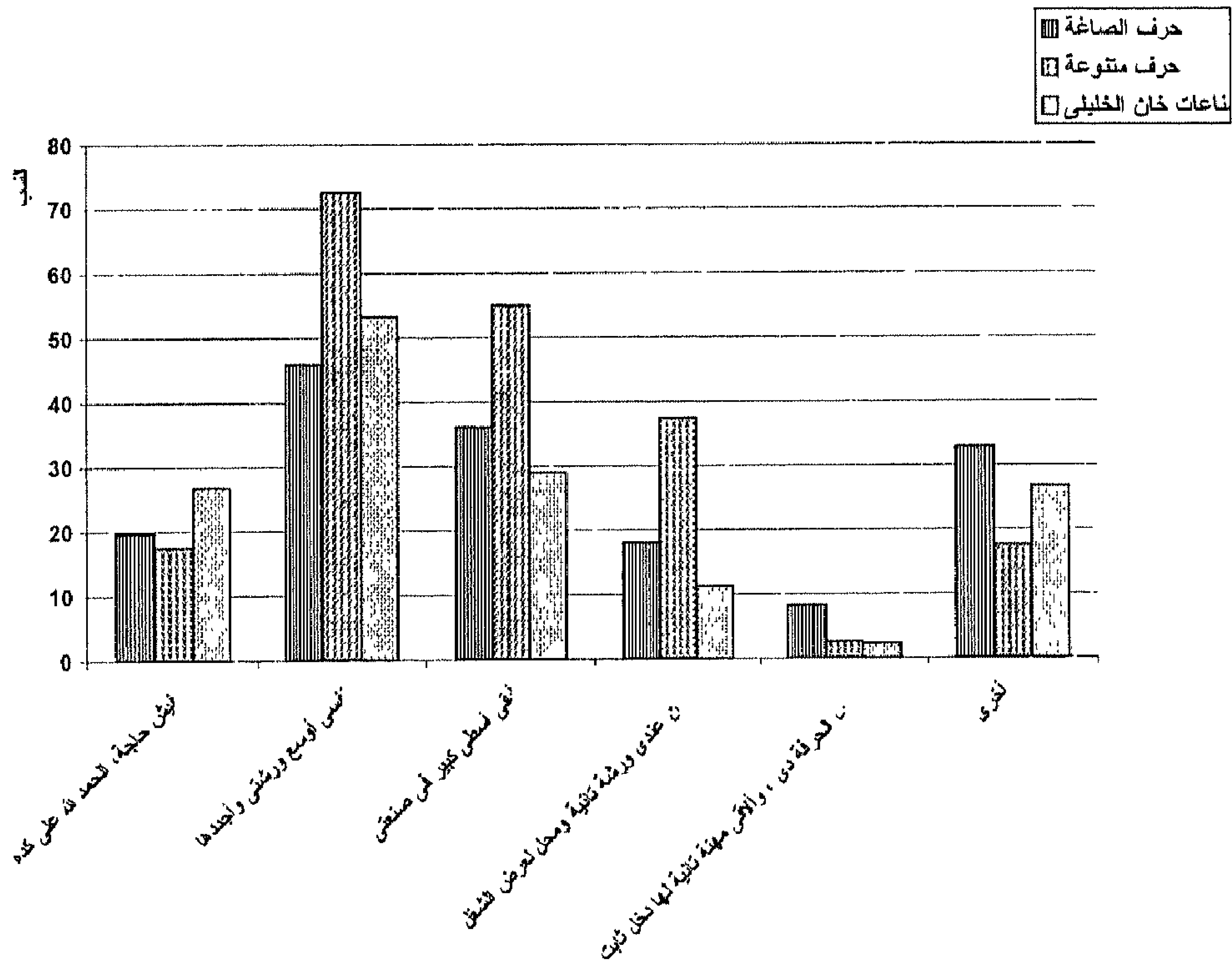
الطموحات المستقبلية للحرفيين

الحرف / الطموحات المستقبلية	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
نفسـى أوسـع ورشتى وأجددها	٢٨	٤٥,٩	٢٤	٥٣,٣	٢٩	٧٢,٥	٨١	٥٥,٥
أبقـى أسـطى كبير فى صنعتى	٢٢	٣٦,١	١٣	٢٨,٩	٢٢	٥٥,٠	٥٧	٣٩,٠
يكون عندى ورشة تانية ومحل لعرض الشغل	١١	١٨,٠	٥	١١,١	١٥	٣٧,٥	٣١	٢١,٢
أسـيب الحـرفة دى، وألاقـى مهـنة تانية لها دخل ثابت	٥	٨,٢	١	٢،٢	١	٢,٥	٧	٤,٨
مفـيش حاجة، الحمد لله على كده	١٢	١٩,٧	١٢	٢٦,٧	٧	١٧,٥	٣١	٢١,٢
أخرى	٢٠	٣٢,٨	١٢	٢٦,٧	٧	١٧,٥	٣٩	٢٦,٧
الجملة	٦١		٤٠		٤٥		١٤٦	

وقد أكدت على ذلك بعض حالات الدراسة، فتذكر إحدى حالات صناعة الذهب وهـــى الحالة (أ–ح) قائلة: "أنا الحمد لله لى اسمى دلوقتى ومبسوط ولى زبونى اللى ييجى لحد عندى، وبأعمل أصعب حاجة وأحسن حاجة مفيش حاجة بعد كدة".

وقـــد أظهـــرت بعـــض حالات الدراسة الطموحات والآمال الشخصية الخاصة بـــالعمل كالتوسع فى الصنعة، وتملك محل أو ورشة أخرى، والتى تعبر عن ارتفاع مؤشـــرات الرضـــا عـــن العمل والسعى إلى تحقيق المزيد فيما يتعلق بالعمل. فتذكر الحالـــة : (م–ج) التى تعمل فى صناعة الذهب: "الواحد مهما كبر، برده يكون نفسه فى الأحسن، طبعاً نفسى أن المحل بتاعى يبقى فى أعلى العليين وأقدر آخد محل ثان وثالـــث" وتؤكـــد على ذلك الحالة (س–أ) التي تعمل فى الصدف: "طبعاً نفسى أتوسع فى الشغل واشترك فى معارض، وضحك قائلاً: ونفسى أجيب عربية كمان".

بيـــنما أظهـــرت بعض حالات الدراسة عدم الرضا عن العمل وفى ذلك تذكر الحالـــة (أ–أ) التى تعمل فى صناعة الشيشة، ما يلى : "الصنعة بتاعتنا بدأت تموت نفسى الصنعة ترجع زى زمان، ورينا يتوب على منها".كما أكد على ذلك ابنه الذى يعمـــل معـــه فـــى صناعة الشيشة قائلاً: "أنا مش مبسوط من شغلى هنا مع أبويا، ونفسى أعمل إرش عشان أقدر أعمل به مشروع محترم".



شكل رقم (٣)

الطموحات المستقبلية للحرفيين

وباستقراء النتائج المدونة فى الجدول رقم (٧-٤) والشكل البيانى رقم (٣) يتضح أيضاً الانخفاض الشديد على مستوى العينة البحثية فى الرغبة فى ترك الحرفة والبحث عن مهنة أخرى، بنسبة ٤,٨% من إجمالى حجم العينة البحثية، فى مقابل الارتفاع الشديد فى التمسك بالحرفة والاعتزاز بها، والرغبة فى التطور والازدهار والتقدم فيها، مما يعكس ارتفاع نسبة رضا الحرفيين عن عملهم والتمسك والاعتزاز به.

٥- المشكلات والصعوبات التى يواجهها الحرفى:

يواجه الحرفى العديد من المشكلات والصعوبات التى تهدد استمرار العمل الحرفى من ناحية، وتسهم فى ازدياد شعور الحرفى بالضيق وعدم الرضا عن العمل بصفة خاصة وعن حياته ككل بصفة عامة. وقد ظهر ذلك واضحاً خلال الدراسة الميدانية، وقد تمثلت أهم تلك المشكلات التى يعانى منها الحرفيون على مستوى المجموعات الحرفية الثلاث فيما يلى :

- ارتفاع الضرائب العامة:

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن الغالبية العظمى من الحرفيين يعانون من مشكلات الضرائب العامة، والتى تصيبهم بالضيق والاختناق، فيلجأ غالبيتهم إلى هجر ورشهم أو غلقها نظراً لعدم القدرة على دفع ما هو مقرر من ضرائب.

وعبرت عن ذلك معظم حالات الدراسة، حيث ذكرت الحالة (أ-أ) التى يعمل صاحبها بصناعة الشيشة، ما يلى: "أنا نفسى ربنا يتوب على من الشغلة دى، فيها مشاكل كثيرة، وهم بيخنقونا (يقصد الحكومة) أنا دلوقتى عندى أربع عمال مأمن عليهم وأدفع ضرائب ونظافة وكهرباء، وايجار المحل بيزيد، فى الوقت اللى احنا فيه دلوقتى الموظف أحسن مننا بكثير".

كما ذكرت الحالة (م-س) التى يعمل صاحبها فى صناعة الفضة "أنا بدفع دمغة وضريبة مبيعات، الضرائب العامة تحاسبنى ليه كمان، احنا مضغوطين جامد بالضرائب اللى بندفعها، خصوصاً ان الشغل فى الفضة صعب لازم ننتج كثير عشان نلاقى، مقدرش أنتج حتة واحدة وأستنى أما أبيعها زى الدهب يبقى حشحت".

وفى السياق نفسه، تذكر الحالة (س-أ) وتعمل فى صناعة الصدف قائلة: "إحنا بنشتغل لكن مفيش تسويق وعشان كدة السوق نايم، والضرايب بتخنقنا". وقد أكدت على ذلك العديد من الدراسات السابقة كدراسة أستاذتى أ.د.اعتماد علام حول : "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"(١٩٩١) ، ودراسات (المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية حول القطاع غير الرسمى، ٢٠٠٠م) .

- عدم وجود دخل ثابت فى العمل الحرفى أومعاش بعد الكبر:

وتعـد تلك من أكثر الصعوبات التى يواجهها غالبية الحرفيين حيث إنه يعتمد كلـية علـى جهـده البدنى والعقلى، فإذا مرض أو تعب أو حدث له أى مكروه لا يسـتطيع أن يـتولى الإنفاق على نفسه أو بيته، لذلك فإن الحرفى يكون كثير القلق ويعمـل دائماً للادخار من أجل إمكانية التصرف فى مثل تلك الظروف والمواقف. وقـد عبرت معظم حالات الدراسة عن ذلك، فالحالة (أ-ج) التى يعمل صاحبها فى صـناعة الألومنـيوم، تذكر: "أوحش حاجة فى صنعتنا دى إن الواحد مش ضامن نفسه، وميكونش عنده حاجة يتسند عليها ولا معاش ولا مرتب ولا حاجة".

إضـافة إلى ماذكرته الحالة (أ-ح) إحدى حالات صناعة الذهب، حيث قال : "لازمْ الواحـد طبعاً يعمل حساب الزمن، لأن الصنعة مش مضمونة فالرزق يكون حسب السوق وحسب الأرزاق، يوم نكسب ألف وألفين ويوم مفيش حاجة .. وكدة، مفـيش حاجة نتركن عليها ونقول فيه مرتب آخر الشهر أو فى معاش، وده أوحش حاجة فى شغلنا".

وعلـى المسـتوى الداخلـى للحـرفة الواحدة، أظهرت الدراسة وجود بعض المشاكل التى يعانى منها الحرفيون، والتى تتمثل فى :

- المنافسة والغيرة بين أهل الصنعة:

فقد أوضحت المشاهدات الميدانية، وحالات الدراسة معاناة العديد من الحرفيين مـن المنافسـة الشديدة بينهم وبين بعضهم البعض من أهل الصنعة الواحدة والتى حلـت محـل المحـبة والتعاون التى كانت سائدة فيما سبق فى ظل نظام الطوائف الحرفية. وقد ازدادت تلك المشكلة بدرجة ملحوظة بين المشتغلين بحرف الصاغة، وعبرت معظم حالات الدراسة عن ذلك، فتذكر الحالة (م-س): "كل واحد يقول ياالله نفسى، محدش بيحب حد، ومحدش قلبه على حد، المنافسة بقت عالية جداً، والسوق مفتوح للكل، أنا نفسى الصنعة ترجع زى زمان".

كما تذكر الحالة (أ-ح): "الواحد لازم يعمل حاجات جديدة دايماً عشان الزبون مـيروحش لحد تانى، لو معملتش كده مش حقدر أعيش عشان المنافسة عالية جداً، كمان أنا لما أعمل حاجة جديدة ما أعرضهاش فى السوق عشان محدش يعمل زى، ده شغلى وتبقى وبعد كده حد ييجى يخده على الجاهز".

- تسويق المنتج :

أوضحت المشاهدات الميدانية تفاقـم مشكلة تسويـق المنتجات بين الحـرف

والصناعات التقليدية، حيث تأثر ظروف التسويق إلى حد كبير بظروف المجتمع وظروف الاقتصاد العالمى، ففى صناعة الشيش على الرغم من رواج الشيشة وانتشارها فى الآونة الراهنة حتى إنها أصبحت (موضة) الشباب والفتيات إلا أن منتجى الشيشة يواجهون مشاكل فى التسويق؛ نظراً لزيادة عدد الورش التى تختص بصناعة الشيشة خاصة وأن الطفل الصغير يمكنه أن يتعلم الصنعة بسرعة ومن ثم أدى ذلك إلى تفاقم مشكلة تسويق المنتجات.

وفى صناعات خان الخليلى، يعانى بعض الحرفيين من سوء التوزيع؛ نظراً لارتباط التسويق بمواسم السياحة، لأن تلك المنتجات من المشغولات النحاسية أو الصدفية تلقى زواجاً أكبر من جانب السياح والأجانب، وفى الطبقات العليا من الشعب المصرى فقط وتكون للضرورة فى حالة وجود مناسبة اجتماعية، فبالرغم مما يعانيه الحرفى من صعوبة العمل وما يتطلبه من شدة التركيز والصبر وطول البال إلا أنه لا يستطيع تسويق منتجاته بسهولة ويسر.

وفى حرف الصاغة أيضاً، يعانى الحرفيون من مشكلة تسويق المنتجات نظراً لغلاء الأسعار وازدياد حدة المنافسة بين الصناع وبعضهم البعض، إضافة إلى ارتباط التسويق بالأسعار العالية، فقط أصبح شراء المنتجات الذهبية والفضية للضرورة وذلك فى حالة وجود شبكة أو هدية ولم يعد وسيلة للادخار مثلما كان سابقاً، حيث حلت محلها وسائل أخرى كالبنوك وشهادات الاستثمار.. وغير ذلك، ومن ثم انخفضت القدرة الشرائية للمستهلك وأصبحت هناك مشكلة فى تسويق المنتجات الذهبية والفضية.

ويتبين مما سبق، أن للمشكلات أو الصعوبات التى يواجهها الحرفى فى عمله تأثيراً كبيراً على مدى رضاه الذاتى واستقراره الاجتماعى فيما يتعلق بعمله، فكلما زادت المشاكل التى يتعرض لها الحرفى فى عمله، كلما انخفض رضاه واستقراره فى عمله، وأدى إلى شعوره بالتعاسة وعدم الرضا. ولذلك وكما تبين من المشاهدات الميدانية فإن الحرف التقليدية اليوم تتعرض للعديد من المشكلات وتحتاج لتضافر جهود العديد من الجهات حتى تستطيع هذه الحرف أن تستمر وتبقى مزدهرة ومتطورة، ولابد من العمل على التخفيف من حدة تلك المشكلات من أجل الوصول إلى حياة أفضل للحرفى وارتفاع مدى رضاه وسعادته عن عمله ومن ثم عن حياته بصفة عامة، مما يسهم - بلا شك - فى زيادة إنتاجه.

ثانياً: المستوى التنظيمى Organizational Level:

ويقصد بالمستوى التنظيمى تنظيم بيئة العمل (الورشة)، حيث تسهم طبيعة البيئة التنظيمية للعمل فى تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته داخل مجال العمل، وفى علاقاته بالآخرين من خلال الخصائص التنظيمية للورشة والتى تتمثل فى : الظروف الفيزيقية للورشة من حيث مستوى التهوية والإضاءة والتنظيم والنظافة داخل الورشة وطبيعة التفاعل الاجتماعى بين العاملين داخلها، وكذلك تقسيم العمل وتوزيع الأدوار بالورشة، وعلاقات العمل ويقصد بها: العلاقة بالعاملين داخل الورشة ومدى التعاون والمحبة بينهما فى مقابل التنافس والغيرة، مما يؤثر على سير العملية الإنتاجية داخل الورشة وكذلك ساعات العمل المحددة يومياً، إضافة إلى وقت الفراغ ومدى تأثير كل ذلك على شعور الحرفى بالرضا والسعادة أو شعوره بعدم الرضا والتعاسة، وسنتناول كلاً من تلك الأبعاد فيما يلى للكشف عن مدى تأثيرها على نوعية حياة الحرفى داخل بيئة العمل.

ومن ثم تعتمد الدراسة الراهنة فى تحليل النتائج الكمية والكيفية للكشف عن نوعية حياة العمل للحرفى على المستوى التنظيمى داخل بيئة العمل (الورشة) على عدد من الأبعاد التحليلية التى تتمثل فيما يلى :

١- الظروف الفيزيقية للورشة (المساحة - التهوية - الإضاءة - الموقع) وطبيعة التفاعل الاجتماعى بين العاملين.
٢- ساعات العمل ووقت الفراغ أثناء العمل.
٣- تقسيم العمل والتكاملية فى أداء العمل.
٤- أسلوب إدارة العمل (أساليب الثواب والعقاب).
٥- أشكال علاقات العمل.

١- الظروف الفيزيقية للورشة :

هناك العديد من السمات الأساسية التى تميز كل ورشة خاصة فيما يتعلق بخصائصها الفيزيقية الداخلية من حيث (الحجم والمساحة، والاضاءة والتهوية)، وكذلك من حيث الخصائص الفيزيقية الخارجية للبيئة المحيطة بالورشة وكيفية استغلالها كجزء مكمل لمكان العمل فى بعض الحرف.

وتشير الدراسة الميدانية إلى وجود تفاوت نسبى فى حجم الورش من حرفة إلى أخرى، بل داخل نفس الحرفة تبعاً لنوع المنتج وحجم العمل داخل الورشة وحجم العمالة، وإن كانت فى معظمها ورشاً محدودة المساحة، إذ تتراوح نسبة

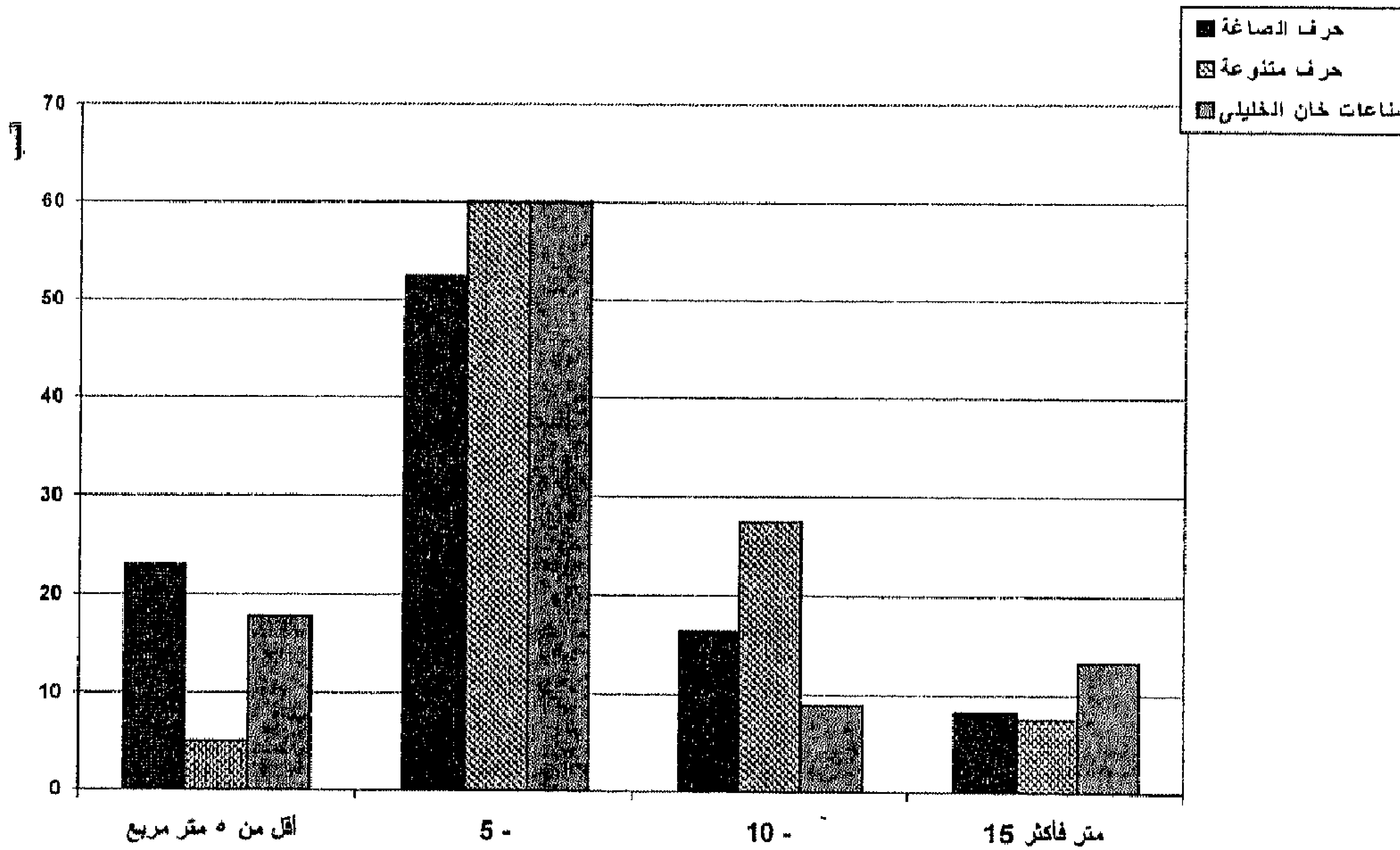
الورش التى لا تزيد مساحتها عن ١٠م٢ حوالى ٧٣,٢% من إجمالى الورش التى شـملتها الدراسـة على نحو ما هو موضح بالجدول رقم (٧-٥) ويتفق هذا مع ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية فيما يتعلق بحجم الورشة، حيث تشير إلى أن المساحة المحدودة للورش تعد إحدى السمات الأساسية لها منذ القدم (على الجرتلى، ١٩٥٢: ١٩) ، أنظر الشكل رقم (٤)..

جدول رقم (٧-٥)

مساحة الورش فى المجموعات الحرفية الثلاث

المساحة / الحرف	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أقل من ٥ متر مربع	١٤	٢٣,٠	٨	١٧,٨	٢	٥,٠	٢٤	١٦,٤
٥ -	٣٢	٥٢,٥	٢٧	٦٠,٠	٢٤	٦٠,٠	٨٣	٥٦,٨
١٠-	١٠	١٦,٤	٤	٨,٩	١١	٢٧,٥	٢٥	١٧,١
١٥ فأكثر	٥	٨,٢	٦	١٣,٣٢	٣	٧,٥	١٤	٩,٦
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠

$كا^2$ = (١٠,٤)   د.ح = ٦   غير دالة



شكل رقم (٤)

مساحة الورش مجال الدراسة

وقد أوضحت الدراسة الراهنة أنه لا توجد فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بحجم الورشة ومساحتها فى مجموعات الحرف الثلاث، إلا أن الشواهد الميدانية أوضحت أن هناك تفاوت نسبى بين الورش فيما يتعلق بحجمها ومساحتها، والذى يرجع فى المقام الأول إلى نوع المنتج وطبيعة العمل الحرفى الممارس ومراحل الإنتاج وكذلك حجم العمالة المستخدمة فى العمل. فنجد أن الورش فى صناعات الشيش والألومنيوم أكبر حجماً من ورش الصاغة، حيث تتميز صناعات الشيش والألومنيوم بكبر حجم العمالة وتعدد مراحل العملية الإنتاجية إضافة إلى تعدد أدوات الإنتاج والتى تتسم بكبر حجمها ولذلك تمتاز ورش هذه المجموعة بكبر الحجم نسبياً عن الورش فى كل من حرف الصاغة وصناعات خان الخليلى.

ومما تقدم يتضح أن المساحة الصغيرة المحدودة للورش هى السمة الأساسية لورش الإنتاج الحرفى التقليدية، وان وجدت بعض الورش كبيرة الحجم، فإنما يرجع ذلك إلى طبيعة العمل الحرفى والأدوات المستخدمة فى الإنتاج، وحجم العمالة، وكذلك تعدد مراحل العملية الإنتاجية، إضافة إلى قدرة الحرفى (صاحب الورشة) على التوسع فى مساحة الورشة.

كما تتشابه الورش الحرفية فى العديد من السمات الفيزيقية الأخرى والتى تتمثل فى :

- التهوية داخل الورشة.
- الإضاءة داخل الورشة.
- المرافق الموجودة بالورشة (مياه – دورة مياه).

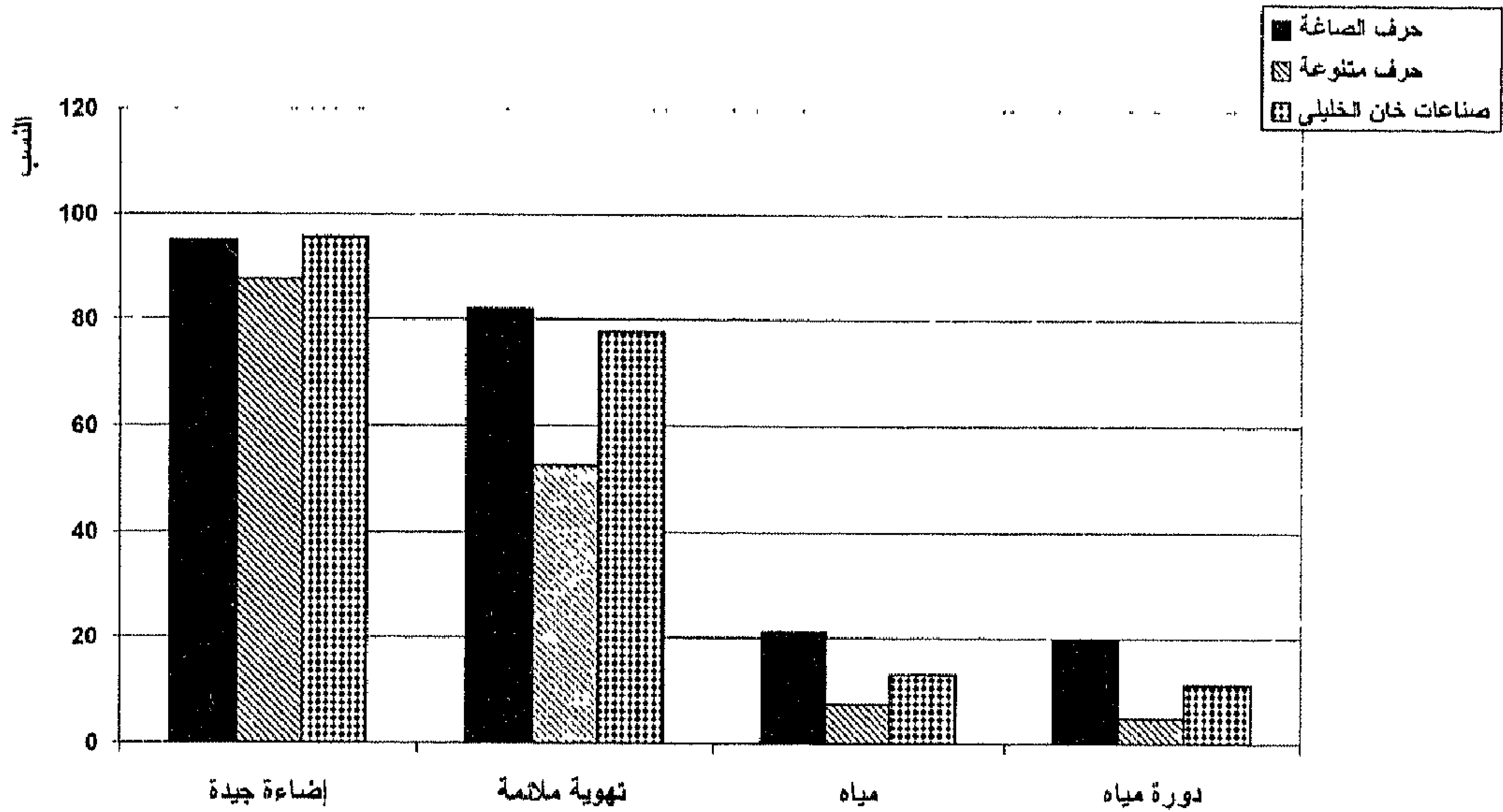
فقد أوضحت الدراسة الميداينة خلو معظم الورش الحرفية من مصادر التهوية الملائمة، فيكون مصدر التهوية الأساسى بالورشة هو مدخلها فقط، وفى بعض الورش الحرفية توجد نافذة صغيرة جداً، لا تسمح بالتهوية الملائمة، كما يوجد فى بعض الورش مروحة كهربائية أو جهاز تكييف يستخدم للتهوية فى فصل الصيف، والتى تركزت بصفة خاصة فى ورش الصاغة، ولكن لم يكن لها وجود فى صناعات الشيش والألومنيوم، نظراً لكبر حجم الورش وتعدد مراحل العملية الإنتاجية، ومن ثم تنعكس الظروف الفيزيقية السيئة للورشة (مكان العمل) على الحالة الصحية للحرفيين مما ينتج عنه الإصابة بالعديد من الأمراض؛ نتيجة لسوء التهوية وعدم الاهتمام بالنظافة إضافة إلى خلو معظم الورش بل أغلبها من وجود دورات مياه خاصة، ومن ثم عدم شعور الحرفى بالراحة والاطمئنان.

غير أن ارتفاع المستوى الاقتصادى لورش الصاغة يسهم فى محاولة الحرفى التكيف مع ضيق المكان حيث يوجد تكييف أو مروحة كهربائية، بينما لم تلاحظ الباحثة وجود ذلك فى العديد من ورش صناعات خان الخليلى؛ نظراً لما ينتج عن تلك الصناعات من غبار نتيجة تقطيع الخامات وخاصة فى ورش الصدف، إلا أن طبيعة العمل فى تلك الصناعات يسمح للحرفى بالتنقل داخل وخارج الورشة، فيمكنه أن يجلس خارج الورشة وممارسة عمله مما يجعله يتكيف مع ضيق المكان وظروف التهوية السيئة وغير الملائمة، مما يسهم فى التخفيف من الأضرار الصحية الناجمة عن الظروف الفيزيقية السيئة للورش الحرفية ومن ثم ازدياد الشعور بالرضا وتحسن نوعية حياة العمل.

كما كانت الإضاءة ضعيفة وغير كافية فى معظم الورش، فيما عدا ورش الصاغة التى كانت الإضاءة الموجودة بها ملائمة إلى درجة كبيرة؛ نظراً لما تتطلبه تلك الصناعات من شدة التركيز والدقة فى العمل، ويتباين هذا مع ما جاء فى نتائج التحليل الكمى حيث أوضحت النتائج كما يبدو فى الجدول رقم (٧-٦) ارتفاع معدلات الإضاءة الجيدة فى جميع الأنشطة الحرفية، والتى وصلت نسبتها إلى ٩٥,١% فى ورش الصاغة وفى صناعات خان الخليلى بلغت ٩٥,٦% بينما كانت فى صناعات الشيش والألومنيوم ٨٧,٥%، كما وأيضاً ارتفاع معدلات التهوية الملائمة لتصل إلى ٧٢,٦% من إجمالى حجم العينة البحثية، أنظر الشكل البيانى رقم (٥).

جدول رقم (٧-٦)
الظروف الفيزيقية الداخلية للورش الحرفية

الحرف / الظروف الفيزيقية	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
إضاءة جيدة	٥٨	٩٥,١	٤٣	٩٥,٦	٣٥	٨٧,٥	١٣٦	٩٣,٢
تهوية ملائمة	٥٠	٨٢,٠	٣٥	٧٧,٨	٢١	٥٢,٥	١٠٦	٧٢,٦
مياه	١٣	٢١,٣	٦	١٣,٣	٣	٧,٥	٢٢	١٥,١
دورة مياه	١٢	١٩,٧	٥	١١,١	٢	٥,٠	١٩	١٣,٠
الجملة	٦١		٤٥		٤٠		١٤٦	



شكل رقم (٥)

الظروف الفيزيقية الداخلية للورش الحرفية

وتأسيساً على ما سبق يتبين أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالحرف والصناعات التقليدية يمارسون عملهم فى ظروف غير صحية على الإطلاق؛ نتيجة عدم وجود التهوية الجيدة، وعدم وجود إضاءة كافية، مع ضيق المساحة، فضلاً عن عدم وجود المرافق الصحية والتى تمثل سمات عامة للظروف الفيزيقية بالورش الحرفية التقليدية.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن كل حرفة تسهم فى التكيف مع تلك الظروف السيئة، كالجلوس خارج الورش وأداء العمل كما هو الحال فى صناعات الصدف والنقش على النحاس، إضافة إلى وجود أجهزة التكييف والمراوح الكهربائية فى ورش الذهب والفضة؛ نظراً لما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية من ضرورة الجلوس داخل الورش ولفترات طويلة وعدم القدرة على التحرك خارج الورش، مما يسهم أيضاً فى تكيف الحرفى مع الظروف الفيزيقية التى تسم البيئة التنظيمية للورشة، إضافة إلى تجاور الورش مع بعضها البعض ومع بعض مؤسسات المجتمع المحلى (كالمقاهى) أو وجود بعض الورش وتركزها داخل الربوع والوكالات التجارية مما يساعد على التكيف مع مشكلة نقص المرافق الصحية بالورش. فكل تلك تعد ميكانيزمات تدعم من بقاء الحرفى واستمراريته وأدائه لعمله، كما تسهم فى الشعور بالرضا والإشباع الذاتى داخل بيئة العمل رغم ما

يكتنفها من ظروف بيئية سيئة، فالورشة ليست مكاناً للإنتاج فحسب؛ إذ تستخدم بعض الورش كمكان لعرض المنتجات، حيث تؤدى العديد من الوظائف، فهى مقر لممارسة العمل والإنتاج، وكذلك لتسويق المنتجات فى بعض الأحيان، إضافة إلى ما تقدمه الورشة من وظائف اجتماعية والتى تبدو فى صور التفاعل والعلاقات الاجتماعية التى تتم فى إطار ممارسة العمل والتنشئة المهنية للصبية، إضافة إلى أن الورشة تعد بيئة اجتماعية خصبة يستقبل فيها الحرفى الأصدقاء والعاملين فى السوق.

٢- ساعات العمل ووقت الفراغ :

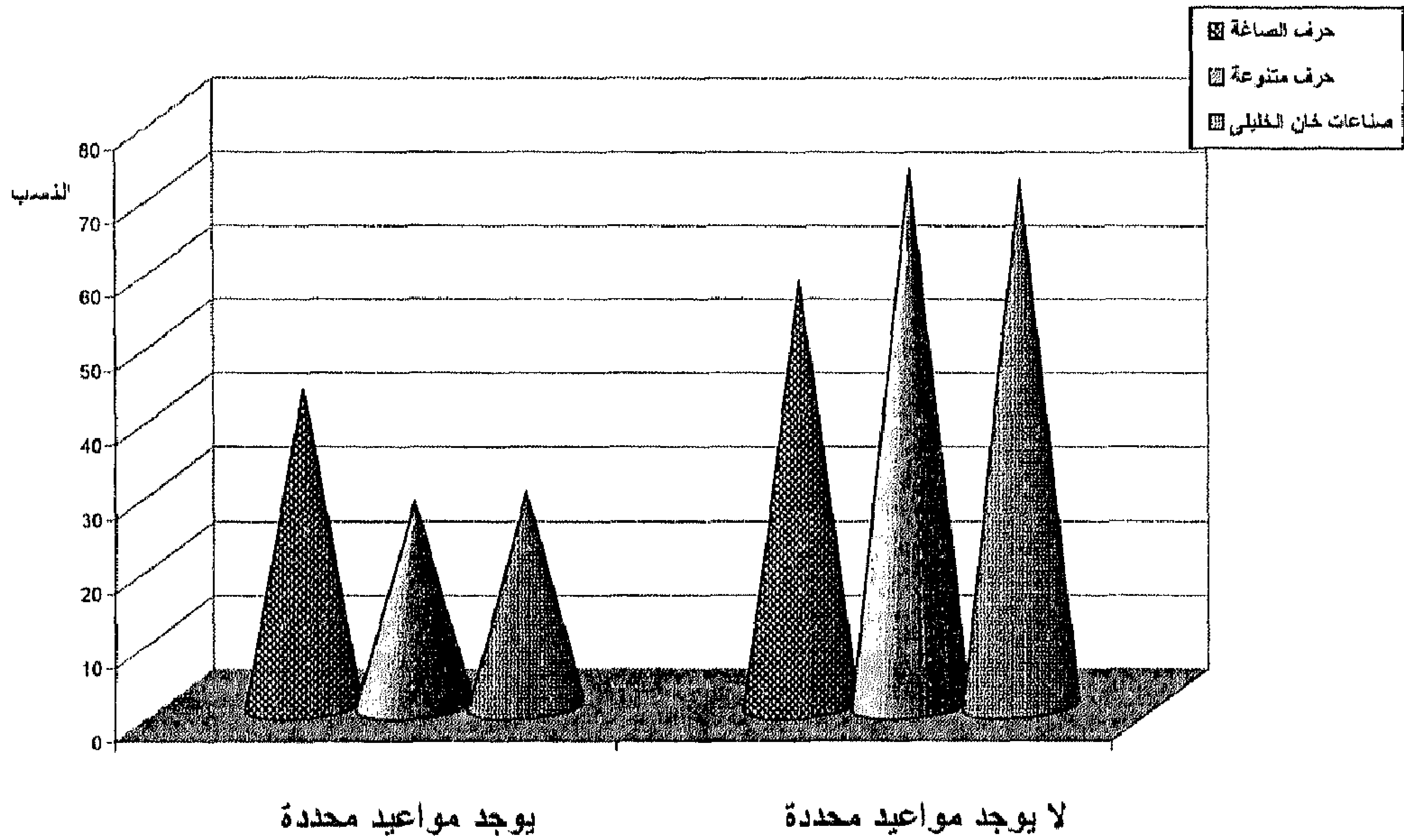
كما يتضح من النتائج المدونة فى الجدول رقم (٧-٧) أن حوالى ٦٥,٨% من الورش الحرفية لا يوجد بها مواعيد محددة لبدء العمل والانتهاء منه، وأن هناك مرونة عالية فى تحديد مواعيد العمل حسب ظروف العمل وظروف السوق والعمالة أيضاً. وترتفع هذه النسبة فى صناعات خان الخليلى وصناعات الشيش والألومنيوم بنسبة ٧١,١%، ٧٢,٥% على التوالى، بينما تنخفض عنها فى ورش الصاغة حيث تبلغ ٥٧,٤% وقد يرجع ذلك إلى ارتفاع القيمة المادية فى حرف الصاغة والحرص والخوف الشديد من قبل أصحاب الورش على قيمة الوقت.

جدول رقم (٧-٧)
مواعيد العمل بالورش الحرفية

الحرف / مواعيد العمل	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
توجد	٢٦	٤٢,٦	١٣	٢٨,٩	١١	٢٧,٥	٥٠	٣٤,٢
لا توجد	٣٥	٥٧,٤	٣٢	٧١,١	٢٩	٧٢,٥	٩٦	٦٥,٨
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠

كا^{٢} = ٣،٣ د.ح = ٢ غير دالة

بينما نجد أن حوالى ٣٤,٢% من إجمالى الورش هى التى تلتزم بمواعيد محددة وثابتة للبدء والانتهاء من العمل. والتى ترتفع فى حرف الصاغة نسبياً عنها فى صناعات خان الخليلى وكذلك صناعات الشيش والألومنيوم .ويتبين أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الحرف الثلاث فيما يتعلق بمرونة ساعات العمل، إذ تبلغ قيمة كا^{٢}= ٣،٣. ويتضح ذلك فى الشكل البيانى رقم (٦).



شكل رقم (٦)

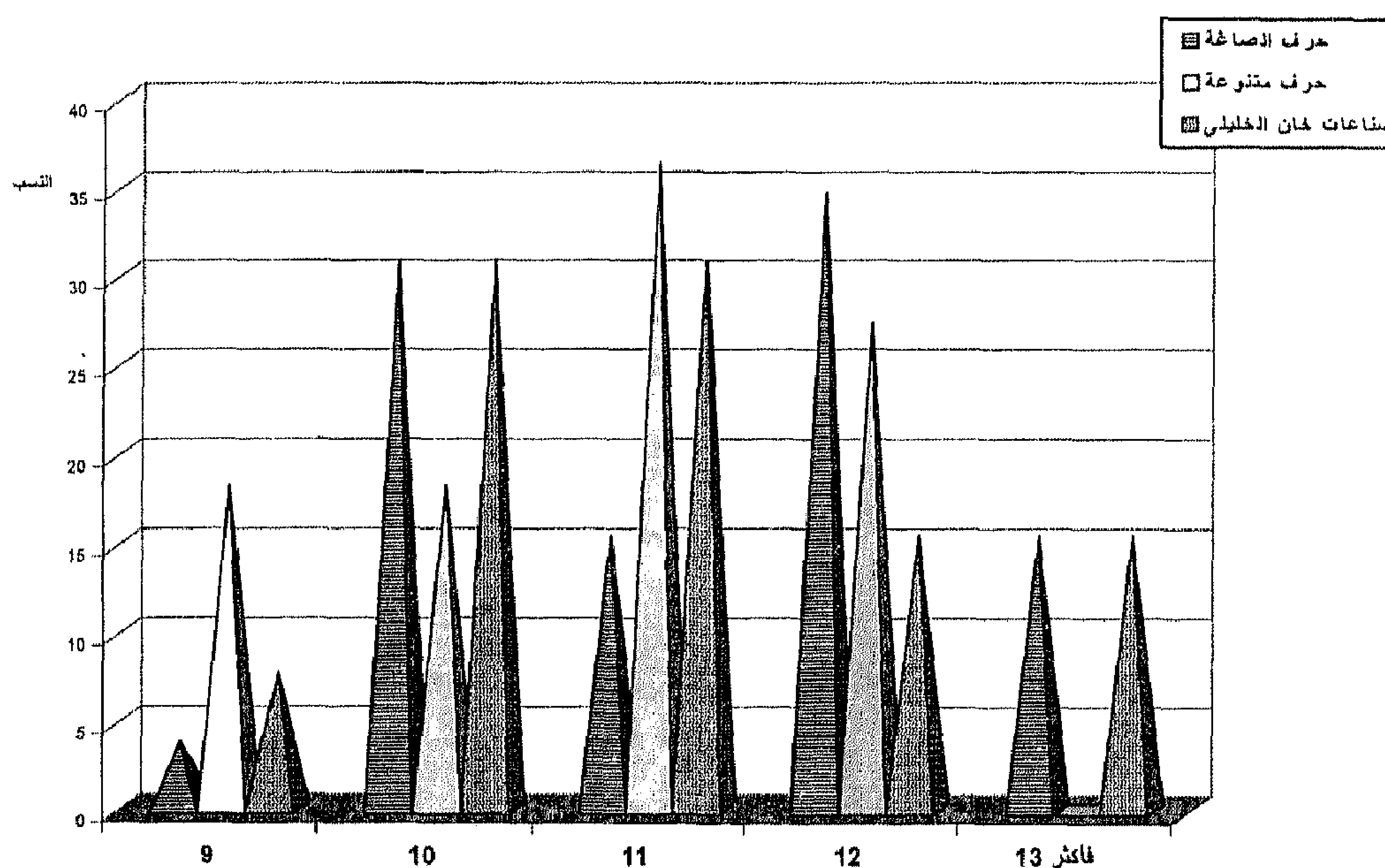
مواعيد بداية العمل والانتهاء منه فى الورش الحرفية

كمــا لا توجــد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الحرف فيما يتعلق بعدد ساعات العمل اليومى كما هو واضح فى الجدول رقم(٧-٨) حيث كانت جميع الــورش الحرفــية لا يقل العمل فيها عن تسع ساعات يومياً، ويصل حجم الورش الــتى تعمــل من ٩ إلى ١٢ ساعة يومياً إلى ٦٠% من إجمالى المنشآت الحرفية، بيــنما نجد أن ٤٠% من الورش تعمل ١٢ ساعة فأكثر يومياً. وتتركز تلك النسبة الــتى يزيد بها العمل عن ١٢ ساعة يومياً فى حرف الصاغة بصفة خاصة لتصل نسبتها إلى ٥٠%، ويمكن تفسير ذلك بأن طبيعة العمل نفسها فى خامة غالية الثمن، وتحــتاج إلــى المــتابعة والدقة باستمرار حيث إن الحرفى هنا يكون حريصاً جداً وشــديد الخــوف على المادة الخام التى يستعملها حتى إنه يقوم بالاحتفاظ بالبودرة الــناتجة عــن الصناعة ويقوم بوزنها، ولذلك فالعمل فى تلك الصناعات يحتاج إلى مهارة عالية ودقة فى العمل ولذلك يستغرق العمل وقتاً أطول، ويمكن توضيح ذلك فى الشكل البيانى رقم (٧).

جدول رقم (٧-٨)
عدد ساعات العمل في مجموعات الحرف المختلفة

الحرف / ساعات العمل اليومى	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
٩	١	٣,٨	١	٧,٧	٢	١٨,٢	٤	٨,٠
١٠	٨	٣٠,٨	٤	٣٠,٨	٢	١٨,٢	١٤	٢٨,٠
١١	٤	١٥,٤	٤	٣٠,٨	٤	٣٦,٥	١٢	٢٤,٠
١٢	٩	٣٤,٦	٢	١٥,٤	٣	٢٧,٣	١٤	٢٨,٠
١٣ فأكثر	٤	١٥,٤	٢	١٥,٤	—	—	٦	١٢,٠
الجملة	٢٦	١٠٠,٠	١٣	١٠٠,٠	١١	١٠٠,٠	٥٠	١٠٠,٠

كا^{2} = ١٤,٨ د.ح = ٨ غير دالة



شكل رقم (٧)
توزيع الورش حسب متوسط ساعات العمل اليومية

وقد أكدت إحدى الحالات التى تعمل فى صناعة الذهب على أهمية قيمة الوقت بالنسبة له، وضرورة الحرص عليه، وهى الحالة (أ-ح) حيث يذكر : "الوقت عندنا لـــه تمن الوقت بفلوس، وزى ماأهلينا ربونا الرزق بيجى بدرى، فلازم آجى شغلى

بدري وأبدأ الشغل من ١٠,٣٠ صباحاً ولحد الساعة ٩,٣٠ بالليل، يعنى ١١ ساعة يومياً".

وفى صناعات خان الخليلى تتباين حالات الدراسة فى تعريفها لقيمة وقت العمل، ففى الحالة (س-أ) التى تعمل فى صناعة الصدف تذكر : "توجد مواعيد للعمل أساسية ومعروفة من ١٠ ص إلى ٨ مساءاً، ولكنا لازم نلتزم بيها من نفسنا، ممكن واحد يجى بدرى وواحد يتأخر شوية فيمشى متأخر شوية بليل، وكده مفيش مشكلة".

ويعنى ذلك أن الأساس هنا فى الالتزام بمواعيد العمل هو وجود توقعات متبادلة بين الحرفيين وبعضهم داخل الورشة وبينهم وبين صاحب العمل، فكل منهم لديه توقعات لدى الآخر، تجعله يلتزم بالسلوك المفروض (الواجب) أن يلتزم به، وعن أوقات الفراغ تذكر الحالة ذاتها أنها غير محددة وغير معروفة، وتكون حسب ظروف العمل، وحسب ظروف كل واحد منهم، فيقول فى ذلك: "ممكن الواحد يكون فى إيده حتة شغل ميقدرش يسيبها إلا أما يخلصها وإحنا كتير ننسى نفسنا فى الشغل، ولا نتغدى ولا نريح ولا حاجة".

ويتضح من ذلك أن هناك مرونة عالية فى تحديد ساعات العمل أو مواعيد البدء والانتهاء منه، حسب الظروف الشخصية لكل حرفى؛ إذ أن طبيعة العمل تفرض على الحرفيين فى صناعات خان الخليلى بصفة خاصة ضرورة التكامل فيما بينهم، حيث يعتمد كل منهم على الآخر فى أداء مراحل العملية الإنتاجية، ومن ثم يتعامل جميعهم كأخوة أو أصدقاء حتى إن صاحب العمل يشارك بنفسه فى العملية الإنتاجية، كما أن الظروف الفيزيقية التى تتسم بها الورش فى تلك الصناعات كما ذكرنا سابقاً - من ضيق المكان وأداء بعض العمليات خارج الورشة - تسمح بزيادة التفاعل الاجتماعى وتقوية العلاقات الاجتماعية فيما بينهم.

ورغم ما تفرضه طبيعة العملية الإنتاجية من شدة التركيز والانتباه والدقة فى العمل، لاحظت الباحثة وجود قدر كبير من التداخل بين أوقات العمل والراحة، فقد أوضحت المشاهدات الميدانية أن الحرفيين يقومون بتناول الطعام داخل الورشة إضافة إلى الدردشة مع بعضهم البعض أو أداء الصلاة أثناء ساعات العمل اليومية.

وفى صناعات الشيش والألومنيوم؛ أوضحت المشاهدات الميدانية على خلاف ما جاء فى نتائج التحليل الكمى أنه نظراً لكبر حجم العمالة، وما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية من ضرورة الاهتمام بإنتاج كميات كبيرة الحجم، فكانت هناك صرامة شديدة وقسوة فى تحديد مواعيد العمل لضمان الالتزام بها من قبل العاملين

وعدم التراخي فى العمل ولضمان سير العملية الإنتاجية ومن ثم انخفضت معدلات المرونة إلى أدنى حد لها.

٣- تقسيم العمل والتكاملية فى أداء العمل :

وعن تقسيم العمل داخل الورشة أسفرت نتائج التحليل الكمى كما يتضح فى الجدول رقم (٧-٩) أن ٦٦,٩% من إجمالى حجم العينة البحثية التى يوجد بها عمالـــة والتى يبلغ حجمها ١١٨ منشأة يتم تقسيم العمل فيها بين العاملين حسب المهـــارة والخـــبرة الـــتى يتمـــتع بهـــا كل عامل، وقد كان هذا على مستوى المجموعـــات الحرفـــية الثلاث حيث إن حرف الدراسة هى حرف تقليدية تعتمد علـــى المهـــارة اليدوية ولها خصوصيتها وليست مجرد أعمال روتينية تخضع لمواصـــفات كمـــية كالصب أو عمل (الاستنبات)، إضافة إلى وجود ٢٢% من الـــورش الـــتى يوجـــد بها تقسيم للعمل وتوزيع الأدوار بين العاملين وبعضهم الـــبعض (بمعـــنى أن كل واحد يختص بإحدى مراحل العملية الإنتاجية ويكمله حـــرفى آخـــر أو أن يقوم كل منهم بنفس عمل الآخر مع تقسيم المهام وتحديد أدوار كـــل منهم)، وجاء تقسيم العمل بين العاملين فى الصناعات الحرفية لمنع إثارة المشاكل بينهم بنسبة ٨,٥% من إجمالى الورش التى يوجد بها عمالة فى العينة البحثية، مما يعكس قوة العلاقات الإنسانية بين العاملين داخل بيئة العمل حيـــث ما تفرضه طبيعة العمل الحرفى من ضرورة التكامل بين أداء الحرفيين وبعضـــهم البعض، وكذلك علاقات الوجه للوجه التى تدعمها الظروف الفيزيقية للورشـــة حيـــث ضـــيق المكـــان وزيادة حدة التفاعل الاجتماعى بين العاملين وبعضـــهم البعض، وبينهم وبين غيرهم من أفراد المجتمع المحلى، ويزداد هذا بدرجـــة ملحوظـــة فـــى صناعات خان الخليلى بنسبة ١٤,٣% عنها فى حرف الصاغة وصناعات الشيش والألومنيوم حيث بلغت نسبتها فى كل منها ٥,٨%، ٧,٩% على التوالى.

وكمـــا ذكـــرنا فـــى الفصـــل الســـابق، أن صناعات خان الخليلى كانت أكثر الصـــناعات التى تفرض طبيعة العملية الإنتاجية فيها ضرورة تكاملية الأدوار بين العامليـــن وبعضهم البعض إضافة إلى علاقات الوجه للوجه، ومن ثم يزداد التكامل والتفاعل بين العاملين وبعضهم البعض برغم وجود ارتفاع ملحوظ فى تقسيم العمل فـــى تلـــك المجموعة سواء حسب المهارة والشطارة التى يتمتع بها الحرفى وذلك بنسبة ٤٦,٤%، أم تقسيم العمل بينهم وبين بعضهم بنسبة ٣٢,١%.

ومــن ثــم فــإن تقسيم العمل على أساس المهارة والتخصصية ضرورى فى صــناعات خــان الخلــيلى، حيث إن كل صنعة من تلك الصناعات تمر بعدد من المــراحل الــتى تتطلب مهارة خاصة، وتتطلب خبرة ومعرفة بأسرار المهنة. وقد عــبرت عن ذلك العديد من حالات الدراسة، ومن ذلك قول الحالة : (س–ع) التى يعمــل صــاحبها فى صناعة السبح حيث يذهب قائلا: "المخرطة دة حاجة صعبة، ومــش أى حــد يقدر يقعد عليها إلا بعد طول خبرة وممارسة، وعشان كدة أنا ما أسيبش الشغل لأى حد إلا أما أكون واثق من خبرته وشطارته".

جدول رقم (٧–٩)
تقسيم العمل وتوزيع الأدوار فى الورش التى بها عمالة

الحرف / تقسيم العمل وتوزيع الأدوار	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
كل صنايعى يكون مسئول عن حاجة يكون شاطر فيها	٣٥	٦٧,٣	١٣	٤٦,٤	٣١٤	٨١,٦	٧٩	٦٦,٩
كلهم بيشتغلوا مع بعض علشان يتعلموا من بعض	١٣	٢٥,٠	٩	٣٢,١	٤	١٠,٥	٢٦	٢٢,٠
بقسم الشغل عليهم منعا للمشاكل	٣	٥,٨	٤	١٤,٣	٣	٧,٩	١٠	٨,٥
أخرى	١	١,٩	٢	٧,١	–	–	٣	٢,٥
الجملة	٥٢	١٠٠,٠	٢٨	١٠٠,٠	٣٨	١٠٠,٠	١١٨	١٠٠,٠

أمــا عــن معايير تقسيم العمل فى حرف الصاغة، فقد أسفرت نتائج الدراسة الكمــية عــن وجود ٦٧,٣% من إجمالى الورش يتم تقسيم العمل فيها على أساس الخــبرة والشــطارة فى العمل، فى مقابل ٢٥% يتم تقسيم العمل فيها بين العاملين وبعضــهم الــبعض، فيخــتص (صاحب الورشة) غالباً بأدق وأكثر مراحل العملية الإنتاجــية الــتى تتطلــب مهارة عالية، بينما يقوم بتحديد مهام باقى العاملين الذين يقومون بتلميع المنتج وتركيب الفصوص مثلاً، وغيرها من العمليات البسيطة التى لا تحتاج إلى مهارة عالية.

وقــد عبرت بعض حالات الدراسة عن ذلك، ومن ذلك قول الحالة (م–س) ويعمل صاحبها فى صناعة الفضة "عندى ٣ صنايعية بوزع الشغل عليهم، كل

يـوم عشـان كل واحد يبقى عارف هو حيعمل ايه، وكلهم بيشتغلوا فى حاجة واحدة زى بعض مثلاً لو بعمل آية قرآنية الكل بيكون شغال فيها لحد ما نخلص الطـريحة اللـى عاوزينها". ويقصد هنا صاحب الحالة أنه يقوم بعمل التشكيل المـبدئى للمنـتج وتحديـد الشكل، ثم يجعل العاملين يقومون بعمليات التفريغ والتشطيب النهائى.

وعـن صناعة الذهب، فكان صاحب العمل هو الأساس فى الصنعة حيث يقوم بكل مراحل العملية الإنتاجية التى تتطلب مهارة وخبرة، وإذا لم يوجد عاملون يقوم هـو بكل مراحل العمل من الصهر - فالتشكيل - فالنقش - فالتلميع - فالمراجعة ... إلـخ. ونسـتنتج مـن ذلك أن تقسيم العمل فى حرف الصاغة لا يشكل أهمية كـبرى؛ نظراً لما تتطلبه الصنعة من مهارات عالية والتى تعبر عن إبداع الحرفى ذاته، كما أن صاحب العمل يضطلع بمختلف مراحل العملية الإنتاجية؛ إذ أنه يكون فـى حالة خوف شديد نتيجة لارتفاع القيمة المادية للخام المستخدم فى الإنتاج، فهو لا يثق فى أى عامل معه.

بيـنما يشكل تقسيم العمل وتوزيع الأدوار ضرورة مهمة فى صناعة الفضة؛ لأنـه يعـتمد على إنتاج كميات كبيرة والتى لابد فيها من وجود عاملين يتم توزيع العمل بينهم، حسب المهارة أو الخبرة لكل منهم.

وفـى صناعات الشيش والألومنيوم، ترتفع بدرجة ملحوظة نسبة تقسيم العمل حسـب الخـبرة والشـطارة لتصل نسبتها إلى ٨١,٦%، بينما تنخفض نسبة تقسيم العمـل بين العاملين وبعضهم والذى يحمل معنى (توزيع الأدوار بحيث يكون كل منهم مكملا للآخر) بنسبة ١٠,٥% من إجمالى ورش الشيش والألومنيوم التى يوجد بهـا عمالة، وقد يرجع ذلك إلى ارتفاع قيمة الخبرة وطول فترة الممارسة فى تلك الـورش، وقد أكدت على هذا حالات الدراسة، فقد ذكرت الحالة (أ-ج) التى يعمل صاحبها فى صناعة الألومنيوم أنه يحدد لكل عامل دوره حسب خبرته، فهناك الذى يقوم بالقص (المقص)، وآخر يقوم بعملية التشيكل من خلال مكن الخراطة، وثالث يخـتص بالتلميع والتشطيب النهائى، وهكذا. وعلى الرغم من ذلك فإن تقسيم العمل فـى تلك الصناعات لا يتعدى معنى توزيع الأدوار أو تقسيم العمل البسيط الذى لا يعـتمد على التخصصية والمهارة؛ إذ يكون الحرفى فى الصنعة منذ الصغر فيتعلم كـل مـراحل العملية الإنتاجية بها ومن ثم فإذا غاب أحد العاملين في الورشة فإنه يمكن لأى حرفى القيام بعمله. كما كان هناك تخصصية واضحة أيضاً وتقسيم عمل

بيـــن العاملين فى صناعات الشيش، فكل عامل له دوره المحدد الذى يقوم به. وفى تلـــك الصـــناعات يقتصـــر دور صاحب العمل على توزيع الأدوار وتحديد المهام والإشـــراف والمراقـــبة على سير العملية الإنتاجية فقط، دون المشاركة فى العملية الإنتاجية إلا فى أضيق الحدود.

ومـــن ثم تفرض طبيعة العمل فى تلك الأنشطة الحرفية ضرورة تقسيم العمل بيـــن العامليـــن داخـــل بيئة العمل؛ نظراً لكبر حجم العمالة، وتعدد مراحل العملية الانتاجية، مما يسهم فى التقليل من حدة المشاكل والصراعات بين العاملين، ونظراً لمـــا تلعبه الخبرة والتوارث المهنى من دور كبير فى ارتفاع مكانة الحرفى فإنه يتم تقســـيم العمـــل حسب الخبرة والمهارة التى يتمتع بها الحرفى، وذلك لضمان سير العملية الإنتاجية وتحقيق أهداف الإنتاج.

٤- أسلوب إدارة العمل (أساليب الثواب والعقاب):

فـــى الدراســـة الراهـــنة حاولت الباحثة الكشف عن أساليب الثواب والعقاب المتـــبعة فـــى الحرف والصناعات التقليدية من خلال محاولة الإجابة على التساؤل الآتى :

- إلـــى أى مـــدى تتبايـــن أساليب الثواب والعقاب داخل البيئة التنظيمية للعمل الحرفى بين مجموعات الحرف؟ وما تأثير ذلك على نوعية حياة العمل فى كل مجموعة حرفية؟

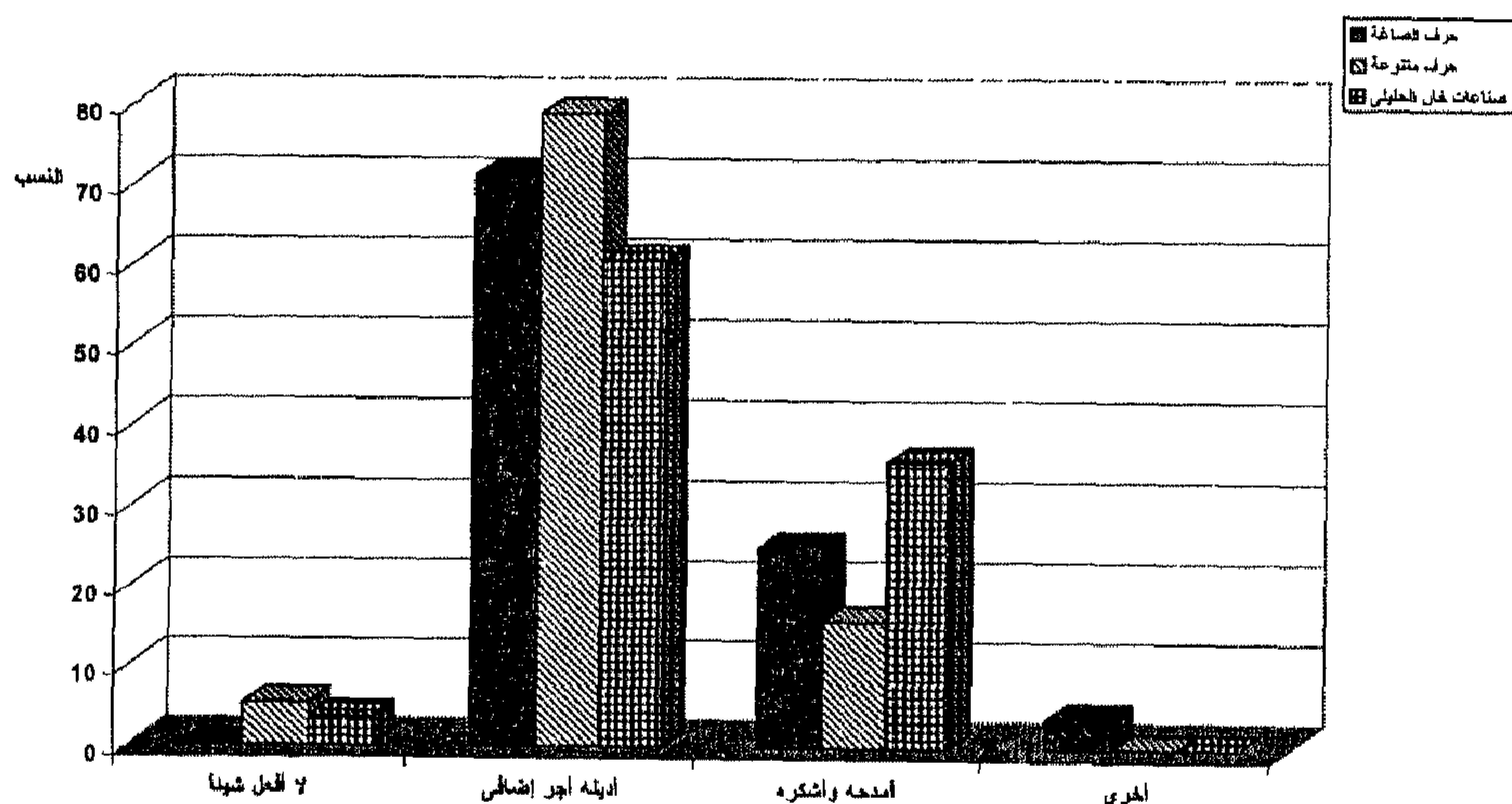
وقد أسفرت نتائج التحليل الكمى للدراسة الميدانية، كما يتضح فى الجدول رقم (٧-١٠) عن تعدد أساليب الثواب المتبعة داخل الورش الحرفية، وجاء إعطاء أجر إضـــافى فـــى المرتـــبة الأولى من الأساليب المستخدمة للثواب بنسبة ٧١,٢% من إجمـــالى الورش التى بها عمالة والتى بلغ حجمها ١١٨ منشأة حرفية. ويليها المدح والشـــكر الـــذى بلغت نسبته ٢٤,٦%، وجاءت أساليب أخرى بنسبة ١,٧% والتى تمثلـــت فـــى إعطاء مكافأة مادية أو شراء غداء لجميع العاملين، وهى نسبة ضئيلة وقـــد تركـــزت كمـــا هو ملاحظ فى حرف الصاغة فقط. بينماجاء اتباع الأسلوب الســـلبى (عدم فعل شىء) بنسبة ٢,٥% من اجمالى حجم الورش فى العينة البحثية الـــتى بهـــا عمالة وقد تركزت فى صناعات الشيش والألومنيوم بدرجة أكبر بنسبة ٥,٣%، وفـــى صـــناعات خان الخليلى بنسبة ٣,٦% بينما انعدم هذا الأسلوب فى حرف الصاغة تماماً كما يتضح ذلك فى الشكل رقم (٨).

جدول رقم (٧-١٠)
أساليب الثواب التي يستخدمها أصحاب الورش

الحرف / أساليب الثواب	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
يعطى أجر إضافى	٣٧	٧١,٢	١٧	٦٠,٧	٣٠	٧٨,٩	٨٤	٧١,٢
أمدحه وأشكره	١٣	٢٥,٠	١٠	٣٥,٧	٦	١٥,٨	٢٩	٢٤,٦
لا أفعل شيئاً	٠	٠	١	٣,٦	٢	٥,٣	٣	٢,٥
أخرى	٢	٣,٨	–	–	–	–	٢	١,٧
الجملة	٥٢	١٠٠,٠	٢٨	١٠٠,٠	٣٨	١٠٠,٠	١١٨	١٠٠,٠

وقــد أكدت نتائج دراسة الحالة، على أن زيادة الأجر المادى أو المكافأة المادية لا تســتخدم بكـثرة فــى أســاليب إثابة العامل، وإنما كان المدح والإطراء هو من أكثر الأساليب المتبعة فى إثابة العامل، مثل : "تسلم إيدك أو الله ينور عليك أو الله يفتح عليك ... هكذا". وكان ذلك أكثر وضوحاً وانتشاراً فى صناعات خان الخليلى، بصفة خاصة.

أمــا فــى حــرف الصــاغة، فيتنوع الثواب بين أسلوب المدح والإطراء أحياناً، وأســلوب المكافأة المادية وزيادة الأجر اليومى أحياناً أخرى، خاصة فى صناعة الذهب عــندما يقــوم الحــرفى بعمــل متميز يعبر عن قدراته الإبداعية، حتى إن أحد حالات الدراسة ذكر أنه يقوم بإعطاء الحرفى نسبة من قيمة المنتج الذى قام بصنعه هو بنفسه، لكى يشعر بتميزه وقيمة ما قام بعمله (ولكن كانت هذه حالات نادرة ومحدودة).



شكل رقم (٨)
أساليب الثواب المستخدمة داخل الورشة

وفـــى صـــناعات الشيش والألومنيوم تذكر الحالة (أ–ح) ما يلى: "الصنايعى يكـــون كويـــس، لمـــا يلتزم بمواعيده، ويسمع كلامى، ويعمل الحاجة صح وعلى أصولها، إزاى حشكره على الحاجة اللى المفروض يعملها".

يتبيـــن من ذلك أنه فى صناعات الشيش والألومنيوم لا يتطلب العمل مهارة أو إبداعـــاً خاصـــاً، وإنمـــا يتم العمل على وتيرة واحدة وحسب نظام وأسلوب روتينى محـــدد، ولذلك فإن العامل فى تلك الحرف عندما يقوم بسلوك جيد، فإنه يقوم بما هو مفـــروض علـــيه أن يقوم به، ولذلك فإن أساليب الثواب تأتى فى مقدمتها (عدم فعل شـــىء) فى تلك الصناعات كما أكدت حالات الدراسة الميدانية للباحثة، وتليها المكافأة الماديـــة وذلك فى حالة إنجاز عمل إضافى غير المحدد له أو المفروض عليه عمله، أو الـــزيادة على ساعات العمل المتعارف عليها، وتستخدم كنوع من الإثابة لتشجيعه وعدم مساواته بغيره.

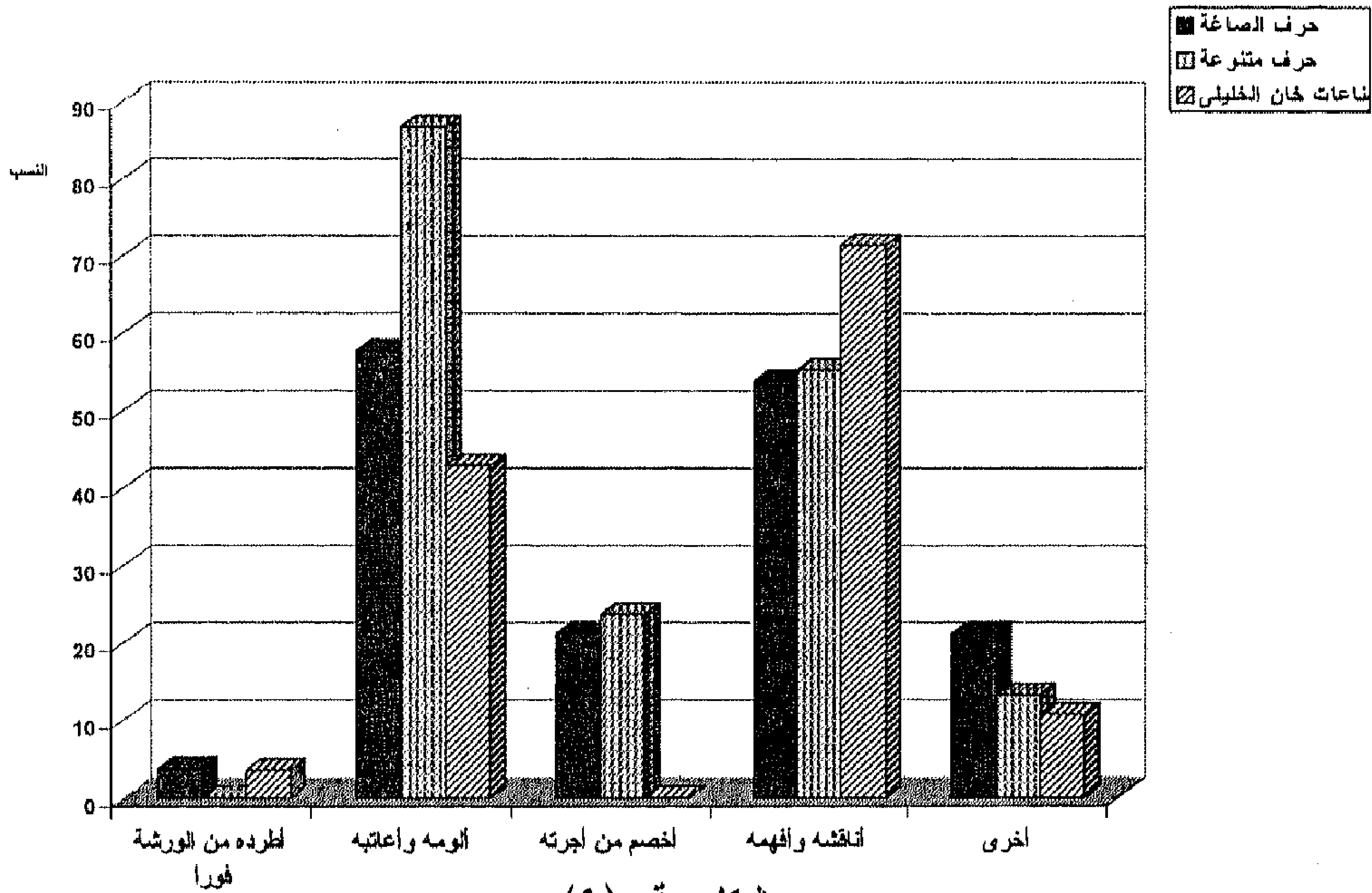
وهكـــذا، تعد أساليب الثواب – مع تعددها وتنوعها – بمثابة أحد الميكانيزمات الـــتى تدفـــع الحرفى إلى مزيد من الصبر وبذل الجهد فى العمل، من أجل الشعور بالفخـــر والتمـــيز بين زملاء العمل، مما يسهم فى إزدياد معدلات الرضا والاشباع الذاتى لدى الحرفى الممارس للعمل.

أمـــا عن أساليب العقاب، فهى تتدرج كما هو واضح من استقراء معطيات الجـــدول رقـــم (٧–١١) بيـــن اللوم والعتاب بنسبة ٦٣,٦% من إجمالى حجم الورش التى يوجد بها عمالة حرفية، والتى تزداد بدرجة ملحوظة فى صناعات الشيش والألومنيوم لتصل إلى ٨٦,٨%، تليها حرف الصاغة بنسبة ٥٧,٧%، ثم تـــأتى صـــناعات خان الخليلى بنسبة ٤٢,٩%، وتأتى المناقشة وفهم الخطأ فى المرتـــبة الثانية بنسبة ٥٨,٥% من إجمالى حجم العينة، والتى تصل إلى أعلى مســـتوياتها فـــى صناعات خان الخليلى بنسبة ٧١,٤% تليها صناعات الشيش والألومنيوم وحرف الصاغة بنسب متقاربة إلى حد ما وهى ٥٥,٣%، ٥٣,٨% على التوالى.

جدول رقم (٧-١١)
أساليب العقاب التي يستخدمها أصحاب الورش

الحرف / أساليب العقاب	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الطرد من الورشة	٢	٣,٨	١	٣,٦	-	-	٣	٢,٥
اللوم والعتاب	٣٠	٥٧,٧	١٢	٤٢,٩	٣٣	٨٦,٨	٧٥	٦٣,٦
خصم الأجر اليومي	١١	٢١,٢	-	-	٩	٢٣,٧	٢٠	١٦,٩
المناقشة وفهم الخطأ	٢٨	٥٣,٨	٢٠	٧١,٤	٢١	٥٥,٣	٦٩	٥٨,٨
أخرى	١١	٢١,٢	٣	١٠,٧	٥	١٣,٢	١٩	١٦,١
الجملة	٥٢		٢٨		٣٨		١١٨	

ومن ثم نجد ارتفاع نسبة أساليب العقاب التى تتمثل فى (اللوم والعتاب، وكذلك المناقشة وتوضيح الخطأ) فى مختلف أنماط الحرف التقليدية (موضع الدراسة)، مما يعكس قوة العلاقات الاجتماعية - بين صاحب العمل مع الحرفى الممارس للعمل - الناجمة عن قوة ارتباط الحرفى بالورشة، مما يدعم الشعور بالرضا والاستقرار والشعور بالأمان فى العمل الحرفى ومن ثم تحسن نوعية حياة العمل. ويدعم ذلك انخفاض نسبة الاتجاه إلى الخصم من الأجر اليومى للحرفى لتصل إلى ١٦,٩% من إجمالى حجم الورش التى بها عمالة حرفية كما عبرت حالات الدراسة استخدام عن بعض أساليب العقاب الأخرى كأن يكون العقاب، حيث ذكر بعضهم أن العقاب يكون حسب نوع الخطأ، أو استخدام الضرب كوسيلة للعقاب، ... وغيرها، وذلك بنسبة ١٦% تقريباً. أما عن الطرد من الورشة فجاء فى أدنى مراتب الأساليب المتبعة للعقاب بنسبة ٢,٥% من إجمالى حجم الورش. والتى فى تركزت حرف الصاغة وصناعات خان الخليلى بنسب متقاربة تصل إلى ٣,٨%، ٣,٦% على التوالى، بينما انعدم هذا الأسلوب تماماً فى حرف المجموعة الثالثة؛ نظراً لما تتطلبه تلك الصناعات من عمالة كبيرة الحجم لذلك من الصعب الاستغناء عن العمال فيها؛ لأن هذا يؤثر على سير العملية الإنتاجية، وقد يلجأ إلى تلك الطريقة صاحب العمل عندما يتكرر غياب العامل عن العمل أو يقوم بارتكاب خطأ كبير لا يمكن التسامح معه. ويتضح ذلك بالنظر إلى الشكل البيانى رقم (٩).



شكل رقم (٩)

أساليب العقاب المستخدمة داخل الورشة

وفى صناعات الشيش والألومنيوم يتبين انعدام أسلوب الطرد من الورشة كأحد أساليب العقاب المستخدمة بينما يتم استخدام الشدة والقسوة فى التعامل مع العاملين وأحياناً التهديد بالطرد ولكن لا يتم للجوء إلى ذلك؛ نظراً للحاجة الدائمة إلى العمالة وتكون الشدة هى الأسلوب المتبع لحفظ النظام فى العمل، وضمان سير العملية الإنتاجية وعدم الإهمال والتراخى من جانب العاملين.

وعبرت عن ذلك الحالة (أ-أ) التى يعمل صاحبها فى صناعة الشيش عن ذلك قائلاً "لو واحد عمل غلط أو اتأخر شوية عن معاده ممكن أفوت، لو كررها من غير عذر أخصم منه يوميته عشان ميكررهاش، ولو جانى على الضهر مثلاً أقوله روح وتعال بكرة مش عاوزك، لازم أبقى شديد معاهم عشان محدش يدلع ويفتكر انى حفوت، وأما واحد يزيد فى الغلط، وميسمعش كلامى ممكن أهزقه ومدلوش وش".

أما عن صناعات خان الخليلى، فقد ظهرت فيها قوة ارتباط الحرفى بالورشة والمحافظة على حميمية العلاقات، كما تعكسها ارتفاع نسبة اللوم والعقاب وكذلك المناقشة والفهم فى أساليب العقاب المستخدمة فى مقابل انعدام اللجوء إلى أسلوب الخصم من الأجر اليومى وانخفاض معدلات الطرد من الورشة، مما يؤكد قوة العلاقات الاجتماعية بين الحرفيين وبعضهم البعض وبينهم وبين صاحب العمل،

الـــذى يشـــارك العامليـــن فـــى العملية الإنتاجية؛ نظراً لما تفرضه طبيعة العملية الإنتاجية فى صناعات تلك المجموعة من ضرورة المشاركة بين العاملين وتكاملية الأدوار فـــيما بيـــنهم ونذكـــر فى ذلك قول الحالة (س-أ) حيث تعمل فى صناعة الصـــدف، بقولهـــا : "احنا كلنا اخوات فى الورشة، كل واحد عارف شغله كويس، لكـــن لوحـــد غلط بناقشه وبفهمه وأعلمه وده لازم، ولو حسيت إن قلبه مش على الشغل وملوش فيه، أسيبه وأستغنى عنه".

وفـــى حـــرف الصـــاغة، كما اتضح من معطيات الجدول رقم (٧-١١) تدرجت أســـاليب العقاب بدءاً من اللوم والعقاب بنسبة ٥٧,٧%، تليها المناقشة وفهم الخطأ بنسبة ٥٣,٨%، ثـــم يـــأتى الخصم من الأجر اليومى بنسبة ٢١,٢%، وأخيراً يأتى الطرد من الورشـــة بنســـبة ٣,٨%، ويكـــون العقاب فى حرف الصاغة حسب نمط الخطأ الذى يرتكبه الحرفى؛ نظراً لما تتطلبه الصنعة من مهارة وقدرات إبداعية وابتكارية للحرفى، إضـــافة إلـــى ارتفـــاع القيمة المادية للمادة الخام، وارتفاع نسبة المناقشة والفهم، واللوم والعـــتاب مما يعكس قوة العلاقات الاجتماعية بين صاحب العمل والعاملين، مما يسهم فـــى زيـــادة شعور الحرفى بالرضا والشعور بالاستقرار الذاتى فى العمل، كما تعد تلك الأســـاليب فى حرف الصاغة بمثابة ميكانيزمات تسهم فى تنمية القدرات الذاتية للحرفى حيث التعلم من الآخرين واكتساب المزيد من الخبرات.

٥- أشكال علاقات العمل :

تتـــناول الدراســـة الراهنة، علاقات العمل بين صاحب العمل (كوحدة أساسية للدراسة) والصناع (الحرفيين) وذلك على مستويين أساسيين هما :

- العلاقات بين صاحب الورشة والصناع داخل بيئة العمل (الورشة).
- العلاقات بين صاحب الورشة والصناع خارج بيئة العمل (المجتمع المحلى).

وذلـــك نظراً لما تلعبه تلك العلاقات من دور هام فى تشكل نوعية حياة العمل لـــدى الحرفى الممارس للعمل، ومعدلات الرضا فى مقابل عدم الرضا عن العمل. ويتـــناول البحـــث الراهـــن هذا المؤشر كبعد تنظيمي يسهم فى تشكل نوعية حياة العمـــل، مـــع محاولة توضيح الفروق بين مجموعات الحرف المتباينة وتأثير ذلك على معدلات الرضا عن العمل.

- العلاقات بين صاحب الورشة والصناع داخل العمل :

أسفرت نتائج الدراسة الميدانية المدونة فى الجدول رقم (٧-١٢) أن العلاقات بيـــن صاحب العمل والصناع لا تقتصر على علاقات العمل فحسب، وإنما تتخللها العديـــد مـــن أشكال العلاقات الأخرى التى تؤكد على قوة العلاقات الاجتماعية بين

صاحب الورشة والصناع، حيث نجد حوالى ٨٣,١% من إجمالى العينة البحثية تؤكد على تناول الأطعمة مع بعضهم البعض داخل الورشة، وكذلك المساعدة فى حالة تعرض أحد الصناع لأزمة مالية وذلك بنسبة ٦٠,٢%، إضافة إلى المساعدة فى حالة الشعور بالتعب والإرهاق بنسبة ٥٠,٨% وهى كلها نسب كبيرة تؤكد فى مجملها شدة القرب والتفاعل الشديد بين صاحب العمل والصناع العاملين معه.

وقد أكدت المشاهدات الميدانية على ذلك، فقد كان صاحب العمل يشارك فى أداء العملية الإنتاجية، ويشارك العاملين فى تناول الطعام، فكانت العلاقة يسودها التعاون والمحبة مع الاحتفاظ بالاحترام الشديد والطاعة لصاحب العمل. وتزداد تلك العلاقة عندما تربط الصناع صلة قرابة مع صاحب العمل، أو يعملون معه منذ فترة طويلة للغاية أى إذا كان الصانع قد تربى ونشأ منذ صغره فى الورشة، فهنا يشعر أن صاحب العمل بمثابة ولى أمره الذى يحبه ويحترمه ويلتزم بالطاعة له، وكذلك صاحب العمل يشعر بمسئوليته تجاه هذا الحرفى الذى يعتبره كابنه، ويكون مسئولاً عنه فى كل ما يحتاجه، وذلك على مستوى المجموعات الحرفية الثلاث.

جدول رقم (٧-١٢)
أشكال العلاقات بين صاحب العمل والصناع داخل الورشة

الحرف / أشكال العلاقات	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ناكل دايماً مع بعض أثناء الشغل	٤١	٧٨,٨	٢٣	٨٢,١	٣٤	٨٩,٥	٩٨	٨٣,١
لو واحد تعب بنقوم بشغله ونريحه	٢١	٤٠,٤	١٠	٣٥,٧	٢٩	٧٦,٣	٦٠	٥٠,٨
نتكلم وندردش مع بعض	٧	١٣,٥	٨	٢٨,٦	٢	٥,٣	١٧	١٤,٤
لو واحد حصلت له أزمة مالية، أساعده	٢٩	٥٥,٨	١٥	٥٣,٦	٢٧	٧١,١	٧١	٦٠,٢
أخرى	٢٢	٤٢,٣	٥	١٧,٩	٣	٧,٩	٣٠	٢٥,٤
الجملة	٥٢		٢٨		٣٨		١١٨	

وقد عبرت عن ذلك الغالبية العظمى من حالات الدراسة، ففى صناعات خان الخليلى تذكر الحالة (س-أ): "إحنا كل يوم لازم نصبح على بعض، وبعد كدة نجيب فطار ونفطر سوى، ولو واحد تعب لازم نخفف عنه، ونقوم بشغله، وكل واحد عارف شغله، زى ما هو يدينى حقى، ده حقه على".

كمـا ذكرت الحالة (أ-أ) إحدى حالات صناعة الشيش ما يلى : "لما نتعب فى الشغل نجيب غدا ونآكل سوى، دول كلهم زى ولادى واتربوا معايا فى الورشة من صغرهم، ولو واحد تعب لازم استحمله واستنى لما يخف ويبجى الشغل، أنا عندى ضمير، وكمان لازم أشوف طلبات بيته وولاده وجمعته توصل لحد عنده".

بيـنما أوضحت نتائج الدراسة الميدانية انخفاض معدلات المشاركة فى الكلام والدردشـة أثـناء العمـل حيـث بلغـت ١٤,٤% من إجمالى حجم العينة، إلا أن المشـاهدات الميدانـية أظهرت وجود قدر كبير من المشاركة فى تبادل الأحاديث والدردشـة أثـناء العمـل وخاصة بين صاحب العمل والصناع وبدرجة كبيرة فى صـناعات خـان الخلـيلى وذلـك بنسبة ٢٨,٦% حيث ما تفرضه طبيعة العملية الانتاجـية من تكامليه الأدوار، فكل عامل يعتمد على الآخر فيما يقوم به من عمل إضافة إلى مشاركة صاحب العمل للصناع فى جميع مراحل العملية الإنتاجية.

وانخفضـت مشاركة صاحب العمل للصناع العاملين معه فى تبادل الأحاديث العامـة فـى صناعات الشيش والألومنيوم إلى أدنى حد حتى تكاد تكون معدومة وذلك بنسبة ٥,٣% وتبدو العلاقة بينهم رسمية إلى أبعد حد ممكن؛ نظراً لكبر حجم العمالة، وما يتبعه صاحب العمل فى تلك الصناعات من الشدة والقسوة فى التعامل مـع الصـناع للحفـاظ على سير العملية الإنتاجية وضبط سلوك العاملين، كما أن صاحب العمل لا يشارك فى العملية الإنتاجية وإنما يكتفى بالإشراف والمراقبة على أداء العمل .

كما كان تبادل الأحاديث بين صاحب العمل والحرفيين فى حرف الصاغة فى أضـيق الحـدود وتقتصر على أوقات الراحة حيث بلغت ١٣,٥%؛ نظراً لارتفاع قـيمة الوقـت والحرص على استغلال الوقت فى عمليات الإنتاج إضافة إلى الدقة العالية وشدة التركيز الذى تتطلبه الصنعة.

ونسـتنتج مـن ذلـك، سـيادة مـناخ من العلاقات الإنسانية فى مكان العمل (الورشـة)، فالورشـة ليست مكاناً للعمل فحسب، وإنما هى مكان لتبادل العلاقات الاجتماعية أيضاً، والتفاعل الاجتماعى مع الآخرين .

- العلاقات بين صاحب العمل والصناع خارج العمل:

أوضـحت نتائج الدراسة الميدانية أن العلاقات بين صاحب العمل والصناع لا تنحصـر داخـل بيـئة العمـل، وإنما تمتد إلى أكثر من ذلك، حيث تتعدد أشكال العلاقات الإنسانية التى يسودها المحبة والانتماء بين صاحب العمل والصناع خارج

مجال العمل، مثلما هو الحال فى حالة حدوث أزمة صحية لأحد الصناع وعدم قدرته على العمل، وكذلك المشاركة فى المناسبات الاجتماعية للصناع كالوفاة أو الفرح أو الولادة أو غيرها، والمشاركة فى الرحلات الاجتماعية، وقضاء الإجازات. وهو ما نتناوله بالتفصيل فى الفصل التالى؛ نظراً لتركز هذا الفصل على نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل فقط، بينما يتسع المجال فى الفصل القادم لتناول نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل.

ثالثاً: المستوى الثقافى Cultural Level :

تشير الثقافة الحرفية إلى: السلوك والمعايير والقيم والأخلاقيات المتفق عليها داخل جماعة الحرفيين والتى تكونت وتطورت عبر السنين، وقد ذهب ريتشارد ف. هاملتون Richard F. Hamilton من خلال مناقشاته حول سلوك وقيم العمل عند العمال المهرة والعلاقات التى تربط بينهم، إلى أن الثقافة الحرفية هى التى أكسبت الحرفيين الإحساس بالاندماجية والارتباط القوى بالعمل وإحساسهم بالاستقلالية الذاتية وأن مرجع هذا إلى عامل التوارث والتنشئة الحرفية، فقد تربى هؤلاء الحرفيون على معايير حرفية تحقق لهم الاستقلالية والحرية فى أداء العمل، إضافة إلى أن الثقافة الحرفية تكسب الحرفيين إحساساً بروح الجماعة من خلال المعايير الاجتماعية ومعايير وعلاقات العمل (اعتماد علام، ١٩٩١: ١٤٢، ١٥٩، ١٦٠).

وكما يذهب ميلز Mills فيما يتعلق بخصائص الحرفية (١٩٥١م) أن عمل الحرفى لا ينفصل عن حياته الاجتماعية، بل إن الإشباع الذاتى والاستقرار النفسى الذى يحصل عليه الحرفى الممارس للعمل يسهم بلا شك فى الشعور بالرضا والإشباع التام فى حياته ككل.

ويعنى ذلك أن نوعية حياة الحرفى هى تعبير أساسى عن نوعية حياته داخل مجال العمل، ويتفق هذا مع الدراسة التى قام بها سيرجى Sirgy (٢٠٠١م) حيث أكد على أن الرضا عن العمل وإشباع الحاجات المختلفة، ينعكس على تحقيق الرضا فى مجالات الحياة الأخرى (الأسرة، البيئة، الأصدقاء، الزواج، الجيرة، الدخل، ... وغيرها) ومن ثم ينعكس ذلك على الشعور بالرضا عن الحياة ككل كما تبين سابقاً فى الفصل الثالث.

وفى الدراسة الراهنة، تشير الثقافة الحرفية: إلى السلوك والمعايير والأخلاقيات المتفق عليها داخل جماعة الحرفيين والتى تكونت وتطورت عبر السنين ولا تزال قائمة حتى الآن، إضافة إلى الرموز واللغة المستخدمة بين

الحرفيين في الحياة اليومية، والألقاب المهنية المتداولة بينهم، وذلك باعتبارها من العوامل الأساسية بل والمهمة فى تشكل نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل.

وانطلاقاً من ذلك، يمثل المستوى الثقافى أحد الأبعاد المهمة فى تشكل نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل، وفى محاولة الكشف عن ذلك البعد بما يتضمنه من أبعاد متعددة، اتجهت إلى تحديد عدد من المؤشرات المهمة التى تفيد فى الكشف عن نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل على المستوى الثقافى، وتتمثل تلك المؤشرات فى :

- المستوى التعليمى والتجانس الثقافى بين الحرفيين.
- أخلاقيات العمل الحرفى.
- الألقاب المهنية المتداولة.

وسنتناول كلاً من تلك المؤشرات، من خلال ما أسفرت عنه نتائج التحليل الكمى للدراسة، مع تحديد ما يدعمه أو يخالفه من الملاحظات والشواهد الميدانية ونتائج دراسة الحالة.

- المستوى التعليمى والتجانس الثقافى:

تشير نتائج الدراسات السابقة إلى ارتفاع نسبة الأمية بين الحرفيين - بغض النظر عن نوع الحرفة - بينما أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية فى المستوى التعليمى للحرفيين فى المجموعات الحرفية الثلاث، حيث كانت كا^{٢} = (٣٥,١) وهى دالة عند مستوى دلالة (٠,٠١). كما يتضح من نتائج الجدول رقم (١-٤) فى الفصل الأول فيما يتعلق بالخصائص الديموجرافية للعينة البحثية، فقد تبين ارتفاع نسبة الأمية ومن يقرأ ويكتب فى العينة البحثية لتصل إلى ٤٤,٥% والتى ترتفع بصورة واضحة فى صناعات الشيش والألومنيوم حيث تصل نسبتها إلى ٧٧,٥% بينما وصلت فى كل من صناعات خان الخليلى وحرف الصاغة إلى ٣٥,٦%، ٢٩,٥% على التوالى.

ويمكن تفسير ذلك بارتفاع نسبة التوريث المهنى فى صناعات الشيش والألومنيوم، والتى لا تتطلب مهارة أو تركيزاً عالياً، وإنما يمكن تعلمها بسهولة منذ الصغر، كما تكثر بها عمالة الأطفال بدرجة ملحوظة، ولذلك فإن الغالبية العظمى من العاملين بها يتركون التعليم لكى يتعلموا تلك الصنعة ويعملوا بها، على خلاف الوضع فى صناعات خان الخليلى وحرف الصاغة، التى تتطلب مهارة وتركيزاً عالياً، ولذلك فيرتفع فيها سن الطفل لكى يستطيع تعلم الصنعة، وبذلك يمكن أن

يحظـــى بقدر مناسب من التعليم ثم يتجه إلى تعلم الصنعة، حتى إن الباحثة وجدت مـــن خـــلال الملاحظـــات الميدانية وجود العديد من الحاصلين على البكالوريوس والليســـانس أو الدبلـــوم والذيـــن يعملون بصناعات الذهب والفضة وكذلك الصدف والســـبح. وقـــد يؤكـــد ذلك انخفاض مستوى الطموحات المستقبلية لدى المشتغلين بصناعات الشيش والألومنيوم، كما أوضحت سابقاً، وعدم القدرة على تغيير الواقع ومـــن ثم إزدياد قناعتهم بوضعهم الراهن وارتفاع درجة الإيمان بالقسمة والنصيب عن غيرهم من المشتغلين بالصناعات الحرفية الأخرى.

وعلـــى مستوى العينة الكلية تنخفض نسبة التعليم الجامعى وفوق المتوسط بين الحرفييـــن لتصـــل إلـــى ٦,١%. بينما ترتفع نسبة التعليم المتوسط والابتدائى بين الحرفييـــن حيـــث تأتى فى المرتبة الأولى لتصل نسبتها إلى ٤٩,٣% من إجمالى مفـــردات العينة، أى أن نسبة التعليم المتوسط بين الحرفيين تعلو عن نسبة الأمية، ويمكـــن تفسير ذلك بارتفاع قيمة التعليم عموماً بين مختلف فئات الشعب المصرى، حيـــث انتشار مجانية التعليم كما أن التعليم أصبح إلزامياً منذ الصغر ففى الماضى كـــان كل حرفى يقوم بتعليم ابنه الصنعة فى البداية دون الاهتمام بالتعليم، أما الآن فأصـــبح كل حرفى يحرص على تعليم ابنه أولاً فى المدارس، وإذا فشل الابن فى التعلـــيم فإنـــه يبعث به لتعلم صنعة ما وهكذا، كما أنه قد يرجع إلى تفشى ظاهرة الـــبطالة فـــى المجتمع المصرى عموماً، ومن ثم يتجه هؤلاء الأفراد بعد حصولهم علـــى قدر من التعليم إلى العمل فى مجال الصناعات الحرفية، فقد وجدت فى عدد من الورش (مجال الدراسة)، بعض العاملين من الخريجين الحاصلين على شهادات الدبلـــوم المتوســـط، وكذلـــك المعاهد الفنية، والذين لا يجدون عملاً، حيث اتجهت الدولـــة حديـــثاً إلى توجيههم إلى تلك الورش من أجل تدريبهم على الصنعة وإيجاد مصدر رزق لهم. وكان ذلك بصفة خاصة فى صناعات خان الخليلى.

وكمـــا ذهب دور كايم إلى أن ازدياد التجانس الثقافى والاقتصادى بين الأفراد يـــؤدى إلـــى مزيد من التكامل والانتماء فيما بينهم، وهو ما أسماه بالتضامن الآلى الـــذى يميز القبائل والقرى الصغيرة. فإننا نجد أن مجتمع الحرفيين يتسم بالتجانس الـــثقافى إلـــى حد ما، حتى لاحظت أن المتعلمين منهم يستخدمون المفردات ذاتها تمامـــاً مـــثل غيرهم من غير المتعلمين ويمارسون نفس سلوكياتهم وأسلوب الكلام والتحدث. وقد أكد غالبية الحرفيين على أهمية التعليم كقيمة فى حد ذاته، وليس من أجل الارتقاء والتطور فى العمل الحرفى، ونذكر فى ذلك قول الحالة : (أ-ج) الذى يعمـــل فى صناعة الألومنيوم وهو أمى لايقرأ ولا يكتب، حيث قال : "التعليم نفسه

مهم، أنا كان نفسى أتعلم عشان محتاجش لحد لما أحب أقرأ حاجة أو أحسب حاجة، كفاية إنى أمشى فى الشارع معرفش أقرأ أى يافتة أو إعلان لكن بالنسبة للشغل أهم حاجة شطارة الواحد وسمعته فى شغله" وهكذا رغم تميزه وارتقائه فى الحرفة التى يعمل بها، حتى إن له اسماً معروفاً ويتم تصدير إنتاجه أيضاً، إلا أنه كان يتمنى أن يتعلم من أجل التعليم فى حد ذاته.

ومن ثم فنجد أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الحرف المختلفة، فيما يتعلق بالمستوى التعليمى للحرفى؛ نظراً لما تتطلبه كل حرفة من إمكانيات وقدرات إبداعية وإبتكارية، ومن ثم فنجد انخفاض مستوى الأمية بين المشتغلين بحرف الصاغة، وارتفاع مستويات التعليم المتوسط بينهم إضافة إلى وجود نسبة من التوارث المهنى فى تلك الحرف والصناعات التى تتطلب مزيداً من الخبرة والمهارة من أجل القدرة على التجديد والتغيير فى المنتج نفسه ومواجهة المنافسة العالمية، وعند المشتغلين بصناعات خان الخليلى التى تتطلب الدقة والمهارة وشدة التركيز والوعى بالمنتج الذى يصنعه الحرفى، فإنه تقل نسبة مشاركة الأطفال صغار السن فى العملية الإنتاجية، وبذلك ترتفع نسبة التعليم المتوسط للحرفيين فى تلك الصنعة وتنخفض إلى حد ما نسبة الأمية، التى قد ترجع إلى التوارث المهنى فى العديد منها أيضاً.

وفى النهاية نجد أن التجانس فى المستوى التعليمى الغالب على فئة الحرفيين، يسهم فى التقارب الفكرى والوجدانى فيما بينهم، ومن ثم تدعيم مشاعر الأخوة، والشعور بالانتماء، والذى يؤدى بدوره إلى ازدياد مشاعر الرضا والشعور بالسعادة، والاستقرار النفسى داخل بيئة العمل.

- أخلاقيات العمل الحرفى :

يعتمد العمل الحرفى على مجموعة من الأخلاقيات التى كانت تمارس فى ظل نظام الطوائف الحرفية، ومن هذه الأخلاقيات الحرفية ما يلى :

قسم الولاء :

والذى يعنى أن كل من يلتحق بالعمل الحرفى فى الطوائف الحرفية كان عليه أن يقسم بالولاء للحرفة وأن يتعهد بإطاعة أعرافها والتحلى بآداب الحرفة وعدم إفشاء أسرار حرفته (اعتماد علام، ١٩٩١: ١٥٣).

ومن نتائج الدراسة الراهنة، تبين اندثار ما يعرف بقسم الولاء، حتى لم يعد موجوداً الآن بين الحرفيين، مثلما كان متعارفاً عليه فيما قبل، إلا أنه يوجد شواهد

علـــى ثبات قيمة (الولاء) والانتماء بين الحرفيين وبعضهم البعض على مستوى الحـــرفة الواحـــدة، فعلـــى سبيل المثال يجب على الحرفى الولاء والطاعة لرب الحرفة الذى يعمل معه، وألا يقوم بإفشاء أسرار ورشته، أى أن قسم الولاء كأحد شـــروط الانضمام للحرفة - لم يعد موجوداً الآن بالشكل الرسمى المتعارف عليه فـــيما قبل، وإنما هو موجود بشكل غير رسمي، إذ إن الحرفى الذى يتعلم علي يد المعلـــم (رب الحـــرفة) فإنه يكن له كل ولاء وطاعة، ويرتب على ذلك عدداً من الواجـــبات المفروض أن يقوم بها وينفذها، فى مقابل عدد من الحقوق التى يجب علـــى صـــاحب العمل أن يلتزم بها بالنسبة للحرفى، وذلك على مستوى الحرفة الواحدة.

وقـــد أوضـــحت الدراسة الميدانية انخفاض قيمة الولاء بين الحرف وبعضها البعض بل وبين أصحاب الحرفة الواحدة، وقد أكدت على ذلك الحالة (م-س) التى يعمل صاحبها فى صناعة الفضة، حيث قال : "النهاردة كل واحد بيقفل على شغله، عشـــان مفيش ولاء لبعض ولا احترام لبعض وحتى فى الشغل يقولك السوق بتاع الكـــل، لكـــن لازم يكون فيه احترام بينا وبين بعض، ده زمان كان الواحد يشوف واحد بيشتغل فى حاجة ميعملش زيها، ده أخلاق".

أى أن الـــولاء والانـــتماء يكون على المستوى الداخلى للورشة، لكنه ينخفض بدرجـــة كبيرة على المستوى الخارجي بين الورش سواء على مستوى نفس الحرفة أم بين الحرف المتباينة، حيث حلت محلها قيم المنافسة والغيرة.

كما أظهرت المشاهدات الميدانية استمرارية هذه القيمة الأخلاقية خاصة عندما يكـــون الحرفى لا يزال يتعلم الصنعة أى فى مرحلة التدريب والتعلم، إلا أن العديد مـــن حـــالات الداســـة أكدت على غياب تلك القيمة الأخلاقية بمجرد تعلم الحرفى وتشـــربه للصنعة، ومعرفته بأسرارها، فيمكنه التعدى على معلمه، والتطاول عليه، وعـــدم احترام كلامه، وقد أكدت على ذلك بعض حالات الدراسة، التى نذكر منها، قول الحالة (س-ع): "أنا علمت ناس كتير الصنعة دى، وكلهم دلوقتى ولادى، لكن مـــبقاش فـــيه ولاء، ولا احترام زى الأول، خلاص اللى يتعلم ويقدر يعمل الشغل لوحـــده يســـيبنى وأنا دلوقتى كبرت وكنت محتاج اللى يساعدنى ويبقى فاهم شغلى وطريقتى".

كمـــا ذكـــرت الحالـــة (م-ع) التى تعمل فى حرفة النقش على النحاس: "كان عـــندى صـــنايعى علمته واشتغل معايا لما فهم الشغل بعد كده بقى يسرقنى ويعمل

شـغل لحسابه وييجى بمزاجه ويمشى بمزاجه، مفيش التزام ولا احترام وفى الآخر لقيته بيبلع أدويه تخدر وبوظ الشغل فطردته".

ويمكن إرجاع ذلك لما كان عليه نظام تنشئة الصبية الذى كان يتم وفق طقوس ومعايـير معيـنة فى الطوائف الحرفية، أما الآن فلم يعد كذلك، فالصبى يذهب إلى تعلـم الحرفة إذا فشل فى مجال التعليم أو ساءت ظروفه الاجتماعية ويكون قد كبر فى السن، وبذلك فإن الحرفى لم يعد يتربى فى الورشة منذ صغره مثلما كان سابقاً ولذلك لا يشعر بالولاء والاحترام له.

الاحترام وتوقير الكبير:

من أخلاقيات الحرفة، توقير الكبير وعدم التخلى عنه، بسبب مرضه أو عجزه أو ضـعف قدرتـه على العمل، وقد أوضحت الشواهد الميدانية، استمرارية وبقاء وثـبات تلـك القـيمة الأخلاقية بدرجة ملحوظة، حيث إن كبر السن للحرفى يعنى ازديـاد خبرته الحرفية، مما يعطيه مزيداً من الثقة بالنفس، كما أن هذا يضفى عليه قـدراً كبيراً من الاحترام والتوقير من جانب الآخرين سواء العاملين معه فى نفس الورشة أم العاملين فى الورش المجاورة.

ويعـنى ذلك أن كبر السن بالنسبة للحرفى مع خبرته الحرفية يعد عاملاً مهماً لازديـاد الشعور بالثقة بالنفس، والتميز والتقدير الذاتى بين الآخرين ومن ثم ازدياد الشعور بالرضا عن العمل، وعن مجالات الحياة الأخرى للحرفى وعبرت عن ذلك إحـدى حـالات الدراسة التى تعمل فى صناعة الصدف وهى الحالة (س-أ) حيث قالت : "عم محمد ده الأوسطى بتاعى، هو اللى علمنى وهو اللى مأسس الورشة ده علـى إيده من أيام والدى الله يرحمه، فطبعاً كلمته على راسى ودايماً أخد رأيه فى الشغل وأشاركه معايه فى كل حاجة".

الالتزام بمواعيد العمل :

الالـتزام والتقـيد بمواعيد العمل اليومية بدافع حب العمل الحرفى، والالتزام الذاتى من قبل الحرفى نظراً لما يمتلكه من توقعات متبادلة بينه وبين العاملين معه، فالحـرفى يلتزم بمواعيد عمله نظراً لما يتوقعه من صاحب العمل من لوم أو توبيخ أو حرمان الأجر اليومى، فهناك توقعات متبادلة بين الحرفيين وبعضهم البعض هى الـتى تحكـم سـلوك الحـرفى داخل مجال العمل وتدفعه إلى الالتزام بسلوكياته وأخلاقـياته. وأكـدت على ذلك الغالبية العظمى من حالات الدراسة وعلى مستوى

المجموعــات الحرفــية الثلاث كما تتفق نتائج الدراسة فى ذلك مع ما توصلت إليه أستاذتى أ.د.اعتماد علام (١٩٩١م).

- الألقاب المهنية :

أمــا عن الألقاب المهنية المتداولة بين الحرفيين، فكانت سائدة ومتعارفاً عليها فــى ظــل نظــام الطوائف الحرفية، وكان لكل لقب مهنى دلالاته السوسيولوجية المتبايــنة، حيــث يخــتلف شيخ الطائفة عن المعلم أو (الأوسطى) عن الصبى فى الأدوار المهنية والوظائف الاجتماعية التى يقوم بها كل منهم، فكان نظام الطوائف الحرفــية يتســم بالــتدرج الوظــيفى وكانت الصبية تمثل القاعدة الأساسية للعمالة الحرفية ويأتى على قائمة السلم الوظيفى شيخ الطائفة.

وقــد أظهرت المشاهدات الميدانية ثبات الألقاب المهنية وعدم تغيرها، مثل : (الــبرنس، والخواجــة) والــتى ظهرت على وجه الخصوص فى حرف الصاغة، وصــناعات خــان الخليلى، وهى تطلق على (الأوسطى) الكبير أو صاحب العمل. وتعــبر عن المهارة العالية لصاحب العمل، والتميز والمكانة العالية التى يتمتع بها بيــن العامليــن معه. وقد نشأت تلك الألقاب تشبهاً بالغرب حيث تعد تلك المنطقة مــزاراً للسائحين من كل أنحاء العالم، إضافة إلى وجود الأرمن واليهود فى منطقة الصــاغة مــن قديم العهد، فتعد هذه الألقاب مأخوذة عنهم وتأثراً بهم. وقد أظهرت إحــدى حــالات الدراسة، عدم قبولها لتلك الألقاب، وذلك كنوع من التواضع وليس كــنوع مــن عدم الرضا، حيث لاحظت الباحثة مدى فخر الحالة بنفسها واعتزازها بمكانتها خاصة عند ذكر ذلك، وهى الحالة (م-س) التى يعمل صاحبها فى صناعة الفضــة، حيــث ذكــر : "فيه ناس بيقولولى يا خواجه، هى معناها كبير أوى يعنى الأســتاذ أو المعلم، لكن أنا مش لابس برنيطة عشان يقولولى يا خواجه ما يندهولى باسمى أو اسم الشهرة بتاعى (سامبو)".

وأوضــحت الدراســة، أنه رغم وجود الألقاب المهنية، المعروفة إلا أنها غير متداولة الآن بين الحرفيين فيما عدا لقب (الأوسطى) الذى يطلق الآن على صاحب العمل أو (الأوسطى) الكبير الذى له خبرة فى العمل. وأصبح الآن كل حرفى يلقب باسمه أو اسم الشهرة الخاص به.

بينما ينادى على الصبى باسم (وله أو ياله أو باسمه) أو بشتيمة مثل (يا زفت، يــا منــيل) مما يدل على الإهانة والاحتقار، وانخفاض الدور المهنى الذى يقوم به الصبى، حيث إن دوره ينحصر فى قضاء احتياجات الورشة، أو المناولة، أو جمع القمامة وتنظيف الورشة كما أكدت حالات الدراسة.

وهكــذا فهــناك ثقافة حرفية خاصة بالحرفيين تسهم بدورها فى تشكل نوعية حــياة الحــرفى داخــل مجــال العمل خاصة، وفى الحياة بصفة عامة. مما يجعل للحرفييــن سمات تميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمع والتى تنعكس بدورها على ســلوك الحرفييــن وطبــيعة حــياتهم اليومية داخل مجال العمل، حيث أوضحت المشــاهدات الميدانية أن هناك سلوك عام واحد، وطريقة حياة واحدة ومشتركة تسم جمــيع الحرفييــن وتجعلهم يتميزون عن أى جماعة مهنية أخرى سواء فيما يتعلق بطــريقة العمل، أم الممارسات اليومية قبل بدء العمل أم أسلوب التحدث والصوت أيضاً وطريقة الملبس والعلاقة بالآخرين وطريقة الأكل والتصرف ... إلخ. وسيتم مناقشة هذا بصورة أكثر تفصيلاً فى الفصل الثامن.

وقــد قمــت بمقابلــة عدداً من الحرفيات النساء اللآتى يعملن ببعض الحرف التقليدية مثل الحالة (م–م) التى تعمل فى صناعة السبح، والحالة (ف–أ) التى تعمل فــى خــراطة الــنحاس وقد تبين من الدراسة انعدام الفروق النوعية بين الحرفيين والحرفــيات، فالمــرأة والرجل فى مجال العمل الحرفى يكاد كل منهم يتسم بنفس السمات من حيث الملبس، وطريقة التحدث وكذلك نبرة الصوت وأيضاً قصة الشعر عــند غــير المحجبات، وشكل الأيادى، والعلاقة بالعاملين داخل الورشة أو العلاقة بالــتجار. ويــدل على ذلك قول الحالة (م–م) : "أنا زيى زى الرجالة اللى بيشتغلوا معايا مفيش فرق" وقد لاحظت الباحثة ذلك بنفسها حيث ترتدى الجينز وحتى قصة شــعرها وشكل يديها، وطريقة التحدث والصوت ولا ترتدى أى مجوهرات أو حلياً مثلها مثل الرجل.

وعــبرت عن ذلك الحالة (ف– أ) وهى أرملة وصاحبة ورشة للخراطة وطالبة بالجامعة المفتوحة حيث قالت : "أنا ألبس علطول البنطلون الواسع والإيشارب ولازم أكــون واقفــة زى الراجل بالضبط عشان مخليش حد يطمع فى، وأهم حاجة الواحدة تحترم روحها وتصون نفسها، متهزرش مع حد، ومتضحكش بصوت عالى وصوتى عالى زى الرجالة، ولما أروح الجامعة أتزوق وألبس آخر شياكة".

ويمكــن تلمــس أهــم الملامــح الثقافــية التى تسم فئة الحرفيين (المشتغلين بالصناعات والحرف التقليدية) فيما يلى :

- انخفاض المستوى التعليمى والتجانس الثقافى بين الحرفيين.
- وجود عدد من التوقعات المتبادلة بين الحرفيين التى تعمل بمثابة لوائح منظمة للعمل.

- التداخل بين أوقات العمل وأوقات الفراغ والراحة، والالتزام بمواعيد العمل بدافع حب العمل.
- التمسك بالعمل الحرفى والفخر والاعتزاز به رغم ما به من مشاكل وصعوبات.
- التمسك بالقديم الذى يتمثل فى العمل اليدوى، وعدم الرغبة فى التغيير، والذى يشير إلى دخول الآلية، مثلما هو الحال فى حرفة النقش على النحاس وما يعرف بالزنوغراف.
- المشاركة الاجتماعية بين الحرفيين فى المناسبات الاجتماعية غير السارة خاصة، والمناسبات السارة أحياناً.
- ثبات الألقاب المهنية مع عدم تداولها بكثرة.
- ارتباط ارتفاع المكانة الاجتماعية للحرفى بطول مدة الخبرة وارتفاع السن.
- انخفاض قيمة التعليم الرسمى بين الحرفيين فيما يتعلق بالعمل، وارتفاع قيمته على المستوى الشخصى للحرفى.
- عدم الاهتمام بالمظهر سواء شكل الورشة ومظهرها العام، ونظافتها، وكذلك الاهتمام بالمظهر الذاتى للحرفى وملبسه ونظافة يده، حيث التعود على ذلك.

تعقيب :

أسفرت نتائج الدراسة الكمية والكيفية عن أن هناك العديد من العوامل التى تتداخل وتتشابك فى تشكل نوعية حياة العمل لدى الحرفى (QWL) داخل مجال العمل (الورشة). والتى كان من الصعب تصنيفها وتجزئتها ولكن نظراً لتعددها قامت الباحثة بتصنيفها بقدر الإمكان إلى ثلاثة مستويات أساسية، وذلك بغرض التحليل والتفسير، وليس بغرض المقارنة أو تحديد أيهما أكثر تأثيراً على نوعية حياة العمل للحرفى من الآخر. وتتمثل تلك المستويات فى :

- البعد الذاتى : الذى يختص بطموحات الحرفى ودوافعه تجاه العمل ورغباته واتجاهاته نحو العمل الذى يمارسه، وقد اشتمل هذا البعد على عدد من المؤشرات وهى : العوامل الدافعة للاشتغال بالعمل الحرفى، والاتجاه نحو التجديد فى المنتج فى مقابل المحافظة على القديم والتمسك به، إضافة إلى الطموحات الشخصية للحرفى من أجل التطوير والتقدم والتميز فى العمل الحرفى فى مقابل السعى نحو ترك الحرفة، وكذلك المشكلات والصعوبات التى تواجه الحرفى والتى تؤثر على درجة رضاه والشعور بالأمان والاستقرار فى مجال العمل الحرفى.

- **البعد التنظيمي:** والذى يتمثل فى تنظيم بيئة العمل الحرفى (الورشة) ويشتمل بدوره على عدد من المؤشرات كالظروف الفيزيقية للورشة، ومساحتها، وعلاقات العمل، وأساليب الثواب والعقاب المتبعة داخل الورشة، وكذلك ساعات العمل والمرونة فى أوقات العمل، وما تحمله كل من تلك المؤشرات من تأثير إيجابي أو سلبي على معدلات رضا الحرفيين وشعورهم بالرضا والاستقرار وتحسن نوعية حياتهم داخل بيئة العمل.
- **البعد الثقافى:** الذى يختص بالثقافة الحرفية الخاصة بالحرفيين، والتى تشكل لهم عدداً من السمات والخصائص العامة التى تؤثر بدرجة كبيرة فى توجيه سلوكياتهم تجاه الآخرين من زملاء العمل، وصاحب العمل، كما تحمل العديد من الميكانيزمات التى تعمل كعوامل تسهم فى تكيف الحرفى مع ما تفرضه طبيعة العمل الحرفى الممارس، ومن ثم تسهم فى ازدياد الشعور بالرضا لدى الحرفى والشعور بالاستقرار والإشباع الذاتى، وتحسن نوعية حياة العمل الحرفى.

وقد تبين من نتائج الدراسة ارتفاع الشعور بالرضا وتحسن نوعية حياة العمل لدى الحرفيين فى صناعات خان الخليلى عن غيرها من الصناعات والحرف التقليدية الأخرى، ويليها المشتغلون بصناعات الشيش والألومنيوم الذى ينبع أساساً من سيطرة ثقافة الحمد والإيمان بالقدر وبما هو مكتوب وقد دل على ذلك انخفاض مستويات الطموحات المستقبلية لديهم وعدم قدرتهم على تغيير الواقع حيث انخفاض مستوياتهم التعليمية إلى أدنى حد، ومن ثم انخفاض معدلات الفخر والاعتزاز بالحرفة.

بينما ينخفض مستوى الرضا لدى المشتغلين بحرف الصاغة رغم ما يصل إليه الحرفى فى تلك الصناعات من إشباعات فى مجال العمل، إلا أنه وكما تبين من نتائج الدراسة أنه كلما ارتفعت المكانة الاقتصادية للحرفى كلما أدى ذلك إلى انخفاض معدلات الرضا إذ أنه يتطلع إلى المزيد والمزيد من الحاجات والرغبات التى لا تنتهى أبداً. كما أنه تم تفسير ذلك فى ضوء الظروف المجتمعية التى يواجهها الحرفى فى حرف الصاغة التى تتمثل فى: المنافسة العالية، والركود الاقتصادى، وغلاء الأسعار، وانخفاض القدرة الشرائية للمستهلك حيث عدم الإقبال على شراء الذهب إلا فى المناسبات الاجتماعية وللضرورة، ويضاف إلى ذلك انخفاض مستوى التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين فى حرف الصاغة حيث ما تتطلبه طبيعة العملية الإنتاجية وما تفرضه من ضرورة إغلاق الورش أثناء العمل

حيــث الخــوف مــن الحسد والحفاظ على السرية والخصوصية وكذلك التميز فى الصنعة.

كمــا توصلت الدراسة إلى أن للحرفى خصائص تميزه وتميز حياته فى مجال العمل التى تجعله يختلف عن غيره من الأفراد المشتغلين بالوظائف الأخرى، حتى إنــه تكــاد تنعدم الفروق النوعية بين الذكور والإناث فى مجال العمل الحرفى، بل أصــبحت لهــم ثقافــة واحــدة تمــيزهم ويدل على ذلك وجود لغة واحدة ورموز ومعــتقدات وقــيم وأخلاقيات وطموحات مشتركة لا تختلف بينهم، ومن ثم فالثقافة الحرفــية هــى ثقافة فرعية تميز فئة الحرفيين، وتخصهم وتشكل أسلوب حياتهم، وتؤثــر فــى علاقاتهم الاجتماعية وتفاعلاتهم مع الآخرين ومن ثم فهى التى تسهم بقدر كبير فى شعورهم بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل، حيث تفرز العديد من الميكانيزمات التى تعمل على تكيف الحرفى مع الوضع القائم، وإمكانية مواجهة المشــكلات والصــعوبات التى قد يتعرض لها، وبذلك فهى تسهم بدرجة كبيرة فى العمــل على البقاء والاستمرارية فى ظل المنافسة العالمية وانفتاح السوق، وعصر المعلوماتية والعولمة.

ومــن خــلال مــا ســبق يمكن القول إن هناك تباين بين مجموعات الحرف المخــتلفة فــيما يتعلق بنوعية حياة العمل على كل من المستوى الذاتى والتنظيمى وكذلــك الــثقافى.. والذى يرجع إلى التباين فى نوع العمل الحرفى الممارس وما تفرضــه العملية الإنتاجية من ميكانيزمات، وكذلك التباين فى القيمة المادية للمنتج، والقيمة الفنية والجمالية، ومن ثم ما تتطلبه من إمكانات كالتركيز والدقة فى العمل، والصبر وطول البال، وكذلك تقسيم العمل والحاجة إلى التخصصية فى أداء العمل، وإرتفــاع ســن الطفــل للقدرة على تعلم الصنعة والتى مثلت فى مجملها (محكات التصــنيف) الــتى سبق الإشارة إليها، ومن ثم فإنه تتباين نوعية حياة العمل بتباين نوع العمل الحرفى الممارس ومستوى الممارسة الحرفية ...



الفصل الثامن
نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل

مقدمة
أولاً: على مستوى المجتمع المحلى.
ثانياً: على مستوى وحدة المعيشة.
تعقيب.

الفصل الثامن

نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل

مقدمة :

يهدف هذا الفصل إلى الكشف عن نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل، حيث إن نوعية حياة الحرفى لا تقتصر على حياته داخل مكان العمل (الورشة) وإنما تتسع وتمتد إلى المجتمع المحلى الحاضن للورشة، وما به من مؤسسات خدمية، وتجارية، وكذلك وحدة المعيشة الخاصة بالحرفى والتى يقيم فيها مع زوجته وأبنائه، وما تعكسه من مستويات المعيشة الخاصة به.

ومن ثم يحاول الفصل الراهن الإجابة على تساؤلين أساسيين وهما :

التساؤل الأول: إلى أى مدى تؤثر العلاقة التبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى الحاضن لها على نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل؟ وما مؤشرات ذلك؟

التساؤل الثانى: إلى أى مدى تعد الظروف المعيشية للحرفى على مستوى وحدته المعيشية امتداداً لنوعية حياته داخل مجال العمل؟ وإلى أى مدى ينعكس مستوى الرضا والإشباع الذاتى للحرفى فى مجال العمل، على درجة رضاه عن حياته ككل؟

وذلك انطلاقاً من الفرضية الأساسية الآتية:"تتباين نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته بتباين مستوى الممارسة الحرفية ونوعية حياة العمل".

أولاً : على مستوى المجتمع المحلى (العلاقة المتبادلة بين الورشة والمجتمع المحلى) :

تمثل الورشة نسقاً اجتماعياً مفتوحاً، فهى ليست معزولة عما هو محيط بها من ورش أخرى أو منشآت اجتماعية كالمقاهى والوحدات الصحية والمحلات والبازارات التجارية الموجودة بالمجتمع، والمساجد والكنائس ... والمدارس، وغيرها من منشآت المجتمع المحلى التى تحيط بالورشة، والتى تؤثر فيها وتتأثر بها، مما يسهم فى تشكل نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى، وطبيعة علاقاته وتفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين.

فالورشة تحتاج إلى المجتمع المحلى الحاضن لها فى تحقيق أهدافها المتمثلة فى البقاء والاستمرارية كما أن المجتمع المحلى بحاجة مستمرة إلى نشاط المنشآت

الحرفــية مــن أجــل ســد حاجــات أفراد المجتمع. ويشير علماء الاجتماع إلى أن الاندماجــية فــى المجتمع المحلى تزداد بين الأفراد الذين يولدون ويقيمون داخل هذا المجتمع، ومن ثم فإن المعايير الثقافية السائدة فى المجتمع تنتقل مع الأفراد إلى موقع العمــل داخل المنشأة وتشكل سلوكهم وتجعلهم فى الوقت ذاته مرتبطين داخلياً بنبض الشــارع داخــل هــذا المجتمع. لهذا يمكن القول إن المجتمع المحلى يمتد تأثيره إلى الــثقافة التنظيمــية داخل المنشأة الحرفية (فى لغة الخطاب اليومى بين أفراد جماعة العمــل أو طبــيعة الموضــوعات المثارة بينهم والمعايير التى تحكم علاقاتهم) وفى المقــابل تشكل طبيعة العمل ومواعيده حياة الفرد اجتماعياً وتفاعلاته مع أسرته وفيما يتعلق بأنشطته الاجتماعية وأوقات فراغه (اعتماد علام، ٢٠٠٠: ٦٠٢، ٦٠٣).

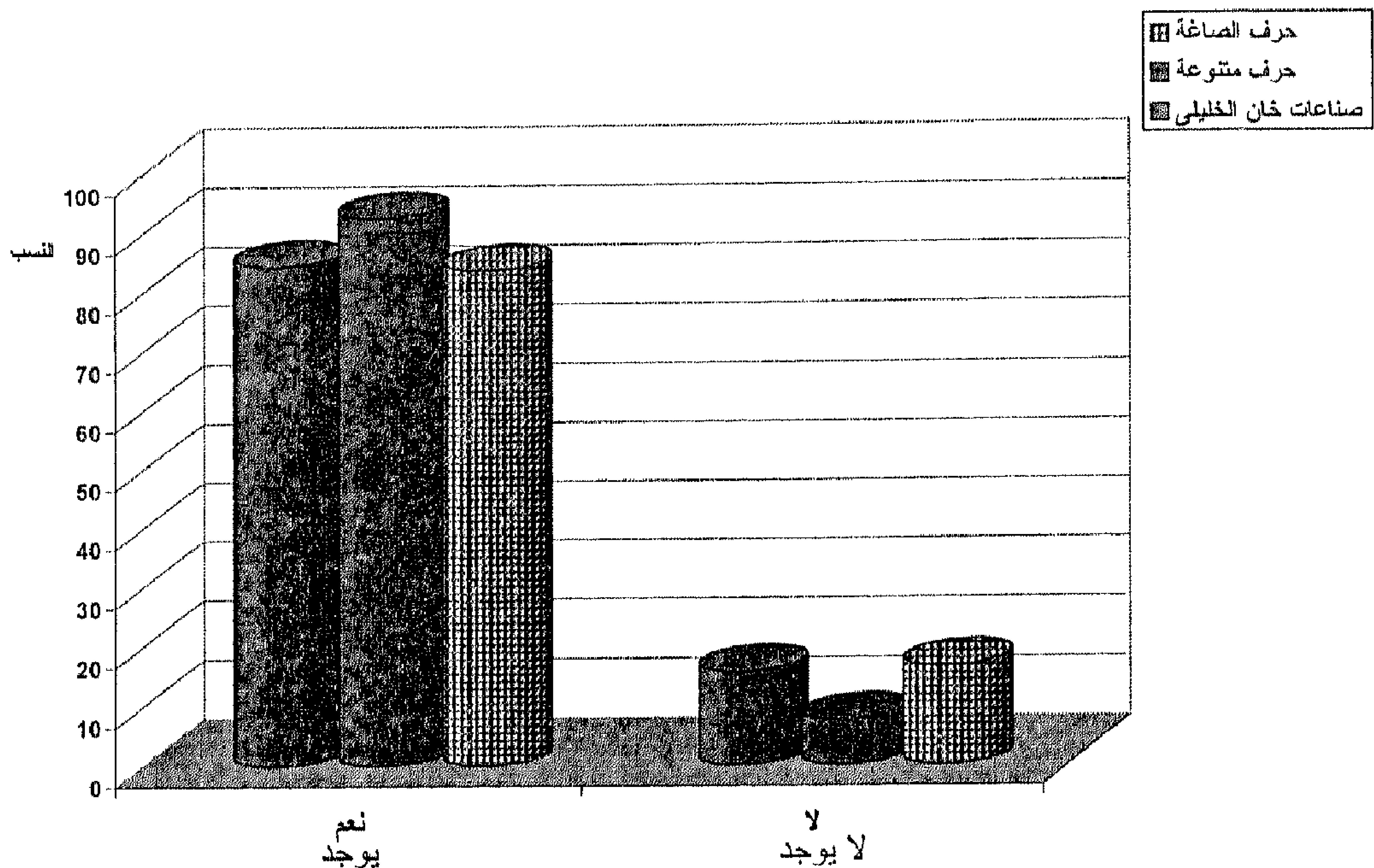
وفيما يلى أحاول الكشف عن درجة الاندماجية بين المنشآت الحرفية والمجتمع المحلى ومدى التباين فى درجة الاندماجية بين المنشأة والمجتمع المحلى حسب نوع النشــاط الحرفى الممارس، وأشكال العلاقة التبادلية بينهم، والكشف عن تأثير ذلك على تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية للحرفى ونوعية حياته الاجتماعية.

جدول رقم (٨-١)

العلاقات الاجتماعية بين الورشة والمجتمع المحلى

مجموعات الحرف / مستوى الاندماجية	حرف الصاغة		صناعات خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
يوجد	٥١	٨٣,٦	٣٨	٨٤,٤	٣٧	٩٢,٥	١٢٦	٨٦,٣
لا يوجد	١٠	١٦,٤	٧	١٥,٦	٣	٧,٥	٢٠	١٣,٧
الجملة	٦١	١٠٠,٠	٤٥	١٠٠,٠	٤٠	١٠٠,٠	١٤٦	١٠٠,٠

ويتضــح من نتائج الدراسة الميدانية، كما هو واضح فى الجدول رقم (٨-١) ازديــاد درجة الاندماجية بين الورش الحرفية والمجتمع المحلى الحاضن لها وذلك بنســبة ٨٦,٣% مــن إجمــالى العيــنة، فــى مقابل انخفاض نسبة عدم المشاركة (الــتفاعل)، حيــث تصل إلى ١٣,٧%. مع عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصــائية بيــن مجموعــات الحــرف فيما يتعلق بدرجة الاندماجية بين الورشة والمجتمع المحلى الحاضن لها ويتضح ذلك فى الشكل البيانى رقم (١٠).



شكل رقم (١٠)
اندماجية الورشة فى المجتمع المحلى

وقــد أكــدت ذلك نتائج الدراسة الميدانية على المستوى الكيفى حيث أظهرت المشــاهدات الميدانــية وأقوال أصحاب الورش أشكالاً من التفاعل الاجتماعى بين أفــراد العيــنة وبين أصحاب الورش المجاورة ، إذ لا تنحصر العلاقة بينهم على علاقــات العمل فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى المشاركة فى المناسبات الاجتماعية، كالمســاعدة فــى حالة حدوث أزمة مالية لأحدهم، أو المشاركة فى الأفراح أو فى حالــة الوفــاة، أو إعطاء مبلغ كمساعدة للفرد. كما أظهرت الدراسة أن (المسجد، المقهــى) من أكثر المؤسسات الاجتماعية التى تلعب دوراً كبيراً فى تبادل العلاقات الاجتماعــية وزيــادة التفاعل الاجتماعى بين أصحاب الورش والحرفيين وبعضهم الــبعض ومن ثم تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية قوية بينهم وبين بعض؛ نظراً للتجانس الثقافى والاجتماعى بينهم، فعندما يتقابلون فى وقت الصلاة أو على المقهى فــى وقــت فراغهم يقومون بالدردشة وتناول الطعام معاً، أو التحدث عن مشكلات الحــياة الاجتماعــية أو الشكوى من شىء ما، مما يسمح للحرفى بتكوين صداقات وعلاقــات اجتماعية خارج مجال العمل، والتى تسهم بدورها فى التخفيف من عناء ومشــكلات الحياة اليومية التى يواجهها الحرفى، مما يسهم فى ازدياد درجة الرضا

والشعور بالسعادة عند الحرفى فى مجال عمله، ومن ثم ازدياد الرضا والسعادة فى حياته ككل.

الا أن هناك درجة من التباين بين الحرفيين فيما يتعلق بقوة الاندماجية داخل المجتمع المحلى الحاضن لها، والتى قد ترجع إلى ما تفرضه طبيعة العمل الحرفى الممارس، فتزداد قوة الاندماجية بين الحرفيين داخل المجتمع المحلى فى صناعات خان الخليلى؛ نظراً لما تفرضه طبيعة هذه الصناعات، حيث يمكن للحرفى الجلوس أمام الورشة وأداء عمله مما يسمح له بمزيد من التفاعل والاندماج مع العديد من أفراد المجتمع المحلى الآخرين، إضافة إلى ازدياد درجة المرونة فى أداء العمل التى تميز تلك الصناعات. والتكاملية فى الأدوار التى تزيد من قوة التفاعل الاجتماعى بين العاملين على المستوى الداخلى للورشة، وبين الورش وبعضها البعض على المستوى الخارجي. وفى حرف الصاغة ينخفض إلى حد ما مستوى الاندماجية بين المشتغلين بتلك الصناعات وبين المجتمع المحلى؛ إذ أن العلاقة بين ورش الصاغة والمجتمع المحلى يحكمها إلى حد كبير البعد الاقتصادى نظراً لما تفرضه طبيعة العمل الحرفى من ارتفاع القيمة المادية للخام، إضافة إلى ارتفاع قيمة الوقت الذى لا يسمح للحرفيين فى تلك الصناعات بالجلوس على المقاهى وتبادل الأحاديث وكذلك ما تتطلبه الصنعة من شدة التركيز والدقة فى أداء العمل. وقد عبرت عن ذلك إحدى حالات صناعة الذهب وهى الحالة (أ–ح) "أنا محبش الاختلاط، عشان معنديش وقت، وأما أحب أرتاح من الشغل، أروح أصلى، لكن طبعاً لو واحد عنده مناسبة أو فى واجب عزا لازم أشارك، لأن الواحد مش ضامن نفسه، ولازم تكون علاقتى حلوة بالكل".

وقد أظهرت الدراسة ازدياد درجة الاندماجية في المنشآت الحرفية التى تتخصص فى صناعات الشيش والألومنيوم عنها فى الصناعات الحرفية الأخرى، والتى قد ترجع إلى ما يواجهه الحرفى داخل تلك الصناعات من شدة وقسوة صاحب العمل أثناء فترات العمل، ومن ثم فإنه يقوم بقضاء وقت فراغه فى المقهى أو فى مقابلة الأصدقاء لكى يجد له متنفساً خاصة وأن العاملين فى تلك الورش يعملون منذ سن مبكرة ولذلك فإن طول فترة تواجدهم بالورشة تسمح لهم بتكوين صداقات وعلاقات اجتماعية بينهم وبين بعضهم البعض، ويكون غالبيتهم فى مراحل عمرية متقاربة مما يؤدى إلى ازدياد التفاعل الاجتماعى فيما بينهم.

كما تبين أيضاً أن التسويق يعد من أكثر العوامل التى تعمل على ازدياد درجة اندماجية الورشة فى المجتمع المحلى الحاضن لها، حيث إن الحرفيين

يواجهــون مشكلة عدم القدرة على تسويق السلع التى يقومون بإنتاجها، وذلك على مســتوى المجموعات الحرفية الثلاث، نظراً لارتفاع حدة المنافسة، وانفتاح السوق، إضــافة إلــى انخفاض القوة الشرائية للسكان وغلاء تكاليف المعيشة. وقد عبرت العديــد مــن حــالات الدراسة عن تلك المشكلة، مثل الحالة (س-أ) قائلة : "سوء التوزيع هو من أهم المشاكل التى نواجهها، لازم نفتح معارض وندخل سياحة للبلد، مفــيش حــد بيهــتم ببكرة خالص، وده اللى تاعبنا احنا بنشتغل لكن مفيش تسويق وعشــان كــدة الســوق نايم". وهكذا فإن ما يواجهه المجتمع المحلى من مشكلات يــنعكس بــدوره على منشآت العمل الحرفى مما يؤكد العلاقة التبادلية بين المنشأة الحرفية والمجتمع المحلى الحاضن لها.

كمــا ذكرت الحالة(أ-أ) التى تعمل فى صناعة الشيش، ما يلى: "الخامة غليت أوى، والعمالــة زادت، واحــنا اللــى مبنقدرش نجيب عمال لأن العامل بيتكلف، والخامــة غليت عشان الجلد بيتصدر دلوقتى فشح وسعره بقى عالى جداً، ومع كده مفــيش ســوق، وزادت المشكلة دى لما وزيرة البيئة قفلت مدابغ الجلد فى أسيوط عشــان تلــوث البيــئة، مبقناش نلاقى الجلد وسعره بقى غالى جداً وحتى لو لقيناه بيكون درجة ثانية وثالثة".

كمــا يؤثر استعانة الحرفى بصبية من داخل المجتمع المحلى على ازدياد درجة الاندماجــية فــى المجــتمع المحلى، حيث إن هؤلاء الصبية يكونون فى الغالب من الأقــارب أو الجيرة وكذلك المعارف ومن ثم يزداد ارتباط الحرفى بالمجتمع المحلى إضــافة إلــى أن إقامــة الحرفى فى المجتمع المحلى نفسه تزيد من درجة اندماجيته وارتــباطه به؛ نظراً لاحتياجه الدائم إلى اللجوء إلى العديد من مؤسسات ذلك المجتمع المحلى كالمدارس، والوحدات الصحية، وأماكن الترفيه الموجودة وكذلك الحدائق...

وتأسيســاً علــى مــا ســبق، يتضح وجود قدر من التفاوت النسبى فى درجة إندماجية الورشة مع المجتمع المحلى، بين المجموعات الحرفية الثلاث على أساس عدد من العوامل التى تتمثل فيما يلى :

- النشأة والأصل فى المجتمع المحلى نفسه.
- عامل القرابة.
- طبيعة العملية الإنتاجية داخل الورشة ومروفولوجية الورشة.
- الظروف الفيزيقية للورشة، وعدم توافر دورات مياه أو تهوية، والاعتماد على المجتمع المحلى لتوفير الخدمات الأساسية.

- البعد الاقتصادى الذى يتضمن: التسويق، وكذلك التكاملية أو التخصصية فى أداء العمل بين الورش الحرفية وبعضها البعض.
- الاستعانة بصبية من داخل المجتمع المحلى.

وقد تبين من الدراسة الميدانية على المستوى الكيفى خاصة أن هناك ثمة طقوس وممارسات ثقافية لإيقاع العمل ذاته، وذلك على مستوى المجموعات الحرفية الثلاث ولا يوجد تباينات بينها والتى تسهم فى ازدياد درجة الاندماجية فى المجتمع المحلى، فجميع الحرفيين غالباً ما يبدءون العمل ببعض الممارسات والطقوس التى تتمثل فى : قراءة الفاتحة والاستفتاح، وإسالة (رش) الماء والدعاء بفتح باب الرزق، وكذلك القيام بفتح المذياع والاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم، إضافة إلى البخور، حيث لاحظت وجود المبخراتى الذى يدخل الورش الحرفية فى الصباح المبكر وذلك اعتقاداً من الحرفى الممارس للعمل أن ذلك يجلب له الخير ويمنع الحسد. وقد كان ذلك فى مختلف الورش الحرفية بصفة خاصة فى ورش الصاغة لاعتقادهم فى الحسد وانعكاساته السيئة عليهم.

وقد أكدت على ذلك حالات الدراسة، فتذكر الحالة (م – ج) إحدى حالات حرف الصاغة ما يلى: "لازم أبتدى يومي بقراية الفاتحة وسماع القرآن، عشان ربنا يباركلى ويفتحها علىّ". كما ذكرت أيضاً الحالة (س – أ) التى يعمل صاحبها فى صناعة الصدف: "أنا اللى بفتح الورشة كل يوم، ولازم أسمى طبعاً، وأرش ميه وأحب البخور كمان عشان ده بركة، وأسمع القرآن يقوم ربنا يفتحها علينا".

كما أن الثقافة الشعبية تحمل الكثير من الرموز والإلزامات الاجتماعية التى تشكل طبيعة العلاقة بين الحرفيين وبعضهم البعض، وكذلك بينهم وبين صاحب العمل، والتى تسهم فى ازدياد درجة اندماجية الحرفى فى المجتمع المحلى فهناك الكثير من المواسم والأعياد الرسمية كعيد الأضحى، وعيد الفطر، وشهر رمضان، إضافة إلى المولد النبوى الشريف، وشم النسيم ... وغيرها والتى ترتبط بالحى الشعبى، وفى نفس الوقت تفرض هذه المناسبات الاجتماعية على الحرفى (صاحب العمل) بعض الممارسات التى لابد أن يقوم بها، ففى عيد الفطر لابد أن يقوم بإعطاء الحرفيين (عيدية)، وكذلك فى عيد الأضحى يقوم بإعطائهم (عيدية أو لحمة) فكل من هذه المواسم تحمل معها عدداً من الإلزامات المفروضة على الحرفى والتى لابد أن يلتزم بها ومن ثم فهى تزيد من درجة التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم البعض، وبينهم وبين صاحب العمل.

ويتبين من استقراء معطيات الجدول رقم (٨-٢) تعدد وتنوع أشكال العلاقات الاجتماعية بين صاحب الورشة والحرفيين العاملين معه، والتى تؤكدها وتفرضها وتعمل على استمراريتها وثباتها الثقافة الشعبية السائدة فى المجتمع المحلى، ويحرص عليها الحرفى ويشعر بإلزاميتها. ومن الملاحظ ارتفاع نسبة المشاركة والتفاعل الاجتماعي فى حالة وجود وفاة بين مفردات العينة البحثية بنسبة ٦٦,١% من إجمالى أصحاب الورش التى بها عمالة وتبلغ (١١٨ ورشة).

جدول رقم (٨-٢)

أشكال العلاقات الاجتماعية بين صاحب الورشة والعاملين خارج العمل

الحرف / أشكال العلاقة	الصاغة		خان الخليلى		حرف متنوعة		جملة العينة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
علاقتى بالعاملين تنتهى بعد الشغل	٨	١٥,٤	٢	٧,١	٣	٧,٩	١٣	١١,٠
لو واحد عنده حالة وفاة أروح أعزيه	٢٨	٥٣,٨	٢٠	٧١,٤	٣٠	٧٨,٩	٧٨	٦٦,١
لو واحد عنده مناسبة سعيدة أديله مبلغ كنقوط	٢٧	٥١,٩	١٦	٥٧,١	٢٧	٧١,١	٧٠	٥٩,٣
لو واحد تعب أزوره وأشوف طلبات بيته	٢٩	٥٥,٨	١٥	٥٣,٦	٢٨	٧٣,٧	٧٢	٦١,٠
نقعد مع بعض على القهوة ندردش ونضحك	١٣	٢٥,٠	٢	٧,١	٢٣	٦٠,٥	٣٨	٣٢,٢
فى الأجازات نخرج ونروح رحلات مع بعض	٧	١٣,٥	٤	١٤,٣	١٣	٣٤,٢	٢٤	٢٠,٣
أخرى	١٥	٢٨,٨	٦	٢١,٤	٣	٧,٩	٢٤	٢٠,٣
الجملة	٥٢		٢٨		٣٨		١١٨	

وأكدت على ذلك حالات الدراسة ، ونذكر فى ذلك قول الحالة (م - ج) التى يعمل صاحبها فى صناعة الذهب: "أنا محبش الاختلاط ومحبش أجامل حد، الواحد لما يكون فى حاله يبقى أحسن، لكن لحد العزا والواحد ميقدرش لازم أروح أعزى وأعمل الواجب، وإلا الناس تاكل وشى".

وقد جاء تبادل الزيارات بين صاحب العمل والحرفيين فى حالة مرض أحدهم أو التعب، بنسبة ٦١% من إجمالى حجم الورش الحرفية التى يوجد بها عمالة، حيث تبين حرص الغالبية العظمى من الحرفيين على مراعاة العاملين معهم،

والاهــتمام بهــم ورعايــة جميع شئونهم الاجتماعية والأسرية فى حالة المرض الشــديد وعدم القدرة على العمل، فتذكر الحالة (س - أ) صاحب ورشة لصناعة الصــدف: "لــو واحــد تعب طبعاً لازم أسأل عليه، وأكمل مصاريف علاجه، ده فرض على، لكن لو حسيت إنه بيدلع طبعاً أسيبه ومسألش عنه ومحدش يلومنى". ويؤكد ذلك على سيادة العلاقات الاجتماعية غير الرسمية (الأولية) بين الحرفيين وبعضــهم البعض، وبينهم وبين صاحب العمل والتى يسودها المحبة والمودة مما يسهم فى ازدياد درجة اندماجية الحرفى فى المجتمع المحلى الحاضن له. ومن ثم فــإن الموروث الثقافى وازدياد التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين يسهم فى ازدياد درجــة الاندماجــية فى المجتمع المحلى وكذلك ارتفاع معدلات الرضا والإشباع الذاتى.

بينما انخفضت نسبة المشاركة بين صاحب العمل والحرفيين فى الجلوس على المقاهى لتصل إلى ٣٢,٢% من إجمالى أفراد العينة، وقد كانت فى أعلى معدلاتها فى صناعات الشيش والألومنيوم عنها فى حرف الصاغة، وصناعات خان الخليلى؛ وقــد يمكــن تفســير ذلــك بانخفاض القيمة المادية وعدم الحرص على الوقت فى صــناعات الشــيش والألومنــيوم إضــافة إلى التقارب فى المراحل العمرية بين المشتغلين بتلك الصناعات وكذلك صغر سنهم ومحاولتهم التخفيف عن أنفسهم نظراً لما يتعرضون له من قسوة وشدة أثناء فترات العمل. إضافة إلى ارتفاع قيمة الوقت والحرص عليه وما تتطلبه الصنعة من شدة التركيز والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى حرف الصاغة وصناعات خان الخليلى.

ثانياً : الظروف المعيشية للحرفى، ونوعية حياته الاجتماعية :

لقــد اعــتمدت الدراسة الراهنة فى تحديدها لنوعية حياة الحرفى داخل وحدة المعيشة على عدد من المؤشرات، يمثل كل منها جانباً من جوانب مستوى معيشته، والتى تتمثل فى:

- المسكن وتجهيزاته.
- التعليم والثقافة.
- الوقت ووقت الفراغ.
- العلاج والوعى الصحى.
- نوعية حياة العمل، والرضا عن الحياة .

١- المسكن وتجهيزاته :

يتناول هذا المؤشر عدداً من الأبعاد التحليلية التى تتمثل فى موقع المسكن ومستوى الأثاث الموجود، والمرافق الموجودة بالمسكن، والأجهزة الكهربائية الموجودة به (غسالة - ثلاجة - تليفزيون - فيديو - سيارة - كمبيوتر - دش - كاسيت - مكنسة كهربائية) ويحتل هذا المؤشر قدراً كبيراً من الأهمية؛ حيث إنه يعكس المستوى الاقتصادى للحرفى، فلصعوبة الكشف عن الدخل الحقيقى للحرفى، اتجهت إلى الكشف عن المستوى الاقتصادى للحرفى من واقع وحدته المعيشية التى تعد وبحق أصدق مؤشر واقعى للمستوى الاقتصادى للفرد عموماً، وللحرفى بصفة خاصة.

ومن نتائج الدراسة الميدانية، تبين أن غالبية وحدات المعيشة للحرفيين تقع فى منطقة الجمالية بالقرب من أماكن عملهم أو فى أماكن قريبة منها مثل : منطقة قايتباى أو الدرب الأحمر أو منطقة الزاوية ... فيما عدا بعض الحالات النادرة التى تقطن فى أماكن سكنية أكثر رقياً وهى حى مدينة نصر، ومصر الجديدة وحدائق القبة، وتركزت هذه الحالات بين المشتغلين بحرف الصاغة، (الذهب والفضة) خاصة. وقد تبين أن القرب والبعد عن مكان العمل لم يشكل عائقاً بالنسبة للغالبية العظمى من الحرفيين، حيث إن التزام الحرفى بعمله (كما اتضح سابقاً) يكون نابعاً من داخله ومن حبه وفخره بالعمل الذى يعمله، مهما كانت هناك صعوبات أو مشقة فهو يتحملها دون عناء أو سخط.

ويؤدى التباين فى مكان السكن (القرب والبعد عن مكان العمل) إلى التباين فى نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم، حيث إن التباين فى مكان السكن (البيئة) يؤثر بدرجة كبيرة فى التباين فى أسلوب التنشئة الاجتماعية للأبناء، فالذى يقيم فى أحد المناطق الحضرية المتقدمة كمدينة نصر أو مصر الجديدة يختلف فى أسلوب تنشئته عن هذا الذى ينشأ ويتربى فى حى شعبى كحى الجمالية، كما تتباين علاقات الجيرة وأساليب الترفيه، ففى الحى الشعبى مثلاً: يفضل الحرفى الذهاب إلى المقهى كوسيلة أساسية للترفيه، أما فى الحى الأكثر تقدماً، فإنه يقوم بالذهاب إلى النادى أو زيارة أحد الأقارب إضافة أيضاً إلى أن مدى القرب أو البعد عن مكان العمل يسهم إلى حد كبير فى التباين بين الحرفيين فى نوعية الحياة وأسلوب المعيشة، فالذى تقع ورشته بجوار مكان سكنه يختلف أسلوب حياته ومواعيد ذهابه إلى المنزل وأوقات راحته، وكذلك مواعيد تناول طعامه وأيضاً فى علاقته بزوجته وأبنائه، عن غيره ممن تقع ورشته فى مكان بعيد نسبياً عن مكان سكنه.

وعـن الأجهـزة الكهربائـية الموجودة بالمنزل، أسفرت نتائج الدراسة على المسـتوى الكيفى عن وجود تباينات بين حالات الدراسة حسب نوع الحرفة وداخل الحـرفة الواحدة، إلا أن حرف الصاغة كانت أحسن حالاً فى المستوى الاقتصادى من صناعات المجموعتين الثانية والثالثة. وقد تباينت المستويات الاقتصادية حسب الدخـل مـن ناحـية، والقدرة على التسويق من ناحية أخرى. إلا أنه كما لاحظت الباحـثة وبصـفة عامـة أن ورش وصناعات الصاغة تأتى فى أعلى المستويات الاقتصـادية للصـناعات الحرفـية. وقـد أكدت ذلك المشاهدات الميدانية لوحدات المعيشـة الخاصة بالحرفيين فى حرف الصاغة، إذ تبين توافر الأجهزة الكهربائية بمخـتلف أنواعهـا حيث توجد الغسالة الأتوماتيكية والثلاجة الكهربائية، والتكييف، والمروحة، إضافة إلى ارتفاع مستوى الأثاث إلى حد ما، وكذلك توافرذهب أجهزة الكمبيوتر، والدش، والسيارة، وأجهزة الموبايل.

يتبيـن من ذلك ارتفاع المستوى الاقتصادى للحرفيين فى حرف الصاغة عنها فى الصـناعات الأخرى، إلا أنه كما أوضحت نتائج دراسة الحالة لا يعد ارتفاع المستوى الاقتصـادى للحرفى مؤشراً إيجابياً على تحسن نوعية الحياة وارتفاع مستوى الرضا، حيـث إن مسـتوى الرضـا عـن الحياة ككل هو محصلة تفاعل العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ففى حرف الصاغة رغم تحسن المستوى الاقتصادى والاجـتماعى للحـرفى، وتحقيق الأمان له ولأفراد أسرته، إلا أن المشاهدات الميدانية أظهرت انخفاض درجة الرضا فيما بينهم إلى أدنى معدلاتها.

٢- التعليم والثقافة :

كمـا تبيـن فى نتائج الدراسة الميدانية على المستوى الكمى والكيفى انخفاض المستوى التعليمى للحرفيين وزوجاتهم، مع ارتفاع المستوى التعليمى للأبناء؛ نظراً لارتفـاع قـيمة التعليم بصفة عامة فى المجتمع المصرى عموماً، فغالبية زوجات الحرفيـن غـير متعلمات أو حاصلات على مؤهلات متوسطة مع وجود حالات نادرة لبعض الزوجات اللاتى تعلمن تعليماً عالياً.

وقـد تبيـن من المشاهدات الميدانية عدم اتجاه أى من زوجات الحرفيين إلى العمـل خـارج المـنزل على الرغم من حصول بعضهن على مؤهلات عالية أو متوسـطة، ويـرجع ذلـك إلى زيادة الاعتقاد من جانب الحرفيين بضرورة وجود الـزوجة بالمنزل وعدم اشتغالها بمهن أخرى حيث قوة العادات والتقاليد السائدة فى الحـى الشـعبى. وعـبر عـن ذلك صاحب الحالة (أ-ح) الذى يعمل فى الذهب،

وزوجته مهندسة ديكور ولا تعمل، حيث ذكر : "مراتى كانت بتشتغل مصممة ديكور، بس أنا أقعدتها فى البيت، عشان بيتى لازم تكون موجودة فيه، وأنا مش موجود، لو معملتش كده كنت أضيع بيتى وولادى، وكمان أن محبش الست اللى تشتغل". وقد عبرت الزوجة عن رضاها وسعادتها بذلك حيث قالت : "أنا قعدت فى البيت بمزاجى لما هو أقنعنى، عشان خاطر ولادى، وهو علطول بره، فلازم أكون أنا موجوده عشان الولاد وأنا مبسوطة مش ندمانة لأن ولادى وبيتى هم أهم حاجة عندى وسعادتهم وراحتهم ده أهم حاجة عندى".

وهكذا فإن انخفاض المستويات التعليمية للحرفى وزوجته هى سمة عامة تميز الغالبية العظمى من الحرفيين، ولا ترتبط بالرضا أو تحسن نوعية حياة الحرفى. وقد يرتبط ذلك بالتنشئة الاجتماعية للحرفيين وارتباطهم بحى الجمالية – حى شعبى تقليدى – والذى يرفض عمل المرأة أساساً ويستنكر له. بينما يعد تعليم الأبناء مؤشراً مهماً لرضا الزوج عن حياته، ففى غالبية حالات الدراسة كان وصول الأبناء إلى مستوى عال من التعليم ودخول الجامعة، يسهم فى الوصول إلى درجة عالية من الرضا عند الحرفى، أكثر من عمل الأبناء مع آبائهم، وفى هذا تغير عما سبق حيث كان الأب يحرص على تعلم ابنه الصنعة لكى يعمل معه جنباً إلى جنب ويحافظ على اسمه واسم أجداده، ولكن أوضحت الدراسة أن الحرفيين الذين يعمل معهم أبناؤهم هم أقل شعوراً بالرضا من هؤلاء الذين استكمل أبناؤهم تعليمهم ويعملون فى مهن أخرى، وقد عبرت كثير من حالات الدراسة عن ذلك ومن ذلك قول الحالة (م-س) التى يعمل صاحبها فى صناعة الفضة، وابنه فى كلية الهندسة وابنته فى الثانوية العامة "أنا محبيتش أعلم ابنى الصنعة دى، وهو فى كلية الهندسة دلوقتى، وأنا اللى رفضت شغله معايا عشان شغلتنا متعبة، والزمن مبقاش هو الزمن، أنا عاوزه يشق طريقه ويشوف مستقبله، والله لو فشل يبقى ييجى معايا".

كما ذكرت إحدى حالات صناعة الصدف وهى الحالة (س-أ) ما يلى : "نفسى ولادى يكملوا تعليمهم ويوصلوا لأعلى الشهادات ويكونوا أحسن منى".

وعبرت أيضاً الحالة (م-ع)احدى حالات صناعة النحاس، قائلة: "مش عاوز حاجة غير إن ربنا يوفقنى فى شغلى وولادى يارب، ومش عاوزهم يبقوا زى، عشان أنا كل عيلتى متعلمين وحاصلين على شهادات عالية".

ويتبين من ذلك أن تعليم الأبناء ووصولهم إلى المستوى العالى من التعليم يعد مؤشراً إيجابياً لتحسن نوعية حياة الحرفى حيث ارتفاع الشعور بالرضا والسعادة،

والــتعويض أيضاً عما لم يحصل عليه هو من حقه فى التعليم، ولذلك يشعر بالفخر والسعادة لذلك.

٣- الوقت ووقت الفراغ :

يعد الوقت من المؤشرات المهمة فى تحديد مستوى نوعية حياة الحرفى، حيث يحمــل الوقت العديد من الدلائل السوسيولوجية، وكذلك وقت الفراغ وكيفية قضائه ويعــرف وقت الفراغ بأنه: "الوقت الذى يتحرر فيه الإنسان من العمل والواجبات الأخــرى والذى يمكن أن يستغل فى الاسترخاء والترويح والإنجاز الاجتماعى أو تنمــية حاجــات شخصــية، والذى يعد مجالاً أساسياً لإرضاء الرغبات الشخصية (Mouda. 2004: 2-4).

وبالنســبة للغالبية العظمى من الحرفيين نجد أنهم يقضون غالبية وقتهم اليومى فــى أماكــن عملهم، ولذلك لا يكون لديهم وقت لقضائه داخل وحدة المعيشة، حيث يذهــبون إلى عملهم منذ الصباح حتى إن غالبيتهم يتناولون إفطارهم داخل الورشة مــع زمــلاء العمل ويظلون بالورشة حتى منتصف الليل أحياناً، وبعد ذلك يذهبون إلى البيت لتناول طعام العشاء الذى يعد الوجبة الأساسية لهم، والنوم بعد ذلك، حتى عــبر الكثير منهم عن أنهم يعانون من ذلك، فهم لا يستطيعون الجلوس مع أبنائهم وزوجــاتهم ســوى يوم الإجازة الأسبوعية وهو يوم الأحد من كل أسبوع. ومن ثم فــإن الحــرفى يكــون أقــل مشاركة فى الأعباء المنزلية والالتزامات الاجتماعية الأسرية ومشاكل الأبناء، وعلى الرغم من ذلك، فإن الغالبية العظمى منهم يتكيفون مع هذا الوضع، ولا يشعرون بالضيق وعدم الرضا من ذلك، حيث يحاول غالبيتهم تعويض الزوجة والأبناء عن ذلك فى يوم الإجازة أو المشاركة بالسؤال عن أحوال الأولاد فــى التلــيفون... وغير ذلك. وقد عبرت عن ذلك بعض الحالات مثل قول الحالــة (م-س) التى يعمل صاحبها فى صناعة الفضة: "يوم الأجازة لازم أفسح الــولاد ونخــرج فــى أى مكان هم عاوزينه ممكن نتغدى بره أو نتعشى أو نروح ســينما، بــس أنا محبش النوادى، عشان الاختلاط وحش محبوش" وذكرت زوجة الحالــة (أ-ح) الــذى يعمل فى صناعة الذهب : "يوم الأحد دايما نخرج لو مفيش امــتحانات ممكن نزور أرايبنا أو نروح سينما أو أى حاجة، ورغم انشغال جوزى فــى الشغل، بس هو دوره مهم جداً فى البيت والأولاد بيعملوا له ألف حساب وهو موجــود زى وهــو مش موجود، وعارفين إنى أقوله على كل حاجة، وبعدين هو بيتعب عشان مين مهو عشان ولادنا".

بينما يتباين ذلك فى صناعات خان الخليلى والتى لا يهتم أصحابها أساساً بقضاء وقت ترفيهى للأسرة والأبناء، فيذكر صاحب الحالة (س-أ) الذى يعمل فى صناعة الصدف مايلى : "لو مراتى إتضايقت من شغلى، تضايق يعنى حعملها ايه، لازم تفهم وتقدر، وكمان أنا أسيبها براحتها لو عاوزة تروح عند أبوها أو تروح تجيب حاجة من السوق، بس طبعاً لازم تقولى قبلها، ودايماً أوعدهم بمصيف بس مش بيحصل، أنا وقتى كله فى الشغل عشانهم".

ويتضح من ذلك أن هناك تباين بين الحرفيين فى وسائل تقضية وقت الفراغ، وكيفية الاستمتاع به سواء بين المجموعات الحرفية أم على مستوى الحرفة الواحدة، وأنه كلما كانت الزوجة متفهمة لظروف عمل الزوج كلما كان الحرفى أكثر رضاء واستقراراً فى حياته الأسرية والاجتماعية، فعلى الرغم من عدم مشاركة الحرفى فى أى من الالتزامات والمسئوليات الأسرية ومشاكل الأبناء، فللزوجة دور كبير فى تحقيق الاستقرار الأسرى والنفسى للحرفى (رب الأسرة).

كما أنه كلما كان الحرفى أكثر مشاركة لأفراد أسرته فى قضاء وقت الفراغ كلما أدى ذلك إلى مزيد من الرضا والاستقرار الأسرى فى حياة الحرفى، بغض النظر عن نوع العمل الحرفى الممارس.

٤- الاهتمام بالصحة والوعى الصحى :

أكدت بعض الدراسات السابقة على أن التعب أو المرض أو انخفاض مستوى الصحة، يؤثر على درجة الشعور بالرضا عن الحياة ككل. وقد تبين من نتائج دراسات الحالة والمؤشرات الكمية أيضاً أن الوضع يختلف عن ذلك بالنسبة للحرفيين؛ حيث إن الحرفى يتعود على التعب والإرهاق البدنى الذى يشعر به، ولا يؤثر ذلك على درجة رضاه عن عمله، بل إن هذا الشعور بالتعب يجعله يشعر بذاته وبمكانته وتحقيق ذاته، فى مقابل أن عدم الإرهاق أو الشعور بالتعب بسبب عدم وجود شغل يجعله يشعر بالإحباط والضيق مما يؤدى إلى انخفاض الشعور بالرضا عن حياته ككل.

وقد عبرت العديد من حالات الدراسة عن ذلك، حيث ذكرت الحالة (س-ع) إحدى حالات المجموعة الثانية وتختص بصناعة السبح ما يلى : "إن مكنش الواحد يتعب فى شغله، يبقى مش حيحس بطعم حاجة فى الدنيا، كل ما الواحد يتعب كل ما يكون فرحان ومبسوط، إحنا كده واتعودنا خلاص إن لازم تكون إدينا وسخة، ودقتنا طويلة، والواحد ممكن مينمش باليومين والتلاتة وميشوفش ولاده، بس احنا

مولفين نفسنا على كده، وده العيشة اللى تعجبنا ونحبها، لكن لو مفيش شغل والواحد مرتاح ومش تعبان، يبقى مهموم ومتضايق ومش طايق نفسه كمان".

مما يعبر عن مدى رضا الحرفى بعمله وبتعبه وأنه تعود على ذلك، ولا يشكل أى ضرر أو ضيق بالنسبة له. وقد أكدت زوجته على ذلك قائلة : "الشغل طبعاً أثر علـــى صحته كثير وهو تعبان دلوقتى جاله السكر ونظره ضعف من كتر التركيز فـــى الشـــغل، ويرجع البيت وهو مش شايف أدامه، لكن ده بيبسطه وبيريحه، ولما مـــيكونش وراه حاجة، يبقى زهقان ومتضايق ويتخلق على أى حاجة، وأقوله ريح نفســك، وتعـــالى بـــدرى عشان الولاد يقدروا يقعدوا معاك، يقولى أنا راحتى فى شغلى".

كمـــا ذكر صاحب الحالة (س-أ) الذى يعمل فى الصدف ويبلغ من العمر ٤٠ عامـــاً مـــا يلـــى : "الصنعة طبعاً تتعب العين من طول فترة التركيز، والقعدة لمدة طويلـــة تتعب ضهرى، لكن أنا تعودت على كده، بس اللى يرضى الواحد إنه يقدر يوفى طلبات بيته وعياله".

ومـــن ثم فإن التعب والإرهاق الذى يشعر به الحرفى فى صحته، يعد مؤشراً علـــى ارتفـــاع معـــدلات الرضـــا عـــن العمل بصفة خاصة، والرضا عن الحياة الاجتماعية ككل بصفة عامة.

٥- نوعية حياة العمل والرضا عن الحياة :

أكـــد س. رايـــت ميلز فى النمط المثالى للحرفية أن الحرفى عندما يصل إلى درجة عالية من الرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل فإنه يصل إلى الرضا التام عن الحياة ككل وعن مجالاتها المختلفة.

وقـــد أكدت نتائج دراسة الحالة على أن الرضا عن العمل يعد أحد المؤشرات المهمـــة التى تسهم فى تشكل الرضا عن الحياة ككل وعن مجالاتها المختلفة. حيث إن الشـــعور بالرضـــا هـــو محصلة تفاعل العديد من العوامل المجتمعية والثقافية والاقتصـــادية، فقد يصل الحرفى إلى أعلى معدلات الرضا فى مجال عمله، ويحقق العديد من الإشباعات كالشعور بالاستقلالية فى مجال العمل وتحقيق الذات، وتحقيق الأمـــان، .. إلا أنـــه رغم ذلك قد يعانى من مشاكل صحية أو تفكك أسرى، أو لا يســـتطيع تكوين علاقات وصداقات اجتماعية أو أنه يشعر بعدم الفخر أو الاعتزاز بذاتـــه نتـــيجة لانخفـــاض مســـتواه التعليمى .. وغيرها مما قد يسهم بلا شك فى انخفاض مستوى رضاه عن الحياة ككل.

وقد دعمت ذلك، العديد من حالات الدراسة كما يلى : ففى الحالة (أ-ح) إحدى حالات المجموعة الأولى (الصاغة) تذكر: "وطبعاً أنا مبسوط بشغلى وبحبه، برغم أى مشاكل فيه، وده بيخلينى عاوز أشتغل أكتر وأتعب أكتر وأبقى أحسن واحد فى صنعتى".

كما ذكرت الحالة (أ-ج) التى يعمل صاحبها فى الألومنيوم ما يلى: "الحمد لله، أنا مبسوط ودلوقتى لى اسمى المعروف فى السوق، وخلاص مش نفسى فى حاجة".

وأيضاً عبرت عن مدى الرضا عن العمل، والحياة الاجتماعية الحالة (س-أ) التى تعمل فى الصدف، حيث قال : "الحمد لله، الواحد اللى له نصيب فى حاجة لازم يشوفها، وده نصيبى وشغلى لازم أجتهد فيه عشان ربنا يباركلى، وطبعاً طول ما الواحد مستور ومكفى بيته بيكون مرتاح".

وقد ذكرت كذلك الحالة (م-ج) الذى يعمل فى حرفة الذهب، ما يلى : "أنا ناجح فى شغلى ومبسوط وبأه لى اسمى، وطول ما الحال متيسر والواحد ربنا كرمه، يبقى مبسوط، وراضى ومش شايل هم حاجة" بينما أظهرت زوجته عدم الرضا عن عمله حيث قالت : "لما الأرش جرى فى إيده اتجوز على، وأهمل بيته وعياله، ولا بيقعد معانا، هو دلوقتى وقته مش ملكه وبقى عبد للإرش".

وقد أظهرت بعض الحالات عدم الرضا عن الحياة عموماً، حيث تذكر الحالة (م-ع) ويعمل صاحبها فى النقش على النحاس، ما يلى : "أنا برغم النجاح اللى وصلتله فى شغلى، وبقيت مطلوب بالاسم ورغم المكسب اللى باكسبه لكن أنا بأندم على شغلى ده، لأن الأقل منى عايش مرتاح عنى، ولما بيتعامل مع حد مبيكونش لى وضع وسطهم لأنى مش متعلم". ويتبين من هذا، أنه رغم التميز فى العمل والشعور بالرضا، إلا أن الحرفى لا يشعر بالرضا عن حياته بسبب عدم تعليمه.

ومن ثم فإنه يمكن القول أن نوعية حياة العمل لدى الحرفى تسهم إلى حد كبير فى تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية وأسلوب المعيشة (كما ذهب ميلز) وقد ظهر ذلك فى مستوى الوحدة المعيشية وتحديد أوقات العمل وأوقات الفراغ والراحة، وكذلك فى لغة الحياة اليومية التى يستخدمها الحرفى .. وغيرها. وتتباين نوعية حياة العمل بين الحرفيين حسب نوع العمل الحرفى الممارس ومستوى الممارسة الحرفية، كما تتداخل عدد من العوامل الأخرى فى تشكل نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى كالمستوى التعليمى، والدخل، ومكان السكن فنوعية حياة العمل هى أحد المؤشرات المهمة لنوعية حياة الحرفى وليست مؤشراً كلياً لها كما ذهب (سيرجى، ٢٠٠١).

تعقيب :

يتضـــح مـــن التحلـــيل السابق فى ضوء المعطيات الأمبريقية التى استطعت الحصـــول علـــيها أن هناك علاقة تبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى، فالورشة تحـــتاج إلـــى المجـــتمع المحلى الحاضن لها فى تحقيق أهدافها المتمثلة فى البقاء والاســـتمرارية، وكذلك المجتمع المحلى بحاجة مستمرة إلى نشاط المنشآت الحرفية مـــن أجـــل ســـد حاجات أفراد المجتمع. وذلك على مستوى المجموعات الحرفية الثلاث. وكما أكدت دراسة الدكتورة اعتماد علام (٢٠٠٠م).

وقد أظهرت الدراسة أن هناك تباين بين الأنشطة الحرفية المختلفة فيما يتعلق بدرجـــة الاندماجية فى المجتمع المحلى، والتى ترجع إلى عدد من العوامل كالنشأة فـــى المجتمع المحلى نفسه والإقامة به، وعامل القرابة فى العمالة الحرفية، إضافة إلى طبيعة العملية الإنتاجية وما تفرضه من ميكانيزمات من أجل الحفاظ على سير العملـــية الإنتاجية وكذلك مدى التكاملية أو الخصوصية فى أداء العمل على مستوى الـــورش الحرفـــية وبعضها البعض. وما تفرضه الظروف الفيزيقية للورشة، حيث عدم توافر دورات المياه، وعدم التهوية، والاعتماد على المجتمع المحلى فى توفير الخدمـــات الأساســـية للحرفيين. ويضاف إلى ذلك البعد الاقتصادى الذى يتمثل فى التســـويق والذى يرتبط إلى حد كبير بالمجتمع المحلى؛ ويؤثر على درجة اندماجية الورشة فى المجتمع المحلى.

وقد أوضحت الدراسة أن المجتمع المحلى وما به من ثقافة يؤثر إلى حد كبير فى تشكل نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته داخل المجتمع المحلى. وقد بدا ذلك واضـــحاً من خلال ما كشفت عنه الدراسة على المستوى الكيفى خاصة وكما تبين مـــن أقـــوال حـــالات الدراسة، أن ثمة طقوس وممارسات ثقافية لإيقاع العمل ذاته والـــتى تؤثر فى مدى شعور الحرفى بالتفاؤل أو التشاؤم، ومن ثم فى أسلوب حياته اليومـــية. إضـــافة إلـــى ما يرتبط بالمواسم والأعياد الشعبية والرسمية من طقوس وممارســـات والـــتزامات اجتماعـــية والتى تبين مدى حرص الحرفى على أدائها والالتزام بها وذلك حفاظاً على القيم والعادات الاجتماعية السائدة فى المجتمع.

وقـــد تبيـــن أيضاً، ازدياد العلاقات الإنسانية خارج مجال العمل بين الحرفيين وبعضـــهم الـــبعض وبيـــنهم وبين صاحب العمل، وعلى مستوى المجتمع المحلى، والـــتي تتمثل فى: المشاركة فى المناسبات الاجتماعية غير السارة خاصة والسارة أحـــياناً، وكذلـــك المشـــاركة فـــى الرحلات الترفيهية والمساندة فى حالة التعب أو المرض... وغير ذلك . كما أن هناك ثقافة خاصة بجماعة الحرفيين والتى تتضمن

العديد من المفردات والرموز الخاصة بهم، والتي نطلق عليها لغة الحياة اليومية تعبر عن طموحاتهم ورغباتهم وسلوكياتهم وعلاقاتهم بالآخرين داخل المجتمع المحلي، والتي تعد بدورها جزءاً لا يتجزأ عن الثقافة الشعبية السائدة به.

وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن نوعية حياة الحرفي وأسلوب معيشته هي امتداداً لنوعية حياته داخل مجال العمل، حيث إن العمل بالنسبة للحرفي يشكل كل حياته، فهو يقضي فيه معظم وقته، كما أنه يرتبط به من سن مبكرة وحتى آخر عمره، فلا يوجد سن معاش في العمل الحرفي مثلما هو الحال في المهن الأخرى. لذلك فهو يؤثر في جميع مجالات حياته الأخرى. وكلما كان الحرفي أكثر شعوراً بالرضا والإشباع الذاتي في مجال العمل، كلما كان أكثر رضاء وسعادة في حياته ككل.

كما أن الظروف المعيشية للحرفي هي انعكاس لنوعية حياة عمله، كما يبدو ذلك في المستوى الاقتصادي للأسرة، ووسائل الترفيه وأساليب قضاء وقت الفراغ، إضافة إلى محل الإقامة للحرفي، والمستوى التعليمي للأبناء.

وعن معدلات الرضا عن الحياة الاجتماعية على مستوى الوحدة المعيشية فنجد أنها كانت انعكاساً لنوعية حياة العمل للحرفي داخل مجال العمل، فكانت في أعلى معدلاتها في صناعات خان الخليلي وتليها صناعات الشيش والألومنيوم، حيث إن هذا الرضا نابع من الإيمان بالقسمة والنصيب والرضا بالواقع وعدم الرغبة في التغيير، إلا أنه رغم تحسن نوعية حياة العمل لدى المشتغلين بحرف الصاغة ومن ثم تحسن أحوالهم ومستوياتهم المعيشية إلا أن انخفاض شعورهم بالرضا في مجال العمل ينعكس على انخفاض مستوى الرضا عن الحياة ككل.

ومن ثم نجد أن نوعية حياة العمل هي أحد المؤشرات المهمة لنوعية حياة الحرفي؛ إذ أن هناك ميكانيزمات أخرى تؤثر في تشكل نوعية حياته وأسلوب معيشته كالتعليم والدخل ومكان السكن مما يؤدي إلى التباين في نوعية حياة الحرفيين وأسلوب معيشتهم سواء على المستوى الخارجي بين الحرف وبعضها البعض، أم على المستوى الداخلي للحرفة الواحدة. على الرغم من وجود ثقافة حرفية مشتركة تشكل سمات عامة وخصائص مشتركة بين جميع الحرفين بغض النظر عن نوع الحرفة ومستوى الممارسة الحرفية.

٩

الفصل التاسع
مناقشة النتائج فى ضوء النموذج المثالى للحرفية ونتائج الدراسات السابقة

الفصل التاسع
مناقشة النتائج فى ضوء النموذج المثالى للحرفية
ونتائج الدراسات السابقة

مقدمة :

فى محاولة البحث الراهن خدمة هدفه الأساسى المتمثل فى : الكشف عن نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته كما يعكسها العمل الحرفى، قمت بطرح عدد من التساؤلات تسعى الدراسة للإجابة عليها، وسوف أعرض فيما يلى ما كشفت عنه الدراسة الميدانية من نتائج فى ضوء الأطروحات النظرية، ومقارنة الرصد الأمبريقى للبيانات الميدانية بنتائج الدراسات السابقة. وتتمثل هذه التساؤلات فيما يلى :

التساؤل الأول :

ما أبرز ملامح نوعية حياة الحرفيين، كما تعكسها المعطيات التاريخية خلال المراحل المختلفة التى مر بها المجتمع المصرى؟

تؤكد معطيات ذاكرة التاريخ الاجتماعى للنظام الحرفى فى مصر على وجود ارتباط وثيق بين خصائص كل من البنية الاجتماعية للمجتمع المصرى وخصائص النظام الحرفى.

ومن خلال تتبع خصائص البنية الحرفية فى الحقب التاريخية المتباينة، تبين أن كل حقبة تاريخية تعكس بعض من ملامح نوعية حياة الحرفيين والتى ارتبطت إلى حد كبير بالظروف التى مرت بها كل حقبة وما كانت تتصف به سواء من ازدهار وتطور أو من تدهور واضمحلال.

- ففى المجتمع المصرى القديم اتصف الحرفى بالكثير من القدرات الإبداعية، التى يدل عليها إنتاجه العديد من المنتجات بالغة الدقة فى فنون الزخرفة والنقش والمشغولات الذهبية والفضية ... وغيرها من الصناعات. وقد شهد هذا العصر بداية تكون نظام الطوائف الحرفية.

ومع الفتح الإسلامى لمصر ارتفعت المكانة الاجتماعية للحرفيين وكثر عدد المشتغلين بالنشاط الحرفى خاصة فى فترة الحكم الفاطمى. وشهدت الصناعة خلال تلك الفترة تطوراً وازدهاراً ملحوظاً، وكان من أشهر الصناعات التى ازدهرت فى هذا العصر: صناعة النسيج، والخزف، والزجاج، والنقش على الخشب، والتكفيت.

وكـــان من أهم ملامح البنية الحرفية فى تلك الفترة: دخول المرأة مجال العمل الحـــرفى حيـــث كـــان لهـــا دور بارز فى عدد من الصناعات كصناعة الخزف، والفخـــار، والســـجاد، والنســـيج. إضافة إلى انتشار ما يعرف بالوكالات والربوع والقياســـر والـــتى كانـــت تمثل مقراً لتجمع أرباب الحرف والتجار، وارتباط مكان الســـكن بمكـــان العمل، مما أدى إلى ارتباط نوعية حياة الحرفى بحياته فى مجال العمـــل إلى حد كبير، وكذلك الاعتماد على العمالة القرابية التى أسهمت كثيراً فى الشـــعور بالاستقلالية والحرية فى أداء العمل، والمرونة فى أوقات العمل. وانعكس تأثير هذا كله إيجاباً على تحسن نوعية حياة العمل لدى الحرفى وعلو شأنه وارتفاع مكانته خلال هذه الفترة.

ومـــن جهـــة أخرى تعرضت البلاد لكثير من القهر والظلم وسياسات السلب والنهـــب خـــلال فـــترة الحكـــم العـــثمانى لمصر، كما تدهورت أحوال العديد من الصـــناعات القائمـــة فى المجتمع المصرى مما أدى إلى انخفاض وتدهور الأحوال المعيشية للحرفيين وتدنى مكانتهم الاجتماعية.

وعند مجىء عصر محمد على فى عام ١٨٠٥م، والذى قام فيه باحتكار جميع الصـــناعات الحرفية بهدف التنمية الصناعية وإنشاء المصانع الحكومية، تعرضت حـــياة الحرفييـــن إلى كثير من التدهور والاضمحلال؛ نظراً لتقييد حرية الصناع، والمنافســـة الشديدة من جانب المصانع الكبيرة ومنتجاتها التى لم تستطع الصناعات الحرفـــية مواجهتها. إضافة إلى قتل روح الابتكار لدى الحرفى وحرمانه مما يتمتع بـــه مـــن اســـتقلالية، ممـــا كان له تأثيراً سلبياً على العديد من الصناعات الحرفية التقلـــيدية، الأمر الذى أدى بدوره إلى تدنى المكانة الاجتماعية للحرفيين وانخفاض مســـتويات معيشـــتهم وشـــعورهم بالسخط والاحباط وعدم الرضا. وقد استمر هذا الـــتدهور والاضـــمحلال حـــتى أن العديد من الحرفيين هجروا صناعاتهم وأغلقوا حوانيتهم، واتجهوا إلى العمل الزراعى فى عصر الاحتلال البريطانى. كما شهدت هذه الحقبة التاريخية أيضاً القضاء على نظام الطوائف الحرفية إبان العقد الأول من القرن العشرين.

وكـــان لقـــيام الحـــرب العالمـــية الأولى فى عام ١٩١٤م الفضل فى انتعاش الصناعة المصرية مرة أخرى، وازدياد أعداد الصناع والحرفيين. حيث شهدت هذه الحقـــبة التاريخية تطوراً ملحوظاً فى الصناعة مع بدايات العشرينيات والثلاثينيات مـــن القـــرن العشـــرين؛ نظـــراً لـــنمو القطاع الصناعى الحديث ونمو الصناعات الاستهلاكية، والتى كان من أهمها: صناعة النسيج، والصناعات الكيماوية والمعدنية

وتعبئة الخضروات، والأجهزة الطبية. وشمل النمو الصناعى كلاً من القطاعين الرسمى وغير الرسمى، وازداد بشكل كبير حجم العاملين فى الحرف والصناعات الصغيرة.

وإذا انتقلنا إلى البنية الحرفية من عصر الانفتاح وحتى الآن، فنجد أنه كان لسياسة الانفتاح تأثيرها فى مجمل البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى. ورغم أنه كان هدف هذه السياسة وضع أسس تنشيط الاقتصاد ودفعه إلى الأمام إلا أن سياسة الباب المفتوح والاغراق بالاستيراد من الخارج وتشجيع القطاع الخاص والشركات متعددة القوميات أدى إلى تدهور التصنيع والقطاع العام إلى أقصى درجة. حيث أدى ازدياد تدفق السلع المستوردة فى السوق الداخلية إلى نشأة منافسة غير متكافئة بين ما هو مستورد وما هو محلى، إضافة إلى إرتفاع تكاليف المعيشة وغلاء الأسعار مما كان له أكبر الأثر فى الاستغناء عن الكثير من العمال الصناعيين والحرفيين. ونتج عن محصلة هذا كله تدهور الأحوال المعيشية للحرفيين خاصة؛ نظراً لانخفاض قيمة العمل اليدوى فى ظل الاعتماد بصورة أكبر على العمل الآلى. إضافة إلى انتشار القيم السلبية بين الحرفيين كالمنافسة وحب الذات والغيرة فى مقابل تدهور واضمحلال الكثير من القيم والأخلاقيات التى كان متعارف عليها فى ظل نظام الطوائف الحرفية كالولاء والطاعة واحترام وتوقير الكبير.

فى هذا الصدد، تؤكد نتائج الدراسة الحالية على انتشار تلك القيم السلبية بين الحرفيين وتغير الكثير من القيم والأخلاقيات السائدة فى ظل نظام الطوائف. وتدهور خاصية التوارث المهنى حيث أن الغالبية العظمى من الحرفيين لا يرغبون فى توريث الصنعة لأبنائهم، وإنما يأملون فى تعليمهم نظامياً مما يحقق لهم مستوى معيشى أفضل فى مستقبل حياتهم. إضافة إلى هذا يؤدى تفاقم المشكلات والتحديات التى يواجهها الحرفيون عامة إلى ظهور قيم سلبية لم تعهدها الممارسة الحرفية سابقاً فى مصر. ومن أهم تلك المشكلات التى كشفت عنها هذه الدراسة، وكذلك الدراسات السابقة: كدراسة أستاذتى الدكتورة (اعتماد علام، ١٩٩١)، ودراسة أستاذتى الدكتورة (سعاد عثمان، ١٩٩١)، وكذلك الأستاذة الدكتورة (فاتن الحناوى، ٢٠٠٠)، وأيضاً دراسة (عنان محمد، ٢٠٠٣)، نجد : ارتفاع أسعار الخامات، وارتفاع حجم الضرائب العامة، مع عدم وجود عمالة مدربة. هذا بالاضافة إلى بعض المشكلات الأخرى التى كشفت عنها الدراسة الراهنة، والتى تتمثل فيما يلى:

- عدم القدرة على التسويق، والحاجة إلى وجود معارض أو أسواق.

- عدم وجود معاش أو دخل ثابت.
- عدم وجود نقابة للحرفيين كنقابة المهندسين، والأطباء، والمحاميين والتطبيقيين، يمكنها مساندة الحرفى فى حالة عجزه أو مرضه أو عدم قدرته على العمل، إضافة إلى توفير العلاج له ولأسرته، أو غير ذلك من خدمات اجتماعية وفنية.

ومن ثم يمكن القول أن نوعية حياة الحرفيين خلال هذه الحقب التاريخية المختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبنية الحرفية التى تعد انعكاساً واضحاً لما تحمله البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى من ملامح وما تمر به من ظروف خلال المراحل التاريخية المتعاقبة.

التساؤل الثانى :

هل هناك فروق ذات دلالة احصائية بين الحرف والصناعات التقليدية (مجال الدراسة) فى الخصائص الست للحرفية؟ وإلى أى مدى تتسم تلك الخصائص بالثبات والتغير فى مجموعات الحرف الثلاث؟

من نتائج الرصد الأمبريقى تبين وجود تداخل واضح وتشابك بين الخصائص الحرفية الست بعضها البعض. وتمثلت هذه الخصائص فى: خاصية الإبداع، والإهتمام بالدقة والجودة، وكذلك الاستقلال الذاتى، وطول فترة الممارسة الحرفية إضافة إلى التداخل بين أوقات العمل والراحة، وأخيراً الرضا عن العمل والحياة الاجتماعية للحرفى. حيث تمثل هذه الخصائص الست منظومة متكاملة تسم حياة العمل لدى الحرفى. وأكدت نتائج الدراسة – على المستوى الكمى – وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠١) بين كل من: حرف الصاغة، وصناعات خان الخليلى، وكذلك صناعات الشيش والألومنيوم فيما يتعلق بمدى الثبات والتغير فى تلك الخصائص الحرفية. ودعمت ذلك نتائج الدراسة – على المستوى الكيفى – كما تبين من المشاهدات الميدانية وأقوال حالات الدراسة والصور الفوتوغرافية. وذلك كما يلى :

أولاً : فى حرف الصاغة، اتصفت الخصائص الحرفية بالتأرجح بين الثبات والتغير فقد احتلت المرتبة الوسطى بين المجموعات الحرفية الأخرى، فيما يتعلق بمدى اشباع الخصائص الحرفية المتمثلة فى : القدرة على الإبداع، والاهتمام بالدقة والجودة، وكذلك الاستقلال الذاتى، والتداخل بين أوقات العمل والراحة وأيضاً طول فترة الممارسة الحرفية. فيما عدا خاصية الرضا عن العمل وهى (الخاصية السادسة) التى احتلت فيها المرتبة الأخيرة (الأدنى)؛ نظراً

لانخفاض مؤشرات الرضا وقد يرجع ذلك إلى ارتفاع القيمة المادية للمادة الخام، وارتفاع الضرائب مع تفاقم مشكلة التسويق وارتباطها بظروف المجتمع والاقتصاد العالمى ومن ثم انخفاض القدرة الشرائية للمستهلك، حيث أصبح يتم شراء الذهب أو الفضة فى المناسبات الاجتماعية فقط أو للضرورة فى حالة وجود (شبكة أو هدية أو سبوع) ولم يعد وسيلة للادخار مثلما كان سابقاً. إضافة أيضاً إلى ما تتطلبه طبيعة العملية الانتاجية والحرص على الوقت، مما لا يسمح للحرفى باقامة علاقات أو صداقات اجتماعية فى مجال العمل..

ثانياً : وعن صناعات خان الخليلى: فقد احتلت المرتبة الأولى فى جميع الخصائص الحرفية، فيما عدا خاصية الرضا عن العمل التى احتلت فيها المرتبة الوسطى؛ نظراً لارتفاع مستوى الطموحات المستقبلية لدى المشتغلون بهذه الصناعات والرغبة فى التطور والتوسع. واحتلت المرتبة الأدنى فى خاصية طول فترة الممارسة الحرفية، حيث تغير خاصية التوارث الحرفى، وارتفاع سن الطفل للقدرة على تعلم الصنعة نظراً لما تتطلبه طبيعة العملية الانتاجية من التركيز الشديد والدقة والصبر وطول البال.

ثالثاً : أما عن صناعات الشيش والألومنيوم: فقد احتلت المرتبة الأدنى فى جميع الخصائص الحرفية، فيما عدا خاصيتى: طول فترة الممارسة الحرفية، وكذلك الرضا عن العمل التى احتلت فى كل منهما المرتبة الأولى، وقد أمكن تفسير ذلك فى ضوء انخفاض المستويات التعليمية بين الحرفيين فى تلك الصناعات نسبياً عن غيرهم من الحرفيين فى الحرف الأخرى، وكذلك انخفاض الطموحات المستقبلية لديهم ومن ثم زيادة الإيمان بالواقع وعدم القدرة على التغيير، ويضاف إلى ذلك ظروف المجتمع حيث زيادة الاقبال على الشيشة فى الآونة الراهنة حتى أصبح هناك ما يعرف (بموضة الشيشة) لكل من البنات والشباب، مما يسهم فى ارتفاع معدلات الرضا فى مجال العمل.

ومن ذلك يتبين أن هناك فروق جوهرية بين الأنشطة والصناعات الحرفية المتباينة فيما يتعلق بالخصائص الحرفية الست ومدى اتصافها بالثبات والتغير، والذى يرجع إلى التباين فى نوع العمل الحرفى الممارس وما يتسم به من خصائص وما يمر به من مراحل وما يتطلبه من ميكانيزمات أساسية تسهم فى الحفاظ على البقاء والاستمرارية.

التساؤل الثالث :

إلى أى مدى تلعب الخصائص الحرفية دوراً فى تشكل نوعية حياة العمل لدى الحـــرفى؟ بمعنى إلى أى مدى تعد الخاصية السادسة فى النمط المثالى للحرفية هى محصلة تفاعل الخصائص الخمس الأولى، فى مجموعات الحرف الثلاث؟

فى النمط المثالى للحرفية، تشير الخاصية السادسة إلى ما يلى: "يعكس أسلوب الممارســـة الحرفـــية نوعـــية الحياة الاجتماعية للحرفى وأسلوب معيشته". ويذهب ميلز، إلى أن عمل الحرفى لا ينفصل عن حياته الاجتماعية. من ثم لا يمكن فصل المقولـــة السادســـة عـــن المقولات الخمس الأخرى حيث تتكامل جميعها من أجل الوصول إلى الرضا والاشباع الذاتى للحرفى فى مجال عمله وفى حياته ككل. وقد توصلت الدراسة إلى ما يلى :

احتلـــت صـــناعات خـــان الخليلى المرتبة الأولى على المستوى الكلى للمقياس (الخصـــائص الست للحرفية) فيما يتعلق بتحسن نوعية حياة العمل، حيث بلغت قيمة ف (٣,٦٤) وكانت لصالح صناعات خان الخليلى بمتوسط يصل إلى (١٠٩,٨) وهى فـــى ذلـــك تتفق مع ما ذهب إليه س. رايت ميلز، إذ أن الحرفيين فى صناعات خان الخلـــيلى – كمـــا تبين من نتائج الدراسة على المستوى الكمى والكيفى – كانوا أكثر إشباعاً للخصائص الحرفية المتمثلة فى النمط المثالى للحرفية، فقد اتصفت غالبية تلك الخصـــائص بالثـــبات والاســـتقرار ومـــن ثم فكانوا هم أكثر شعوراً بالاشباع الذاتى والرضا فى مجال العمل.

وفى المرتبة الثانية جاءت صناعات الشيش والألومنيوم، وذلك بمتوسط يصل إلـــى (١٠٨,٤) حيـــث اتصفت بعض الخصائص الحرفية بالثبات فى مقابل الكثير الـــذى اتصـــف بالـــتدهور والتغير. ورغم ذلك أوضحت الدراسة ارتفاع مؤشرات الرضـــا لدى هؤلاء الحرفيون، وقد أمكن تفسير ذلك بانخفاض مستويات طموحاتهم المســـتقبلية إلى أدنى حد ممكن، وانخفاض القدرة على تغيير الواقع ومن ثم ازدياد الايمـــان بالقســـمة والنصـــيب والقناعة بالواقع المعاش، وأكدت على ذلك حالات الدراســـة حيـــث انحصـــرت طموحاتهم المستقبلية فى : "مفيش حاجة، الحمد لله"، وأيضـــاً "نفسى ولادى يتعلموا ويبقوا أحسن منى"، وكذلك "الواحد اتعود على شغله خـــلاص مـــش معقول حاجى أغيره دلوقتى، أنا خلاص مش عاوز حاجة غير إن الواحد يفضل بصحته عشان ميحتاجش لحد".

وفى المرتبة الثالثة جاءت حرف الصاغة بمتوسط = (١٠٦,٦) حيث اتصفت غالبـــية الخصـــائص الحرفـــية بالتأرجح بين الثبات والتغير، وقد انخفضت درجة

الرضا بين هؤلاء الحرفيين رغم تحقق العديد من الاشباعات فى مجال العمل والتى أسفرت عنها المشاهدات الميدانية للباحثة كتحقيق الأمان وتحقيق الذات والتميز فى أداء العمل إضافة إلى الشعور بالاستقلالية ... وغير ذلك. إلا أن هناك عدد من العوامل المجتمعية والثقافية التى أثرت بدرجة ملحوظة فى انخفاض معدلات الرضا لدى المشتغلون بحرف الصاغة، كظروف السوق وارتفاع الضرائب، وغلاء أسعار المعيشة، وكذلك ازدياد حدة المنافسة بين الحرفيين وبعضهم البعض وبدرجة ملحوظة فى حرف الصاغة عن غيرها من الحرف الأخرى، وانخفاض التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم البعض، يضاف إلى ذلك ارتفاع المكانة المهنية والاقتصادية للحرفيين ومن ثم تطلعهم إلى المزيد من الطموحات.

وتأسيساً على ما سبق فإن نوعية حياة العمل هى محصلة تفاعل الخصائص الحرفية المتمثلة فى نموذج الحرفية، وباعتبار أن الرضا والاشباع الذاتى فى مجال العمل هو دالة أساسية لنوعية حياة العمل فقد جاءت صناعات خان الخليلى فى المرتبة الأولى من حيث تحسن نوعية حياة العمل وازدياد الشعور بالرضا والاشباع الذاتى، والذى تمثل فى تحقيق الذات والشعور بالاستقلال الذاتى والتميز وتحقيق الشهرة والسمعة الحسنة إضافة إلى تكوين علاقات وصداقات اجتماعية مما يخفف من عناء الحياة الاجتماعية للحرفى. بينما جاءت صناعات الشيش والألومنيوم فى المرتبة الثانية، حيث عدم إشباع العديد من الخصائص الحرفية، وفى المرتبة الثالثة جاءت حرف الصاغة. التى انخفضت فيها معدلات الرضا عن العمل إلى أدنى درجة.

ومن ذلك يتبين أن نتائج الدراسة تتفق مع مقولة س. رايت ميلز فيما يتعلق بأن الحرفى الأكثر اشباعاً للخصائص الحرفية هو الأكثر شعوراً بالرضا والاشباع الذاتى فى مجال العمل وذلك كان أكثر وضوحاً فى صناعات خان الخليلي. إلا أنه يمكن القول أن الشعور بالرضا والاشباع الذاتى فى مجال العمل هو أيضاً محصلة تفاعل العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية وينطبق ذلك على كل من صناعات الشيش والألومنيوم وحرف الصاغة.

التساؤل الرابع :

ما العوامل الأساسية التى تلعب دوراً فى تشكل نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل، على كل من المستوى الذاتى، والمستوى التنظيمى لبيئة العمل، والمستوى الثقافى بين مجموعات الحرف المتباينة؟

أسفرت نتائج التحليل الكمى والكيفى للدراسة عن وجود عدد من العوامل التى تلعب دوراً أساسياً فى تشكل نوعية حياة الحرفى داخل مجال العمل، على ثلاثة

مســتويات أساســية هــى : المستوى الذاتى Individual Level، والذى نرمز له بالرمــز (QWLI)، والذى يقصد به دوافع الحرفى واتجاهاته ورغباته وطموحاته تجــاه العمــل، والمستوى التنظيمى Organization Level والذى نرمز له بالرمز (QWLO)، ويقصــد بــه البيــئة التنظيمية للعمل (الورشة) التى تحمل العديد من العوامــل المشــكلة لنوعية حياة العمل لدى الحرفى: كحجم العمالة، وتقسيم العمل، وأساليب الثواب والعقاب المتبعة داخل الورشة، إضافة إلى الظروف الفيزيقية لبيئة العمــل، وعلاقات العمل. أيضاً يوجد المستوى الثقافى Cultural level الذى نرمز له بالرمز (QWLC)، وهو يعبر عن الثقافة الحرفية وما تشتمل عليه من خصائص وسمات تميز شخصية الحرفى وتجعل له هوية مستقلة ومختلفة عن غيره من أفراد المجــتمع، ويــبدو ذلك فى أخلاقيات العمل الحرفى، والقيم والمعتقدات التى تشكل أســلوب حياته، إضافة إلى وجود لغة مشتركة بين جميع الحرفيين والتى تعبر عن الــثقافة المشــتركة بينهم مما يجعل لهم نوعية حياة خاصة تميزهم عن باقى أفراد المجتمع عامة.

أوضحت الدراسة الراهنة أن تلك العوامل تتداخل فيما بينها وتتشابك وتتفاعل، ومــن ثم فإن نوعية حياة العمل لدى الحرفى هى دالة للعديد من العوامل المتفاعلة والــتى يمكن التعبير عنها من خلال العلاقة الآتية - لنوعية حياة العمل على ثلاثة مستويات تحليلية - داخل مجال العمل :

$$QWL = f\,[QWLI + QWLO + QWLC]$$

وقــد توصلت الدراسة إلى أن نوعية حياة العمل هى محصلة تفاعل العديد من العوامــل علــى المستوى الذاتى والتنظيمى والثقافى، كما أنها تتباين وتختلف بين مجموعات الحرف وبعضها البعض، وعلى المستوى الداخلى لكل مجموعة حرفية علــى حدة. إضافة إلى أن هناك عدد من السمات والخصائص المشتركة التى تسم حــياة العمل الحرفى بصفة عامة بغض النظر عن نوع العمل الممارس وذلك كما تعكســها الــثقافة الحرفــية والتى أكدت عليها المشاهدات الميدانية ونتائج دراسات الحالة، ويمكن توضيح ذلك فيما يلى :

أولاً : نوعية حياة العمل على المستوى الكلى للمجموعات :

اتســمت نوعية حياة العمل الحرفى بعدد من السمات والخصائص المشتركة، مــع عــدم وجــود تبايــن بيــن مجموعات الحرف فيما يتعلق بذلك، وتتمثل تلك الخصائص فيما يلى :

- حب الحرفة والتمسك بها هو الدافع الأساسى للعمل.
- عدم وجود مواعيد محددة للعمل والالتزام بدافع حب العمل.
- التداخل بين أوقات العمل والراحة.
- انخفاض المستوى التعليمى والثقافى للحرفى.
- صغر حجم الورشة وخلوها من معظم الظروف الفيزيقية الصحية الملائمة كالإضاءة – التهوية – النظافة – دورة مياه.
- وجود عدد من التوقعات المتبادلة بين صاحب العمل والحرفيين، وبين الحرفيين وبعضهم البعض مما يسهم فى ضبط العملية الإنتاجية.
- ارتفاع المكانة المهنية للحرفى بازدياد خبرته فى العمل.
- المشاركة فى المناسبات الاجتماعية غير السارة خاصة.
- مواجهة عدد من الصعوبات التى تتعلق بالضرائب، التسويق، المنافسة بين الصناع، ونقص العمالة، مع عدم وجود دخل ثابت أو معاش ثابت.

ثانياً : نوعية حياة العمل بين المجموعات الحرفية المتباينة :

تباينت نوعية حياة العمل على المستوى الداخلى بين المجموعات الحرفية، وذلك على كل من المستوى الذاتى، والمستوى التنظيمى وكذلك الثقافى. وسيتم توضيح ذلك فيما يلى :

١– على المستوى الذاتى :

فى حرف الصاغة، أوضحت الدراسة أنه نتيجة لارتفاع القيمة المادية والقدرة على التسويق وكذلك ارتفاع القيمة الفنية والجمالية للمنتج، كان الحرفيون أكثر قدرة على تحقيق الذات والشعور بالفخر والاعتزاز والتمسك بالحرفة، وازدياد الحاجة إلى التخصصية؛ نظراً لأن الحرفى يقوم بصناعة المنتج من الألف إلى الياء دون مشاركة أحد، مما يؤدى إلى انخفاض حجم المشاركة الاجتماعية والتفاعل بين المشتغلين بحرف الصاغة وبعضهم البعض، وقد أكد على ذلك انخفاض المرونة فى أوقات العمل إلى حد ما، حيث ارتفاع قيمة الوقت والحرص عليه. ورغم ما تتطلبه الصنعة من شدة التركيز والدقة فى أداء العمل انخفض ما يتمتع به الحرفى من استقلال ذاتى، حيث أن هناك قيوداً على كل ما يقوم به الحرفى والتى تتمثل فى ظروف السوق، ورأى الزبون. على صعيد آخر ارتفعت الطموحات المستقبلية بين المشتغلين بحرف الصاغة والتى تتعلق بالرغبة فى التوسع والتطور وتحقيق العديد من الاشباعات الأخرى.

فـــى صناعات خان الخليلى، ارتفعت القيمة الفنية والجمالية للمنتج، ومن ثم كان الحـــرفى أكـــثر قدرة علي التجديد والإبداع حسب ذوقه ومهارته وإبداعه الشخصى. كمـــا كـــان أكـــثر شعوراً بالاستقلالية فى أداء العمل حيث ما تفرضه طبيعة العملية الانتاجـــية من تكاملية الأدوار، فالكل يعمل كالأسرة الواحدة وصاحب العمل يشارك أيضـــاً فـــى العمـــل مما يسهم فى ازدياد التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم الـــبعض ســـواء علـــى المستوى الداخلى أم الخارجى للورشة. وقد ارتفعت معدلات المـــرونة فـــى أوقات العمل والتداخل بين وقتى العمل والراحة إلى أقصى درجة عن غيرها من الصناعات الحرفية الأخرى. وكان الحرفى أكثر قدرة على تحقيق الذات، وتكويـــن صداقات وعلاقات اجتماعية داخل وخارج مجال العمل، إضافة إلى التميز فـــى أداء العمل وفى عيون الآخرين، وتحقيق الأمان له ولأفراد أسرته. وقد أثر هذا كلـــه إيجابـــاً علـــى معدلات الشعور بالرضا عن العمل وارتفاع مستوى الطموحات المستقبلية المرتبطة بالعمل حيث الرغبة فى التطور والتوسع فى مجال العمل.

وعـــن صـــناعات الشيش والألومنيوم، فقد انخفضت القدرة على تحقيق الذات والشعور بالتميز؛ نظراً لانخفاض القيمة الفنية والجمالية للمنتج إلى أدنى حد، ومن ثـــم انخفـــاض القـــدرة على التجديد والإبداع فى الصنعة، وقد اقتصر التجديد على إدخال ماكينات آلية جديدة، حيث أن العمل فى تلك الصناعات هو عمل روتينى إلى حـــد كبـــير ويخضع إلى العديد من المواصفات الكمية أكثر منها فنية، إضافة إلى تقســـيم العمـــل بصورة كبيرة والذى يحمل معنى (توزيع الأدوار) حيث كبر حجم العمالة ومن أجل ضمان سير العملية الإنتاجية.

كمـــا اتســـمت تلك الصناعات بانخفاض المرونة فى أوقات العمل وانخفضت الطموحـــات المستقبلية لدى المشتغلون بتلك الصناعات إلى أدنى حد نتيجة لسيطرة ثقافة الحمد وازدياد الايمان بالواقع وعدم القدرة على التغيير.

٢- على المستوى التنظيمى (بيئة العمل) :

تميزت ورش الصاغة بتوافر الاضاءة الكافية بدرجة ملحوظة عن غيرها من الـــورش الأخـــرى، إضافة إلى الاهتمام بالتنظيم الداخلى للورشة نظراً لدقة أدوات الإنتاج وصغر حجمها وكذلك ارتفاع القيمة المادية للمادة الخام. كما تميزت ورش الصـــاغة بانخفـــاض معـــدلات التداخل بين أوقات العمل والراحة؛ نظراً لصعوبة العملـــية الإنتاجـــية ومـــا تحـــتاجه من وقت وصبر وقدرة على الإبداع والتركيز. وأظهـــرت الدراســـة أن الحرفى يقوم بإغلاق باب الورشة أثناء العمل مما يعكس

طبيعة السلوك الحرفى كالميل إلى الخصوصية وتحقيق السرية، إضافة إلى الخوف من الحسد حيث المنافسة العالية بين الحرفيين فى ورش الصاغة. كما لوحظ انخفاض حجم عمالة الأطفال بورش الصاغة بشكل ملحوظ، فكان صاحب العمل هو الوحدة المهنية الأساسية ويضطلع بكافة مراحل العمل خاصة فى صناعة الذهب نظراً لارتفاع القيمة المادية للمادة الخام والشك فى كل من يعمل معه.

وعن صناعات خان الخليلى، فقد تميزت ورش هذه المجموعة بصغر حجمها وخلوها من معظم مصادر التهوية والإضاءة الكافية، إلا أن طبيعة العملية الإنتاجية تسمح للحرفى بالتكيف مع ذلك حيث يمكنه التنقل بالمنتج الذى يصنعه خارج الورشة وداخلها، كما أن ما تفرضه طبيعة العملية الإنتاجية من تكاملية الأدوار تؤدى إلى ازدياد التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين وبعضهم البعض سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى بين الورش وبعضها البعض.

ويضاف إلى ذلك انخفاض الاهتمام بالتنظيم الداخلى للورشة وانخفاض حجم عمالة الأطفال إلى أدنى حد نظراً لما تتطلبه تلك الصناعات من الدقة الشديدة والتركيز والصبر، ومن ثم فتنحصر أدوارهم فى التنظيف وقضاء الطلبات من الخارج. وقد كانت العلاقة بين صاحب العمل والصناع يسودها المحبة والمودة والأخوة فى المقام الأول، كما كانت التوقعات المتبادلة بينهم هى الأساس فى ضبط سير العملية الإنتاجية.

وفى صناعات الشيش والألومنيوم، اتسمت الورش بكبر الحجم نسبياً حيث ارتفاع حجم العمالة وكبر حجم أدرات الانتاج وتعددها، إضافة إلى الافتقار إلى التنظيم الداخلى بدرجة كبيرة. وتنخفض أيضاً المرونة فى أوقات العمل إلى حد كبير حيث كانت الشدة والقسوة هى الأساس فى ضبط سير العملية الإنتاجية مما أدى إلى انخفاض التفاعل الاجتماعى بين الحرفيين داخل الورشة، وبينهم وبين صاحب العمل. والذى كان ينحصر دوره على الإشراف والرقابة فحسب. وقد ارتفع حجم عمالة الأطفال بدرجة ملحوظة فى تلك الصناعات حيث استمرار التوارث المهن وامكانية تعلم الصنعة منذ سن مبكرة؛ نظراً لأن العمل روتينى إلى حد كبير ويخضع للعديد من المواصفات الكمية أكثر منها فنية.

٣- المستوى الثقافى :

أوضحت الدراسة وجود عدد من السمات الثقافية المشتركة التى تسم جميع الحرفيين كالمستوى التعليمى، وأخلاقيات العمل الحرفى، التى تتمثل فى : الولاء

والطاعـة للكبير، والالتزام بمواعيد العمل بدافع حب العمل، .. وغيرها (كما سبق أن ذكرنا).

وقـد أوضـحت الدراسة أيضاً أن لكل مجموعة حرفية بعض السمات الثقافية الـتى تمـيزها عن غيرها ومن ذلك: اللغة والرموز المستخدمة فى الحياة اليومية داخـل بيئة العمل والتى تطلق على أدوات الإنتاج. وفى التعامل مع الزبائن وكذلك الألقـاب المهنـية المتداولة داخل كل حرفة، ففى حرف الصاغة كان من السائد أن يلقب صاحب العمل (بالخواجة أو البرنس) نسبة إلى اليهود والأرمن الذين كانوا هم أهم الصنعة سابقاً، ولكن لا يوجد ذلك فى الصناعات الحرفية الأخرى.

وكان هناك تجانس وتماثل بين الحرف التقليدية فى الممارسات والطقوس التى يقـوم بهـا الحـرفى قبل بدء العمل كرش الماء والبخور، وسماع القرآن وقراءة الفاتحـة. ويضـاف إلـى هذا بعض القواعد والمعايير الثقافية التى تتعلق بتسويق المنتج والتى تتباين من حرفة إلى أخرى.

ومـن ثـم فإن نوعية حياة العمل هى محصلة تفاعل العديد من العوامل على المسـتوى الذاتـى والتنظيمى والثقافي، والتى تتباين بين مجموعات الحرف حسب نوع العمل الحرفى ومستوى الممارسة الحرفية.

التساؤل الخامس :

إلـى أى مـدى تؤثر العلاقة التبادلية بين الورشة، والمجتمع المحلى الحاضن لها، على نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل؟ وما مؤشرات ذلك؟

أوضحت النتائج الأمبريقية للدراسة الراهنة، وجود العديد من مظاهر العلاقات التبادلـية بيـن الـورش الحرفـية والمجـتمع المحلي الحاضن لها، على مستوى المجموعات الحرفية الثلاث. وتمثلت هذه المظاهر فى :

- المشـاركة بيـن الـورش وبعضـها البعض فى العديد من مراحل العمليات الانتاجية، وبصفة خاصة تلك التى تقوم بإنتاج جزء من المنتج أو القيام بعمل تكميلى لصناعة المنتج. إضافة إلى ما أظهرته الدراسة من تبادل بعض أدوات الإنتاج بين الورش وبعضها البعض، ومما ساعد على تحقيق هذه المشاركة أو الـتعاون الـتقارب الأيكولوجـى بين الورش الحرفية، وما تعكسه الظروف الفيزيقـية للورشة من ضيق المكان الذى يدفع الحرفى كما فى صناعات خان الخليلى خاصة إلى القيام بأداء العمل خارج الورشة مما يسمح له بالتفاعل مع آخرين من أفراد المجتمع المحلى.

- المشـــاركة بين الحرفيين فى المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة، على مســتوى الورش الحرفية وبعضها البعض وليس على مستوى الحرفة الواحدة فقط.
- تكويــن صداقات وعلاقات اجتماعية خارج مجال العمل، والتى يقويها وجود العديــد مــن المؤسســات المجتمعية فى المجتمع المحلى الذى يضم الورش الحرفية مثل: المساجد وأماكن قضاء أوقات الراحة كالمقاهى.
- يعــد التسويق أحد مظاهر العلاقة التبادلية بين الورشة والمجتمع المحلى نظراً لمــا يتســم به المجتمع المحلى من سمات تجارية واضحة، حيث يشهد تجمعاً لعــدد كبير من البازارات والمحلات التجارية التى تسهم فى تسويق المنتجات الحرفــية. إضـــافة إلى أنه يعد من المجتمعات التى تكثر بها الآثار الاسلامية الــتى تجــذب إلــيها الســياح والأجانب. إضافة إلى وجود بعض المؤسسات الاجتماعــية الــتى تسهم فى حل المشكلات الخاصة بالتسويق مثل : الجمعية التعاونية لمنتجات خان الخليلى.

ويضاف إلى – ما سبق ذكره – وكشفت عنه الدراسة العديد من العوامل التى تؤثر على درجة الاندماجية فى المجتمع المحلى، والتى ترتبط بنمط العمل الحرفى الممارس، وتتمثل فى :

١- **عــامل القــرابة:** الذى يعمل على خفض قوة الاندماجية مع المجتمع المحلى. وظهر هذا واضحاً فى الورش التى تزداد بها العمالة القرابية بدرجة ملحوظة فى صناعات الشيش والألومنيوم.
٢- **عامل الانتماء للمجتمع المحلى منذ الصغر:** بمعنى أن عامل النشأة الاجتماعية للحــرفى سواء داخل المجتمع المحلى الذى يضم الحرف أو قريباً منه، يعتبر عــاملاً مهمــاً يؤثر فى ازدياد قوة الاندماجية فى المجتمع المحلى. وقد اتفقت نــتائج الدراســة فــى ذلــك مع ما ورد فى دراسة المركز القومى للبحوث الاجتماعــية والجنائية حول: "التنظيم الاجتماعى لمنشآت القطاع غير الرسمى وعلاقاتها التبادلية مع المجتمع المحلى الحاضن لها (اعتماد علام، ٢٠٠٠).
٣- طبــيعة العملــية الإنتاجــية التى تسم كل حرفة. فقد أوضحت الدراسة وجود تبايــنات واضحة بين الحرف والصناعات التقليدية فيما يتعلق بقوة الاندماجية فى المجتمع المحلى، والتى ارتبطت بطبيعة العملية الانتاجية لكل حرفة. ففى حرف الصاغة انخفضت قوة الاندماجية مع المجتمع المحلى حيث ارتفاع قيمة الوقــت لدى الحرفيين فى تلك الصناعات، وارتفاع القيمة المادية للمنتج، مما

يجعـل الحـرفى حريصاً على عدم ضياع وقته فى الجلوس على المقاهى أو الدردشـة مـع آخرين فى الورش المجاورة. إضافة إلى حرص الحرفى على حفـظ أسـرار وتكـتم ما يقوم به من عمل؛ نظراً لازدياد حدة المنافسة بين الحرفيين وبعضهم البعض من أهل الصنعة الواحدة حيث أظهرت الدراسة أن العديـد منهم يؤكدون على أنهم لا يقومون بتسويق منتجاتهم فى السوق؛ نظراً لأنـه أصـبح مفتوحاً للجميع حرصاً على التميز. وفى مقابل ذلك تزداد قوة اندماجية المنشآت فى صناعات خان الخليلى بالمجتمع المحلى عن غيرها من الصناعات الأخرى.

٤- الظـروف الفيزيقية للورشة. حيث أن حالة الورش التى لا تتوافر بها دورات مـياه أو أى مـن الخدمـات الأساسية، تساعد على ازدياد قوة الاندماجية فى المجـتمع المحلـى، عن غيرها من الصناعات. حيث يلجأ الحرفى إلى قضاء حاجاتـه فـى المقـاهى الموجودة بالمجتمع المحلى والقريبة من الورشة التى يعمـل بهـا ولا يـتحقق لـه هذا إلا نتيجة تفاعل متبادل بين الطرفين داخل المجتمع المحلى.

وأكـدت نـتائج الدراسـة الراهنة على أن ازدياد قوة الاندماجية فى المجتمع المحلـى، تسهم فى ازدياد درجة الرضا والإحساس بالأمان وتقوية أواصر الانتماء لـدى الحـرفى، ممـا ينعكس إيجاباً على تحسن نوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل.

التساؤل السادس :

إلـى أى مـدى تعد الظروف المعيشية للحرفى على مستوى وحدته المعيشية امـتداداً لنوعـية حـياته داخل مجال العمل؟ وإلى أى مدى ينعكس مستوى الرضا والإشباع الذاتى للحرفى فى مجال العمل، على درجة رضاه عن حياته ككل؟

أسفرت نتائج الدراسة ، أن نوعية حياة الحرفى وأسلوب معيشته داخل وحدة المعيشـة تعـد امـتداداً لنوعية حياته داخل مجال العمل، مع عدم وجود فروق جوهـرية بين مجموعات الحرف فيما يتعلق بذلك، وقد كان هناك نقصاً واضحاً فـى الدراسـات السـابقة التى اتخذت من وحدة المعيشة وحدة أساسية للدراسة والتحلـيل، ومن ثم تبرز أهمية الدراسة الراهنة،والتى اتجهت إلى الاهتمام بوحدة المعيشـة للحـرفى كوحدة تحليلية تسهم فى الكشف عن نوعية الحياة الاجتماعية للحرفى.

وقد أكدت نتائج الدراسة، على أن نوعية حياة العمل لدى الحرفى تميزها العديد من الخصائص فيما يتعلق بوقت العمل، والجهد الذى يتطلبه، وعدم الاعتماد على دخل ثابت، والارتباط بالعمل منذ الصغر، وعدم وجود سن محدد لترك العمل. كل هذا يجعل الحرفى أكثر ارتباطاً بعمله عن غيره من العاملين فى المهن الأخرى، والذى ينعكس بدوره على حياته الاجتماعية خاصة فى علاقته بزوجته وأبنائه فيما يتعلق بوقت فراغه والأوقات التى يقضيها داخل الأسرة، فالحرفى دائماً يخرج من منزله مبكراً فى العاشرة صباحاً تقريباً، ويظل بورشته حتى العاشرة مساءً وبعد ذلك يذهب إلى بيته ليتناول طعامه وينام، ومن ثم فإن العمل الحرفى يفرض على الحرفى أسلوب معيشة خاص به يجعل له طبيعه تميزه عن غيره من الأفراد فهو يتناول طعام الغذاء فى المساء، ويوم أجازته هو يوم الأحد فقط والذى يقضيه غالباً فى النوم أو الخروج مع الأبناء. كما أظهرت حالات الدراسة أن الحرفى يكون أكثر رضاءً وشعوراً بالأمان والسعادة عندما يمارس عمله، أما فى حاله توقفه عن العمل لأى سبب من الأسباب فإن ذلك يؤثر عليه ويشعره بعدم الرضا والتعاسة، وينعكس ذلك سلباً على حياته ككل.

وعبرت عن ذلك الحالة (س-ع) التى يعمل صاحبها فى صناعة السبح، كما يلى: "إن مكنش الواحد يتعب فى شغله، يبقى مش حيحس بطعم حاجة فى الدنيا، طول ما أنا تعبان ومبنمش ومش قادر أشوف عيالى، أبقى مبسوط، لكن لو مفيش شغل والواحد مرتاح، يبقى مهموم ومتضايق ومش طايق نفسه كمان".

ومن ثم فإن نوعية حياة العمل تعد أحد المؤشرات المهمة لنوعية حياة الحرفى بغض النظر عن نوع العمل الحرفى الممارس. حيث أنها تشكل علاقته بجيرانه وزملائه فى الورشة والورش المجاورة، كما تشكل لغة الخطاب اليومية بينهم، إضافة إلى ما تفرضه من التزامات وواجبات اجتماعية كاعطاء عيدية للعاملين معاً (فى عيد الفطر وعيد الأضحى)، والقاء التحية فى الصباح قبل بدء العمل، وتحمل مصاريف العلاج لأى من العاملين إذا مرض أو أصيب أثناء عمله، وأيضاً المشاركة فى المناسبات الاجتماعية غير السارة خاصة، وقد أكدت على ذلك الغالبية العظمى من حالات الدراسة فى المجموعات الحرفية الثلاثة.

وقد كشفت المشاهدات الإمبريقية، عن أن هناك تباين بين مجموعات الحرف وعلى المستوى الداخلى لكل مجموعة حرفية فيما يتعلق بنوعية حياة الحرفى ومستوى معيشته، والذى يرجع إلى عدد من العوامل المتضافرة تتمثل فى: الدخل، التعليم، مكان السكن. وسيتم توضيح ذلك تفصيلاً فيما يلى:

الدخــل : أوضـــحت الدراســـة أن هناك تباين فى المستوى الاقتصادى على مستوى الوحدة المعيشية للحرفى والذى يتضح فى نوعية الأثاث الموجود بالمنزل، والأجهزة الكهربائية التى تقتنيها الأسرة، ومستوى الملبس الخاص بالزوجة والأبناء وكذلــك الحلـــى الذهبـــية التى ترتديها الزوجة. فقد كان هناك ارتفاع فى المستوى الاقتصـــادى للوحدات المعيشية الخاصة بالمشتغلين بحرف الصاغة عن غيرهم من المشـــتغلين بالحـــرف الأخـــرى، وقد تركزت الوحدات المعيشية للمشتغلين بحرف الصـــاغة فـــى منطقـــتى: مدينة نصر ومصر الجديدة بصفة خاصة، بينما تركزت الوحـــدات المعيشـــية للغالبـــية العظمـــى من الحرفيين فى صناعات خان الخليلى والحـــرف الأخرى فى منطقة الجمالية أو فى مناطق قريبة منها كالوايلى والبساتين والدرب الأحمر. فالتباين فى المستوى الاقتصادى للحرفيين، يسهم إلى حد كبير فى التباين فى نوعية الحياة ومستوى المعيشة والذى يبدو فى التباين فى أماكن السكن، وكذلــك أماكن تقضية أوقات الفراغ حيث أكدت حالات الدراسة التى تعمل بحرف الصـــاغة علـــى قضـــاء وقـــت الفراغ فى الذهاب إلى السينما أو المسرح أو أحد المطـــاعم الشـــهيرة. ومن جهة أخرى كان غالبية المشتغلين بالحرف والصناعات الأخـــرى يقضـــون وقت راحتهم فى المنزل أو فى تلبية احتياجات الأسرة، ويقوم البعض بزيارة الأقارب أو الذهاب إلى حديقة الحيوان.

التعلــيم : يعـــد التعليم أحد العوامل المهمة التى تشكل مستوى ثقافة الحرفى وأســـلوب تفكيره. وكما تبين من نتائج الدراسة أن الحرفى الأمى يكون له أسلوب فى التفكير واختيار الزوجة والتعامل مع أبنائه وتحديد مستقبلهم، الذى يختلف تماماً عن ذلك الذى نال قسط من التعليم النظامى، وذلك الذى قد يكون وصل إلى مرحلة التعليم الجامعى، وأكدت ذلك المشاهدات الميدانية وأقوال حالات الدراسة. فالحرفى عـــندما يصـــل إلـــى درجة عالية من الغنى والتميز والشهرة وهو غير متعلم يبدأ يستنكر لكل ما حوله ويحاول تغييره ومن ثم يقوم بالزواج مرة ثانية وثالثة، (الحالة م–ج) إحـــدى حـــالات حرف الصاغة نموذجاً. بينما قد لا يحدث ذلك مع الحرفى الـــذى يـــرتفع مســـتواه التعليمى والثقافى على سبيل المثال: الحالة (أ–ح)، الحالة (م–س). (أنظر الفصل السابق).

مكـــان السكن : يلعب مكان السكن أيضاً دوراً أساسياً فى تشكل طبيعة الحياة الاجتماعـــية للحـــرفى وأســـلوب معيشـــته، حيث يسهم فى تحديد أسلوب التنشئة الاجتماعـــية للأبناء والعلاقة بالجيران. وكذلك القرب والبعد عن مكان العمل يؤثر بـــلا شك فى أسلوب معيشة الحرفى وعلاقته بأبنائه وتحديد أوقات العمل والراحة

بالنسبة له، وأكدت على ذلك العديـد من حالات الدراسة مثل: الحالة (س-ع) التى يعمـل صـاحبها فى صناعة السبح وتقع ورشته أسفل المنزل الذى يقيم به (أنظر الفصل السابق).

وتأسـيساً علـى ذلك، فإن نوعية حياة العمل هى أحد المؤشرات المهمة لنوعية حـياة الحـرفى وليست مؤشراً كلياً لها، ويتباين هذا مع ما ذهب إليه سيرجي في دراسـته (Sirgy, 2001) حيـث ذهـب إلى أن نوعية حياة العمل هى مؤشراً كلياً لنوعية الحياة. وقد أمكن تفسير ذلك بأن نوعية الحياة تتباين وتختلف بين الحرفيين سواء على المستوى الداخلى للحرفة الواحدة أو بين الحرف وبعضها البعض؛ إذ أن هـناك العديد من العوامل الأخرى المتضافرة التى تسهم فى تشكل العديد من أبعاد نوعـية الحـياة وأسلوب المعيشة، والتى تتمثل فى : مكان السكن، الدخل، وكذلك التعلـيم. إضافة إلى ما تفرضه ظروف المجتمع والسوق. ويختلف هذا مع ما جاء فـى نظرية الافاضة Spillover Theory التى تفترض أن تحقق الرضا والإشباع الذاتـى فـى أحـد مجالات الحياة يسهم فى تحقق الرضا فى جميع مجالات الحياة الأخرى.

نتائج عامة :

مـن خلال الدراسة الراهنة، ونتائج الدراسات السابقة، يمكن التوصل إلى عدد من النتائج العامة التى تعد بمثابة تعميمات أو قضايا عامة، والتى قد تفيد العديد من الدراسات المستقبلية فى مجال دراسات العمل الحرفى، ونوعية الحياة.. وتتمثل تلك القضايا فيما يلى :

أولاً : يتسم العمل الحرفى بعدد من الخصائص الحرفية المتمثلة فى النموذج المثالى للحرفـية، والـتى تسهم تكاملها أو إشباعها فى وصول الحرفى إلى درجات عالـية مـن الرضـا والإشباع الذاتى الذى يتمثل فى: تحقيق الذات والشعور بالتمـيز فـى أداء العمل وفى عيون الآخرين، والشعور بالاستقلالية، وتكوين صداقات اجتماعية. إضافة إلى تحقيق الأمان له ولأفراد أسرته.

ثانـياً: تعـد نوعية حياة العمل أحد المؤشرات المهمة لنوعية حياة الحرفى وليست مؤشراً كلياً لها.

ثالـثاً: يتسم الحرفيون المشتغلون بالحرف والصناعات التقليدية بخصائص شخصية مشـتركة تعكسها الثقافة الحرفية. ويؤكد على ذلك وجود لغة مشتركة ورموز ومفردات خاصة لا يمكن لأحد فهمها دون المشتغلين بالعمل الحرفى وخاصة

علـــى مســـتوى الحـــرفة الواحـــدة. ومن ثم فإن للحرفيين نوعية حياة خاصة تمـــيزهم عن غيرهم من المشتغلين بمهن أخرى، والتى تجعل لهم لغة خطاب تكاد تكون واحدة ومتميزة.

رابعاً: يواجه الحرفى الممارس للعمل اليدوى عدد من المشكلات والصعوبات التى قـد تؤثـر سلباً على درجة رضاه عن عمله. وينعكس ذلك على عدم شعوره بالرضا عن حياته ككل، وتتمثل تلك المشكلات فى: الضرائب العامة، وارتفاع أسعار الخامات، ونقص العمالة المدربة، إضافة إلى عدم القدرة على التسويق. مـــع عـــدم وجود نقابة للحرفيين تسهم فى التخفيف من مشاكلهم وعدم وجود مرتب أو معاش ثابت يعمل على مساندة الحرفى فى حالة العجز أو المرض، وكذلك المنافسة العالية بين الحرفيين.

خامســاً: تتبايـــن نوعـــية حياة العمل لدى الحرفى الممارس للعمل اليدوى التقليدى بتبايـــن نـــوع العمـــل الحرفى، ومستوى الممارسة الحرفية التى هى محصلة تفـــاعل الخصـــائص الحرفـــية الخمس المتمثلة فى النمط المثالى للحرفية عند مـــيلز. وعـــندما كانت الخصائص الحرفية أكثر تمثلاً وإشباعاً بين المشتغلين بصـــناعات خـــان الخلـــيلى، فقد كانت أكثر المجموعات الحرفية تعبيراً عن الشعور بالرضا والإشباع الذاتى فى مجال العمل.

سادســاً: تعد نوعية حياة العمل أحد المؤشرات المهمة لنوعية حياة الحرفى بغض الـــنظر عـــن نـــوع الحـــرفة. فقـــد كشـــفت الدراسة عن وجود تباينات بين المجموعـــات الحرفـــية وبعضها البعض، وكذلك على المستوى الداخلى لكل مجموعـــة حرفية على حدة؛ نظراً لوجود عدد من العوامل الأخرى التى تسهم فـــى تشـــكل العديـــد مـــن أبعاد نوعية حياة الحرفى؛ كالتعليم الذى يعد أحد المؤشـــرات الديموجرافـــية المهمة فى الكشف عن نوعية الحياة، إضافة إلى الدخل الذى يرتبط بالعديد من المتغيرات الأخرى (كمستوى الانفاق، التسويق، عـــدد أفـــراد الأسرة، المستوى الثقافى للحرفى) إضافة أيضاً إلى مكان السكن الذى يعد أحد العوامل المهمة المشكلة لنوعية حياة الحرفى، وأسلوب معيشته.

المراجع

المراجع

المراجع العربية :

١- أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية، دار القراءة للجميع، دبى، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٢- اسماعيل محمد هاشم، محاضرات فى التطور الاقتصادى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

٣- اعتماد محمد علام، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.

٤- اعتماد محمد علام، "العمل: مفهومه، أبعاده، وقيمه (رؤية نظرية عالمية)"، فى: اعتماد علام وآخرون، التحولات الاجتماعية وقيم العمل فى المجتمع القطرى، جامعة قطر، ط١، الدوحة، ١٩٩٥م، ص ص: ١٣١-١٥٥.

٥- اعتماد محمد علام، "التنظيم الاجتماعى لمنشآت القطاع غير الرسمى وعلاقاتها التبادلية بالمجتمع المحلى"، فى: سهير لطفى (اشراف)، المؤتمر السنوى الثانى للبحوث الاجتماعية، المجلد الثانى (الأوراق البحثية)، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٧-١٠ مايو، ٢٠٠٠، ص ص: ٥٨٣-٦١٣.

٦- اعتماد محمد علام، "الخصائص الأيكولوجية والبنائية لمنشآت القطاع غير الرسمى"، فى: على جبلى وآخرون، القطاع غير الرسمى فى مدينة القاهرة "التقرير الثانى"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ١٧٧-٢٢٦.

٧- اعتماد علام، آمال عبد الحميد، الإطار المنهجى للبحث، فى: علىجبلى وآخرون القطاع غير الرسمى فى مدينة القاهرة "التقرير الثانى"، المجتمع المحلى وملامح القطاع غير الرسمى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص: ٢٩-٦٣.

٨- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان، ١٩٩٦م، محافظة القاهرة، النتائج التفصيلية، ١٩٩٨م.

٩- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للمنشآت ١٩٩٦م، محافظة القاهرة، النتائج التفصيلية، ١٩٩٨م.

١٠- السيد الحسينى، الإسكان والتنمية الحضرية دراسة للأحياء الفقيرة فى مدينة القاهرة، مكتبة غريب، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

١١- السيد الحسينى، القطاع غير الرسمى فى حضر مصر، المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية، "التقرير الأول"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٢- آمال عبد الحميد، "القطاع غير الرسمى من واقع الدراسات العالمية والمحلية"، فى: السيد الحسينى وآخرون، القطاع غير الرسمى فى حضر مصر المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية "التقرير الأول"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ص ٢٩-٧٦.

١٣- آمال عبد الحميد، "الثقافة الشعبية والقطاع غير الرسمى دراسة أنثروبولوجية"، فى: سهير لطفى (إشراف)، المؤتمر السنوى الثانى للبحوث الاجتماعية، المجلد الثانى "الأوراق البحثية"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص :٦١٥-٦٤١.

١٤- آمال عبد الحميد، "المجتمع المحلى كمدخل لفهم القطاع غير الرسمى"، فى: على جبلى وآخرون، القطاع غير الرسمى فى مدينة القاهرة "التقرير الثانى" المجتمع المحلى وملامح القطاع غير الرسمى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص: ٦٥-١٢٥.

١٥- أميرة عبد اللطيف مشهور، عالية المهدى،القطاع غير الرسمى فى شياخة معروف دراسة استطلاعية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٦- أيمن فؤاد سيد، التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.

١٧- بوزنر، جورج، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، سيد توفيق، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٨- تقى الدين أحمد بن على المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الجزءان الأول والثانى، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٩- تيسير حسن على جمعة، الحرف والفنون الشعبية اليدوية فى مصر: دراسة أنثروبولوجية مقارنة لبعض جوانب الثقافة المادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٤م.

٢٠- جيرار، ب. س.، علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر - الحياة الاقتصادية فـــى مصـــر فـــى القرن الثامن عشر، ترجمة: زهير الشايب، المجلد الرابع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢١- حـــامد الهـــادى، "المؤشرات الإحصائية المعبرة عن القطاع غير الرسمى فى مديـــنة القاهرة: قراءة اجتماعية"، فى: السيد الحسينى وآخرون، القطاع غير الرســـمى فـــى حضر مصر، المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية، "التقرير الأول"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ص: ٥٦١-٦٢٦.

٢٢- حســـن الباشـــا، عبد الرؤوف يوسف، حسين عبد الرحيم عليوة، عبد الرحمن فهمى، القاهرة: تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٣- رمـــزية الغريب، التقويم والقياس النفسى والتربوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤- ريمـــون، أندريـــه، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة: زهير الشايب، روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٤م.

٢٥- زكـــى محمـــد حسن، كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.

٢٦- ســـعاد عـــثمان أحمد، "سبك المعادن: دراسة فى الثقافة المادية"، فى: محمد الجوهـــرى وآخـــرون، دراســـات فـــى علـــم الاجتماع الاقتصادى والتنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ص: ٢٨٣-٣٢٢.

٢٧- ســـعاد عـــثمان أحمـــد، "المداخل المنهجية لدراسة القطاع غير الرسمى عالمياً ومحلياً"، فى: السيد الحسينى وآخرون، القطاع غير الرسمى فى حضر مصر، المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية، "التقرير الأول"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ص: ٧٧-١٢٠.

٢٨- ســـعد جلال، القياس النفسى "المقاييس والاختبارات"، مكتبة المعارف الحديثة، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٩- شـــحاتة صـــيام، التصنيع والبناء الطبقى فى مصر (١٩٣٠-١٩٨٠) تحليل بنائى تاريخى، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٠- صـــلاح أحمد هريدى، الحرف والصناعات فى عهد محمد على، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣١- عباس الطرابيلى، شوارع لها تاريخ سياحة فى عقل الأمة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م.
٣٢- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، الجزء الثالث، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٦٠م.
٣٣- عبد السلام عبد الحليم عامر، طوائف الحرف فى مصر (١٨٠٥-١٩١٤)، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٣٤- عبد العزيز إبراهيم العمرى، "الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم"، مركز التراث الشعبى، الدوحة، قطر، ١٩٨٥ م.
٣٥- على الجرتلى، تاريخ الصناعة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دارالمعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٢م.
٣٦- على عبد الرازق جبلى، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، درا المعارف الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩١م.
٣٧- عنان محمد محمود، ملامح التغير فى الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة خان الخليلى بالقاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣م.
٣٨- فاتن أحمد على الحناوى، "الأسواق التقليدية بمدينة الاسكندرية: دراسة فى الأنثروبولوجيا الاقتصادية"، فى: محمد الجوهرى وآخرون، مقدمة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م.
٣٩- كوستيللو، فينسنت فرانسيس، التحضر فى الشرق الأوسط، ترجمة: غريب محمد سيد أحمد، عبد الهادى محمد والى، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨١م.
٤٠- لويس، نافتالى، الحياة فى مصر فى العصر الرومانى ٣٠ ق.م-٢٨٤م، ترجمة: آمال الروبى، محمد حمدى إبراهيم، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧م.
٤١- مارشال، جوردون، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، الجزء الأول، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٢- مارشال، جوردون، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، الجزءان الثانى والثالث، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة: ح ر ف، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مطابع الأوفست، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤٤- محمد أحمد محمد، مظاهرة الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٥- محمد الجوهرى، سعاد عثمان، دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩١م، ص ص: ٧٥-٨٨.

٤٦- محمد الجوهرى، عبد الله الخريجى، طرق البحث الاجتماعى، دارالمعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

٤٧- محمد السعيد أبو المعاطى، توظيف الكمبيوتر متعدد الوسائط لحفظ وعرض بعض عناصر الثقافة المادية، دراسة ميدانية فى إحدى قرى محافظة الدقهلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م.

٤٨- محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، بولاق، الطبعة الخامسة، ١٩٣٩م.

٤٩- محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية فى مصر: سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٩م.

٥٠- محمد عدنان وديع، "مسح التطورات فى مؤشرات التنمية ونظرياتها من GNP إلى HDI ، ندوة متطلبات التنمية فى الشرق الأوسط (المشرق والمغرب)، فى ظل المستجدات المحلية والعالمية، معهد التخطيط القومى، رابطة المعاهد والمراكز العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، مؤسسة فريد ريش ناومان، الاسماعيلية، ١٩٩٦م، ص ص: ٥٠١-٨٣٦.

٥١- محمد على محمد، مقدمة فى البحث الاجتماعى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٢- مرى، مرجريت، مصر ومجدها الغابر، سلسلة الألف كتاب، ترجمة: محرم كمال، الطبعة الثانية، ١٩٥٠م.

٥٣- نـــاهد صـــالح، "مؤشرات نوعية الحياة نظرة عامة على المفهوم والمدخل"، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٢٧، العدد الثانى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مايو، ١٩٩٠م، ص ص: ٥٣-٨١.
٥٤- نجــوى خليل، "مؤشرات نوعية الحياة بين مدخل العلم الواحد ومدخل تكامل العلــوم"، المجلــة الاجتماعــية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد ٢٨، العدد الثانى، مايو ١٩٩١م، ص ص: ٨٥-١٠٢.
٥٥- نــوال القاســم، تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد على حتى عهد عبد الناصر، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٧م.
٥٦- نوال المسيرى، "مفهوم الحارة دراسة تاريخية اجتماعية لحارة السكرية"، فى: محمد الجوهرى، سعاد عثمان، دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩١م، ص ص: ٨٩-١٢٨.
٥٧- هانى جابر، "التكنولوجيا وثقافتها المعاصرة ومستقبل الحرف التقليدية"، مجلة الفــنون الشــعبية، الهيــئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، العدد ٢٤، يوليو ١٩٨٨م، ص ص: ٥٧-٦٨.
٥٨- هــبة جمــال الديــن، "مؤشــرات نوعــية الحــياة بيــن البعد الذاتى والبعد الموضوعى"، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مجلد ٢٨، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٩١م.
٥٩- هناء الجوهرى، "الذات والموضوع فى تشكيل نوعية الحياة"، فى: أحمد زايد (تحريــر)، الــذات والمجــتمع فى مصر، أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع، كلية الآداب - جامعة القاهرة، مايو ١٩٩٦م.
٦٠- هــناء الجوهرى، المتغيرات الاجتماعية - الثقافية المؤثرة على تشكيل نوعية الحــياة فـــى المجتمع المصرى فى السبعينيات "دراسة ميدانية على عينة من الأســر بمديــنة القاهرة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.
٦١- هولــتكرانس، إيكة، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهرى وحسن الشامى، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

المراجع الأجنبية :

1- Alison J, Carr; Barry, Gibson; Peter G, Robinson, (2001), "Measuring Quality of Life: Is Quality of Life Determined by Expectations or

Experience"? British Medical Journal, Vol. 322, Issue 7296, pp: 1240-1244.

2- Anderson, Nels,(1964), Dimensions of Work, The Soliology of Work Culture, David Mckany Company, New York.

3- Angus, Combell,(1676), the Quality of American Life, New York.

4- Cummins, Robert A., (2000), "Objective and Subjective Quality of Life: An Interactive Model", Social Indicators Research, Kluwer Academic Publishers, Netherlands Vol. 52, pp: 55-72.

5- Crowley, Danial, J., (1968), "Crafts" in David L. Silles (Ed.), International Encyclopedia of Social Sciences, The Free Press, New York, Vol. 3, pp. 430-434.

6- Diener, Eunkooksuh, (1997), "Measuring Quality of Life: Economic, Social, and Subjective Indicators", Social Indicators Research, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, Vol. 40, pp: 189-216.

7- Furstenberg, Jr., Frank F., (1974), "Work Experience and Family Life", In James O'toole (ed.), Work and the Quality of Life, Resource papers for Work in America, The MIT press, London, pp: 341-357.

8- Hagerty, Michael R., (1999), "Testing Moslow's Hierarchy of Needs: National Quality of Life Across time", Social Indicators Research, Kluwer Academic publishers, Netherlands, Vol. 46, pp: 249-271.

9- Hagerty, Michael R., (1999), "Unifying Livability and Comparison Theory: Cross-National Time-Series Analysis of Life-Satisfaction", Social Indicators Research, Kluwer Academic publishers, Netherlands, Vol. 47, pp: 343-356.

10- Hopkins, Nicholas S., (1991), Informal Sector in Egypt, Vol. 14, Mon. 4.

11- Inkeles, Alex, (1993), "Industrialisation, Modernization and the Quality of Life", International Journal of Comparative Soliology, Jan-April, pp: 1-21.

12- Kahn, Robert L., (1974), "The Work Module: Approposal for the Humanization of Work", In James O'Toole (Ed.), Work and the Quality of Life: Resource papers for work in America, The MIT Press, London, pp: 199-226.

13- Kupper, Adam & Kupper, Jessica, (1996) , the Social Science Encyclopedia, Routledge, London.

14- Lloyd, Kathleen M., and Auld, Christopher J., (2002), "The Role of Leisure in Determining Quality of Life: Issues of Content and Measurement", Social Indicators Research, Kluwer Academic Puplishers, Netherlands, Vol. 57, pp: 43-71.
15- Maslow, Abraham, (1973), "A Theory of Human Motivation: The Goals of Work" The Future of Work, Fred Best, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, pp: 17-31.
16- Matthiae, Gugliemo, (1971), "Handicrafts", Encyclopedia of World Arts, Mcgraw-Hill Book Company, New York, VII, pp: 269-275.
17- Mills, C. Wright, (1951) , White Collar, Oxford University Press, New York.
18- Mills, C. Wright, (1973), "The Meanings of Work Through History", The Future of work, Fred Best, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, pp: 6-13.
19- Mitchell, Arnolod, (1973), "Human Needs and the Changing Goals of Life and Work", The Future of Work, Fred Best, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, N.J., New Jersey ,pp: 32-47.
20- Morris, David , (1979) , Measuring the Condition of the World's Poor the Physical Quality of Life Index, Pergamon Press, New York.
21- Nicholson, Paul, and Patterson, Helen, (1985), "Pottry Making in Upper Egypt: an Athnoarchaeological Study", in World Archaeology, Vol. 17, No. 2, pp: 222-239.
22- O'Toole, James, (1974), Work and The Quality of Life, Resource Papers for Work in America, The MIT Press, London.
23- Peacock, James R., and Polma, Margaret M.,(1999), "Religiosity and Life Satisfaction Across the Life Course", Social Indicators Research, Kluwer Academic publishers, Netherlands, Vol. 48, pp: 321-345.
24- Power, Thomas M.,(1980), The Economic Value of The Quality of Life, Westview Press, Colorado.
25- Sirgy, Joseph. M., David Efraty, Phillip Siegel and Dong-Jin-Lee,(2001), "A New Measure of Quality of Work Life (QWL) Based on Need Satisfaction and Spillover Theories", Social Indicators Research, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, Vol. 55, pp: 241-302.

26- Sirgy, Joseph M., and Terri Cornwell,(2001), "Further Validation of the Sirgy Et Al.'s Measure of Community Quality of Life", Social Indicators Research, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, Vol. 56, pp: 125-143.

27- Stauth, Georg, (1991), Gamaliya: Informal Economy and Social Life in a Popular Quarter of Cairo, in Informal Sector in Egypt, Nicholas S. Hopkins (ed.), Vol. 14, Mon. 4, pp: 78-102.

28- Stewart, Phyllips L., Muriel G. Cantor, (1982), Varieties of Work, Library of Congress, New Delhi.

29- Strauss, George, (1974), "Is There a Blue-Collar Revolt Against Work" In James o'toole (Ed.), Work and The Quality of Life: Resource Papers for work in America. The MIT Press, London, pp: 40-69.

30- Theodorson, George and Achilles Theodorson, (1969), a Modern Dictionary of Sociology, New York.

31- Thomas, Thomas C., (1974), "work and welfare", In James O'toole (Ed.), Work and the Quality of Life, the MIT Press, London, pp: 379-394.

32- Wingo, Lowdon and Evans, Alan, (1977),Public Economics and the Quality of Life, John Hopkins University Press, London.

المراجع على شبكة المعلومات الدولية :

33- Brown, Ivan; Friefeld, Sharan; Schiller, Christine,(2003), "Quality of Life for Persons with Developmental Disabilities": The Center for Health Promotion, University of Toronto, Jstore, 1993, Quality of Life, 6 June 2003, http://www.utoronto.ca/qol/ biblioint.htm.

34- Corr-The Jute Works,(2003), "Prospect of Handicrafts in Bangladesh", Jutework@Citechco.net, Google, Traditional Handicrafts, 10 March 2003, http:// cjw.bangla.net/hft.htm.

35- Kvapilova, Erika, (2003), "The Humanization of Work and The Problem of Values", Google, June 2003, Humanization of Work, 5 Aug. 2003, http://www.crvp.org/book/ series04/IVA-5/Chapter XVII.htm.

36- Spillane, S.J., James J.,(2004), "The Christian Humanization of Work: Job Satisfaction In the Hospitality Industry", Google,

04/01/2004, Humanization of Work, 10 Jan 2004, Fille: //A:\the christian humanization of work. htm.

37- Wood, Wayne, (2003), "Quality of Work Life Gives Recommendations: Some Changes Already In The Works", Jstore, 20 June 2003, Quality of Life, 30 June 2003, http://www.mc.vanderbilt.edu.

الملاحق

جامعة عين شمس
كلية البنات
قسم الاجتماع

رقم مسلسل: | | | |

ملحق رقم (١)
صحيفة الاستبانة لدراسة
نوعية حياة الحرفيون دراسة سوسيوأنثروبولوجية
بحى الجمالية بمدينة القاهرة

بيانات أساسية :

(A) اسم الشارع : المعز لدين الله (١) ☐
: الجمالية (٢)

(B) نوع العمل الحرفى الممارس : ____________

(C) الاسم الشائع للحرفة : ____________

(D) عنوان الورشة : ____________

– **ملحوظة** : تتم المقابلة مع صاحب الورشة أو من ينوب عنه

إشراف

أ.د. اعتماد علام **أ.د. سعاد عثمان**

أولا: فيما يلى مجموعة من العبارات الخاصة بأسلوب الممارسة الحرفية، والمطلوب منك أن تقرأ كل عبارة بدقة وأن تحدد وجهة نظرك. فإذا كنت راضٍ على العبارة فضع علامة (✓) تحت كلمة "راضٍ". أما إذا كنت غير راضٍ فضع علامة ( ) تحت كلمة "غير راضٍ". وإذا كنت لا تعرف أو لا تستطيع تحديد وجهة نظرك بالنسبة للعبارة فضع علامة ( ) تحت كلمة راضٍ إلى حد ما".

م	العبارة	راض	راض إلى حد ما	غير راض
١	إذا مكنتش أحب صنعتى يبقى أحسن أسيبها.			
٢	حبى لصنعتى نابع من فهمى لكل تفاصيلها.			
٣	أنا حر نفسى أقدر أزود ساعات العمل أو أقللها حسب ظروف السوق.			
٤	مش مهم أكون متعلم فى المدارس، المهم خبرتى ومعرفتى بأسرار صنعتي.			
٥	أنا صاحب قرارى أحدد وقت راحتي في الشغل زى ما أنا عاوز.			
٦	سمعتى بين أهل حتتى أهم حاجة عندى وإتقان صنعتى هو دليل سمعتى.			
٧	أحب أكون حر نفسى عشان أقدر أجدد فى صنعتى زى ما أحب ووقت ما أحب.			
٨	كل ما أكون عارف تفاصيل وأسرار صنعتى أقدر أنتج فيها بسرعة وأجدد فيها.			
٩	أنا فى شغلى ما بخدش أوامر من حد، ومحدش يراجع ورايا حاجة في الشغل.			
١٠	كنت أتمنى لو تعلمت فى المدارس، عشان أقدر أعمل حاجات جديدة ومبتكرة فى صنعتي.			
١١	وأنا في شغلى بقدر أشوف طلبات بيتي وأولادى ومصالحهم.			
١٢	أنا اسطى فى صنعتى أعمل حاجات مميزة وشغلى أى حد يشوفه يعرف انه بتاعي.			
١٣	بأشتغل في صنعتى زى ما تعلمتها تماما، ما أحبش أجدد فيها.			

م	العبارة	راض	راض إلى حد ما	غير راض
١٤	الشـــطارة والفهلوة مطلوبة للحرفى اللى زى أكتر من فهم تفاصيل وأسرار الصنعة.			
١٥	أحسن حاجة فى صنعتى دى، إن مفهاش نظام المراقبة والمحاسبة بتاع الحكومة والواحد حر نفسه.			
١٦	أنا بشتغل الصنعة دى من صغرى عشان كده عارف كل تفاصيلها وأسرارها.			
١٧	لما بتعب في الشغل، ممكن أرتاح وبعد كده أكمل شغلي براحتي.			
١٨	جـــيرانى وأهـــل حتتى يحترمونى ويعملولى ألف حساب، عشان بقـــدم لهـــم خدمـــات مـــن الصنعة بتاعتى، وبشاركهم أفراحهم وأحزانهم.			
١٩	أنا الأوسطى فى صنعتى، أعمل دايما حاجات جديدة مفيش زيها.			
٢٠	ســـمعتى وســـمعة ورشتى فى الحتة أهم حاجة عندى، عشان كده بأهتم بكل صغيرة وكبيرة فى الشغل.			
٢١	لـــو مكنـــتش فاهم صنعتى ومليش خبرة، مكنتش أبقى حر نفسى ومقدرش أنتج إنتاجا متميزا.			
٢٢	دايمـــا أشارك زمايلى فى الشغل، عشان استفيد من خبراتهم وأتعلم منهم.			
٢٣	كنت أتمنى أشتغل في وظيفة حكومية لها ساعات عمل محدودة.			
٢٤	الصــــنعة دى مبقتش جايبة همها، والواحد بيدى فيها أكتر ما بيأخد منها.			
٢٥	الفلوس اللى بكسبها هى السبب فى اجتهادى فى الصنعة دى.			
٢٦	معرفتي بأسرار صنعتي يزيد من هيبتى في عيون زملائي.			
٢٧	أنـــا عشـــان حـــر فى صنعتى، أقدر أجدد وأحسن فيه زى ما أنا عاوز.			
٢٨	الصنعة دى مش محتاجة تعليم مدارس بالضرورة، وإنما محتاجة خبرة وممارسة.			
٢٩	أســـتمتع بعملـــى زى وقت التسلية والراحة، ممكن أكل وأشرب وأدردش مع زمايلي وأضحك معاهم.			

م	العبارة	راض	راض إلى حد ما	غير راض
٣٠	من غير الصنعة دى، مكنتش أقدر أوفي طلبات بيتى وعيالى، عشان كده أنا دايما بجدد فيها وأحاول أجارى السوق وطلبات الناس.			
٣١	الفلوس اللى تيجى من الصنعة مش كل حاجة عندى، المهم أعمل الحاجة اللى ترضينى.			
٣٢	مش مهم عندى الكمية اللى أنتجها، المهم الصنعة تأخد حقها.			
٣٣	مش مهم عندى أكون حر نفسى، المهم الفلوس اللى بكسبها من الشغل.			
٣٤	لازم تكون علاقتى بزمايلى في الورشة كويسة، عشان نقدر نعمل حاجات كويسة ويكون لنا اسمنا فى السوق.			
٣٥	الورشة عندى مش مكان للشغل وبس، فالواحد يقدر يقابل أصحابه ويعرف أخبار الحتة والناس.			
٣٦	أنا ناجح فى عملى ولى أسمى فى السوق، عشان كده أنا ناجح ومبسوط فى حياتى كلها.			
٣٧	بحب صنعتى ودايما بحب اعمل حاجات جديدة وتكون لى بصمتى.			
٣٨	لازم أعمل الحاجة على أصولها عشان أحافظ على أسمى وسمعتى فى السوق ومش مهم الفلوس اللى أكسبها.			
٣٩	الحرية الكاملة فى الصنعة مش مطلوبة لازم الشغل يكون له نظام يمشى عليه.			
٤٠	مش مهم أبقى فى الصنعة من صغرى، المهم شطارتى فى فهم الصنعة وممارستها.			
٤١	فى صنعتنا دى مفيش مواعيد ثابتة، عشان كده أقدر أشتغل في شغله تانية تجيب فلوس أكتر.			
٤٢	كنت أتمنى لو اشتغلت فى وظيفة يكون لها دخل ثابت وألاقى فيها الراحة وتخلى لى مكانتى بين جيرانى وأهل حتتى.			

ثانيًا: بيانات أولية عن صاحب العمل:

١- النوع: - ذكر (١) - أنثى (٢)

٢- السن - (٢٠-٣٠) سنة (١) - (٣٠-٤٠) سنة (٢)

- (٤٠-٥٠) سنة (٣) - (٥٠-٦٠) سنة (٤)

- (٦٠-٧٠) سنة (٥) - (٧٠ فأكثر) سنة (٦)

٣- المستوى التعليمي:

- أمي (١) - يقرأ ويكتب (٢) - ابتدائي (٣)

- إعدادي (٤) - ثانوي (٥) - متوسط (٦)

- فوق المتوسط (٧) - جامعي أو أعلى (٨)

٤- محل الميلاد:

- في حي الجمالية (١)

- خارج حي الجمالية بمدينة القاهرة (٢)

- خارج مدينة القاهرة (٣)

٥- في حالة الإجابة رقم (٣) يسأل:

- ريف (١) - حضر (٢)

٦- محل الإقامة :

- في حي الجمالية (١)

- خارج حي الجمالية بمدينة القاهرة (٢)

- خارج مدينة القاهرة. يذكر المحافظة .... (٣)

٧- الديانة: - مسلم (١) (بالملاحظة)

- مسيحي (٢)

- أخرى تذكر (٣)

ثالثا: الخبرة المهنية لصاحب العمل:

٨- ياترى هي دي مهنتك الأساسية؟

- نعم (١)

- لا، مهنة أخرى. تذكر .... (٢)

٩- وبقالك أد إيه بتشتغل بالحرفة دي؟

- أقل من ٥ سنوات (١) - (٥-١٠) سنوات (٢)

- (١٠-٢٠) سنة (٣) - (٢٠-٣٠) سنة (٤)

- (٣٠-٤٠) سنة (٥) - (٤٠ فأكثر) سنة (٦)

١٠- ياترى مين اللى علمك الصنعة دى؟
- والدى (١)
- أحد أقاربى (٢)
- أسطى فى ورشة أخرى (٣)
- أخرى تذكر (٤)

١١- ووالدك يشتغل إيه؟
- نفس الحرفة (١)
- مهنة أخرى تذكر ..... (٢)

١٢- واخترت شغلتك دى ليه؟

	ذكر	لم يذكر
- عشان دخلها كبير	(١)	(٢)
- لا أعرف غيرها	(١)	(٢)
- بحبها وأعتبرها جزء منى	(١)	(٢)
- وأنا فيها بكون حر نفسى	(١)	(٢)
- عشان أحافظ على مهنة أبويا	(١)	(٢)
- تساعدنى على الإبداع والتجديد	(١)	(٢)
- قريبة من مكان سكنى	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

١٣- ياترى انت عضو فى أى رابطة أو نقابة؟
- نعم (١)
- لا (٢)
- فى حالة الإجابة رقم (١) يسأل (١٤، ١٥):

١٤- وايه مركزك فى الرابطة دى؟
- عضو (١)
- مركز قيادى يذكر .... (٢)
- أخرى تذكر .... (٣)

١٥- وايه الخدمات اللى بتعملها الرابطة دى للمستغلين بصنعتك؟
- توفر خامات بأسعار أقل (١)
- المساهمة فى تسويق المنتجات (٢)
- المساعدة فى شراء الأدوات (٣)
- المساعدة فى الاشتراك فى معارض دولية (٤)
- أخرى تذكر .... (٥)

١٦- تفتكر فيه تطورات أو تغيرات فى صنعتك؟
- نعم (١)
- لا (٢)

فى حالة الإجابة برقم (١) يسأل س١٧:

١٧- ياترى انت عملت حاجة من التغيرات دى فى صنعتك؟	ذكر	لم يذكر
- مفيش أى حاجة	(١)	(٢)
- التجديد والتغيير فى شكل المنتج	(١)	(٢)
- تغيير المنتج نفسه	(١)	(٢)
- استخدام أدوات والات جديدة	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

١٨- ياترى ايه طموحاتك (نفسك فى ايه) بالنسبة لشغلك؟	ذكر	لم يذكر
- مفيش حاجة، الحمد لله على كده	(١)	(٢)
- نفسى أوسع ورشتى وأجددها	(١)	(٢)
- أبقى اسطى كبير فى صنعتى وأشارك فى معارض وأسواق كبيرة	(١)	(٢)
- يكون عندى ورشة تانية ومحل خاص أعرض فيه الشغل	(١)	(٢)
- أسيب الحرفة دى وألاقى مهنة لها دخل ثابت وتكون مريحة	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

رابعًا: مورفولجية الورشة :

١٩- أين تقع الورشة داخل المجتمع المحلى؟ (بالملاحظة)
- الشارع الرئيسى (١) - شارع جانبى (٢)
- حارة أو زقاق (٣) - أخرى تذكر (٤)

٢٠- ما المبنى الذى تشغله الورشة؟ (بالملاحظة)
- دكان أو محل (١) - شقة سكنية (٢)
- حجرة أو حجرتين (٣) - ربع أو وكالة تجارية (٤)
- دور فى مبنى مستقل (٥) - حوش أو منور (٦)
- عشه (٧)

٢١- ما مساحة الورشة بالتقريب؟
- أقل من ٥م٢ (١) - ٥-١٠م٢ (٢)
- ١٠-١٥م٢ (٣) - ١٥م٢ فأكثر (٤)

٢٢- هل يوجد بالورشة...؟ يوجد لا يوجد (بالملاحظة)
- إضاءة جيدة (١) (٢)
- تهوية ملائمة (١) (٢)
- مياه (١) (٢)
- دورة مياه (١) (٢)

٢٣- ما نمط الملكية بالورشة؟
- فردية (١) - عائلية (٢) - عير ذلك (٣)

خامسًا: قوة العمل بالورشة :

٢٤- عدد العاملين بالورشة: يوجد لا يوجد (بالملاحظة)
- عمال ذكور (١) (٢)
- عمال إناث (١) (٢)
- أطفال ذكور (١) (٢)
- أطفال إناث (١) (٢)

- فى حالة وجود عاملين بالورشة، يسأل من "س٢٥ إلى س٣٠":

٢٥- ياترى حد من ولادك بيشتغل معاك؟
- نعم (١) - لا (٢)
- فى حالة الإجابة برقم (٢) يسأل:

٢٦- ليه؟
- عشان الأولاد فى المدارس (١)
- الصنعة مش جايبة همها (٢)
- ولادى كلهم بنات (٣)
- معنديش أولاد (٤)
- ولادى مش يحبوا الصنعة (٥)
- أخرى تذكر (٦)

٢٧- وياترى لكل عامل دور محدد وشغل معين بقوم به؟
- كل صنايعى يكون مسؤول عن حاجة معينة يكون شاطر فيها (١)
- كلهم يشتغلوا مع بعض عشان يتعلموا من بعض (٢)
- بقسم الشغل عليهم منعا للمشاكل حسب الخبرة والشطارة (٣)
- أخرى تذكر .... (٤)

٢٨- ومين اللى بيوزع ويقسم الشغل على العمال فى الورشة؟

- لا يوجد	(١)	- صاحب العمل	(٢)
- ابن صاحب العمل	(٣)	- كبير العمال	(٤)
- اى حد فى الورشة	(٥)	- أخرى تذكر	(٦)

٢٩- طيب ولو حد غلط فى الشغل، بتتصرف معاه ازاى؟

	ذكر	لم يذكر
- أطرده من الورشة فورا	(١)	(٢)
- ألومه وأعاتبه	(١)	(٢)
- أخصم من أجرته	(١)	(٢)
- أناقشه وأفهمه	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

٣٠- ولو العامل اشتغل كويس، وعمل شغل إضافى، بتعمل معاه اية؟

- لا أفعل شئ	(١)	- أديله أجر إضافى	(٢)
- أمدحه وأشكره	(٣)	- أخرى تذكر.....	(٤)

- فى حالة وجود أطفال عاملين يسأل من "س٣١ إلى س٣٤":

٣١- فى رأيك ايه السن المناسب عشان الصبى يتعلم الصنعة؟

يذكر السن : ....

٣٢- وبيعمل ايه فى الورشة؟

....

٣٣- عشان الصبى يتعلم الصنعة بتعمل معاه ايه؟	ذكر	لم يذكر
- التدريب والممارسة المستمرة	(١)	(٢)
- التوجيه فى حالة الخطأ أو النسيان	(١)	(٢)
- الضرب عشان يفهم	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

٣٤- ولما يكون الصبى شاطر وبيتعلم بسرعة، ممكن تعمل معاه ايه؟

- أساعده وأشجعه	(١)	- أديله أجر إضافى	(٢)
- ولا حاجة	(٣)	- أخرى تذكر.....	(٤)

سادسًا: نوعية حياة العمل :

٣٥- هل توجد مواعيد محددة لبدء العمل والانتهاء منه؟

- نعم	(١)	- لا يوجد	(٢)

٣٦- فى حالة الإجابة برقم (١):

تذكر عدد ساعات العمل؟ ....

٣٧- يا ترى إجازتك بتقضيها ازاى؟	ذكر	لم يذكر
- لا توجد اجازة	(١)	(٢)
- فى البيت مع عائلتى	(١)	(٢)
- فى شراء بضاعة للشغل	(١)	(٢)
- مع أصحابى	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

٣٨- يا ترى علاقتك ايه بالعاملين معاك داخل الورشة؟	ذكر	لم يذكر
- نأكل دايما مع بعض أثناء الشغل	(١)	(٢)
- لو واحد تعب نقوم بشغله ونريحه	(١)	(٢)
- لو حد حصلت له أزمة مالية، أديله سلفة وأساعده	(١)	(٢)
- لو واحد تعب أنقله المستشفى واتحمل مصاريف علاجه	(١)	(٢)
- نتكلم وندردش ونضحك مع بعض ونعرف أخبار الحتة	(١)	(٢)
- لما الورشة تكسب لازم أبسطهم وأديهم مكافأة	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

٣٩- ويا ترى علاقتك بالعمل بتكون كمان خارج مجال العمل؟	ذكر	لم يذكر
- علاقتى بالعاملين تنتهى بعد الشغل	(١)	(٢)
- لو واحد عنده حالة وفاة (لاقدر الله) لازم أروح وأعزيه	(١)	(٢)
- لو واحد عنده فرح أو طهور لازم أجامله وممكن أديله مبلغ يساعده كنقوط	(١)	(٢)
- لو واحد تعب أزوره وأشوف طلبات بيته وعياله	(١)	(٢)
- نقعد مع بعض على القهوة ندردش ونضحك	(١)	(٢)
- فى الإجازات نخرج ونروح رحلات مع بعض	(١)	(٢)
- أخرى تذكر	(١)	(٢)

٤٠- يا ترى لك علاقة بالورش الموجودة فى الحتة؟

- نعم (١) - لا (٢)

- فى حالة الإجابة رقم (١) يسأل:

٤١- ازاى ؟
- أكمل شغلهم (١)
- يكملوا شغلى (٢)
- اعرض عندهم البضاعة للبيع (٣)
- أخذ منهم الخامات (٤)
- أخرى تذكر .... (٥)

٤٢- ليه ؟
- عشان كل شغلى يتم داخل الورشة (١)
- بتعامل مع ورش أخرى خارج الحى (٢)
- محبش حد يشوف شغلى وأحب أكون مختلف (٣)
- أخرى تذكر .... (٤)

٤٣- تفتكر إن الصنعة دى تسبب مشاكل صحية؟
- طبعًا، القعدة والتركيز لمدة طويلة يتعب عينى (١)
- المواد اللى نستخدمها فى الشغل تعمل أضرار جلدية (٢)
- التعب والإرهاق بعد وقفة طول اليوم (٣)
- مفيش تعب ولاحاجة، احنا أتعودنا على كده (٤)
- أخرى تذكر .... (٥)

ملحق رقم (٢)
دليل دراسة الحالة

أولاً: بيانات أولية عن النشاط الحرفى والورشة :

١- مسمى النشاط الحرفى، والاسم الشائع للحرفة.

٢- نبذة تاريخية عن ممارسة النشاط الحرفى فى مجتمع البحث، من وجهة نظر الحرفى.

٣- وصف تفصيلى لموقع الورشة داخل مجتمع البحث، والمبنى الذى تشغله، ومحتوياتها من الداخل ومساحتها.

٤- وصف تفصيلى للظروف الطبيعية داخل الورشة من حيث التهوية، مستويات النظافة والترتيب داخل الورشة، مستويات الاضاءة، الضوضاء، وإن كانت تقوم بأداء بعض العمليات الإنتاجية خارج الورشة أو أمامها .. وغير ذلك.

٥- مجاورة الورشة لعدد من الورش الإنتاجية الأخرى، وهل تنتمى إلى نفس نوع النشاط أم لا؟ وما مدى التكاملية والخصوصية فيما بينها؟

ثانياً:بيانات خاصة بصاحب العمل الحرفى وخبرته المهنية، وظروف العمل بالورشة:

٦- الخصائص الديموجرافية لصاحب العمل، وتشمل: (السن، الحالة الاجتماعية، الحالة التعليمية، محل الإقامة، والموطن الأصلى، عدد الأبناء).

٧- فترة ممارسة الحرفة الحالية، وكيفية تعلمها والتدرب على ممارستها.

٨- دوافع الاشتغال بالحرفة، ومدى الرضا عنها.

٩- عدد المشتغلين من الأبناء بحرفة الوالد.

١٠- قوة العمل بالورشة، ودرجة قرابة العاملين بصاحب العمل، وإن كان هناك عمالة أطفال أو عمالة نسائية.

١١- عدد مراحل العملية الإنتاجية، ومدى التخصصية وتقسيم العمل وتوزيع الأدوار بين العاملين فى الورشة، فهل يخصص دور لكل حرفى أم يمكن للحرفى القيام بأى دور فى العملية الإنتاجية، ومدى مشاركة صاحب العمل فى أداء بعض مراحل العملية الإنتاجية.

١٢- عدد ساعات العمل اليومية، ومواعيد العمل، وهل هناك مواعيد محددة لبدء العمل والإنتهاء منه؟ وكيفية قضاء وقت الفراغ أثناء ساعات العمل؟

١٣- الألقـــاب المهنية المتداولة بين الصناع وبعضهم البعض، وبينهم وبين صاحب العمـــل، وإلـــى أى مـــدى تتصـــف بالثـــبات والتغير؟ مع توضيح دلالاتها السوسيولوجية.

١٤- ما هى التغيرات والتطورات التى طرأت على الحرفة من وجهة نظر الحرفى (صاحب العمل)؟

١٥- مـــدى اعـــتزاز الحـــرفى بحرفـــته وفخره بها، وما مؤشرات هذا الاعتزاز والفخر؟

١٦- إلـــى أى مدى تتيح الحرفة تنمية مهارات الحرفى من وجهة نظره، وإلى أى مـــدى يحـــرص الحـــرفى على التجديد فى الصنعة مقابل الحفاظ على القديم والتمسك به؟ وما أسباب ذلك (من وجهة نظره).

١٧- إلى أى مدى يشعر الحرفى بالتميز فى عيون الآخرين، وما دليل ذلك؟

١٨- المتاعـــب الصـــحية الـــناجمة عن العمل، وإلى أى درجة تؤثر على الحرفى وعلى تمسكه بالعمل فى مقابل رغبته فى ترك العمل والبحث عن عمل آخر أقل تعرضاً للمتابع الصحية؟

١٩- الطموحات الشخصية للحرفى فيما يتعلق بعمله، وأبنائه، وورشته.

ثالثاً: بيانات خاصة بنوعية حياة الحرفى خارج مجال العمل:

أ - على مستوى وحدة المعيشة :

٢٠- الموقـــع الأيكولوجـــى لوحدة معيشة الحرفى، ومدى القرب والبعد عن مكان العمل، وإلى أى مدى يؤثر ذلك على التزام الحرفى بمواعيد العمل وكذلك فى علاقته بأسرته وأبنائه، ومن ثم التأثير على درجة رضاه عن العمل؟

٢١- وصـــف تفصـــيلى لوحدة المعيشة من الداخل من حيث مستوى الأثاث، وأهم الأجهزة الكهربائية الموجودة بالمنزل، وعدد غرف المعيشة...

٢٢- أهم وسائل التسلية والترفيه الموجودة بالمنزل.

٢٣- كيفـــية قضاء وقت الفراغ داخل وحدة المعيشة بالنسبة للزوجة والأبناء، وهل يشارك الحرفى أسرته فى ذلك؟ وكيف؟

٢٤- المســـتوى التعلـــيمى للزوجة والأبناء، وهل الزوجة تعمل أم لا؟ وما أسباب ذلك؟

٢٥- وصـــف تفصيلى لملابس الزوجة والأبناء. وما ترتديه من حلى ذهبية مما قد يكشف عن المستوى الاقتصادى للأسرة ومستوى المعيشة.

٢٦- رأى الــزوجة والأبناء فى عمل الزوج (الحرفى)، وطموحاتها المستقبلية فيما يتعلق بعمل الزوج والأبناء؟

٢٧- تــبادل الهدايــا بيــن الزوجين. هل هناك حرصاً من الحرفى على تعويض الــزوجة عن غيابه وعدم اضطلاعه بأدواره داخل الأسرة عن طريق الهدايا وما أنماط الهدايا التى يحرص عليها؟ وما مدى رضا الزوجة عن ذلك؟

٢٨- إلـــى أى مدى يشارك الزوج (الحرفى) فى أداء بعض الأدوار الأسرية، وما هى؟ وإلى أدى مدى يؤثر ذلك فى التنشئة الاجتماعية للأبناء؟

ب- على مستوى العلاقة التبادلية بالمجتمع المحلى:

٢٩- علاقة الحرفى بالحرفيين فى الورش المجاورة، وإلى أى مدى تتصف بالمودة والاحترام فى مقابل المنافسة والصراع؟ وما أسباب ذلك؟

٣٠- المشـــكلات الـــتى تواجـــه صاحب العمل فى الحصول على المادة الخام أو تسويق المنتج أو العمالة، وعلاقة ذلك بمدى رضاه عن العمل؟

٣١- المشـــكلات الـــتى تواجه صاحب العمل فيما يتعلق بالضرائب المفروضة أو زيادة الكهرباء أو غيرها، وتأثير ذلك على درجة رضاه عن العمل؟

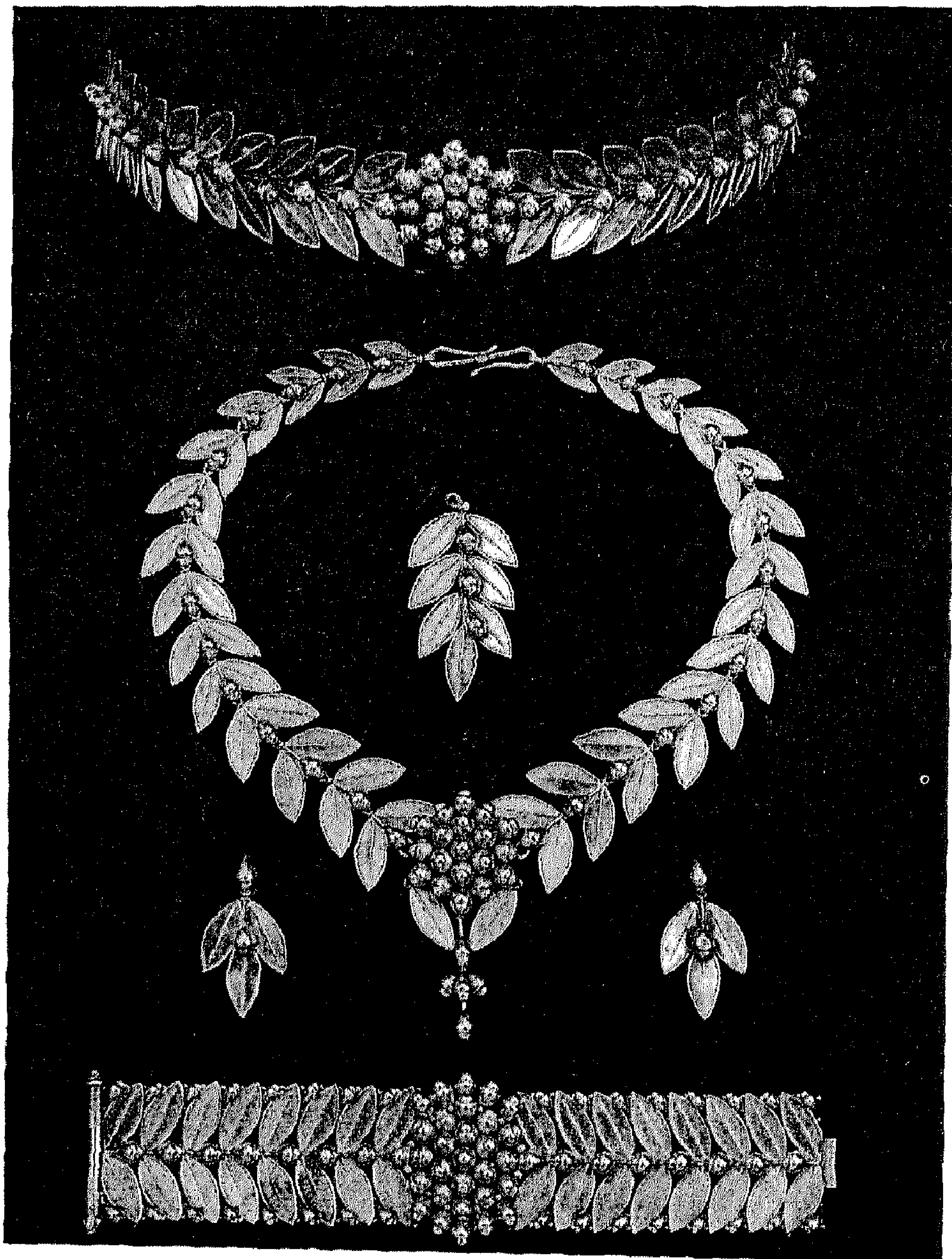
٣٢- علاقـــة الحـــرفى بجـــيرانه، وأهل حتته. ومدى حرصه على المشاركة فى المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة على مستوى المجتمع المحلى.

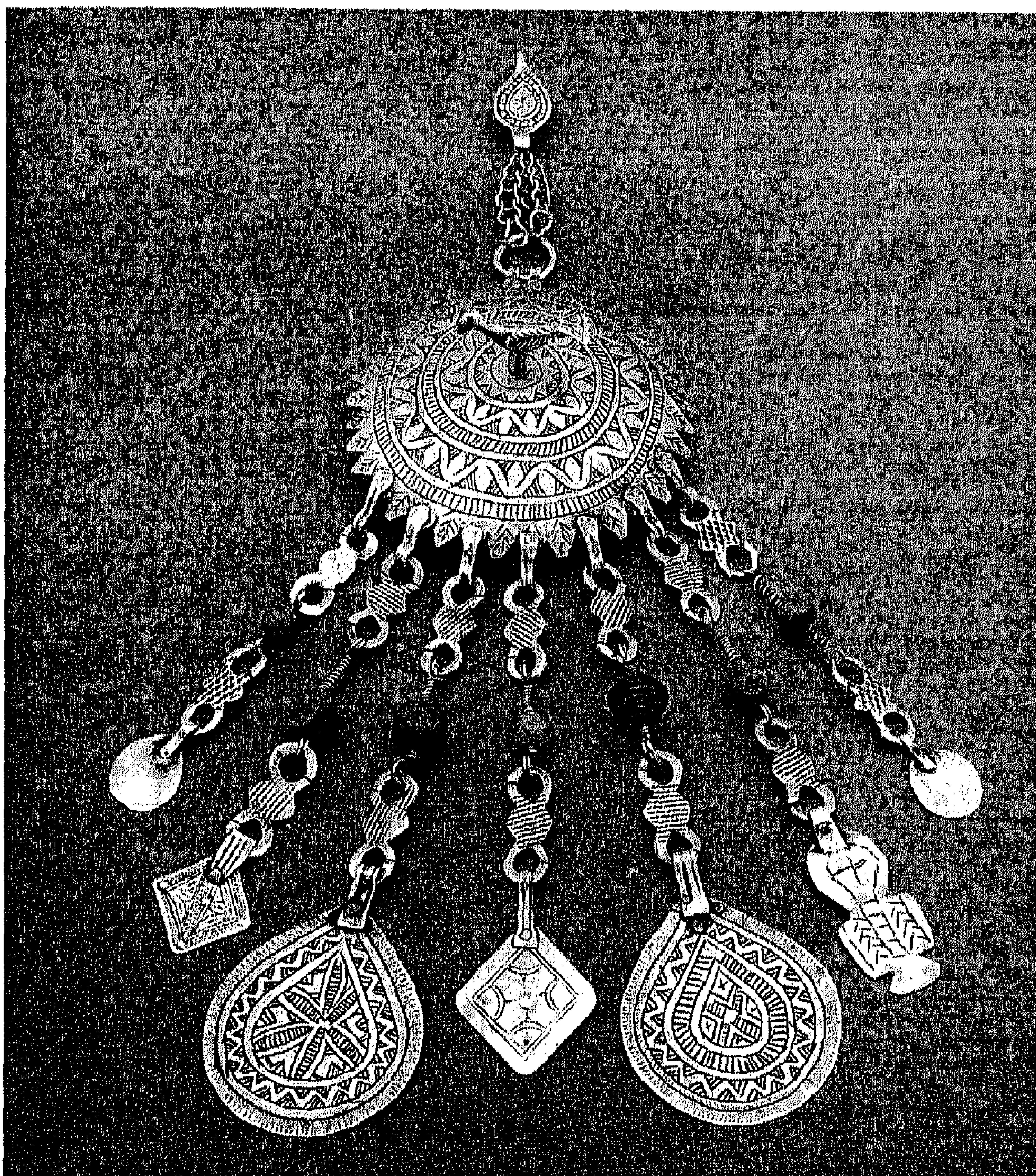
٣٣- مشـــاركة الحرفى للحرفيين سواء العاملين معه داخل الورشة أو فى الورش المجـــاورة فـــى المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة، وتأثير ذلك على درجة رضاء الحرفى عن عمله.

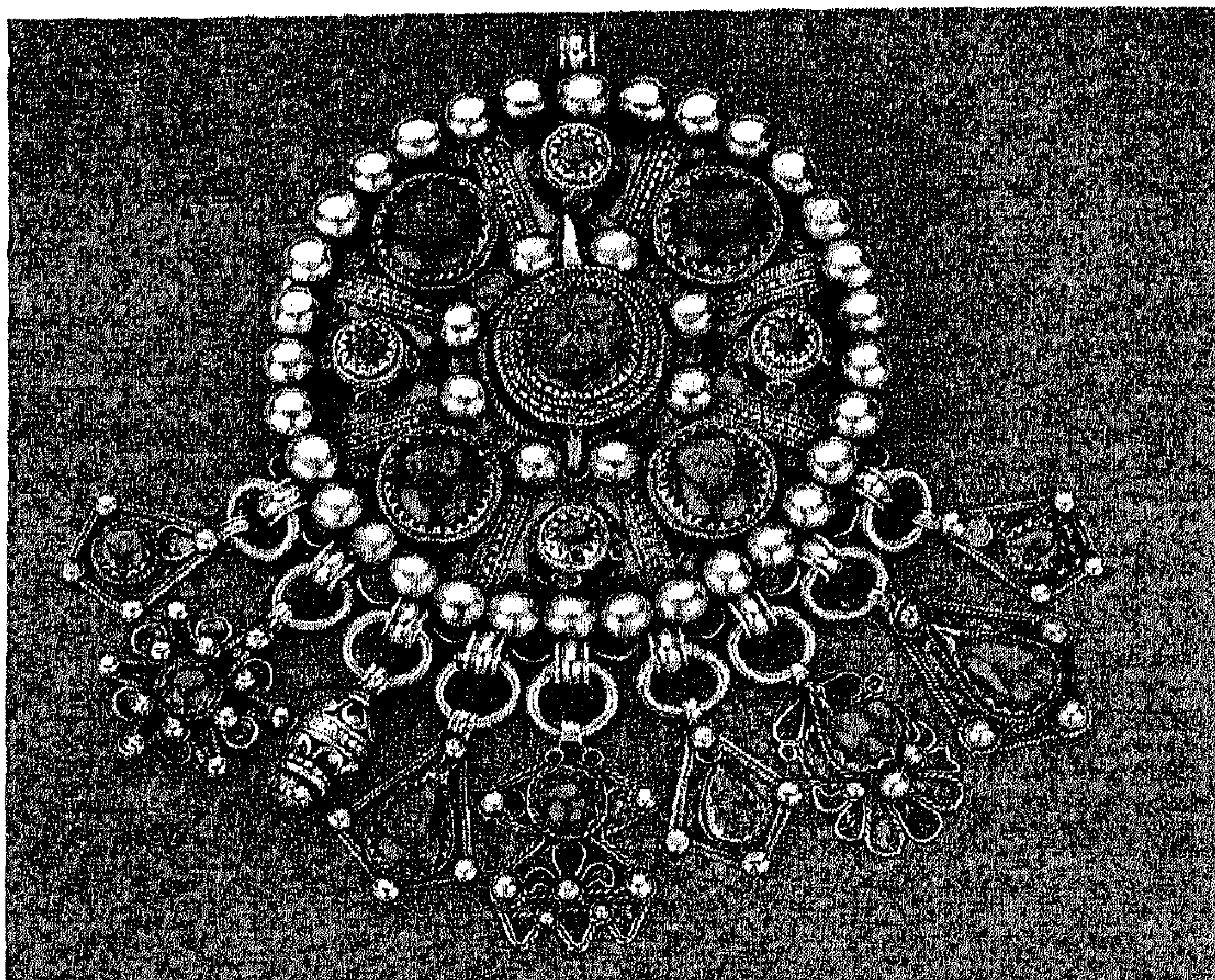
٣٤- القهوة كأحد المؤسسات المجتمعية ودورها فى حل بعض المشاكل التى تواجه الحرفى أثناء العمل، إضافة إلى دورها كأحد وسائل تقضية وقت الفراغ أثناء العمل ومعرفة أخبار المجتمع والناس.

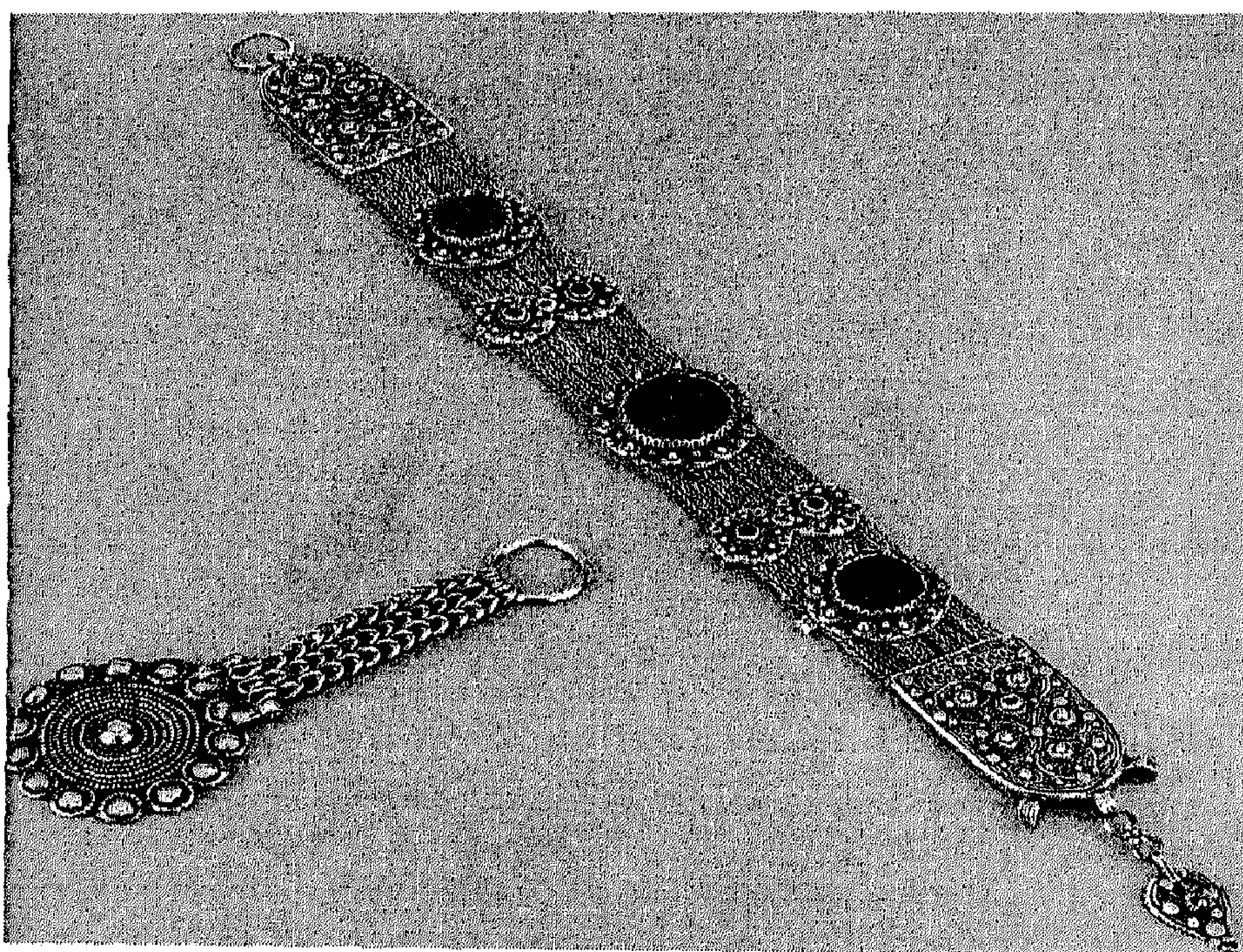
٣٥- درجـــة رضاء الحرفى عن عمله وعن مجتمعه الذى يعيش به، وما مؤشرات ذلك، فى مقابل مدى رغبته فى ترك العمل ومامدى انعكاس ذلك على درجة رضاه عن حياته كل وعن مجالات حياته المختلفة؟

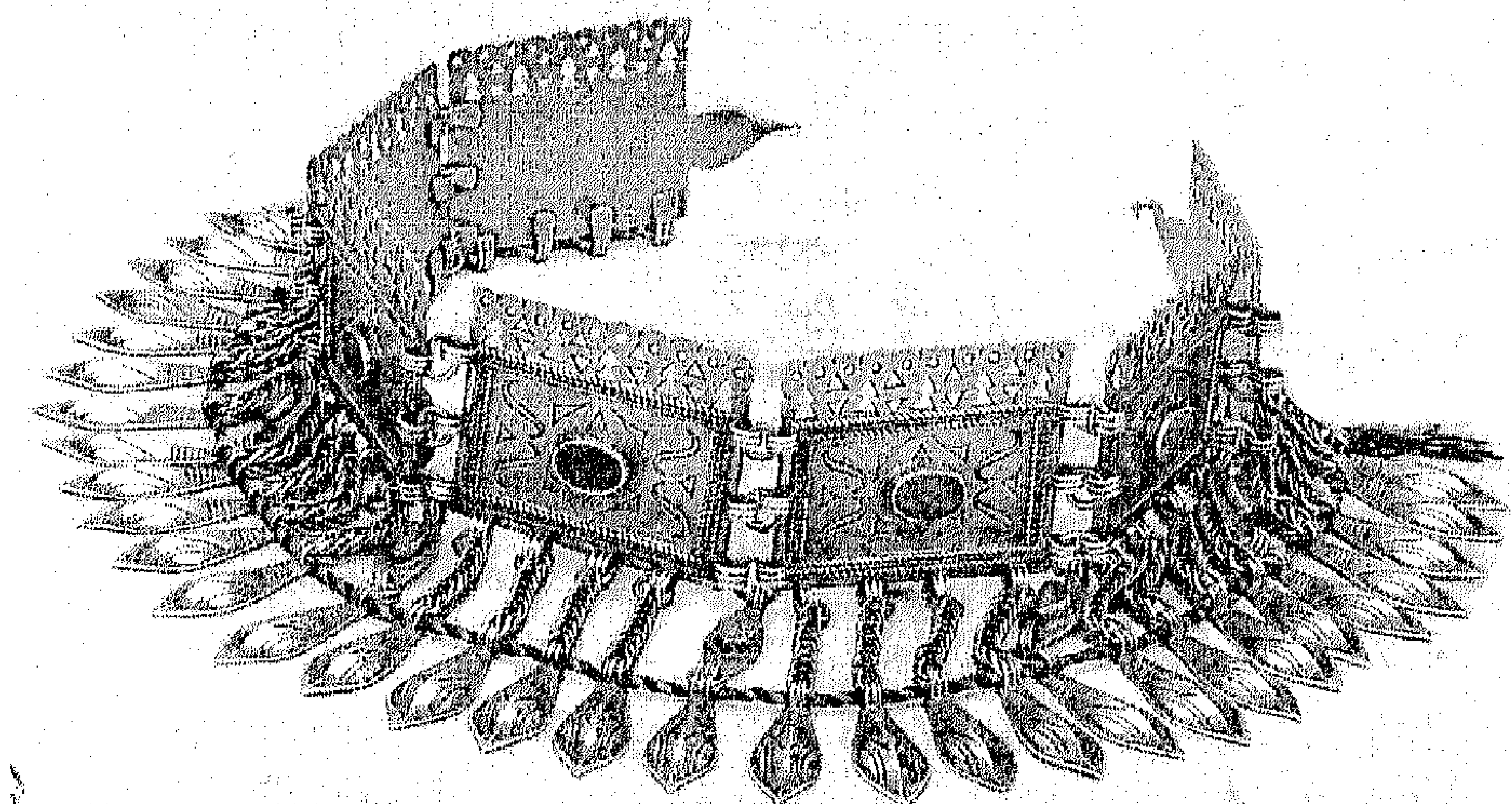
ملحق رقم (٣)
نماذج لبعض المنتجات الحرفية اليدوية (مجال الدراسة)

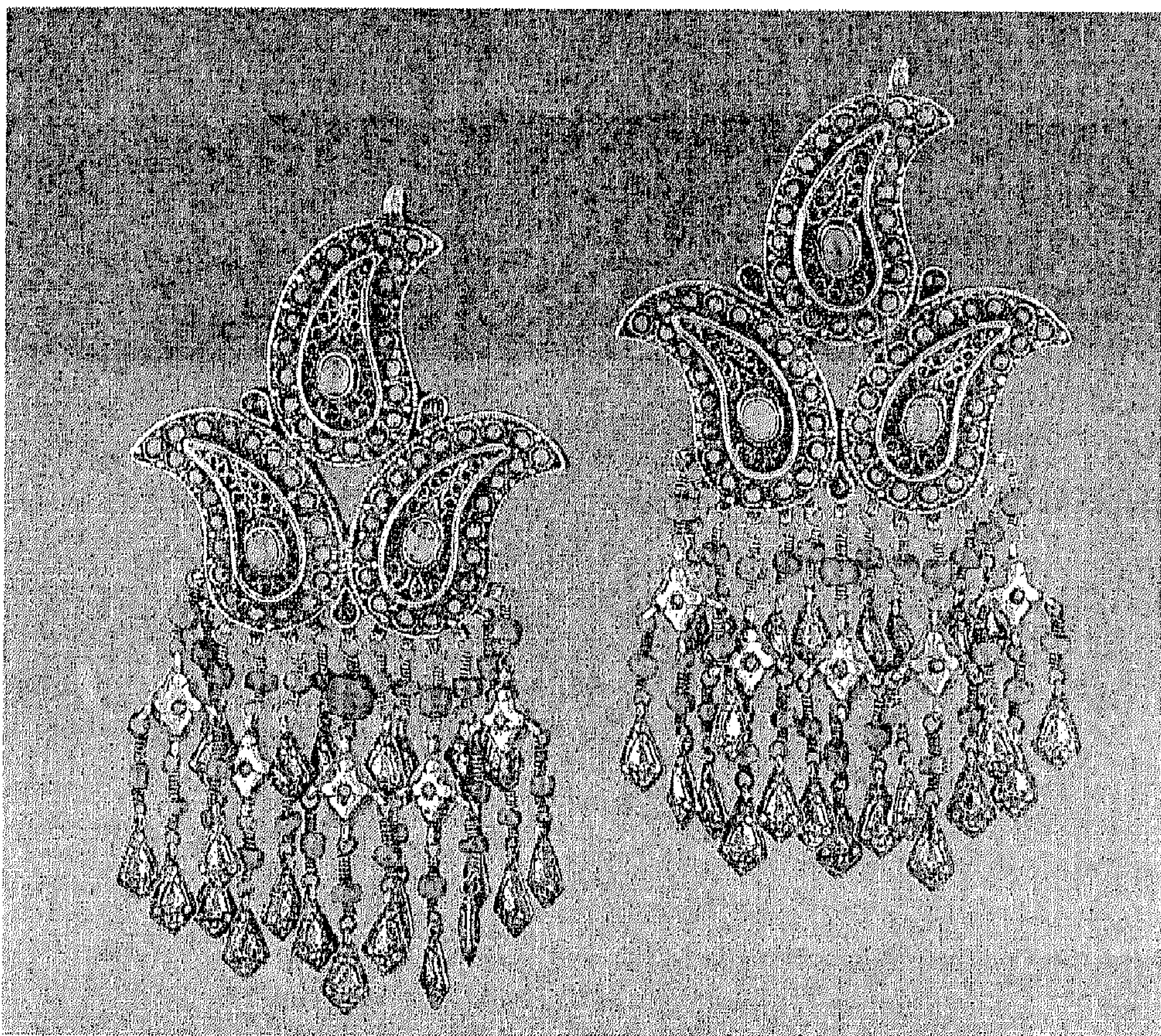


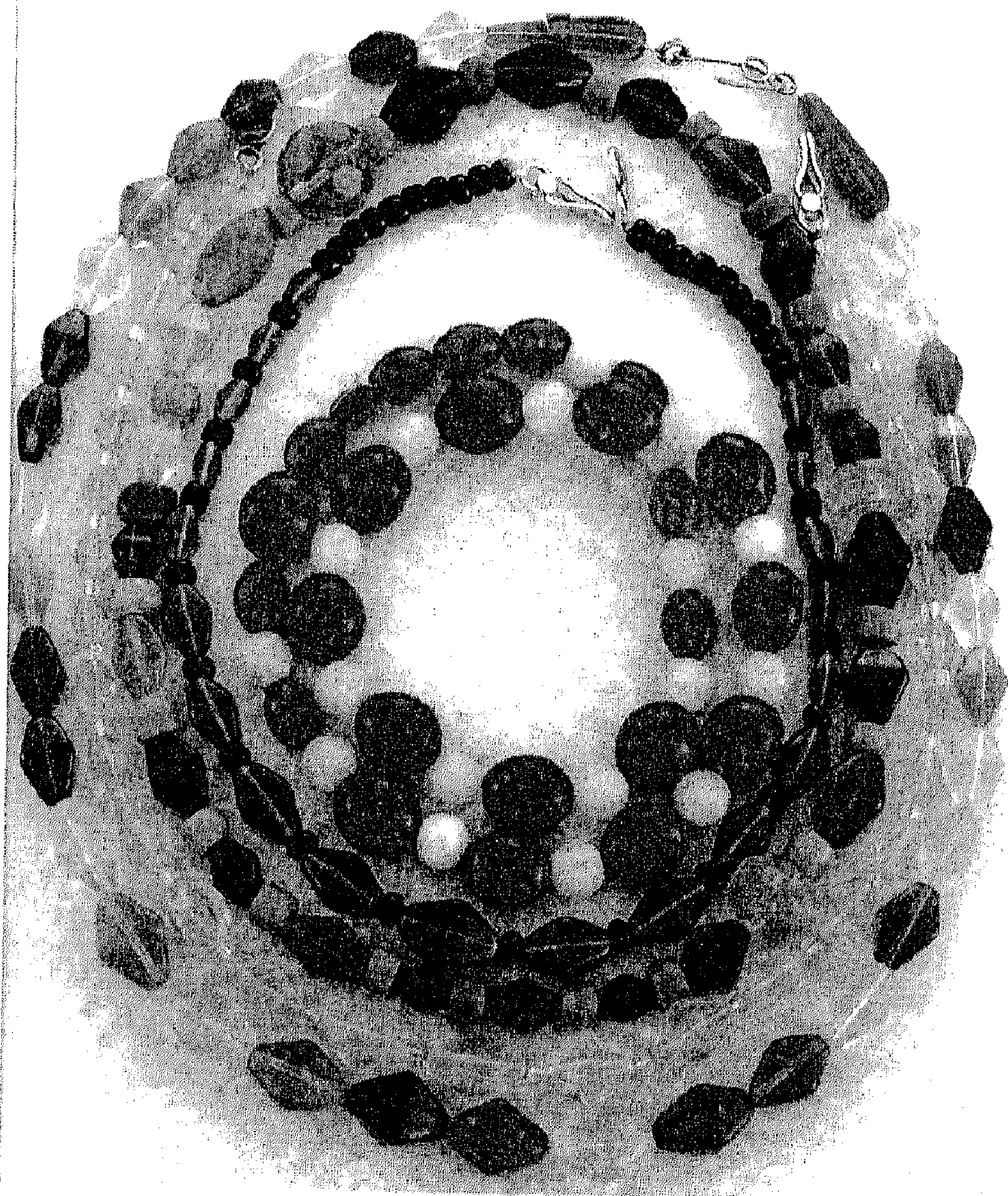




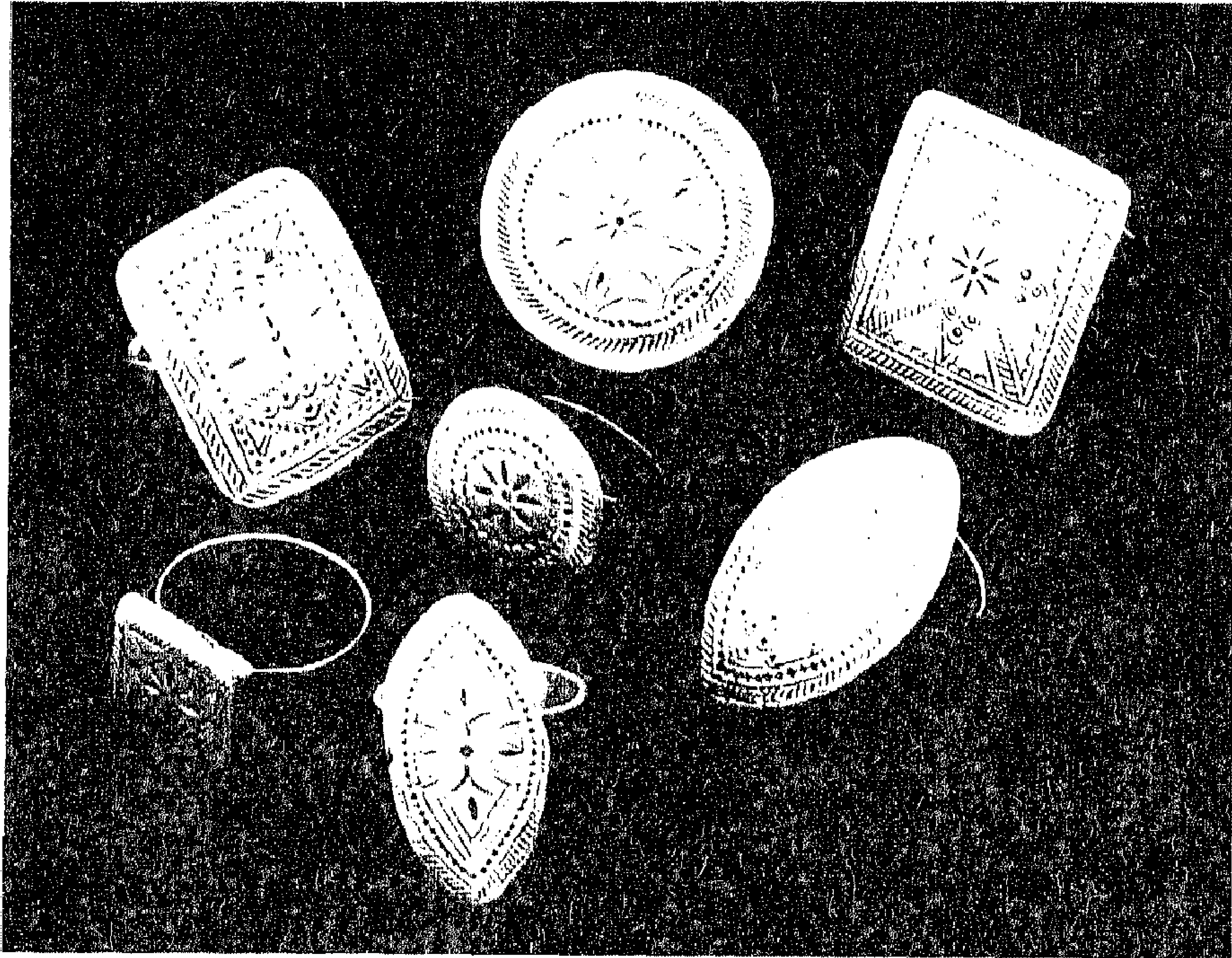


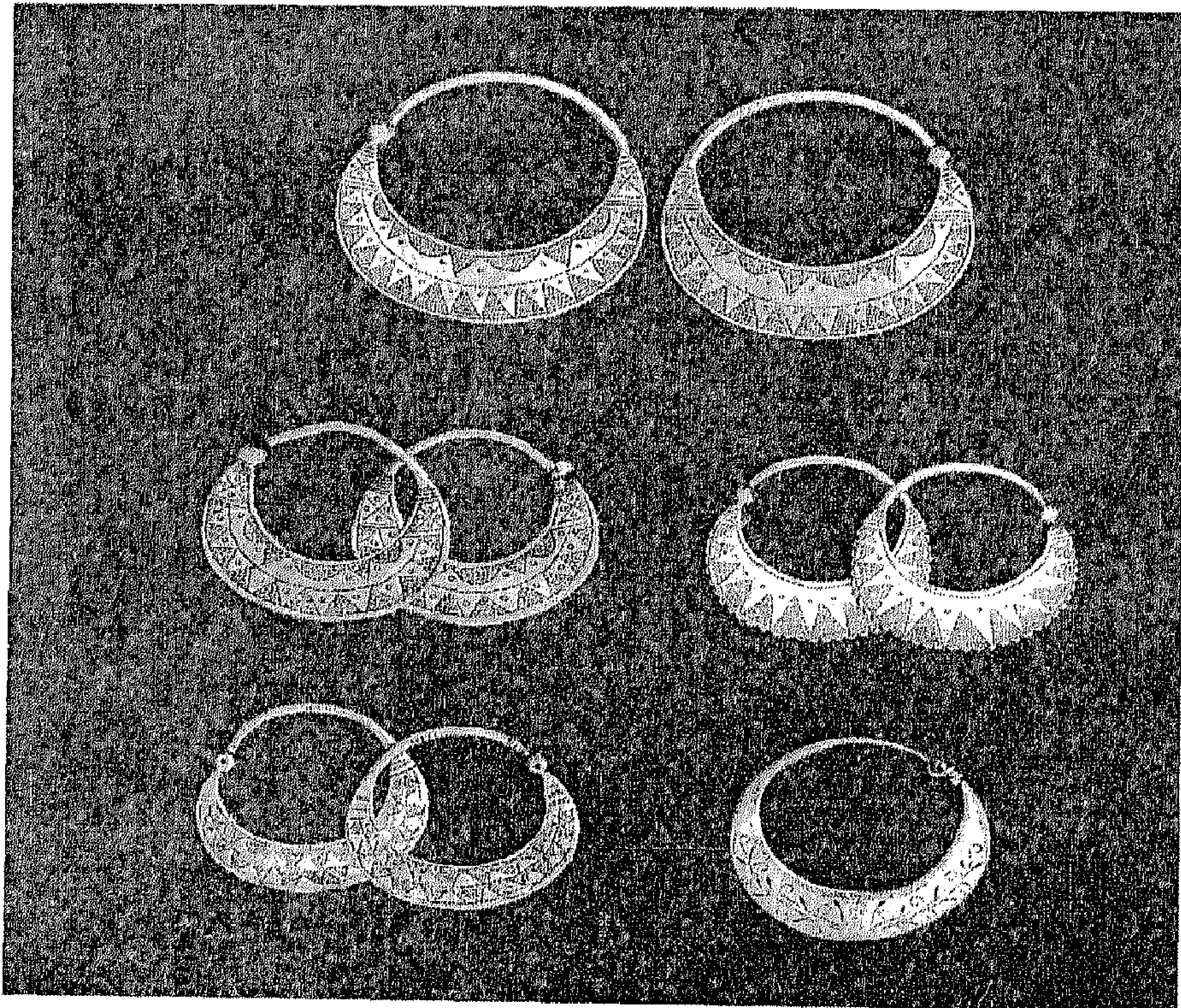








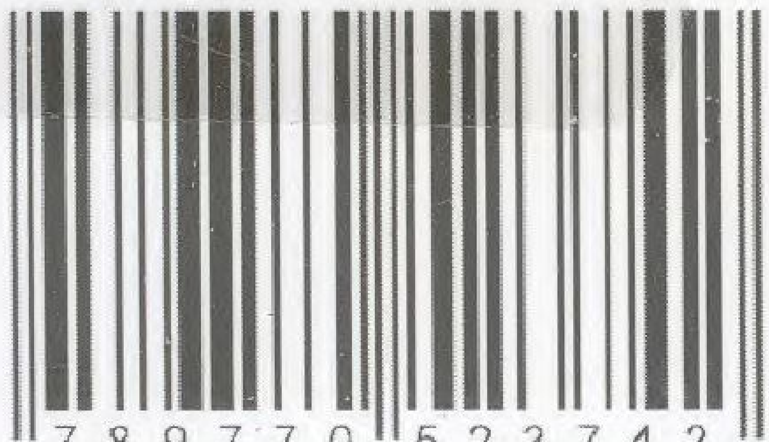


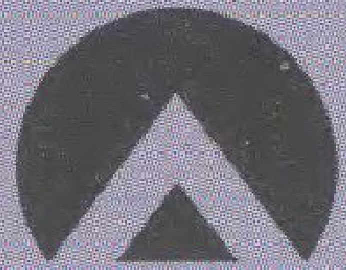


هذا الكتاب

يهتم بدراسة نوعية حياة الحرفيين المشتغلين بالحرف والصناعات التقليدية فى حى الجمالية بمدينة القاهرة ، وتمثل نوعية الحياة المقولة السادسة فى نموذج الحرفية عند س. رايت ميلز ، والذى سبق لدراسة رائدة أن انطلقت منه فى دراسة هذا النوع من الحرف والصناعات التقليدية فى مجتمع البحث ذاته واهتمت بدراسة المقولات الخمس الأولى من هذا النموذج . من ثم تأتى الدراسة التى يقدمها هذا المؤلف على درجة عالية من الأهمية ؛ نظرًا لأنها تستكمل اختبار النموذج المثالى للحرفية على أرض الواقع فى المجتمع المصرى فى محاولة أولى تفتقر إليها أدبيات سوسيولوجيا الحرف فى المكتبة العربية .

وتأتى الأهمية الثانية لهذا المؤلف ؛ اهتمامه برصد نوعية حياة الحرفيين خلال المراحل التاريخية المختلفة ، والتى تركت بصماتها على نوعية حياتهم وأسلوب ممارستهم للعمل الحرفى . ولايزال مجال الحر والصناعات التقليدية فى حاجة إلى المزيد من الدراسات السوسيو محاولة للمحافظة على التراث من جهة والدعوة إلى تطوير الأد المنتج من جهة أخرى بما قد يتيح للمجتمع المصرى أن ينطلق إلى ال العالمية من خلال الإنتاج الإبداعى والذى يلبى احتياجات جمهور المس لهذا النوع من الإنتاج .




مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts
www.anglo-egyptian.com